عبدالله بن محمد بن عباس الزاهد

عجائب الملكوت

الماء الأول   الملائكة   الشهب والنيازك   عجائب النباتات

العرش والكرسي   يأجوج ومأجوج   الجزر   ملك الموت

العقل الكلي   قوس الله   الدعاء وقراءة القرآن   الكرام الكاتبين

اللوح والقلم   الرعد والبرق   عجائب الساعات   حملة العرش

عجائب السموات   الزلازل   عجائب الحيوان   هاروت وماروت

دار المحجة البيضاء   دار الرسول الأكرم (ص)

بسم الله الرحمن الرحيم

A122a

عجائب الملكوت

عبدالله بن محمد بن عباس الزاهد

المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
الرقم ....26229......

دار المحجة البيضاء
دار الرسول الأكرم (ص)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ-١٩٩٨م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب : ١٤/٥٤٧٩
ت : ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس : ٠١/٥٥٢٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض
وليكون من الموقنين ﴾

(الأنعام: الآية٧٥)

المقدمة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم، الحمد للّٰه الذي لا تغيّره حوادث الدهور، ولا تلزمه مطرقات الأمور، تنكص في إدراك ذاته ثواقب الأفهام، وتعثر في مضمار كماله سوابق الأوهام، الذي خضعت لعظمته طوامع الأحداق، وطأطأت لعزّته سوالف الأعناق، أظهر وجوده بوجودية الموجودات، وأبرز علمه بمعلومية المعلومات، وعرفت صفاته بفعله وصفات المحدثات، منه بدأ كلّ شيء، وبه قوام كلّ شيء، وله ملك كلّ شيء، وإليه مردّ كلّ شيء وبيده ملكوت كلّ شيء، وهو السميع العليم.

ثمّ الصلاة والسلام على شمس الوجود، وقمر السعود، ومجمع العابد والمعبود، المخلوق الأول، والنور الأجمل، والعابد الأكمل، والنبي الأفضل، محمّد بن عبد اللّٰه، الماسك بحبل الشرف الأطول، والناصع الحسب في ذروة الكاهل الأعبل، وعلى آله شموس الهداية والرشاد، وبدور الصدق والسّداد، أصحاب المجد والاجتهاد، مقصد الوفاد في الحاضر والباد، خزانة الوهّاب الجواد، حجج اللّٰه في سائر البلاد، صلاة تكون إمدادها بآماد الأبد معقودة، وظلالها على أرواحهم المطهّرة ممدودة.

أمّا بعد، يقول العبد الفاني والمذنب الجاني جامع هذا الكتاب، لما تنزّهت ذات اللّٰه عن الإدراك وامتنعت عن المعرفة، وجلّت عن الإشارة والوصف، جعل فعله طريقاً إلى معرفته، وخلقه دلالة على ربوبيته، ففي

الحديث القدسي: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف، فاللّه جلّ وعلا عرّف نفسه بفعله وصنعه وآياته، ومن هذا وجب معرفة حقائق الموجودات والتدبّر في آيات اللّه، ﴿قل انظروا ماذا في السموٰات والأرض﴾(١) ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموٰات والأرض وما خلق اللّه من شيء﴾(٢) ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنّه الحقّ﴾(٣)، وليس المراد بالنظر تقليب الحدقة نحوها، فإنّ البهائم تشارك الإنسان فيه ولكن المراد من النظر التفكّر في المعقولات والنظر في المحسوسات والبحث عن حكمتها واكتشاف دقّتها واستخدام خواصها ومعرفة حقائقها، ومن ثم يتعرّف على أحسن الصنعة وأفضل الخلقة التي هي ناتجة عن غنيٍّ وعالم وحكيم، وذلك لأنّ الحسن هو الراجح في الصنع ولا يترك الراجح إلاّ العاجز أو المحتاج أو الجاهل أو غير حكيم، والقادر الغنيّ الحكيم لا يترك حكمة الراجح في صنعه إلاّ لأمر أرجح منه وإلاّ فعل خلاف الحكمة، وصدور خلاف الحكمة محال عليه تعالى، ومن صدر منه خلاف الحكمة كشف عن عجزه أو جهله وإلاّ لم يفعل ذلك، واللّه عزّ وجلّ حكمته وعلمه وقدرته وغناه ثابت بالضرورة، غني عن إقامة الدليل والبرهان، فلا بدّ أن يكون صنعه في كمال الاتفاق وغاية الإحكام، فصارت صنائعه إظهاراً لحكمته، وآياته دليلاً لقدرته، وكل ما في الملكوت وسائل إلى معرفته وتراجمة لصفاته جلّ وعلا.

وإني بعدما ركضت برهة من الزمان في الصحارى والقفار، ووطئت شرذمة من الأوان في البراري والبحار، سائراً في الأطراف غريباً وحيداً كالعقعق والبوم، طالباً للمعارف والعلوم راغباً عن الزخارف المنتجة للهموم، وكان جملة ما أطلبها علوم ورّثها الأنبياء وخلّفها الأوصياء، فجنيت من زهر حدائقها ثماراً وحويت من درر رحائقها نثاراً، فكتبت، وأنا مع تبلبل البال واختلال

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠١.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.
(٣) سورة فصلت: الآية ٥٣.

الأحوال وكثرة الواردات وتواتر الحادثات، بعض عجائب الآيات وغرائب المخلوقات، وإن كانت لا تضبطها هذه الوريقات ويضيق بنقلها الأوقات لعجز العقول عن إدراكها ونقص الاعداد لحسابها.

وأسأل من نظر في كتابي هذا، إن رأى فيه عجائب تأباها الطباع، فليعلم أنّه لا شيء يستعظم أمام قدرة الخالق وجبلّة المخلوق، فجميع ما فيه اما عجائب صنع الباري جلّ جلاله وذلك إما بالمحسوس أو المعقول لا ميل فيها ولا خلل، واما خبر مروي عن النبي أو آله عليهم الصلاة والسلام وهم خزانة علم اللّه وتراجمة وحيه، واما خواص غريبة وذلك مما وفى العمر بتجربتها، فكن منها على ثقة وازدد بها حكمة، وقد رتبته مفهرساً متسلسلاً من العلويات إلى السفليات، ولقّبته «عجائب الملكوت» وأستغفر اللّه من زلل القلم وعصيان الحكم واللّه الموفّق للصواب وإليه المرجع والمآب.

المؤلـف

الماء الأول الذي منه كل شيء

فيما جاء في أصل الماء ومادته النوعية والشخصية وصورها:

﴿وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾[١] ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ﴾[٢].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ان اللّه تعالى أوّل ما خلق الخلق خلق نوراً ابتدعه من غير شيء ثم خلق منه ظلمة وكان قديراً أن يخلق الظلمة لا من شيء كما خلق النور من غير شيء ثم خلق من الظلمة نوراً وخلق من النور ياقوتة غلظها كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين ثم زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماءً مرتعداً ولايزال مرتعداً إلى يوم القيامة ثم خلق عرشه من نوره وجعله على الماء وللعرش عشرة آلاف لسان يسبح اللّه كلّ لسان منها بعشرة آلاف لغة ليس فيها لغة تشبه الأخرى وكان العرش على الماء من دونه حجب الضياء ـ الضباب ـ[٣].

وسأل ضباع الهندي الرّضا عليه السلام ما أصل الماء قال عليه السلام الماء من خشية اللّه[٤].

وعن أبي جعفر عليه السلام حينما جاءه رجل من أهل الشام قال يا أبا جعفر

---

(١) سورة هود: الآية ٧.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٣) بحار الأنوار.

(٤) بحار الأنوار.

جئتك لأسألك عن مسألة قد أعيت عليَّ أن أجد أحداً يفسّرها وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من الناس فقال كلّ صنف منهم شيئاً غير الذي قال الصنف الآخر فقال له أبو جعفر عليه السلام ما ذاك؟ قال إني أسألك عن أول ما خلق الله من خلقه، فإن بعض من سألته قال القدر، وقال بعضهم القلم، وقال بعضهم الروح، فقال أبو جعفر عليه السلام: ما قالوا شيئاً، أخبرك: إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره، وكان عزيزاً ولا أحد كان قبل عزّه، وذلك قوله ﴿سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون﴾ وكان الخالق قبل المخلوق، ولو كان أول ما خلق الله الشيء من الشيء، إذا لم يكن له انقطاع أبداً ولم يزل الله إذاً ومعه شيء ليس هو يتقدمه ولكنه كان إذ لا شيء غيره، وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه، وهو الماء الذي خلق الأشياء منه، فجعل نسب كل شيء إلى الماء، ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه وخلق الريح من الماء ثم سلّط الريح على الماء فشققت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقية ليس فيها صدع ولا نقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة، ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار من الماء فشققت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقية ليس فيها صدع ولا ثقب وذلك قوله ﴿والسماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها﴾ قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب، ثم طواها فوضعها فوق الأرض ثم نسب الخلقتين فرفع السماء قبل الأرض فقوله عزّ ذكره ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ يقول بسطها(١).

وفي احتجاج كعب الأحبار مع عمر إلى أن قال لأمير المؤمنين عليه السلام يا أبا الحسن أخبرني عن قول الله تعالى في كتابه ﴿وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾ قال أمير المؤمنين عليه السلام: نعم كان عرشه على الماء حين لا أرض مدحية ولا سماء مبنية ولا صوت يسمع ولا عين تنبع ولا ملك مقرّب ولا

---

(١) الكافي.

نبيّ مرسل ولا نجم يسري ولا قمر يجري ولا شمس تضيء وعرشه على الماء غير مستوحش إلى أحد من خلقه يمجِّد نفسه ويقدسها كما شاء أن يكون كان ثم بدا له أن يخلق الخلق فضرب بأمواج البحور فثار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق اللّه فبنى بها سماءً رتقاً ثم دحا الأرض من موضع الكعبة وهي وسط الأرض فطبقت إلى البحار ثم فتقها بالتبيان ـ بالبنيان ـ وجعلها سبعاً بعد إذ كانت واحدة ثم استوى إلى السماء وهي دخان من ذلك الماء الذي أنشأ من تلك البحور سبعاً طباقاً بكلمته التي لا يعلمها غيره وجعل في كل سماء ساكناً من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة وهي بحر الرحمة وجعل طعامهم التسبيح والتهليل والتقديس فلمّا قضى أمره وخلقه استوى على ملكه فمدح كما ينبغي له أن يحمد ثم قدّر ملكه فجعل في كل سماء شهباً معلقة الكواكب كتعليق القناديل من المساجد إلى أن قال عليه السلام: فبعث اللّه جبرئيل عليه السلام فأخذ من أديم الأرض قبضة فعجنه بالماء العذب والمالح وركّب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الروح فخلقه من أديم الأرض فلذلك سمي آدم[1].

وعن محمد بن مسلم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: كان كل شيء ماءً وكان عرشه على الماء فأمر اللّه جلّ وعزّ الماء فاضطرم ناراً ثم أمر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق اللّه السماوات من ذلك الدخان وخلق الأرض من الرماد ثم اختصم الماء والنار والريح فقال الماء أنا جند اللّه الأكبر وقال الريح أنا جند اللّه الأكبر وقالت النار أنا جند اللّه الأكبر فأوحى اللّه عزّ وجلّ إلى الريح أنت جندي الأكبر[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: كان اللّه تبارك وتعالى كما وصف نفسه وكان عرشه على الماء والماء على الواء والهواء لا يجري ولم يكن غير الماء خلق، والماء يومئذٍ عذب فرات فلمّا أراد اللّه أن يخلق الأرض أمر الرياح الأربع فضربت الماء حتى صار موجاً ثم أزبد زبدة واحدة فجمعه في موضع البيت،

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) بحار الأنوار.

فأمر اللّه فصار جبلاً من زبد ثم دحا الأرض من تحته ثم قال ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكّة مباركاً وهدىً للعالمين﴾(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه سئل عن مدّة ما كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الأرض والسماء؟ فقال: تحسن أن تحسب؟ فقال له نعم فقال لو أنّ الأرض من المشرق إلى المغرب ومن الأرض إلى السماء حبّ خردل ثم كلّفت على ضعفك أن تحمله حبّة حبّة من المشرق إلى المغرب حتى أفنيته لكان ربع عشر جزء من سبعين ألف جزء من بقاء عرش ربّنا على الماء قبل أن يخلق الأرض والسماء، ثم قال إنّما مثلت لك مثالاً(٢).

فيما جاء في أنّ الخاتم صلى الله عليه وآله أوّل الخلق ومنه خلق الماء، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أوّل ما خلق اللّه نوري(٣).

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: كان اللّه ولا شيء معه فأول ما خلق نور حبيبه محمّد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسماوات والأرض واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة وآدم وحواء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام فلمّا خلق اللّه تعالى نور نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله بقي ألف عام بين يدي اللّه عزّ وجلّ واقفاً يسبّحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول يا عبدي أنت المراد والمريد وأنت خيرتي من خلقي وعزّتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك من أحبك أحببته ومن أبغضك أبغضته فتلألأ نوره وارتفع شعاعه فخلق اللّه منه اثني عشر حجاباً أولاً حجاب القدرة ثم حجاب العظمة ثم حجاب العزّة ثم حجاب الهيبة ثم حجاب الجبروت ثم حجاب الرحمة ثم حجاب النبوّة ثم حجاب الكبرياء(٤) ثم حجاب المنزلة ثم حجاب الرفعة ثم حجاب السعادة ثم حجاب الشفاعة، ثم إنّ اللّه تعالى أمر نور رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن يدخل في

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) تفسير البرهان.

(٣) عوالم العلوم.

(٤) في نسخة أخرى الكرامة.

حجاب القدرة فدخل وهو يقول سبحان العليّ الأعلىٰ وبقي على ذلك اثني عشر ألف عام ثم أمره أن يدخل في حجاب العظمة فدخل وهو يقول سبحان عالم السّرّ وأخفىٰ أحد عشر ألف عام ثم دخل في حجاب العزّة وهو يقول سبحان الملك المنان عشرة آلاف عام ثم دخل في حجاب الهيبة وهو يقول سبحان من هو غنيّ لا يفتقر تسعة آلاف عام ثم دخل في حجاب الجبروت وهو يقول سبحان الكريم الأكرم ثمانية آلاف عام ثم دخل في حجاب الكبرياء ـ الكرامة ـ وهو يقول سبحان العظيم الأعظم خمسة آلاف عام ثم دخل في حجاب المنزلة وهو يقول سبحان العليم الكريم أربعة آلاف عام ثم دخل في حجاب الرفعة وهو يقول سبحان ذي الملك والملكوت ثلاثة آلاف عام ثم دخل في حجاب السعادة وهو يقول سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول ألفي عام ثم دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول سبحان اللّه وبحمده سبحان اللّه العظيم ألف عام قال أمير المؤمنين عليه السلام: ثم إنّ اللّه تعالى خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله عشرين بحراً من نور في كلّ بحر علوم لا يعلمها إلاّ اللّه تعالى ثم قال لنور محمّد صلى الله عليه وآله إنزل في بحر العزّ فنزل ثم في بحر الصبر ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوفاء ثم في بحر العلم[1] ثم في بحر التُّقى ثم في بحر الخشية ثم في بحر الإنابة ثم في بحر العمل ثم في بحر المزيد ثم في بحر الهدى ثم في بحر الصيانة ثم في بحر الحياء حتى تقلّب في عشرين بحراً فلمّا خرج من آخر الأبحر قال اللّه تعالى يا حبيبي ويا سيد رسلي ويا أوّل مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر فخرّ النور ساجداً ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة فخلق اللّه تعالى من كل قطرة من نوره نبيّاً من الأنبياء فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمد صلى الله عليه وآله كما تطوف الحجاج حول بيت اللّه الحرام وهم يسبّحون اللّه ويحمدونه ويقولون سبحان من هو عالم لا يجهل سبحان من هو حليم لا يعجل سبحان من هو غني لا يفتقر فناداهم اللّه تعالى تعرفون من أنا فسبق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل الأنوار،

---

(١) في نسخة أخرى الحلم.

ونادىٰ أنت اللَّه الذي لا إله إلاّ أنت وحدك لا شريك لك ربّ الأرباب وملك الملوك فإذا بالنداء من قبل الحق أنت صفيّي وأنت حبيبي وخير خلقي أُمّتك خير أمّة أخرجت للناس ثم خلق من نور محمّد ﷺ جوهرة وقسّمها نصفين فنظر إلى القسم الأول بعين الهيبة فصار ماءً عذباً ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء وخلق[١] الكرسي من نور العرش وخلق من نور الكرسي اللّوح ومن نور اللّوح القلم وقال له أكتب توحيدي فبقي القلم ألف عام سكران من كلام اللَّه تعالى فلمّا أفاق قال أكتب قال يا ربّ وما أكتب قال أكتب لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللَّه فلمّا سمع القلم اسم محمّد ﷺ خرّ ساجداً وقال سبحان الواحد القهّار[٢] سبحان العظيم الأعظم ثم رفع رأسه من السجود وكتب لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه ثم قال يا ربّ ومَنْ محمّد الذي قرنت اسمه باسمك وذكره بذكرك؟ قال اللَّه تعالى له يا قلم لا تحكم فلولاه ما خلقتك ولا خلقت خلقي إلاّ لأجله فهو بشير ونذير وسراج منير وشفيع وحبيب فعند ذلك انشقّ القلم من حلاوة ذكر محمّد ﷺ ثم قال السلام عليك يا رسول اللّه فقال اللّه تعالى وعليك السلام مني ورحمة اللّه وبركاته فلأجل هذا صار السلام سنّة والردّ فريضة ثم قال اللّه تعالى أكتب قضائي وقدري وما أنا خالقه إلى يوم القيامة[٣].

---

(١) في نسخة أخرى فخلق.
(٢) في نسخة أخرى القادر.
(٣) عوالم العلوم.

العرش والكرسي

الآيـــات:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾[١] ﴿قل من رَّبُّ السمٰوات السَّبع وربُّ العرش العظيم﴾[٢] ﴿وترى الملائِكَةَ حافِّين من حول العرش﴾[٣] ﴿ويحمل عرش ربِّك فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾[٤] ﴿وسِع كرسيُّهُ السمٰوَاتِ والأرض﴾[٥].

أنوار العرش وقوائمه وأركانه

قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ العرش خلقه اللّٰه تبارك وتعالى من أنوار أربعة نور أحمر منه احمرّت الحمرة ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة ونور أصفر منه اصفرّت الصّفرة ونور أبيض منه البياض وهو العلم الذي حمله اللّٰه الحملة وذلك نور من نور عظمته فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين[٦].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: إنّ اللّٰه عزّ وجلّ خلق العرش أرباعاً، لم يخلق قبله إلاّ ثلاثة أشياء، الهواء والقلم والنور ثم خلقه من أنوار مختلفة

---

(١) سورة طه: الآية ٥.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٨٦.
(٣) سورة الزمر: الآية ٧٥.
(٤) سورة الحاقة: الآية ١٧.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.
(٦) الكافي.

فمن ذلك النور نورٌ أخضر اخضرّت منه الخضرة ونور أصفر اصفرّت منه الصفرة ونور أحمر احمرّت منه الحمرة ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار، ثم جعله سبعين ألف طبق، غلظ كلّ طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين ليس من ذلك طبق إلاّ يسبّح بحمد ربِّهِ ويقدسه بأصوات مختلفة وألسنةٍ غير مشتبهة، ولو أذن للسان منها فاسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون ولخسف البحار ولأهلك ما دونه، له ثمانية أركان على كلّ ركن منها من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلاّ اللّه عزّ وجلّ، يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، ولو حسّ شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة ثم العلم وليس وراء هذا مقال[١].

وسئل الصادق عليه السلام لِمَ سمِّيَ الكعبة كعبة قال: لأنّها مربعة فقيل له ولم صارت مربعة قال لأنّها بحذاء بيت المعمور وهو مربّع فقيل له ولِمَ صار البيت المعمور مربعاً قال لأنّه بحذاء العرش وهو مربّع فقيل له ولِمَ صار العرش مربّعاً قال لأنّ الكلمات التي بنىٰ عليها الإسلام أربع سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلاّ اللّه واللّه أكبر[٢].

ومن تفسير العسكري عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستين ألف ركن وخلق عند كل ركن ثلاثمائة ألف وستين ألف ملك لو أذن اللّه تعالى لأصغرهم فالتقم السماوات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلاّ كالرملة في المفازة الفضفاضة[٣].

سعة العرش والكرسي

عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: خلق اللّه تعالى ملكاً تحت

---

(١) التوحيد.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) بحار الأنوار.

العرش فأوحى إليها ـ إليه ـ أيّها الملك طر فطار ثلاثين ألف سنة ثم أوحى إليه، طر فطار ثلاثين ألف سنة أخرى ثم أوحى إليه طر فطار ثلاثين ألف سنة أخرى، فأوحى إليه لو طرت إلى نفخ الصور كذلك لم تبلغ إلى الطرف الثاني من العرش فقال الملك عند ذلك سبحان ربّي الأعلى وبحمده(١).

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليه السلام أنّه قال: في العرش تمثال جميع ما خلق اللّه في البرّ والبحر، قال وهذا تأويل قوله ﴿وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه﴾، وإن بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسيرة ألف عام، والعرش يكسىٰ كل يوم سبعين لوناً من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق اللّه والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة وأنّ للّه ملكاً يقال له خرقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، فخطر في قلبه هل من فوق العرش شيء، فزاده اللّه أجنحة مثلها أخرى فكان له ستّة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام ثم أوحىٰ اللّه إليه أيّها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف عام ولم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف اللّه له في الجناح والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام، لم ينل أيضاً، فأوحى اللّه إليه أيّها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق العرش، فقال الملك سبحان ربّي الأعلى، فأنزل اللّه عزّ وجلّ سبّح اسم ربّك الأعلى، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها في سجودكم.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما السمٰوات السبع في الكرسي إلاّ كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة(٢).

وسئل أبو عبد اللّه عليه السلام عن الكرسي أهو أعظم أم العرش فقال عليه السلام: كلّ شيء خلق في جوف الكرسي خلا عرشه فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسي(٣).

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) التوحيد.

(٣) التوحيد.

وعنه في قوله: ﴿وسع كرسيُّه السموات والأرض﴾ السماوات والأرض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السموات والأرض قال بل الكرسي وسع السموات والأرض والعرش وكلّ شيء خلق اللّه في الكرسي[١].

وقال عليه السلام: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر[٢].

إن في العرش تمثال كلّ شيء

﴿وإن من شيءٍ إلاّ عندنا خزائنُهُ وما ننزّله إلاّ بقدر معلوم﴾[٣].

عن علي بن الحسين عليه السلام: ان في العرش تمثال جميع ما خلق اللّه في البرّ والبحر قال وهذا تأويل قوله: ﴿وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه﴾[٤].

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال: ما من مؤمن إلاّ وله مثال في العرش فإذا اشتغل بالركوع والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله فعند ذلك تراه الملائكة فيصلون ويستغفرون له، وإذا اشتغل العبد بمعصية أرخى اللّه تعالى على مثاله ستراً لئلا تطلع الملائكة عليها[٥].

معاني العرش والكرسي

إنّ للعرش والكرسي عدّة معاني لكلّ معنىً وَضْع في القرآن الكريم، فالعرش يأتي في اللغة بمعنى سرير السلطنة وهو قوله: ﴿أيّكم يأتيني بعرشها﴾، ويأتي بمعنى السقف وأعالي البناء وهو قوله تعالى: ﴿وهي خاوية على

(١) التوحيد.
(٢) التوحيد.
(٣) سورة الحجر: الآية٢١.
(٤) بحار الأنوار.
(٥) بحار الأنوار.

عروشها﴾، أما معاني التأويل والتفسير الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فمنها يأتي العرش بمعنى الوحدانية للّه سبحانه وتعالى ومنه قوله تعالى: ﴿سبحان ربّك ربّ العرش عمّا يصفون﴾ قال أبو عبد اللّه عليه السلام: وهو وصف عرش الوحدانية لأنّ قوماً أشركوا، قال تبارك وتعالى: ﴿ربّ العرش﴾ ربّ الوحدانية عمّا يصفون، وقوماً وصفوه بيدين فقالوا: ﴿يد اللّه مغلولة﴾ وقوماً وصفوه بالرجلين فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماء، وقوماً وصفوه بالأنامل فقالوا: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قال: إنّي وجدت برد أنامله على قلبي، فلمثل هذه الصفات قال: ﴿ربّ العرش عمّا يصفون﴾ يقول: ربّ المثل الأعلى عمّا به مثّلوه، وللّه المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهّم فذلك المثل الأعلى(١).

ومرّة يأتي العرش بمعنى المُلْك ومنه قوله تعالى: ﴿ربّ العرش العظيم﴾ قال الصادق عليه السلام: يقول المُلْك العظيم وقوله: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ يقول على المُلْك احتوى وهذا مُلك الكيفوفة في الأشياء(٢).

ومرّة يأتي العرش بمعنى مظهر الرحمانية وذلك ما رُوي في مناجاة يوم عرفة: يا من استوى برحمانيته على العرش فصار العرش غيباً في رحمانيته كما صارت الأشياء غيباً في عرشه.

ومرّة يأتي العرش بمعنىٰ العلم ومنه قوله تعالى: ﴿يحمل عرش ربّك﴾... إلى آخر الآية فعن الصادق عليه السلام قال: حملة العرش والعرش العلم، ثمانية؛ أربعة منّا وأربعة ممّن شاء اللّه(٣).

ومرّة يأتي العرش بمعنىٰ علم الباطن كما ورد عن الصادق عليه السلام: والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ

---

(١) التوحيد.

(٢) التوحيد.

(٣) الكافي.

والأين والمشيّة وصفة الإرادة، وعلم الألفاظ والحركات والترك، وعلم العَوْد والبدء[1] كما أنّ الكرسي من معانيه علم الظاهر كما قال الإمام الصادق عليه السلام: الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلّها[2].

ومرّة يأتي العرش بمعنى الوجود والكرسي بمعنىٰ الماهية، لما سئل أبو عبد اللّه عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما؟ فقال عليه السلام: والعرش في وجه هو جملة الخلق والكرسي وعاؤه[3].

ومرّة يأتي العرش بمعنىٰ العلم الذي أطلعه اللّه إلى أوليائه، والكرسي العلم الذي لم يطلع عليه أحد،، فعن أبو عبد اللّه عليه السلام قال: العرش هو العلم الذي أطلع اللّه عليه أنبياءه ورسله وحججه والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه أحد من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام[4].

ومعاني العرش كثيرة ربما تزيد عمّا ذكرناه، ولكن نكتفي بهذا القدر لقصور الإدراك وقلّة الإشراق واللّه المستعان للخير والصواب.

---

(١) التوحيد.
(٢) التوحيد.
(٣) التوحيد.
(٤) التوحيد.

العقل الكلّي

قال أبو عبد اللّه عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا فقيل جعلت فداك لا نعرف إلاّ ما عرّفتنا فقال أبو عبد اللّه عليه السلام إنّ اللّه عزّ وجل خلق العقل وهو أوّل خلق من الرّوحانيين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فأقبل، فقال اللّه تبارك وتعالى خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي، قال: ثم خلق الجهل من البحر الأجاج ظلمانياً فقال له أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فلم يقبل فقال له استكبرت، فلعنه، ثم جعل للعقل خمسةً وسبعين جنداً، فلمّا رأى الجهل ما أكرم اللّه به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل يا ربّ هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته وأنا ضدّه ولا قوّة لي به فأعطني من الجند مثل ما أعطيته، فقال نعم، فإن عصيت بعد ذلك أخرجتك وجندك من رحمتي، قال قد رضيت، فأعطاه خمسةً وسبعين جنداً، فكان ممّا أعطى العقل من الخمسة والسبعين الجند الخير وهو وزير العقل وجعل ضدّه الشرّ وهو وزير الجهل، والإيمان وضدّه الكفر، والتصديق وضدّه الجحود، والرجاء وضدّه القنوط، والعدل وضدّه الجور، والرّضا وضدّه السّخط، والشكر وضدّه الكفران، والطّمع وضدّه اليأس، والتوكّل وضدّه الحرص، والرأفة وضدّها القسوة، والرّحمة وضدّها الغضب، والعلم وضدّه الجهل، والفهم وضدّه الحمق، والعفّة وضدّها الهتك، والزهد وضدّه الرّغبة، والرّفق وضدّه الخرق، والرّهبة وضدّها الجرأة، والتواضع وضدّه الكبر،

والتؤدة[١] وضدّها التسرّع، والحلم وضدّه السّفه، والصّمت وضدّه الهذر، والاستسلام وضدّه الاستكبار، والتسليم وضدّه الشكّ، والصبر وضدّه الجزع، والصفح وضدّه الانتقام، والغنىٰ وضدّه الفقر، والتفكّر وضدّه السهو، والحفظ وضدّه النسيان، والتعطف وضدّه القطيعة، والقنوع وضدّه الحرص، والمؤاساة وضدّها المنع، والمودّة وضدّها العداوة، والوفاء وضدّه الغدر، والطاعة وضدّها المعصية، والخضوع وضدّه التطاول، والسلامة وضدّها البلاء، والحبّ وضدّه البغض، والصدق وضدّه الكذب، والحقّ وضدّه الباطل، والأمانة وضدّها الخيانة، والإخلاص وضدّه الشوب[٢]، والشهامة وضدّها البلادة، والفهم وضدّه الغباوة، والمعرفة وضدّها الإنكار، والمداراة وضدها المكاشفة، وسلامة الغيب وضدّها المماكرة، والكتمان وضدّه الإفشاء، والصلاة وضدّها الإضاعة، والصوم وضدّه الإفطار، والجهاد وضدّه النكول، والحجّ وضدّه نبذ الميثاق، وصون الحديث وضدّه النميمة، وبرّ الوالدين وضدّه العقوق، والحقيقة وضدّها الرياء، والمعروف وضدّه المنكر، والستر وضدّه التبرّج، والتقيّة وضدّها الإذاعة، والإنصاف وضدّه الحميّة، والتهيئة وضدّها البغي والنظافة وضدّها القذر، والحياء وضدّها الجلع[٣]، والقصد وضدّه العدوان، والراحة وضدّها التعب، والسهولة وضدّها الصعوبة، والبركة وضدّها المحق، والعافية، وضدّها البلاء، والقوام وضدّها المكاثرة، والحكمة وضدّها الهواء، والوقار وضدّه الخفّة، والسعادة وضدّها الشقاوة، والتوبة وضدّها الإصرار، والاستغفار وضدّه الاغترار، والمحافظة وضدّها التهاون، والدعاء وضدّه الاستنكاف، والنشاط وضدّه الكسل، والفرح وضدّه الحزن، والألفة وضدّها الفرقة، والسخاء وضدّه البخل، فلا يجتمع هذه الخصال كلّها من أجناد العقل إلاّ في نبي أو وصي نبي أو مؤمن قد امتحن اللّه قلبه للإيمان، وأما سائر ذلك من موالينا فإنّ أحدهم لا

---

(١) التؤدة: بضم التاء وهي التأنّي والرّزانة.

(٢) الشوب: الخداع.

(٣) الجلع: ترك الحياء والتكلّم بالقبيح.

يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود حتى يستكمل وينقى من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء[(١)].

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله خلق العقل من نور مخزون مكنون في سابق علمه الذي لم يطّلع عليه نبي مرسل ولا ملك مقرّب فجعل العلم نفسه والفهم روحه والزهد رأسه والحياء عينه والحكمة لسانه والرأفة همّه والرحمة قلبه ثم حشاه وقوّاه بعشرة أشياء، باليقين والإيمان والصدق والسّكينة والإخلاص والرفق والعطية والقنوع والتسليم والشكر، ثم قال عزّ وجلّ أدبر فأدبر، ثم قال له أقبل فأقبل، ثم قال له تكلّم فقال: الحمد لله الذي ليس له ضدّ ولا ندّ ولا شبيه ولا كفو ولا عديل ولا مثل، الذي كلّ شيء لعظمته خاضع ذليل فقال الربّ تبارك وتعالى وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ولا أطوع لي منك ولا أرفع منك ولا أشرف منك ولا أعزّ منك بك أُوحّد وبك أُعبَد وبك أُدعىٰ وبك أُرتجى وبك أُبتغىٰ وبك أُحذَر وبك الثواب وبك العقاب، فخرّ العقل عند ذلك ساجداً فكان في سجوده ألف عام، فقال الربّ تبارك وتعالى إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفّع فرفع العقل رأسه فقال إلهي أسألك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه فقال الله جل جلاله للملائكة أشهدكم أني قد شفّعته فيمن خلقته فيه[(٢)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الإعرابي قال: يا مولاي وما العقل قال عليه السلام: جوهر درّاك محيط بالأشياء من جميع جهاتها عارف بالشيء قبل كونه، فهو علّة الموجودات ونهاية المطالب[(٣)].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: أول ما خلق الله العقل[(٤)].

---

(١) الكافي.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) فصل الخطاب.

(٤) عوالم العلوم.

وفي وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي انّ أوّل خلق خلقه اللّه العقل[١].

قد أشارت الأخبار المذكورة إلى أوصاف العقل الكلّي، الذي هو أصل العقول، والماء الذي به حياة كلّ شيء، وما يحمله الخلق من عقل هو نور من ذلك العقل المعبّر عنه بالكلّي، وهذا النور متعلّق بالأجسام تعلّق تدبير وحقيقة من ذلك العقل، وظهوره كظهور الشمس بنورها على حسب رتبة المخلوق، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سئل رسول اللّه ﷺ ممّا خلق اللّه عزّ وجلّ العقل؟ قال: خلقه ملكاً له رؤوس بعدد الخلائق من خلق ومن يخلق إلى يوم القيامة، ولكلّ رأس وجه ولكلّ آدمي رأس من رؤوس العقل، واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب وعلى كلّ وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هذا المولود ويبلغ حدّ الرجال أو حدّ النساء، فإذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب هذا الإنسان نور فيفهم الفريضة والسنّة والجيّد والرديّ[٢].

والعقل إذا شابه العقل الكلّي أو قاربه في الشبه فهو عقل شرعي، أصله ذلك العقل، وما خالف العقل الكلّي فهو النكراء والشيطنة، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: حيث سُئل ما العقل؟ فقال: ما عُبد به الرّحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت: فما الّذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل[٣].

---

(١) عوالم العلوم.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) الكافي.

اللّوح والقلم

﴿بل هو قرآنٌ مجيدٌ * في لوحٍ مَّحفوظ﴾[١] ﴿ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب﴾[٢] ﴿وعندنا كتابٌ حفيظ﴾[٣] ﴿وكتابٍ مَّسطورٍ * في رقٍّ منشور﴾[٤] ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾[٥].

صفة القلم واللّوح وأنّه جرى بالقلم ما كان وما يكون

فيما سأل ابن سلاّم النبي ﷺ، قال: فأخبرني عن اللَّوح المحفوظ، ممّا هو؟ قال ﷺ: من زمرّدة خضراء أجوافه اللؤلؤ بطانته الرحمة، قال صدقت يا محمّد، قال: فأخبرني كم لحظة لربّ العالمين في اللَّوح المحفوظ في كلّ يوم وليلة قال: ثلاثمائة وستون لحظة، ثم سأل عن ﴿ن والقلم﴾، قال ﷺ النون اللَّوح المحفوظ والقلم نور ساطع وذلك قوله: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾، قال صدقت يا محمد فأخبرني ما طوله وما عرضه وما مداده وأين مجراه قال ﷺ، طول القلم خمسمائة سنة وعرضه مسيرة ثمانين سنة، له ثمانون سنّاً يخرج المداد من أسنانه[٦].

---

(١) سورة البروج: الآيتان ٢١، ٢٢.
(٢) سورة الحديد: الآية ٢٢.
(٣) سورة ق: الآية ٤.
(٤) سورة الطور: الآيتان ٢،٣.
(٥) سورة القلم: الآية ١.
(٦) بحار الأنوار.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الكرسي لؤلؤ والقلم لؤلؤ وطول القلم سبعمائة سنة وطول الكرسي حيث لا يعلمه إلاّ العالمون[(١)].

وعن الصادق عليه السلام في تفسير الحروف المقطّعة في القرآن قال: وأمّا ﴿ن﴾ فهو نهر في الجنّة قال اللّه عزّ وجلّ، أجمد فاجمد، فصار مداداً ثم قال للقلم أكتب فسطر القلم في اللّوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، فالمداد مداد من نور، والقلم قلم من نور واللّوح لوح من نور، قال سفيان فقلت له يابن رسول اللّه بين أمر اللّوح والقلم والمداد فصل بيان، وعلّمني ممّا علّمك اللّه؟ فقال يابن سعيد لولا أنك أهل للجواب ما أجبتك، فنون ملك يؤدّي إلى القلم وهو ملك، والقلم يؤدّي إلى اللّوح وهو ملك، واللّوح يؤدّي إلى إسرافيل، وإسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل وميكائيل يؤدّي إلى جبرائيل وجبرائيل يؤدّي إلى الأنبياء والرّسل، قال: ثم قال قم يا سفيان فلا نأمن عليك[(٢)].

وسُئل أبي عبد اللّه عليه السلام عن ﴿ن والقلم﴾ فقال عليه السلام: إنّ اللّه تعالى خلق القلم من شجرة من الجنّة، يقال لها الخلد، ثم قال لنهر في الجنّة كُن مداداً فجمد النهر وكان أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من الشهد، ثم قال للقلم أكتب قال يا ربّ وما أكتب؟ قال أكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة، وكتب القلم في رقّ أشدّ بياضاً من الفضة وأصفىٰ من الياقوت، ثم طواه فجعله في ركن العرش، ثم ختم على فم القلم فلم ينطق بعد ذلك ولا ينطق أبداً فهو الكتاب المكنون الذي منه النّسخ كلّها، أولستم عرباً، فكيف لا تعرفون معنى الكلام وأحدكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب، أو ليس إنّما ينسخ من كتاب آخر من الأصل، وهو قوله: ﴿إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار.
(٢) تفسير البرهان.
(٣) تفسير القمي.

وسئِلَ أبو عبد الله عليه السلام عن بدو النسل من آدم فقال عليه السلام فيما قال: لم يختلف فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق أنّ اللّه عزّ وجلّ أمر القلم، فجرى على اللّوح المحفوظ بما هو كاين إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام، وأنّ كُتُبَ اللّه كلّها فيما جرى فيه القلم، إلى أن قال منها هذه الكتب المشهورة في هذا العالم، التوراة، والإنجيل والزبور والقرآن، أنزلها اللّه من اللّوح المحفوظ على رسله صلوات اللّه عليهم[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: كان اللّه ولا شيء ثم خلق اللّوح وأثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة[2].

ومن معاني اللّوح والقلم، قال أبي الحسن موسى عليه السلام في قول: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ فالنون اسم لرسول اللّه صلى الله عليه وآله والقلم اسم لأمير المؤمنين عليه السلام[3].

وسُئل جعفر بن محمد عليه السلام عن اللّوح والقلم فقال: هما ملكان[4].

ان اللّه يثبت ويمحو ما يشاء في اللّوح

﴿يمحوا اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب﴾[5] ﴿وما يعمَّر من معمرٍ ولا ينقص من عمرهِ إلاّ في كتابٍ إنّ ذلك على اللّه يسير﴾[6].

عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله إن اللّه تعالى في ثلاث ساعات بقين من اللّيل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبّت ما يشاء[7].

---

(١) علل الشرايع.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) تفسير البرهان.
(٤) تفسير البرهان.
(٥) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٦) سورة فاطر: الآية ١١.
(٧) بحار الأنوار.

وعن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ قال: ﴿ن﴾ نهر في الجنّة أشدّ بياضاً من اللبن، قال فأمر اللّه القلم فجرى بما هو كائن وما يكون، فهو بين يديه موضوع ما يشاء منه زاد فيه وما شاء نقص منه ما شاء كان وما شاء لا يكون[١].

ومن دعاء تعقيب الظهر عن الصادق عليه السلام: أسألك بآل يس خيرتك من خلقك وصفوتك من بريتك، وأقدّمهم بين يدي حاجتي ورغبتي إليك، اللّهم إن كنت كتبتني عندك في أمّ الكتاب شقيّاً محروماً مقتراً عليّ في الرّزق فامح من أمّ الكتاب شقائي وحرماني وأثبتني عندك سعيداً مرزوقاً فإنّك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أمّ الكتاب[٢].

---

(١) بحار الأنوار.
(٢) الطرائف.

الحُجب والسرادقات

الحجاب هو الحاجز والساتر والحائل بين الرائي والمرئي، والسّرادق بالضم كلّ ما أحاط بشيء من حائط أو مضروب أو خباء، والحُجب الآتي ذكرها في الأخبار ليست مضروبة على ذات اللّه والعياذ باللّه، لأنّ ذلك يوجب تحديد المكان، والمشاهدة لولا حاجز الحجب، وقد تنزّه اللّه عن المكان والمشاهدة، وإنما هي مضروبة على العظمة العليا والحقائق المتجلّية بصفاته سبحانه وتعالى، ولو كشفت الحجب فتجلّى بما وراءها من عظمة وحقائق لاحترق جميع ما دونها واضمحلّ.

قال أبو عبد اللّه عليه السلام قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال جبرئيل في ليلة المعراج: **إنّ بين اللّه وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى اللّه أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من الغمام وحجاب من ماء**[١].

وفي الحديث أنّ جبرئيل عليه السلام، قال: **للّه دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات الجلال**[٢].

ومما سأل ابن سلام النبي صلى الله عليه وآله: **ما الستة عشر وما الثمانية عشر، قال**

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) بحار الأنوار.

ستة عشر صفاً من الملائكة حافّين من حول العرش وذلك قوله: ﴿حافّين من حول العرش﴾ وأمّا الثمانية عشر، فثمانية عشر حجاباً من نور معلّق وبين الكرسي والحجب، ولولا ذلك لذابت صمّ الجبال الشوامخ واحترقت الجنّ والإنس من نور الله، قال صدقت يا محمّد(١).

وعن النبي ﷺ في حديث المعراج قال: فخرجت من سدرة المنتهى حتى وصلت إلى حجاب من حجب العزّة ثم إلى حجاب آخر حتى قطعت سبعين حجاباً وأنا على البراق وبين كل حجاب وحجاب مسيرة خمسمائة سنة، إلى أن قال ورأيت في عليين بحاراً وأنواراً وحجباً وغيرها لولا تلك لاحترق كلّ ما تحت العرش من نور العرش(٢).

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب، فقال: أول الحجب سبعة، غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، بين كلّ حجابين منها مسيرة خمسمائة عام، والحجاب الثالث سبعون حجاباً، بين كلّ حجابين منها مسيرة خمسمائة عام، وطوله خمسمائة عام، حجبه كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك، قوّة كلّ ملك منهم قوّة الثقلين منها ظلمة، ومنها نور، ومنها نار، ومنها دخان، ومنها سحاب، ومنها برق، ومنها مطر، ومنها رعد، ومنها ضوء، ومنها رمل، ومنها جبل، ومنها عجاج، ومنها ماء، ومنها أنهار، وهي حجب مختلفة غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام، ثم سرادقات الجلال، وهي سبعون سرادقاً، في كلّ سرادق سبعون ألف ملك، بين كلّ سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام، ثم سرادق العزّ، ثم سرادق الكبرياء، ثم سرادق العظمة، ثم سرادق القدس، ثم سرادق الجبروت، ثم سرادق الفخر ثم النور الأبيض، ثم سرادق الوحدانية، وهو مسيرة سبعين ألف عام في سبعين ألف عام ثم الحجاب الأعلى، وانقضى كلامه عليه السلام وسكت(٣).

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) التوحيد.

سدرة المنتهى

﴿ولقد رآهُ نزلةً أخرى * عند سدرة المنتهىٰ * عندها جنّةُ المأوىٰ﴾[١].

صفة سدرة المنتهىٰ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء انتهيت إلى محلّ سدرة المنتهىٰ، وإذا الورقة تظلّ أمّة من الأمم فكنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى[٢].

وقال أبو جعفر عليه السلام: وإن غلظ السدرة لمسيرة مائة عام من أيام الدنيا، وان الورقة منها تغطّي أهل الدنيا[٣].

علّة تسميتها بسدرة المنتهىٰ، قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما سمّيت سدرة المنتهىٰ لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محلّ السدرة، قال والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما يرفعه إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض فينتهي بها إلى محلّ السدرة[٤].

مكانها في السماء السابعة وجنّة المأوىٰ عندها، كما قال علي بن إبراهيم[٥].

---

(١) سورة النجم: الآيات ١٣، ١٤، ١٥.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.
(٤) علل الشرايع.
(٥) عوالم العلوم.

البيت المعمور

﴿والبيت المعمور﴾[١].

صفة البيت المعمور وأنّه في السماء الرابعة حيال الكعبة.

سأل ابن الكوا أمير المؤمنين عليه السلام عن البيت المعمور والسقف المرفوع قال عليه السلام: ويلك ذلك الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، فيه كتاب أهل الجنّة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنّة، وفيه كتاب أهل النار، عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود، فإذا كان مقدار العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرجل فذلك قوله تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لمّا عرج بي إلى السماء انتهيت مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر، فقال جبرئيل هذا هو البيت المعمور خلقه اللّه تعالى قبل السموات والأرض بخمسين ألف عام، ثم قال قم يا محمّد فصلّ وجمع اللّه النبيين فصلّيت بهم[٣].

---

(١) سورة الطور: الآية ٤.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) البرهان في تفسير القرآن.

وقال الرّضا عليه السلام: علّة الطواف بالبيت، أنّ اللّه تبارك وتعالى قال للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾، فردوا على اللّه تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا أنّهم أذنبوا، فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبّ اللّه عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى الضراح ثم وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى المعمور بحذاء الضراح ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب اللّه عليه فجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة. وفي رواية: جعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعة فجعله مثابة وأمناً ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً[1].

(١) علل الشرايع.

الأيام التي خلق اللّه عزّ وجلّ بها الخلق

﴿إنّ ربّكم اللّه الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيام﴾(١) ﴿قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين﴾(٢).

في مسائل ابن سلام للنبيّ ﷺ، قال: أخبرني عن أوّل يوم خلق اللّه عزّ وجلّ، قال يوم الأحد، قال ولِمَ سُمِّي يوم الأحد؟ قال: لأنّه واحد محدود، قال: فالاثنين؟ قال: اليوم الثاني من الدنيا، قال: والثلاثاء؟ قال: الثالث من الدنيا، قال: فالأربعاء؟ قال: اليوم الرابع من الدنيا، قال: فالخميس، قال: هو يوم الخامس من الدنيا، وهو يوم أنيس لُعِن فيه إبليس ورفع فيه إدريس، قال: فالجمعة؟ قال: هو يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، وهو شاهد ومشهود، قال: فالسبت؟ قال: يوم مسبوت وذلك قوله عزّ وجلّ في القرآن: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستّة أيام﴾ والسبت معطل، قال صدقت يا محمّد(٣).

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير، وخلق يوم الأحد والاثنين الأرضين، وخلق يوم الثلاثاء أقواتها وخلق يوم الأربعاء السموات، وخلق يوم الخميس أقواتها، وذلك في قوله تعالى: ﴿خلق

---

(١) سورة يونس: الآية ٣.

(٢) سورة فصّلت: الآية ٩.

(٣) الكافي.

السموات والأرض في ستّة أيام﴾ فلذلك أمسكت اليهود يوم السبت[١].

وعن علي بن إبراهيم في تفسير قوله: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾، ذكر الحديث إلى أن قال: فلمّا أخذ في رزق خلقه، خلق السماء وجنّاتها والملائكة يوم الخميس وخلق الأرض يوم الأحد وخلق دواب البحر والبرّ يوم الاثنين وهما اليومان اللّذان يقول اللّه: إنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين، وخلق الشجر ونبات الأرض وأنهارها وما فيها والهوام في يوم الثلاثاء وخلق الجان وهو أبو الجن، وخلق الطير في يوم الأربعاء وخلق آدم في ستة ساعات من يوم الجمعة ففي هذه الستّة أيام خلق اللّه السموات والأرض وما بينهما[٢].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه خلق السموات والأرض في ستّة أيام فالسّنة تنقص ستّة أيام[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اللّه خلق الشهور اثنى عشر شهراً وهي ثلاثمائة وستّون يوماً فخرج منها ستّة أيام خلق فيها السموات والأرض فمن ثم تقاصرت الشهور[٤].

وسأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرّضا عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجل: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾ فقال: إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات والأرض وكانت الملائكة تستدلّ بأنفسها وبالعرش والماء على اللّه عزّ وجلّ ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنّه على كلّ شيء قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السموات

---

(١) تفسير العياشي.
(٢) تفسير القمّي.
(٣) تفسير العياشي.
(٤) البرهان في تفسير القرآن.

الأيام التي خلق اللّه عزّ وجلّ بها الخلق

﴿إنّ ربّكم اللّه الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيام﴾[١] ﴿قل أئنّكم لتكفرون بالّذي خلق الأرض في يومين﴾[٢].

في مسائل ابن سلام للنبيّ ﷺ، قال: أخبرني عن أوّل يوم خلق اللّه عزّ وجلّ، قال يوم الأحد، قال ولِمَ سُمّي يوم الأحد؟ قال: لأنّه واحد محدود، قال: فالاثنين؟ قال: اليوم الثاني من الدنيا، قال: والثلاثاء؟ قال: الثالث من الدنيا، قال: فالأربعاء؟ قال: اليوم الرابع من الدنيا، قال: فالخميس، قال: هو يوم الخامس من الدنيا، وهو يوم أنيس لُعِن فيه إبليس ورفع فيه إدريس، قال: فالجمعة؟ قال: هو يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود، وهو شاهد ومشهود، قال: فالسبت؟ قال: يوم مسبوت وذلك قوله عزّ وجلّ في القرآن: ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستّة أيام﴾ والسبت معطل، قال صدقت يا محمّد[٣].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه خلق الخير يوم الأحد، وما كان ليخلق الشرّ قبل الخير، وخلق يوم الأحد والاثنين الأرضين، وخلق يوم الثلاثاء أقواتها وخلق يوم الأربعاء السموات، وخلق يوم الخميس أقواتها، وذلك في قوله تعالى: ﴿خلق

---

(١) سورة يونس: الآية ٣.
(٢) سورة فصّلت: الآية ٩.
(٣) الكافي.

السموات والأرض في ستّة أيام﴾ فلذلك أمسكت اليهود يوم السبت[١].

وعن علي بن إبراهيم في تفسير قوله: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾، ذكر الحديث إلى أن قال: فلمّا أخذ في رزق خلقه، خلق السماء وجنّاتها والملائكة يوم الخميس وخلق الأرض يوم الأحد وخلق دواب البحر والبرّ يوم الاثنين وهما اليومان اللّذان يقول اللّه: إنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين، وخلق الشجر ونبات الأرض وأنهارها وما فيها والهوام في يوم الثلاثاء وخلق الجان وهو أبو الجن، وخلق الطير في يوم الأربعاء وخلق آدم في ستة ساعات من يوم الجمعة ففي هذه الستّة أيام خلق اللّه السموات والأرض وما بينهما[٢].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه خلق السموات والأرض في ستّة أيام فالسّنة تنقص ستّة أيام[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اللّه خلق الشهور اثنى عشر شهراً وهي ثلاثمائة وستّون يوماً فخرج منها ستّة أيام خلق فيها السموات والأرض فمن ثم تقاصرت الشهور[٤].

وسأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرّضا عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجل: ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾ فقال: إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السموات والأرض وكانت الملائكة تستدلّ بأنفسها وبالعرش والماء على اللّه عزّ وجلّ ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم أنّه على كلّ شيء قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السموات

(١) تفسير العياشي.
(٢) تفسير القمّي.
(٣) تفسير العياشي.
(٤) البرهان في تفسير القرآن.

السبع ثم خلق السموات والأرض في ستّة أيام وهو مستوي على عرشه وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين ولكنه عزّ وجلّ خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء فتستدلّ بحدوث ما يحدث على اللّه تعالى ذكره[(١)].

في معنىٰ أنّ الأيام هي الأوقات، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام في قوله: ﴿إنّ ربّكم اللّه الذي خلق السموات والأرض في ستّة أيام﴾ قال: في ستّة أوقات[(٢)].

وعن علي بن إبراهيم: قل لهم يا محمّد إنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين، ومعنىٰ يومين أي وقتين ابتداء الخلق وانقضاؤه، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها أي لاتزول وتبقى في أربعة أيام سواء للسائلين يعني في أربعة أوقات وهي التي يخرج فيها أقوات العالم من الناس والبهايم والطير وحشرات الأرض وما في البرّ والبحر من الخلق والثمار والنبات والشجر وما يكون فيه معاش الحيوان كلّه وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء ففي الشتاء يرسل اللّه الرياح والأمطار والأنداء والطلول من السماء فيلقح[(٣)] الأرض والشجر وهو وقت بارد ثم يجيء بعده الربيع وهو وقت معتدل حارّ وبارد، فيخرج الشجر ثمارها والأرض نباتها فيكون أخضر ضعيفاً ثم يجيء من بعده وقت الصيف وهو حار، فينضج الثمار ويصلب الحبوب التي هي أقوات العباد وجميع الحيوان ثم يجيء بعده وقت الخريف فيطيّبه ويبرّده ولو كان الوقت كلّه شيئاً واحداً لم يخرج النبات من الأرض لأنّه لو كان الوقت كلّه ربيعاً لم تنضج الثمار ولم تبلغ الحبوب ولو كان الوقت كلّه صيفاً لاحترق كلّ شيء في الأرض ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت ولو كان الوقت كلّه خريفاً ولم يتقدّمه شيء من هذه الأوقات لم يكن شيء يتقوّت به العالم فجعل اللّه في هذه الأربعة الأوقات في الشتاء والربيع والصيف والخريف، وقام به العالم واستوى وبقي وسمّى اللّه هذه الأوقات أيّاماً سواءً للسائلين يعني المحتاجين لأنّ كل محتاج سايل.

---

(١) بحار الأنوار.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) في نسخة أخرى فيسقى.

عجائب السموات

﴿ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات﴾[١] ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون﴾[٢] ﴿خلق السموات بغير عمدٍ ترونها﴾[٣] ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾[٤] ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾[٥].

خلق السموات

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له: ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشقّ الأرجاء، وسكائك الهواء فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره متراكماً زخّاره حمله على متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فأمرها بردّه وسلّطها على شدّة وقرنها إلى حدّه، الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبّها وأدام مربّها وأعصف مجراها وأبعد منشاها. فأمرها بتصفيق الماء الزّخار وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوّله على آخره وساجيه على مايره حتى عبّ عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه

(١) سورة البقرة: الآية ٢٩.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.
(٣) سورة لقمان: الآية ١٠.
(٤) سورة غافر: الآية ٥٧.
(٥) سورة الملك: الآية ٣.

في هواء منفتق وجوّ منفهق فسوى منه سبع سموات وجعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً وعلياهن سقفاً محفوظاً وسُمكاً مرفوعاً بغير عمدٍ يدعمها ولا دسار[١] ينتظمها، ثم زيّنها بزينة الكواكب وضياء الثواقب فأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمراً منيراً في فلك داير وسقف ساير ورقيم ماير، ثم فتق ما بين السموات العلىٰ فملأهنّ أطواراً من الملائكة[٢]. الخطبة.

وقال أبو جعفر عليه السلام: كان كلّ شيءٍ ماء، وكان عرشه على الماء، فأمر اللّه جلّ وعزّ الماء فاضطرم ناراً ثم أمر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق اللّه السموات من ذلك الدخان، وخلق الأرض من الرماد[٣].

وعن الحسن بن علي عن أبيه عليه السلام في مكالمته مع كعب الأحبار، قال الكعب: يا أبا الحسن أخبرني عن قول اللّه تعالى في كتابه: ﴿وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً﴾ قال أمير المؤمنين عليه السلام: نعم كان عرشه على الماء حين لا أرض مدحيّة ولا سماء مبنيّة ولا صوت يسمع ولا عين تنبع ولا ملك مقرّب ولا نبيٍّ مرسل ولا نجم يسري ولا قمر يجري ولا شمس تضيء وعرشه على الماء غير مستوحش إلى أحد من خلقه يمجّد نفسه ويقدّسها كما شاء أن يكون كان ثمّ بدا له أن يخلق الخلق فضرب بأمواج البحور فثار منها مثل الدّخان كأعظم ما يكون من خلق اللّه فبنى بها سماءً رتقاً ثم دحا الأرض من موضع الكعبة وهي وسط الأرض فطبقت إلى البحار، ثم فتقها بالتبيان[٤] وجعلها سبعاً بعد إذ كانت واحدة ثم استوى إلى السماء وهي دخان من ذلك الماء الذي أنشأ من تلك البحور فجعلها سبعاً طباقاً بكلمة التي لا يعلمها غيره، وجعل في كل سماء ساكناً من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة[٥].

---

(١) المسمار أو يقال لحبل من ليف تشدّ به ألواح السفينة.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) بحار الأنوار.

(٤) في نسخة أخرى بالبنيان.

(٥) بحار الأنوار.

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام ممّ خلق السموات قال: من بخار الماء[١].

وسُئل عن سماء الدنيا ممّا هي قال: من موج مكفوف[٢].

وفي مسائل ابن سلام للنبي صلى الله عليه وآله قال: فأخبرني ما خلق اللّه تعالى بعد ذلك: قال يا ابن سلام السماء السابعة ممّا يلي العرش وأمرها أن ترتفع إلى مكانها فارتفعت ثم خلق الستّة الباقية وأمر كل سماء أن تستقر مكانها فاستقرت، قال صدقت يا محمد[٣].

رتق السماء والأرض وفتقها

﴿أو لم ير الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾[٤].

سأل الأبرش أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿أو لم ير الّذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ بما كان رتقهما، وبما كان فتقهما؟ فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: يا أبرش هو كما وصف نفسه، كان عرشه على الماء، والماء على الهواء والهواء لا يحد، ولم يكن يومئذٍ خلق غيرهما والماء يومئذٍ عذب فرات، فلمّا أراد اللّه أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً، ثم أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت، ثم جعله جبلاً من زبد ثم دحى الأرض من تحته، فقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿إنّ أوّل بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً﴾ ثم مكث الربّ تبارك وتعالى ما شاء فلمّا أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور، حتى أزبدتها فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء، وجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر، وأجراها في الفلك، وكانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر، وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) بحار الأنوار.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب ولم يكن للأرض أبواب، وهو النبت، ولم تمطر السماء عليها، فتنبت، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات[١].

وسُئل أبو جعفر عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿أو لم يرِ الّذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾ فقال عليه السلام: إنّ اللّه تبارك وتعالى أهبط آدم إلى الأرض وكانت السموات رتقاً لا تمطر شيئاً، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت شيئاً فلما تاب اللّه عزّ وجلّ على آدم عليه السلام أمطرت السماء فتقطرت بالغمام، ثم أمرها فأرخت عزاليها[٢] ثم أمر الأرض فأنبتت الأشجار، وأثمرت الثمار، وتفهقت[٣] بالأنهار فكان ذلك رتقها وهذا فتقها[٤].

وسُئل أبو جعفر عليه السلام عن معنىٰ الرتق والفتق فقال عليه السلام: كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر، وكانت الأرض رتقاً لا تخرج النبات[٥].

حبك السماء

﴿والسماء ذات الحبك﴾[٦].

قيل لأبي الحسن الرّضا عليه السلام أخبرني عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿والسماء ذات الحبك﴾، فقال: هي محبوكة إلى الأرض وشبك بين أصابعه فقلت كيف تكون محبوكة إلى الأرض، واللّه يقول رفع السماء بغير عمد ترونها، فقال سبحان اللّه أليس اللّه يقول بغير عمد ترونها فقلت بلى فقال: ثم عمد ولكن لا ترونها، قلت كيف ذلك جعلني اللّه فداك قال: فبسط كفّه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال: هذه أرض الدنيا والسماء الدنيا عليها، فوقها قبّة والأرض

---

(١) تفسير القمي.
(٢) إنهمرت بالمطر.
(٣) إتسعت.
(٤) البرهان في تفسير القرآن.
(٥) الإرشاد.
(٦) سورة الذاريات: الآية ٧.

الثانية فوق سماء الدنيا، والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبّة والأرض الرابعة فوق السماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبّة والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة والسماء الخامسة فوقها قبّة والأرض السادسة فوق السماء الخامسة، والسماء السادسة فوقها قبة والأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبّة وعرش الرّحمن تبارك وتعالى فوق السماء السابعة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿خلق سبع سموات طباقاً ومن الأرض مثلهن يتنزّل الأمر بينهن﴾[١].

أسماء السموات وألوانها

سُئل أبا الحسن أمير المؤمنين عليه السلام عن ألوان السموات السبع وأسمائها فقال: اسم السماء الدنيا رفيع وهي من ماء ودخان، واسم السماء الثانية قيدوم وهي على لون النحاس والسماء الثالثة اسمها الماروم وهي على لون الشَّبَه[٢] والسماء الرابعة اسمها ارفلون وهي على لون الفضة والسماء الخامسة اسمها هيعون وهي على لون الذهب والسماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء والسماء السابعة اسمها عجما وهي درّة بيضاء[٣].

وسُئل عليه السلام لِمَ سمّيت السماء سماءً قال: لأنّها وسم الماء يعني معدن الماء[٤].

مقدار الفصل بين كل سماء

قال أبو عبد الله عليه السلام في خبر إدريس عليه السلام أنّه قال ملك الموت: غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) النحاس الأصفر.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.
(٤) بحار الأنوار.

خمسمائة عام ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام وكل السماء وما بينهما كذلك[١].

إن في السموات خلائق وبحار

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن السموات السبع فقال: سبع سماوات ليس منها سماء إلاّ وفيها خلْق، وبينها وبين الأخرى خلْق حتّى تنتهي إلى السابعة قلت والأرض قال سبع منهنّ خمس فيهن خلْق من خلْق اللّه واثنان هواء ليس فيها شيء[٢].

وسُئل أبو عبد اللّه عليه السلام: هل في السماء بحار؟ قال: نعم أخبرني أبي عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ في السموات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام[٣].

ان السموات لها أبواب وأقفال ومفاتيح

﴿إن الّذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء﴾[٤].

عن النبي صلى الله عليه وآله: إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وأبواب الجنان واستجيب الدعاء فطوبى لمن رفع له عند ذلك عمل صالح[٥].

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: أمّا المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم إلى السماء فتفتح لهم أبوابها وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه إلى السماء حتى إذا بلغ إلى السماء نادىٰ مناد اهبطوا به إلى سجين وهو وادٍ بحضرموت يقال له برهوت[٦].

---

(١) بحار الأنوار.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) بحار الأنوار.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٤٠.
(٥) بحار الأنوار.
(٦) البرهان في تفسير القرآن.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث يصف حال المؤمن بعد موته، إلى أن قال: وعرج بها القابضون إلى السماء الدنيا قال فيفتح له أبواب السماء ويقول لها البوابون حياها الله من جسد كانت فيه لقد كان يمرّ له علينا عمل صالح ونسمع حلاوة صوته بالقرآن، قال فيبكي له أبواب السماء والبوّابون لفقدها، فتقول يا ربّ قد كان لعبدك هذا عمل صالح يسمعنا ما كان يسمعنا ويصنع الله ما يشاء فيصعد به إلى عيش رحب به ملائكة السماء[(١)].

ومن مسائل ابن سلام للنبي صلى الله عليه وآله قال: فأخبرني عن السموات ألها أبواب قال: نعم لها أبواب وهي مغلّقة ولها مفاتيح وهي مخزونة، قال: صدقت يا محمد، فأخبرني عن أبواب السماء ما هي؟ قال: ذهب قال: فما أقفالها؟ قال: من نور قال: فما مفاتيحها؟ قال بسم الله العظيم قال: صدقت يا محمد[(٢)].

بكاء السماء والأرض

﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾[(٣)].

عن عبد الله بن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾، انّه كان إذا قبض الله نبيّاً من الأنبياء بكت عليه السماء والأرض أربعين سنة، وإذا مات العالم العامل بعلمه بكيا عليه أربعين يوماً، وأمّا الحسين عليه السلام فتبكي عليه السماء والأرض طول الدهر وتصديق ذلك أنّ يوم قتله قطرت السماء دماً، وأنّ هذه الحمرة التي تُرى في السماء ظهرت يوم قتل الحسين عليه السلام ولم تر قبله أبداً، وأنّ يوم قتله عليه السلام لم يرفع حجر في الدنيا إلاّ وُجد تحته دم[(٤)].

وعن الصادق عليه السلام يقول: ﴿لم نجعل له من قبل سميّاً﴾: الحسين بن

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) سورة الدخان: الآية ٢٩.

(٤) معالم الزلفى.

علي ويحيى بن زكريا لم يكن له من قبل سميا، ولم تبك السماء إلاّ عليهما أربعين صباحاً، ولم تبك على أحد غيرهما، قلت وما بكاؤها، قال مكثوا أربعين يوماً تطلع الشمس بحمرة، قلت جعلت فداك هذا بكاؤها، قال نعم[١].

وقال الصادق عليه السلام: إذا مات المؤمن بكت عليه بقاع الأرض التي كان يعبد اللّه عزّ وجلّ فيها والباب الذي كان يصعد منه عمله وموضع سجوده[٢].

وعنه عليه السلام قال: ما من مؤمن يموت في غربة من الأرض فيغيب عنه بواكيه إلاّ بكته بقاع الأرض التي كان يعبد اللّه عليها وبكته أثوابه وبكته أبواب السماء التي كان يصعد بها عمله وبكاء الملكان الموكلان به[٣].

---

(١) كامل الزيارات.
(٢) الوافي.
(٣) بحار الأنوار.

الأرض

﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً وجعل لكم فيها سبلاً لعلّكم تهتدون﴾[١] ﴿واللّه جعل لكم الأرضَ بساطاً﴾[٢] ﴿وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسِيَ وأنهاراً ومن كلِّ الثمراتِ جعل فيها زوجينِ اثنين يغشى اللَّيل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون * وفي الأرض قطعٌ متجاوراتٌ وجنّات من أعنابٍ وزرعٌ ونخيل صنوانٌ وغير صنوان﴾[٣] ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسِيَ وأنبتنا فيها من كلِّ زوجٍ بهيج﴾[٤] ﴿والأرض وضعها للأنام﴾[٥].

سبق خلق الأرض على السماء

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اللّه جلّ ذكره وتقدّست أسماؤه خلق الأرض قبل السماء ثم استوى على العرش لتدبير الأمور[٦].

وسُئل أبو عبد اللّه عليه السلام فقيل النهار قبل الليل، فقال عليه السلام: نعم خلق اللّه النهار قبل اللّيل والشمس قبل القمر والأرض قبل السماء[٧].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ١٠.
(٢) سورة نوح: الآية ١٩.
(٣) سورة الرعد: الآيتان ٣،٤.
(٤) سورة ق: الآية ٧.
(٥) سورة الرحمن: الآية ١٠.
(٦) عوالم العلوم.
(٧) بحار الأنوار.

خلق الأرض

عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما أراد اللّه عزّ وجلّ أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن وجه الماء حتى صار موجاً ثم أزبد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلاً من زبد ثم دحا الأرض من تحته وهو قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿إنّ أول بيت وضع للناس للذي ببكّة مباركاً﴾[(١)].

وفي حديث أمير المؤمنين عليه السلام مع كعب الأحبار: ثم بدا له أن يخلق الخلق فضرب بأمواج البحور فثار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق اللّه فبنا بها سماءً رتقاً ثم دحى الأرض من موضع الكعبة وهي وسط الأرض، فطبقت إلى البحار ثم فتقها بالتبيان وجعلها سبعاً بعد إذ كانت واحدة[(٢)].

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الأرض ممّ خلق قال من زَبَدِ الماء[(٣)].

ومن خطبةٍ لأمير المؤمنين عليه السلام: فأنهَدَ جبالها عن سهولها وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها، فأشهق قلالها وأطال أنشازها، وجعلها للأرض عماداً وأرزها فيها أوتاداً فسكنت عن حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحِمْلِها أو تزول عن مواضعها، فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها وأجمدها بعد رطوبة أكنافها، فجعلها لخلقه مهاداً وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجيّ راكد لا يجري وقائم لا يسري[(٤)].

دحـو الأرض

﴿والأرض بعد ذلك دحٰها﴾[(٥)] أي بسطها، وهذا البسط أصبح تحت الكعبة التي سبق خلقها على خلق الأرض.

---

(١) عوالم العلوم.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) بحار الأنوار.

(٤) بحار الأنوار.

(٥) سورة النازعات: الآية ٣.

فعن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ اللّه خلق البيت قبل الأرض ثم خلق اللّه الأرض من بعده فدحاها من تحته[١].

وعن الرّضا عليه السلام علّة وضع البيت وسط الأرض، أنّه الموضع الذي من تحته دحيت الأرض وكلّ ريح تهبّ في الدنيا فإنّها تخرج من تحت الركن الشامي، وهي أول بقعة وضعت في الأرض[٢].

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام لِمَ سمّيت مكّة قال: لأنّ اللّه مكَّ الأرض من تحتها أي دحاها[٣].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ اللّه عزّ وجلّ دحا الأرض من تحت الكعبة إلى منى ثم دحاها من منى إلى عرفات ثم دحاها من عرفات إلى منى، فالأرض من عرفات وعرفات من منى ومنى من الكعبة[٤].

عدد الأراضي وأسمائها وما فيها من الخلق

﴿اللّه الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهنّ﴾[٥].

من خطبة البيان لأمير المؤمنين عليه السلام، فقام إليه صعصعة بن صوحان وميثم التمّار ومالك الأشتر، وقالوا يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الأرضين السبع وكيفيتها فقال صلوات اللّه عليه: أمّا الطبقة الأولى فركبها على البحر، كلّ أرض إلى الأرض التي تليها خمسمائة عام وهي سبع أطباق، والأرض الثانية بمسخر[٦] الريح المختلفة ومنه قوله تعالى: ﴿وتصريف الرياح﴾ والأرض الثالثة خلق اللّه فيها خلقاً وجوههم كوجوه بني آدم وأفواههم كأفواه الكلاب وأيديهم كأيدي

---

(١) عوالم العلوم.
(٢) علل الشرايع.
(٣) عوالم العلوم.
(٤) عوالم العلوم.
(٥) سورة الطلاق: الآية ١٢.
(٦) في نسخة أخرى بمنخر.

الناس وأرجلهم كأرجل البقر وأصوافهم كأصواف[١] الضأن لا يعصون اللّه ما أمرهم طرفة عين، ليس لهم ثواب ولا عليهم عقاب، لَيلنا نهارهم ونهارنا ليلهم، والأرض الرابعة ففيها حجارة، الحجارة الكبريت التي أعدّها اللّه تعالى لأهل النار وتسجر جهنّم بها، ثم قال صلوات اللّه عليه والذي نفسي بيده انّ أودية الكبريت لو أرسل اللّه إليها الجبال لذابت الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهي التي قال اللّه تعالى وقودها الناس والحجارة ثم دخل في جواب منصور بن عمّار، ثم قام إليه صعصعة بن صوحان وقال يا أمير المؤمنين تمّم لنا خبر الأرضين فقال صلوات اللّه عليه: وأمّا الأرض الخامسة ففيها عقارب أهل النار كأمثال الثعبان لهم أذناب كأمثال الرماح، لكلّ ذَنَب منها ثلاثمائة زقّ سم في كل زقّ ثلاثمائة وستون قلّة لو وضعت قلّة من ذلك السمّ في وسط الأرض لمات أهل الأرض أجمع من ريحته وفيها أيضاً حيّات أهل النار أمثال الأودية لكلّ حيّة منها تسعة عشر قلّة من السمّ لو أمر اللّه حيّة أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل لهدته ويصير رملاً وهي تلقى الكافر غداً فتسقط مفاصله رعبة[٢]، والأرض السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم الخبيثة وأرواحهم الخبيثة وذلك قوله تعالى: ﴿كلا إن كتاب الفجّار لفي سجين﴾ والأرض السابعة جعلها اللّه سكنى إبليس لعنه اللّه وجنوده والمردة وعتاة الجن وفيها عرش إبليس، قد احتوته جنوده أعظمهم عنده منزلة أعظمهم عذاباً وهو مثل السلطان في الرعية، والجنّة اليوم في السماء السابعة فإذا كان غداً جعله اللّه حيث يشاء، وأما بعد قرار الأرض فلا يعلمه إلاّ اللّه تعالى، وأن قارون حيث خسف اللّه به الأرض فهو ينزل في الأرض من يوم خسفه كل يوم قامة فلا يبلغ إلى قعر الأرض إلى يوم القيامة، ثم قال عليه السلام الأيام التي خلق اللّه تعالى فيها الأشياء هي الستّة، قال لي رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ اللّه خلق الأرض والجبال يوم الأحد والبحر يوم الاثنين

---

(١) في نسخة أخرى أصواتهم كأصوات...

(٢) ان ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام من هذا الوجود حقيقة بجميع معانيه كما جاء في اللفظ، وهي صورة لبعض أسلحة اللّه جلّ جلاله في الأرض المترقب استخدامها في الأرض يوم القيامة لوجود النار فيها واللّه أعلم.

والصخرة يوم الثلاثاء والثور[١] يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة وغيرهم يوم السبت ثم قال عليه السلام: الأرض الأولى اسمها رخا والثانية اسمها شاصبطا[٢] والثالثة اسمها مقبلة والرابعة اسمها نظيما[٣] والخامسة اسمها شافلة والسادسة اسمها ماكثة والسابعة اسمها القلبا، وأما أسماؤها المذكورة في القرآن، الأولى قوله تعالى فراشاً والثانية قراراً الثالثة رتقاً والرابعة بساطاً الخامسة مهاداً والسادسة صدعاً والسابعة كفاتاً.

عمران الأرض وخرابها

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الأرض مسيرة خمسمائة عام الخراب منها مسيرة أربعمائة عام والعمران منها مائة. ورُوي: السبع أرضين ثلاث خراب وأربع عوامر. وفي رواية: خمس عوامر واثنان خراب[٤].

بعض عجائب الأرض

في سعة الأرض وامتدادها:

قال أبو عبد اللّه عليه السلام: فكّر يا مفضل فيما خلق اللّه عزّ وجلّ هذه الجواهر الأربعة ـ الجواهر الأربعة هي العناصر الأربعة الأرض والماء والهواء والنار ـ ليتسع ما يحتاج إليه منها فمن ذلك سعة الأرض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيم غناؤها، ولعلّ من ينكر هذه الفلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها، فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومراعيها ثم فيها بغد تنفس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى

---

(١) الثور هو ملك يقال له ارياكيل بين مفصل ابهامه وراحتيه أربعين سنة وله أربعون ألف قائمة وسبعمائة ألف قرن مشبكة إلى العرش، هذا كما جاء في كتاب مشارق أنوار اليقين.

(٢) في نسخة أخرى شاصيطا.

(٣) في نسخة أخرى لظيما.

(٤) بحار الأنوار.

الاستبدال بأوطانهم، فكم بيداء وكم فد قد حالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها، ولولا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا أحزنه أمر يضطر إلى الانتقال عنه[١].

في ركون الأرض وأنها غير رجراجة:

وعنه عليه السلام في حديث المفضل: ثم فكّر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راقبة راكنة فتكون موطناً مستقرّاً للأشياء، فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوئهم والاتّقان لأعمالهم، فإنّها لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك بل كانوا لا يهنأون بالعيش والأرض ترتج من تحتهم.

ان في كل بقعة من الأرض أهل من الملائكة:

من وصايا لقمان لابنه: وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً ولينها تربة وأكثرها عشباً وإذا نزلت فصلِّ ركعتين قبل أن تجلس فإذا أردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الأرض فإذا ارتحلت فصلِّ ركعتين ثم ودّع الأرض التي حللت بها وسلّم على أهلها فإنّ لكلِّ بقعة أهل من الملائكة[٢].

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) تفسير البيان.

تعدد العوالم

﴿الحمد للّه ربّ العالمين﴾(١) ﴿ألا لَهُ الخلق والأمرُ تبارك اللّه ربّ العالمين﴾(٢).

عن موسى بن جعفر عن آبائه عن النبيّ ﷺ أنّه قال له جبرئيل: والذي بعثك بالحق نبيّاً ان خلف المغرب أرضاً بيضاء فيها خلق من خلق اللّه يعبدونه قد تمزّقت لحومهم ووجوههم من البكاء فأوحي اللّه إليهم لم تبكون ولم تعصوني طرفة عين، قالوا نخشى أن يغضب اللّه علينا ويعذّبنا بالنار، قال علي عليه السلام قلت يا رسول اللّه ليس هناك إبليس أو واحد من بني آدم، فقال: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً ما يعلمون أنّ اللّه خلق آدم ولا إبليس، ولا يحصي عددهم إلاّ اللّه، ومسير الشمس في بلادهم أربعون يوماً، لا يأكلون ولا يشربون(٣).

وسمع أبو جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق اللّه عزّ وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحداً بعد واحد مع عالمه، ثم خلق اللّه عزّ وجلّ آدم أبا هذا البشر وخلق ذريّته منه، ولا واللّه ما خلت الجنّة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلت النار من أرواح الكفّار والعصاة منذ خلقها عزّ وجلّ، لعلّكم ترون أنّه إذا كان يوم القيامة

---

(١) سورة الفاتحة: الآية ٢.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤.
(٣) عوالم العلوم.

وصيّر اللّه أبدان أهل الجنّة مع أرواحهم في الجنّة وصيّر أبدان أهل النّار مع أرواحهم في النّار، انّ اللّه عزّ وجلّ لا يعبد في بلاده ولا يخلق خلقاً يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه، بلى واللّه ليخلقنّ اللّه خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحّدونه ويعظّمونه، ويخلق لهم أرضاً تحملهم وسماءً تظلّهم أليس اللّه عزّ وجلّ يقول يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموٰات، وقال اللّه عز وجل ﴿أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾[١].

وقال عليه السلام في حديث: لعلّك ترى أنّ اللّه إنّما خلق هذا العالم الواحد، وترى أنّ اللّه لم يخلق بشراً غيركم، بلىٰ واللّه لقد خلق اللّه ألف ألف عالم، وألف ألف آدم، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين[٢].

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن قول اللّه عزّ وجل: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموٰات والأرض﴾ قال فكنت مطرقاً إلى الأرض فرفع يده إلى فوق ثم قال لي إرفع رأسك فرفعت رأسي فنظرت إلى السقف قد انفجر حتى خلص بصري إلى نور ساطع حار بصري دونه قال: ثم قال لي رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السموٰات والأرض هكذا، ثم قال لي أطرق فأطرقت ثم قال لي إرفع رأسك فرفعت رأسي فإذا السقف على حاله، قال ثم أخذ بيدي وقام وأخرجني من البيت الذي كنت فيه، وأدخلني بيتاً آخر فخلع ثيابه التي كانت عليه ولبس ثياباً غيرها ثم قال لي غضّ بصرك فغضضت بصري وقال لي لا تفتح عينك فلبثت ساعة ثم قال لي أتدري أين أنت قلت لا جعلت فداك فقال لي أنت في الظلمة التي سلكها ذو القرنين، فقلت له جعلت فداك أتأذن لي أن أفتح عيني فقال لي إفتح فإنّك لا ترى شيئاً ففتحت عيني فإذا أنا في ظلمة لا أبصر فيها موضع قدمي، ثم سار قليلاً ووقف فقال لي هل تدري أين أنت قلت لا قال أنت واقف على عين الحياة التي شرب منها الخضر عليه السلام، وخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر فسلكنا فيه، فرأينا كهيئة عالمنا في بنائه

---

(١) الخصال.

(٢) التوحيد.

ومساكنه وأهله، ثم خرجنا إلى عالم ثالث كهيئة الأول والثاني حتى وردنا خمسة عوالم، قال ثم قال هذه ملكوت الأرض ولم يرها إبراهيم عليه السلام وإنما رأى ملكوت السموٰات وهي اثنا عشر عالماً كلّ عالم كهيئة ما رأيت، كلّما مضى منّا إمام سكن أحد هذه العوالم حتى يكون آخرهم القائم في عالمنا الذي نحن ساكنوه، قال ثم قال لي غضّ بصرك فغضضت بصري ثم أخذ بيدي فإذا نحن في البيت الذي خرجنا منه، فنزع تلك الثياب التي كانت عليه وعدنا إلى مجلسنا، فقلت جعلت فداك كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات[١].

وعن أبي حمزة قال: قال أبو جعفر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر إلى السماء فقال يا أبا حمزة: هذه قبّة أبينا آدم عليه السلام، وأنّ للّه عزّ وجلّ سواها تسعة وثلاثين قبّة فيها خلق ما عصوا اللّه طرفة عين[٢].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ للّه عزّ وجلّ اثني عشر ألف عالم كلّ عالم منهم أكبر من سبع سموٰات وسبع أرضين ما يرىٰ عالم منهم أنّ للّه عزّ وجلّ عالماً غيرهم، وإنّي الحجّة عليهم[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: من وراء شمسكم هذه أربعون عين شمس ما بين عين شمس إلى عين شمس أربعون عاماً، فيها خلق كثير ما يعلمون أنّ اللّه خلق آدم أو لم يخلقه، وأنّ من وراء قمركم هذا أربعين قرصاً بين القرص إلى القرص أربعون عاماً فيها خلق كثير لا يعلمون أنّ اللّه عزّ وجلّ خلق آدم أو لم يخلقه، قد ألهموا كما أُلهمت النحلة لعنة الأول والثاني في كلّ الأوقات، وقد وكّل بهم ملائكة متى لم يلعنوا عذّبوا[٤].

وسُئل أبا عبد اللّه عليه السلام هذه قبّة آدم؟ فقال: نعم، وللّه عزّ وجلّ قباب

(١) بصائر الدرجات.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) بحار الأنوار.
(٤) البرهان في تفسير القرآن.

كثيرة اما أنّ للّه لخلف مغربكم هذه تسعة وتسعون مغرباً أرضاً بيضاء مملوة خلقاً يستضيئون بنورها، لم يعصوا اللّه طرفة عين لا يدرون أخلق اللّه آدم أم لم يخلقه، يبرؤون من فلان وفلان وفلان قيل له وكيف هذا، وكيف يبرؤون عن فلان وفلان وفلان وهم لا يدرون أنّ اللّه خلق آدم أو لم يخلقه؟ فقال للسائل عن ذلك، أتعرف إبليس؟ فقال لا إلاّ بالخبر، قال إذا أمرت بلعنه والبراءة منه، قال نعم، قال فكذلك أمر هؤلاء[١].

وعن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: إنّ اللّه خلق هذا النطاق زبرجدة خضراء، منها اخضرّت السماء، قلت وما النطاق؟ قال الحجاب للّه عزّ وجلّ، وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجنّ والإنس، وكلّهم يلعن فلاناً وفلاناً[٢].

عن ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إنّ للّه تعالى أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً هي مثل أيام الدنيا ثلاثين مرّة، مشحونة خلقاً لا يعلمون أنّ اللّه خلق السموات والأرضين ولا يعلمون أنّ اللّه خلق آدم وإبليس[٣].

وعن ابن عباس قال دخل علينا رسول اللّه صلى الله عليه وآله ونحن في المسجد حلق حلق فقال لنا فيم أنتم قلنا نتفكّر في خلق الشمس كيف طلعت وكيف غربت، قال أحسنتم كونوا هكذا تفكروا في المخلوق ولا تفكروا في الخالق، فإنّ اللّه خلق ما شاء لما شاء، وتعجبون من ذلك إنّ وراء قاف سبع بحار كلّ بحر خمسمائة عام من وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورها لأهلها، ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة خلقوا على أمثال الطير هو وفرخه في الهواء لا يفترون عن تسبيحة واحدة، ومن وراء ذلك سبعين ألف أمة خلقوا من ريح فطعامهم ريح وشرابهم ريح وثيابهم من ريح وآنيتهم من ريح ودوابّهم من ريح لا تستقرّ حوافر

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) البرهان في تفسير القرآن.

(٣) بحار الأنوار.

دوابهم إلى الأرض إلى قيام الساعة أعينهم في صدورهم ينام أحدهم نومة واحدة ينتبه ورزقه عند رأسه، ومن وراء ذلك، ظلّ العرش وفي ظلّ العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون أنّ اللّه خلق آدم ولا ولد آدم ولا إبليس ولا ولد إبليس وهو قوله: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾[١].

وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق فقال: خلق اللّه ألفاً ومائتين في البرّ وألفاً ومائتين في البحر وأجناس بني آدم سبعون جنساً والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج[٢].

---

(١) عوالم العلوم.
(٢) بحار الأنوار.

عمر الدنيا وأنواع المخلوقات فيها

قال رسول الله ﷺ: إنّ موسى عليه السلام سأل ربّه عزّ وجلّ أنْ يعرّفه بدء الدنيا منذ خلقت، فأوحىٰ الله تعالى إلى موسى عليه السلام سألتني عن غوامض علمي، فقال: يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك فقال: يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة ألف ألف عام عشر مرّات، وكانت خراباً خمسين ألف عام، ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام، ثم خلقت فيها خلقاً على مثال البقر يأكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين ألف عام، ثم أمَتهم كلّهم في ساعة واحدة، ثم خربت الدنيا خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثم خلقت فيها بحراً فمكث البحر خمسين ألف عام لا شيء مجاجاً من الدنيا يشربه، ثم خلقت دابة وسلّطتها على ذلك البحر فشربه بنفس واحد، ثم خلقت خلقاً أصغر من الزنبور وأكبر من البقّ فسلّطت ذلك الخلق على هذه الدابّة فلدغها وقتلها، فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثم بدأت في عمارتها فمكثت خمسين ألف عام ثم جعلت الدنيا كلّها أجام القصب، فخلقت السلاحف وسلّطتها عليها فأكلتها حتى لم يبق منها شيء ثم أهلكتها في ساعة واحدة فمكثت الدنيا خراباً خمسين ألف عام، ثم بدأت في عمارتها، فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثم خلقت ثلاثين ألف آدم، ومن آدم إلى آدم ثلاثين ألف سنة، فأفنيتهم كلّهم بقضائي وقدري، ثم خرّبتها فمكثت خراباً خمسين ألف عام ثم بدأت بعمارتها، ثم خلقت فيها ألف ألف مدينة من الفضة البيضاء، وخلقت في كل مدينة مائة ألف ألف قصر من الذهب الأحمر، فملأت المدن والقصور

خردلاً إلى أنّ سدّ الهواء، والخردل يومئذٍ ألذّ من الشّهد وأحلى من العسل وأبيض من الثلج، ثمّ خلقت طيراً واحداً أعمىٰ وجعلت طعامه في كلّ ـ ألف ـ سنة حبّة من الخردل، فأكلها حتى فنيت، ثم خرّبتها فبقيت خراباً خمسين ألف عام، ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام، ثم خلقت فيها أباك آدم عليه السلام بيدي يوم الجمعة وقت الظهر، ولم أخلق من الطين غيره، وأخرجت من صلبه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: عمر الدنيا مائة ألف سنة، لسائر الناس عشرون ألف سنة وثمانون ألف سنة لآل محمّد صلوات اللّه عليهم أجمعين[2].

قال رجل لأبي عبد اللّه عليه السلام: جُعلت فداك إنّ الناس يزعمون أنّ الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة فقال: ليس كما يقولون إنّ اللّه خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعاً قفراً خاويةً عشرة آلاف عام، ثم بدا للّه بداء فخلق فيها خلقاً ليس من الجنّ ولا من الملائكة ولا من الإنس، وقدّر لهم عشرة آلاف عام، فلمّا قربت آجالهم أفسدوا فيها فدمّر اللّه عليهم تدميراً، ثم تركها قاعاً قفراً خاوية عشرة آلاف عام، ثم خلق فيها الجنّ، وقدّر لهم عشرة آلاف عام، فلمّا قربت آجالهم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾، كما سفكت بنو الجان فأهلكهم اللّه، ثم بدا للّه فخلق آدم وقرّر له عشرة آلاف عام، وقد مضىٰ من ذلك سبعة آلاف عام ومائتان وأنتم في آخر الزمان[3].

---

(١) جامع الأخبار.
(٢) مرآة الأنوار.
(٣) بحار الأنوار.

ما كان قبل آدم في الأرض

من قصص الراوندي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سُئل أمير المؤمنين عليه السلام هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السلام وذريّته؟ فقال: نعم، قد كان في السموات والأرض خلق من خلق الله يقدّسون الله ويسبّحونه ويعظّمونه بالليل والنّهار لا يفترون، فإنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق الأرضين خلقها قبل السموٰات ثم خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله، فأسكنهم فيها بين أطباق السموٰات يقدّسونه اللّيل والنهار، واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرائيل، ثمّ خلق عزّ وجلّ في الأرض الجنّ روحانيين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وخفضهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران عن ذلك فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهن يقدّسون الله اللّيل والنّهار لا يفترون، ثمّ خلق خلقاً دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون نسناس أشباه خلقهم وليسوا بإنس وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجنّ يقدّسون الله اللّيل والنّهار لا يفترون، قال وكان الجنّ تطير في السماء فتلقى الملائكة في السموٰات فيسلّمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلّمون منهم الخبر، ثم إنّ طائفة من الجنّ والنسناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجنّ تمرّدوا وعتوا عن أمر الله فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحقّ وعلا بعضهم على بعض في العتوّ على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم وأظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله تعالى قال وأقامت الطائفة المطيعون من الجنّ على رضوان

اللّه وطاعته وباينوا الطائفتين من الجنّ والنسناس الذين عتوا عن أمر اللّه تعالى، قال فحطّ اللّه أجنحة الطائفة من الجنّ الذين عتوا عن أمر اللّه وتمرّدوا وكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السماء وإلى ملاقاة الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي، قال وكانت الطائفة المطيعة لأمر اللّه من الجن تطير إلى السماء اللّيل والنهار على ما كانت عليه، وكان إبليس واسمه الحرث يظهر للملائكة أنّه من الطائفة المطيعة، ثم خلق اللّه تعالى خلْقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجنّ وعلى خلاف خلق النسناس يدبّون كما يدبّ الهوام في الأرض يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض، كلّهم ذكران ليس فيهم إناث لم يجعل اللّه فيهم شهوة النساء ولا حبّ الأولاد ولا الحرص ولا طول الأمل ولا لذّة عيش، لا يلبسهم اللّيل ولا يغشاهم النهار، ليسوا ببهائم ولا هوام، لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار، ثم أراد اللّه أن يفرّقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر فكوّن لهم مدينة أنشأها، تسمّى جابرسا طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى جابلقا طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن لهم سوراً من حديد يقطع إلى السماء، فأسكن الفرقة الأخرى فيها، لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا، ولا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجنّ والنسناس، فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجنّ والنسناس فينتفعون بحرّها ويستضيئون بنورها ثم تغرب في عين حمئة، فلا يعلم أهل جابلقا إذا غربت، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا، فقيل يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم، فقال عليه السلام إنهم يستضيئون بنور اللّه فهم في أشدّ ضوء من نور الشمس ولا يرون أنّ اللّه تعالى خلق شمساً ولا قمراً ولا نجوماً ولا كواكب لا يعرفون شيئاً غيره، فقيل يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم، قال لا يعرفون إبليس ولا

سمعوا بذكره، لا يعرفون إلاّ اللّه وحده لا شريك له لم يكتسب أحد منهم قطّ خطيئة ولم يقترف إثماً لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون اللّه، لا يفترون، اللّيل والنهار عندهم سواء، وقال إنّ اللّه أحبّ أن يخلق خلقاً وذلك بعدما مضى للجنّ والنسناس سبعة آلاف سنة، فلمّا كان من خلق(١) اللّه أن يخلق آدم للّذي أراد من التدبير والتقدير فيما هو مكوّنه في السمٰوات والأرضين كشط عن أطباق السمٰوات ثم قال للملائكة انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنسناس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي فاطلعت(٢) ورأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحقّ أعظموا ذلك وغضبوا للّه وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم وقالوا يا ربّنا أنت العزيز الجبّار القاهر العظيم الشأن وهؤلاء كلّهم خلقك الضعيف الذليل في أرضك، كلّهم يتقلّبون في قبضتك ويعيشون برزقك ويتمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك، قال فلمّا سمع اللّه تعالى مقالة الملائكة قال إني جاعل في الأرض خليفة فيكون حجّتي على خلقي في أرضي فقالت الملائكة سبحانك ربّنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، فقال اللّه تعالى يا ملائكتي إني أعلم ما لا تعلمون إنّي أخلق خلقاً بيديّ وأجعل من ذريّته أنبياء ومرسلين وعباداً صالحين وأئمة مهتدين وأجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي ينهونهم عن معصيتي وينذرونهم من عذابي ويهدونهم إلى طاعتي ويسلكون بهم طريق سبيلي أجعلهم حجّة لي عذراً ونذراً، وأنفي الشياطين من أرضي وأطهّرها منهم فأسكنهم في الهواء وأقطار الأرض وفي الفيافي، فلا يراهم نسل خلقي ولا يرون شخصهم ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ولا يواكلونهم ولا يشاربونهم، وأنفر مردة الجنّ العصاة من نسل بريتي وخلقي وخيرتي فلا يجاورون خلقي، وأجعل

---

(١) من شأن.

(٢) فلما اطلعوا.

بين خلقي وبين الجانّ حجاباً فلا يرى خلقي شخص الجنّ ولا يجالسونهم ولا يشاربونهم ولا يتهجّمون تهجّمهم، ومن عصاني من نسل خلقي الذي عظّمته واصطفيته لغيبي أسكنهم مساكن العصاة وأوردهم موردهم ولا أبالي، فقالت الملائكة لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم[١].

---

(١) بحار الأنوار.

يأجوج ومأجوج

﴿ثمّ أتبع سبباً * حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً * قالوا يا ذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خَرْجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً * قال ما مكنّي فيه ربّي خير فأعينوني بقوةٍ أجعل بينكم وبينهم ردماً * آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوىٰ بين الصدفينِ قال انفخوا حتى إذا جعلهُ ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً * فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً﴾[1].

أقول: إنّ ما جاء في الأخبار أنّ يأجوج ومأجوج أمّة وهم ليسُ من ولد آدم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام، بني آدم سبعون جنساً والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج، وهم أشباه البهائم يأكلون ويشربون ويتوالدون وهم ذكور وإناث وفيهم مشابة من الناس الوجوه والأجساد والخلقة، ولكنهم قد نقصوا في الأبدان نقصاً شديداً وهم في طول الغلمان لا يتجاوزون خمسة أشبار وهم على مقدار واحد في الخلق والصور، عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون، عليهم وبر كوبر الإبل يواريهم ويسترهم من الحرّ والبرد، ولكلّ واحد منهم أذنان أحدهما ذات شعر والأخرى ذات وبر ظاهرهما وباطنهما، ولهم مخالب في موضع الأظفار وأضراسٍ وأنياب كالسباع، وإذا نام أحدهم إفترش إحدى أذنيه والتحف بالأخرى فتسعه لحافاً، وهم يرزقون نون[2] البحر كلّ عام يقذفه عليهم

(١) سورة الكهف: الآية ٩٢ إلى ٩٧.

(٢) نون: السمك.

السحاب، فيعيشون به ويستمطرون في أيامه كما يستمطر الناس المطر في أيامه، فإذا قذفوا به أخصبوا وسمنوا وتوالدوا وأكثروا، فأكلوا منه إلى الحول المقبل، ولا يأكلون منه شيئاً غيره وإذا أخطأهم النون جاعوا وساحوا في البلاد فلا يدعون شيئاً أتوا عليه إلاّ أفسدوه وأكلوه وهم أشدّ فساداً من الجراد والآفات وإذا أقبلوا من أرض إلى أرض جَلا أهلها عنها، وليس يغلبون ولا يدفعون حتى لا يجد أحد من خلق اللّه موضعاً لقدمه ولا يستطيع أحد أن يدنو منهم لنجاستهم وقذارتهم، حتى أن الأرض تنتن من جيفهم، فبذلك غلبوا وإذا أقبلوا إلى الأرض يسمع حسّهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم، كما يسمع حس الريح البعيدة ولهم همهمة إذا وقعوا في البلاد كهمهمة النحل، إلاّ أنّه أشدّ وأعلى، وإذا أقبلوا إلى الأرض حاشوا وحوشها وسباعها حتى لا يبقى فيها شيء، لأنّهم يملؤون ما بين أقطارها ولا يتخلف وراءهم من ساكن الأرض شيء فيه روح إلاّ اجتلبوه، وليس فيهم أحد إلاّ وعرف متى يموت قبل أن يموت، ولا يموت منهم ذكر حتى يولد له ألف ولد، ولا تموت أنثى حتى تلد ألف ولد، فإذا ولدوا الألف برزوا للموت وتركوا طلب المعيشة.

ثم إنهم أجفلوا في زمان ذي القرنين يدورون أرضاً أرضاً وأمة أمة وإذا توجّهوا لوجهة لم يعدلوا عنها أبداً.

فلمّا أحسّت تلك الأمم بهم وسمعوا همهمتهم استغاثوا بذي القرنين وهو نازل في ناحيتهم، قالوا له فقد بلغنا ما أتاك اللّه من الملك والسلطان وما أيّدك به من الجنود ومن النور والظلمة، وإنّا جيران يأجوج ومأجوج، وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال وليس لهم إلينا طريق إلاّ من هذين الجبلين، لو مالوا علينا أجلونا من بلادنا، ويأكلون ويفرسون الدواب والوحوش كما يفرسها السباع ويأكلون حشرات الأرض كلّها من الحيّات والعقارب وكلّ ذي روح ولا نشكّ أنهم يملؤون الأرض ويجلون أهلها منها، ونحن نخشى كلّ حين أن يطلع علينا أوايلهم من هذين الجبلين، وقد أتاك اللّه الحيلة والقوّة، فاجعل بيننا وبينهم سدّاً، قال آتوني زبر الحديد، ثمّ أنّه دلّهم على معدن الحديد والنحاس

فضرب لهم في جبلين حتّى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس، قالوا: فبأيّ قوّة نقطع هذا الحديد والنحاس؛ فاستخرج لهم من تحت الأرض معدناً آخر يقال له السامور وهو أشدّ شيء بياضاً وليس شيء منه يوضع على شيء إلاّ ذاب تحته، فصنع لهم منه أداة يعملون بها، فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به، فأوقدوا على الحديد النار، حتى صنعوا منه زبراً مثل الصخور، فجعل حجارته من حديد ثم أذاب النحاس فجعله كالطين لتلك الحجارة، ثم بنىٰ وقاس ما بين الجبلين فوجده ثلاثة أميال، فحفروا له أساساً حتى كاد يبلغ الماء، وجعل عرضه ميلاً وجعل حشوه زبر الحديد، وأذاب النحاس فجعله خلال الحديد فجعل طبقة من نحاس وأخرى من حديد ثم ساوىٰ الرّدم بطول الصدفين فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد.

فيأجوج ومأجوج يسيحون في بلادهم، فلمّا وقعوا في الرّدم حبسهم، فرجعوا يسيحون في بلادهم فلا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة، فإذا كان قبل يوم القيامة في آخر الزمان انهدم ذلك السدّ وخرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا يأكلون الناس وهو قوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾[1].

---

(١) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين، البرهان في تفسير القرآن.

منافع الماء

﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيّ﴾[١].

قال الإمام الصادق عليه السلام في حديث المفضل وفيه منافع أُخر أنت عارف، وعن عظيم موقعها غافل، فإنّه سوى الأمر الجليل المعروف من عظيم غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات بمزج الأشربة فتلذ وتطيب لشاربها، وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها، وبه يبل التراب فيصلح للأعمال، وبه يكف عادية النّار إذا أضرمت وأشرف الناس على المكروه، وبه يستحمّ المتعب الكالّ فيجد الراحة من أوصابه، إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة[٢].

لا يمكن حصر فوائد الماء الجمّة والكثيرة على التحقيق، وأنّ الكثير منها واضح وخفي كما قال الإمام بمعنىً أننا نستعملها ونستفيد منها ولكنّا غافلون عن ضرورتها للعيش ولزوم الحياة بها، لأنّ الاستمرار على استعمال الماء في كلّ شيء وعادتنا عليه تجعلنا غافلين عن التفكّر فيما يحدثه من مآرب ومصالح ومنافع، فهو الذي يعطي الحياة لجميع ما على وجه الأرض من حيوان ونبات وربما غيرها من المخلوقات، كما ذكر القرآن الكريم ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيءٍ حيّ﴾ وهذه الفائدة قد أخذت مكانها بالتفصيل والبيان في كتب الطب. أمّا

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(٢) بحار الأنوار.

الفوائد التي ذكرها الإمام عليه السلام فمنها أنّه يُمزج مع بعض الأشربة فيحسن طعمها ويلذ ذوقها ويُطَيِّب لشاربها، ومنها أنّه ينظف الأبدان والأمتعة والثياب والأواني وأمثالها من الأدران والأوساخ والكثافات التي تغشاها، ومنها أنّه يبل به التراب فيكون طيناً يصلح للبناء وتبليط السطوح وقد يعمل قوالباً تطبخ في النار لتكون أحجاراً صلبة، لإقامة بناء البيوت والقصور وتبليط الأرض والدور وغيرها أمثالاً، ومنها أنّه يطفيء النّار إذا شبّت بكثرة واضطرمت وخافت النّاس من أضرارها واحراقها، وذلك بإلقاء سوائل تحت مسمّى الماء بكثرة وعنف، ومنها أنّ المتعب الكالّ من السير أو العمل المجهد إذا استحمّ به واغتسل، استراح وزالت أوصابه وأتعابه ببرودته ونظافة جلده، حيث تنفتح مسامات جلده فتستنشق النسيم فيحصل له الارتياح الكامل.

هذا ما ذكره الإمام عليه السلام للتنبيه والعظة والاعتبار، وما ذكرته كتب الطبّ، فمنها أنّه يدخل مقدار عظيم منه في الأغذية المختلفة التي لولاه لما أمكن أكلها كاللحم وكثير من النباتات والنشويات، ومنها أنّه يخرجُ فضلات الأبدان ويفرز السموم الكربونية المحترقة فيها ويطرح بعض المواد الجامدة المضرّة في البدن إلى الخارج بواسطة شربه ومروره عليها وامتزاجه معها، ومنها إعانته لعملية الجهاز الهضمي فإنّه إذا لم يوجد ماء في المعدة لا يكون كيلوس ولا يتولّد دم ولا يحصل تنفّس بل ولا تكمل الدورة الدموية صغراها وكبراها ولا تحصل الإفرازات اللازمة لإصلاح البدن كالعرق والبول والبراز.

ومنها أنّه يهدىء الحرارة المرتفعة والعطش الشديد، ومنها أنّه تتوقف حياة كل خلية من خلايا بدن الحيوان وأجسام النباتات على وجود الماء فيها بحيث إذا جفّت تماماً فقدت الحياة، ومنها أن البروتوبلازما وهو سائل داخل الخلية، لا بدّ أن يستمدّ غذاءه من المركبات الذائبة في المحاليل المائية التي تغمرها، فإذا فقد عنها الماء فقدت الغذاء وإذا انقطع منها الغذاء ذهبت حياتها، وانعدمت وظائف السائل المهمة في الجسم، ومنها أنّ جميع الخلايا تستمدّ: الأوكسجين اللازم لبقائها من الماء لأنّ الأوكسجين لا يمكن أن يصل إلى الأجزاء الداخلية من الخلايا إلاّ إذا ذاب في الماء، أو السوائل التي تمتصها

الخلية، ومنها أنّ الإنسان لا يستطيع أن يستغني عن شرب الماء أكثر من ثمانية وأربعين ساعة لأنّ السموم الناتجة عن عمليات الهضم والتحليلات داخل البدن لا يمكن طردها إلى الخارج إلاّ بامتزاجها مع الماء الخارج بالعرق أو البول وما إلى ذلك.

وغيرها من المنافع الكثيرة التي لا تُعرف إلاّ إذا مسّت الحاجة إلى معرفتها، ولهذا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الماء متوفّراً كثيراً على سطح الأرض حتى صار يشغل ثلاثة أرباع سطح الأرض.

وفي توزيع المياه على سطح الأرض، عنه عليه السلام: ومن تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقة الأرض أن مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب، فَلِم جعل اللّه عزّ وجلّ كذلك إلاّ لتنحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويها ثم تفضى آخر ذلك إلى البحر، فكما يرفع أحد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء منه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلّة بعينها، ولولا ذلك لبقي الماء متحيراً على وجه الأرض فكان يمتنع الناس من أعمالها وتقطع الطرق والمسالك، ثم الماء لولا كثرته وتدفقه في العيون والأنهار والأودية لضاق عمّا يحتاج إليه الناس لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحوش والطير والسباع، وتتقلّب فيه الحيتان ودواب الماء[1].

طعم الماء

عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت جالساً إذ جاء رجل فسأله عن طعم الما وكانوا يظنون أنّه زنديق، فأقبل أبو عبد اللّه عليه السلام يصوّب فيه ويصعد، ثم قا له: ويلك طعم الماء طعم الحياة، إن اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿وجعلنا من الم كلّ شيءٍ حيّ﴾[2].

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) البرهان في تفسير القرآن.

وسُئل أبو عبد الله عليه السلام عن طعم الماء، فقال: سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً طعم الماء طعم الحياة، قال الله سبحانه: ﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حيٍّ﴾[1].

شرب الماء

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **الماء سيّد الشراب في الدنيا والآخرة**[2].

ويستحب التلذّذ بالماء ومصّهُ مصّاً، فعن أبو الحسن عليه السلام: **إني أكثر شرب الماء تلذّذاً**[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **مصّوا الماء مصّاً ولا تعبّوه عبّاً فإنّه يوجد منه الكباد**[4].

كما أنّ الإفراط فيه يرخي ويرهل البدن كما أنّ العطش المفرط يضعف الدماغ والبصر والحواس فعن أبي عبد الله عليه السلام: **لا تكثر من شرب الماء فإنه مادة لكلّ داء**[5].

ولا يشرب الماء قبل الهضم فإنّه مفسد للأغذية مبرد للمعدة مصعّد للأبخرة الفجة إلى الدماغ ولا بعد حمّام وجماع فيورث الرعشة والخدر، ويبس الأعصاب والتشنج وبطلان الشاهية، ولا يؤخذ بعد قي فيوقع في ضعف المعدة، ولا بعد نومٍ إلاّ لمن نام ولم يأخذ كفايته منه فليشرب بعد تبريد أطرافه، ولا قياماً بالليل وجلوساً بالنّهار فيضعف المعدة والعصب، وأن لا يشرب بنفس واحد فإنّه يورث الاحتقان.

---

(١) وسائل الشيعة.

(٢) الكافي.

(٣) وسائل الشيعة.

(٤) الكافي.

(٥) الكافي.

وأفضل المياه وأجودها أخفّها وزناً وأسرعها قبولاً للسخونة والبرودة وأعذبها طبعاً، وإنّما يعرف ذلك من البلدان والمجاري وإذا كانت الأرض فارغة لا تسخن قليلة العفونة، فإنّ مياهها فاضلة خفيفة، وما كان من المياه في أرض كثيرة الشجر كثيرة العفونة، فإنّه ثقيل رديء ويخبث الماء الذي فيه الطحالب والديدان والحيّات.

وأوفق المياه ما كان أبيض صافياً لا ريح فيه والتذّت به الطبيعة، فمياه العيون بارد رطب جيدها من العيون الشرقية وأردؤها المياه التي تجري من ناحية الجنوب أي من ناحية اليمن، وقد رُوي عن أمير المؤمنين عليه السلام: **إنّ شرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت الذي بحضرموت، ترده هام الكفّار باللّيل**[١]، وأما ماء زمزم وإن كان ثقيل وممزوج بأجزاء الأرض إلا أنّه يقصد للشفاء لخاصية فيه فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **ماء زمزم دواء ممّا شرب له**[٢]، وعن أبا عبد الله عليه السلام قال: **ماء زمزم شفاء من كل داء**[٣] وعنه عليه السلام: **إنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يستهدي ماء زمزم وهو بالمدينة**[٤].

وأما المياه المالحة حارّة يابسة، تطلق البطن وتحدث الحكة والعطش وهي ثقيلة ردية، والماء الكدر فإنّه يولد الحصى في الكلى والمثانة والسدد في الكبد، ومياه الأرض السبخة أغلظ المياه حارة لركودها ودوام طلوع الشمس عليها فهي تُولِّد المرّة الصفراء وتغلظ الطحال والكبد، والماء المسخّن بالشمس يورث البرص إذا اغتسل به.

وعلى سبيل الاختصار، أفضل المياه ماء المطر ومن بعده ماء الأنهار الجارية البعيدة المجرى التي لا يخالطها ما يفسدها، ومن بعدها ماء الآبار،

---

(١) وسائل الشيعة.
(٢) الكافي.
(٣) وسائل الشيعة.
(٤) المحاسن.

فماء المطر أخفّ من ماء الأنهار إلاّ أنه سريع الاستحالة إلى التعفّن، ولهذا أورد شربه عند نزوله أو حفظه عن مفسدات الجوّ التي تحيله إلى الكدورة والتعفّن، وماء الأنهار أخفّ من ماء الآباء وماء الأنهار أسرع استحالة للتعفّن من ماء الآبـار، فكـلّ ما كان من المياه ألطف كان أخفّ وأعذب وإلى الاستحالة أقرب.

المطر

﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمتهِ حتى إذا أقلَّت سحاباً ثقالاً سقناه لبلدٍ ميّتٍ فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كلِّ الثمرات كذلك نخرج الموتىٰ لعلَّكم تذكَّرون﴾(١) ﴿وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزّل إلاّ بقدر معلوم﴾(٢).

إنّ مياه البحر بعد أن تبخرّها الشمس بحرارتها تتصاعد إلى الفضاء بخاراً ثم تعلو إلى الطبقة الباردة من الهواء فينعقد البخار سحاباً، فإن بقي على حرارته قصد الصعود وإن صار بارداً قصد النزول بصورة قطرات مطراً على الجبال والسهول ووجه الأرض.

ومن عجائب تدبير حركة المطر وفوائده وتدبيره، قال أبي عبد اللَّه عليه السلام في حديث المفضل: **فكّر يا مفضل في الصحو والمطر كيف يتعاقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه، ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده، ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت أبدان الحيوان وحصر الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض وفسدت الطرق والمسالك، وأنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض واحترق النبات وغيض ماء العيون والأودية فأضرّ ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروباً أخرى من الأمراض، فإذا تعاقبا على**

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٧.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢١.

العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الآخر فصلحت الأشياء واستقامت.

وقال عليه السلام: تأمّل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك، فإنه جعل ينحدر عليها من علوّ ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه، ولو كان إنما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها فيقل ما يزرع في الأرض، ألا ترى أنّ الذي يسقي سيحا[١] أقلّ من ذلك، فالأمطار هي التي تطبق الأرض وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال، وذراها فتغل الغلّة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم في التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذو العزّة والقوّة ويحرمه الضعفاء، ثمّ إنّه حيث قدر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرشّ ليغور في قعر الأرض فيرويها، ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثم كان يحطّم الزروع القائمة إذا اندفق عليها فصار ينزل نزولاً رقيقاً فينبت الحبّ المزروع ويحيي الأرض والزرع القائم، وفي نزوله أيضاً مصالح أخرى، فإنّه يلين الأبدان ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان إلى أشباه هذا من المنافع.

فإن قال قائل: أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدّة ما يقع منه، أو من برد يكون فيه تحطم الغلاّت، وبخورة يحدثها في الهواء فتولّد كثيراً من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلاّت.

قيل له: بلى قد يكون ذلك لفرط ما فيه من صلاح الإنسان وكفّه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فتكون المنفعة فيها يصلح له من دينه أرجح ممّا عسى أن يزرأ في ماله[٢].

---

(١) السيح: هي الزراعة التي تحصل عن طريق الأنهر والمياه والجارية.
(٢) بحار الأنوار.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال كان عليّ عليه السلام يقوم في المطر، أول ما تمطر حتى يبتلّ رأسه ولحيته وثيابه، فيقال له يا أمير المؤمنين الكِنّ الكِنّ فيقول إنّ هذا ماء قريب العهد بالعرش، ثم أنشأ يحدث، فقال إنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت به أرزاق الحيوان، وإذا أراد الله تعالى أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه أوحى الله عزّ وجلّ فمطر منه ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى السماء الدنيا فتلقيه إلى السحاب والسحاب بمنزلة الغربال، ثم يوحي الله عزّ وجلّ إلى السحاب أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الملح في الماء ثم انطلقي به إلى موضع كذا وكذا وعباباً وغير عباب فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به، فليس من قطرة تقطر إلاّ ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم تنزل من السماء قطرة من مطر إلاّ بقدر معدود ووزن معلوم، إلاّ ما كان يوم الطوفان على عهد نوح فإنّه نزل منها ماء منهمر بلا عدد ولا وزن(١).

وعن علي بن إبراهيم قال: في البرّ فساد الحيوان إذا لم تمطر وكذلك هلاك دواب البحر بذلك قال وقال الصادق عليه السلام حياة دواب البحر بالمطر فإذا كفّ المطر ظهر الفساد في البرّ والبحر، وكذلك إذا كثر الذنوب بالمعاصي(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ ربّكم سبحانه يقول لو أنّ عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر باللّيل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد(٣).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ليس من سنة أقلّ مطراً من سنة، ولكنّ الله يضعه حيث يشاء انّ الله، إذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدّر لهم من المطر في تلك السنة إلى غيرهم وإلى الفيافي والبحار والجبال(٤).

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) تفسير القمي.
(٣) بحار الأنوار.
(٤) روضة الواعظين.

قوس الله

سُئل الحسن بن علي عليه السلام ما قوس قزح قال: ويحك، لا تقل قوس قزح، فإنّ قزح اسم شيطان، وهو قوس الله، وعلامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الغرق[1].

علامات ظهور قوس الله

فإن ظهر في نيسان يدلّ على اختلاف وارتفاع المطر في ذلك الشهر.

وإن ظهر في أيار يدلّ على الوباء في البقر وحسن حال الثمار، ووقوع الصلح بين الملك وبين من يعاديه، وكثرة الأمطار ووقوع الوباء في السودان، وإن ظهر من المغرب يدلّ على الغلاء واضطراب الناس في نواحي المغرب ويقوى أمر الملك ويقتل أعاديه.

وإن ظهر في حزيران يدلّ على موت خواص الملك، ويكون هلاكهم على يدي الملك.

وإن ظهر في تموز يدلّ على وقوع الغلاء في البلاد التي في جهته.

وإن ظهر في آب من المشرق يدلّ على تشويش بين الملوك وغلاء في خراسان ثلاث سنوات.

(١) بحار الأنوار.

وإن ظهر في أيلول من ناحية المشرق يدلّ على اشتباك الحروب بين ملك فارس والأهواز.

وإن ظهر في تشرين الأول من ناحية المشرق يدلّ على اضطراب الروم، وموت الحيوانات، وإن ظهر من المغرب يدلّ على السلامة والفرح، وعلى نكد المماليك على مواليهم وحسن حال الثمار.

وإن ظهر في تشرين الثاني من المشرق يدلّ على جنون الكلاب والسباع وتأذّي الناس منها ووقوع البلاء والوباء والابتلاء ببابل ثلاث سنوات، وإن ظهر من المغرب يدلّ على كثرة الأمطار والتمور.

وإن ظهر في كانون الأول من المشرق يدلّ على حسن الغلّات والثمار، واتصال المطر مدّة ثلاث أشهر، وكثرة الوباء والأوجاع والحرب واختلاف بين الناس وكثرة الغش، وإن ظهر من المغرب يدلّ على خصب السنة وظهور الجراد، والمرض والقتال.

وإن ظهر في كانون الثاني يدلّ على وقوع الملك في أيدي أعاديه، وكثرة الثلوج، وحسن حال الروم والثمرات، وإن ظهر من المغرب يدلّ على كثرة الأمطار وزيادة الغلّات، ويشتدّ الغلاء في بلاد الروم.

وإن ظهر في شباط من المشرق يدلّ على كثرة الحروب وظفر الملك بأعدائه.

وإن ظهر في آذار من المشرق يدلّ على فتنة بين ملكين، وظفر أحدهما بالآخر، وكثرة الأمطار، وموت الأطفال، وإن ظهر من جهة المغرب يدلّ على الوباء وانتقال الناس من أماكنهم وكثرة الغلّات والعصافير، ويظهر الجراد ويكون الغلاء بعده[١].

---

(١) الأنوار النعمانية.

الرعد والبرق

﴿هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشىء السَّحاب الثقال﴾[١] ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزِّل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾[٢].

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: ما برقت قطّ في ظلمة ليل ولا ضوء نهار إلاّ وهي ماطرة[٣].

وسُئل عن الرعد أي شيء يقول قال: إنّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها هاي هاي كهيئة ذلك، قيل فما البرق قال له: تلك مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه إلى الموضع الذي قضى اللّه فيه المطر.

ورُوي أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذباب وأصغر من الذنبور.

وان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا سمع الرعد والصواعق قال: اللّهمَّ لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك[٤].

علامات الرعد في مبيت القمر

وهذه علامات الرعود في مبيت القمر، والتي لا تخلو من أن قد يصح

(١) سورة الرعد: الآية ١٢.
(٢) سورة الروم: الآية ٢٤.
(٣) بحار الأنوار.
(٤) بحار الأنوار.

شيئاً منها، فأوردناها كما هي نقلاً عن المصدر[1].

إذا أرعدت والقمر في برج الحمل يدلّ على وقوع الخوف في العالم ووقوع الشتات، ويدلّ على هبوب الرياح المزعجة ومجيء الأمطار في التتابع، ثم ينقطع مرة ويتصل بعد زيادة المياه والعيون واضطراب الأمور، وكثرة الحمى والحصف وشدّة البرد في بابل وآذربيجان، واختلاف الكرم فيها من كثرة البرد وشدّة الوباء في هذه البلدان.

وإن أرعدت والقمر في برج الثور يدلّ على حسن حال الغلّات خصوصاً الحنطة وأنواع الأثمار، ويدلّ أيضاً على فرح سلطان المشرق، ووقوع الحرب والقحط ببلاد الروم، وحدِّ الشمال حتى ينتهي أمر الناس في النواحي إلى أكل الميتة، ويحسن حال الزرع أوّل السنة وتموت البقر، وتعمّ الأوجاع، وتهلك أعيان الناس، وتظهر آية في السماء، وشدّة وقوع الناس فيها وذلك في مصر والسودان والهمدان والأكراد.

وإن أرعدت والقمر في برج الجوزاء يدلّ على غمٍّ يلحق بالناس معه مرض، ويحسن حال الحنطة بالجبال، وتتلف الأباطيخ، ويقع الخوف مع السلامة، ويدلّ على تقدّم الأمطار أوّل الشتاء وهبوب الرياح وهلاك الأشجار وكثرة الوباء في الهند وآذربيجان، وتعذّر الغلّات في المشرق ووقوع الصاعقة من السماء، واشتباك الحروب وهلاك رجل عظيم القدر، وظهور الجراد في البلاد التي تتولّاها الجوزاء كالهند وأرمنية وآذربيجان.

وإن أرعدت والقمر في برج السرطان يدلّ على جوع شديد في نواحي المشرق وكثرة الأراجيف وظهور الجراد وفساد الزرع والأشجار، واشتباك الحرب والفتن وتمكّن الأعداء من الرعية.

وإذا أرعدت والقمر في برج الأسد يدلّ على سلامة الغلّات وظهور الحكّة والبثور والجرب في الناس، ويهرب الناس من الفتن، وهلاك أهل السفن في

---

(١) الأنوار النعمانية.

البحر وانقطاع المطر، وإتلاف الكروم، وموت الأكابر، وهلاك النساء عند الولادة وعلّة الناس من أكل الثمرة.

وإن أرعدت والقمر في برج السنبلة يدلّ على هلاك خواصّ الملوك ووقوع الفزع بمصر، وحسن حال الغلات وتهلك الأغنام والمواشي وتكثر الأمراض أوّل السنة وتتصل الأمطار، وتقلّ الغلّات، ويضطرب أمر السلطان، ويتعذّر القوت في الجزيرة والفرات من القحط.

وإن أرعدت والقمر في برج الميزان يدلّ على الحروب وحسن حال الأمطار، ويدلّ على الفتن في العالم، وظهور الذخائر والكنوز من تحت الأرض، وخراب البقع والصوامع، وبيوت العبادات، واتصال الثلوج وهلاك الثمرات، وكثرة الأمراض في الصيف وزوالها في آخر الشتاء، واشتباك الحروب في بلاد الميزان وسفك الدماء في المغرب.

وإن أرعدت والقمر في برج العقرب يدلّ على هلاك الطيور وشمول البلاء، والغلاء في تلك السنة، وخروج ملك المشرق وتوجّه لبلاد يفتحها ويملكها، ويدلّ على كثرة الأمراض وحسن حال الثمار والغلّات واعتدال المواشي.

وإن أرعدت والقمر في برج القوس يدلّ على حسن حال الغلّات في الجبال وقلّة الأمطار وكثرة الثلوج وآفة الكروم، وكثرة الموت في الرجال.

وإن أرعدت والقمر في برج الجدي يدلّ على اتّصال الأمطار، وكثرة الأراجيف، وانقطاع الأمطار أول السنة مدّة شهرين ونصف، ويهلك الزرع والأشجار.

وإن أرعدت والقمر في برج الدلو يدلّ على حروب كثيرة وأمراض صعبة وحسن حال الثمار والغلّات وقلة المطر في بلاد الروم، وكثرة الموت في الصيف.

وإن أرعدت والقمر في برج الحوت يدلّ على قلّة الحنطة واتّصال الأمطار في البلاد التي يتولاّها الحوت وهي اليمن.

الصواعق

﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾[١].

قال أبو عبد اللَّه عليه السلام قال لي أبي عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ اللَّه عزّ وجلّ جعل السحاب غرابيل المطر تذيب البرد حتى يصير ماءً لكي لا يضرّ شيئاً يصيبه والذي ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من اللَّه عزّ وجلّ يصيب بها من يشاء من عباده ثم قال قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم: لا تشيروا إلى المطر ولا إلى الهلال فإنّ اللَّه يكره ذلك[٢].

في أنّ الصاعقة لا تصيب المؤمن الذاكر، قال أبو عبد اللَّه عليه السلام: الصاعقة تصيب المؤمن والكافر ولا تصيب ذاكراً.

وقال عليه السلام: إنّ الصواعق لا تصيب ذاكراً قيل وما الذاكر قال: من قرأ مائة آية[٣].

وسُئل عليه السلام عن ميتة المؤمن قال: يموت المؤمن بكل ميتة غرقاً ويموت بالهدم ويبتلى بالسبع ويموت بالصاعقة، ولا تصيب ذاكراً[٤].

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٣.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.
(٤) البرهان في تفسير القرآن.

فوائد الرياح

﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾(١)، ﴿ومن آياته أن يرسل الرِّياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجرِيَ الفلكُ بأمره﴾(٢) ﴿واللَّه الّذي أرسل الرِّياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلدٍ ميِّتٍ فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾(٣).

في حديث أبي عبد اللَّه عليه السلام مع المفضّل قال: وأنبهك يا مفضل على الريح وما فيها، ألست ترىٰ ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب، الذي يكاد أن يأتي على النفوس، ويمرض الأصحّاء، وينهك المرضىٰ، ويفسد الثمار، ويعفّن البقول، ويعقّب الوباء في الأبدان، والآفة في الغلاّت، ففي هذا بيان، أنّ هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق.

وأنبئك عن الهواء بخلَّةٍ أخرى، فإنّ الصوت أثر يؤثره اصطكاك الأجسام في الهواء، والهواء يؤدّيه إلى المسامع والناس يتكلّمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم، فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء، كما يبقى الكتاب في القرطاس، لامتلأ العالم منه، فكان يكربهم ويفدحهم، وكانوا يحتاجون في تجديده والاستبدال به، إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس، لأنّ ما يُلفظ من الكلام أكثر مما يكتب، فجعل الخلاّق الحكيم جلّ

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢٢.
(٢) سورة الروم: الآية ٤٦.
(٣) سورة فاطر: الآية ٩.

قدسه هذا الهواء قرطاساً خفيفاً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم، ثم يمحىٰ فيعود جديداً نقيّاً، ويحمل ما حمل أبداً بلا انقطاع.

وحسبك بهذا النسيم المسمّى هواء عبرة، وما فيه من المصالح، فإنّه حياة هذه الأبدان، والممسك لها من داخل، بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه، وفيه تطرد هذه الأصوات فيودي البعد البعيد، وهو الحامل لهذه الأرواح[1] ينقلها من موضع إلى موضع، ألاَ ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهبّ الريح، فكذلك الصوت، وهو القابل لهذا الحرّ والبرد، اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه، ومنه هذه الريح الهابّة، فالريح تروّح عن الأجسام وتزجي السَّحاب من موضع إلى موضع، ليعمّ نفعه حتى يستكثف فيمطر، وتفضه حتى يستخف فيتفشى وتلقح الشجر، وتسير السفن وترخى الأطعمة، وتبرد الماء، وتشبّ النار، وتجفف الأشياء الندية، وبالجملة إنها تحيي كلّ ما في الأرض، فلولا الرِّيح لذوى النبات، ولمات الحيوان، وحمت الأشياء وفسدت[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام حيث سُئل عن الرِّياح قال: قال عزّ ذكره رياح رحمة لواقح وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمته منها ما يهيج السَّحاب للمطر، ومنها رياح تحبس السَّحاب ما بين السماء والأرض، ورياح تعصر السَّحاب فتمطر بإذن اللَّه[3].

وسُئل أبي عبد اللَّه عليه السلام عن جوهر الرِّيح فقال: الرِّيح هواء إذا تحرّك سمّي ريحاً، فإذا سكن سمّي هواءً وبه قوام الدنيا، ولو كفت الرِّيح ثلاثة أيام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض ونتن، وذلك أنّ الرِّيح بمنزلة المروحة تذبّ وتدفع الفساد عن كلّ شيء، وتطيبه فهي بمنزلة الرّوح إذا خرج عن البدن نتن البدن وتغيّر، تبارك اللَّه أحسن الخالقين[4].

---

(١) الأرواح جمع رائحة.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) الكافي.

(٤) بحار الأنوار.

أنواع الرياح

أنواع الرياح وما يتعلّق بها:

سُئل أبو جعفر عليه السلام عن الرِّياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور، قيل له إنّ النّاس يذكرون أنّ الشمال من الجنّة والجنوب من النّار، فقال: إنّ للّه عزّ وجلّ جنوداً من رياح يعذّب بها من يشاء ممّن عصاه فلكلّ ريح منها ملك موكل بها، فإذا أراد اللّه عزّ ذكره أن يعذّب قوماً بنوعٍ من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح التي يريد أن يعذّبهم بها قال فيأمرها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب، وقال ولكلّ ريح منهنّ اسم أما تسمع قوله عزّ وجلّ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر، إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر، وقال الرِّيح العقيم، وقال ريح فيها عذاب أليم، وقال فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت، وما ذكر من الرِّياح التي يعذّب اللّه بها من عصاه، وقال وللّه عزّ ذكره رياح رحمة لواقح وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمته منها ما يهيج السَّحاب للمطر، ومنها رياح تحبس السَّحاب بين السماء والأرض، ورياح تعصر السَّحاب فتمطره بإذن اللّه، ومنها رياح تفرق السَّحاب، ومنها رياح ممّا عدّ اللّه في الكتاب، فأمّا الرياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فإنّما هي أسماء الملائكة الموكلين بها، فإذا أراد اللّه أن يهبّ شمالاً أمر الملك الذي اسمه الشمال فيهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرّقت ريح الشمال حيث يريد اللّه من البرّ والبحر، فإذا أراد اللّه أن يبعث جنوباً أمر الملك الذي اسمه الجنوب فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرّق ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد اللّه، وإذا أراد اللّه أن يبعث الصبا أمر الملك الذي اسمه الصبا فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرّقت ريح الصبا حيث يريد اللّه عزّ وجلّ في البرّ والبحر، وإذا أراد اللّه أن يبعث دبوراً أمر الملك الذي اسمه الدبور فهبط على البيت الحرام فقام على الركن الشامي فضرب بجناحيه فتفرّقت ريح الدبور حيث يريد اللّه من البرّ والبحر ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أما

تسمع لقوله ريح الشمال وريح الجنوب وريح الدبور وريح الصبا إنّما تضاف إلى الملائكة المولين بها[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ للّه تبارك وتعالى ريحاً يقال لها الأزيب لو أرسل منها مقدار منخر الثور لأثارت ما بين السماء والأرض وهي الجنوب.

وإنّ الريح لا تخرج إلاّ بمكيال موزون مقدّر، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: ما خرجت ريح قط إلاّ بمكيال، إلاّ زمن عاد فإنّها عتت على خازنها فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد[٢].

وإنّ الريح لها رأس وجناحان، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: للريح رأس وجناحان.

وإنّ الرياح تأتي رحمة وعذاباً، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: ما بعث الله ريحاً إلاّ رحمة أو عذاباً فإذا رأيتموها فقولوا: اللّهمّ إنّا نسألك خيرها وخير ما أرسلت له، ونعوذ بك من شرّها وشرّ ما أرسلت له، وكبّروا وارفعوا أصواتكم بالتكبير فإنّه يكسرها.

وكان رسول اللّه صلى الله عليه وآله إذا هبّت ريح صفراء وحمراء أو سوداء تغيّر وجهه، واصفرّ وكان كالخائف الوجل حتى ينزل من السماء قطرة من مطر فيرجع إليه لونه، ويقول جاءتكم بالرحمة.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسبّوا الرّيح فإنّها بُشر وإنّها نذر، وإنّها لواقح فاسألوا اللّه من خيرها وتعوّذوا به من شرّها.

ريح الشمال

مهبها من بنات النعش إلى مغرب الشمس، وسمّيت بالشمال لأنها تأتي من شمال العرش، كما قال الحسين بن علي عليه السلام حيث سُئل لِمَ سُمّيت ريح

(١) بحار الأنوار.

(٢) بحار الأنوار.

الشمال قال: لأنّها تأتي من شمال العرش، بمعنى الجهة التي أصلها البارد اليابس، وهي قليلة البحار كثيرة البراري والجبال فتكتسب منها يبساً وتكون أشدّ هبوباً من الجنوب.

وريح الشمال تصحّ الأبدان وتصلّبها وتقوّي الأدمغة وتصفّي اللون وتصحح الحواس وتهيّج الشهوة، وتسدّ المسام وتقوّي الهضم وتعقل البطن وتدرّ البول، وتصحح الهواء العفن الملوّث، وقيل: إنّها تجعل أكثر أولادها ذكوراً.

ريح الجنوب

وهي حارة رطبة لأنّها تهبّ من خط الاستواء، وهناك الحرّ المفرط لأنّ الشمس تسامتها في السنة دفعتين ولا تتباعد عنها فتزداد بذلك حرّاً، ولهذا تكسر البرد وتذيب الثلج، فعن أبي عبد الله عليه السلام: **نِعم الريح الجنوب تكسر البرد عن المساكين وتلقح الشجر وتسيل الأودية.**

والجهة التي تهبّ منها كثيرة البحار فتكتسب من أبخرتها الرطوبة، ولهذا تكون مرخيّة للقوّة مفتحة للمسام، وتورث الأبدان الكسل وثقلاً في النوم والأسماع.

والعجيب أنّ اللواقح منها، وإذا هبّت على الماء الحارّ بردته، وقيل إنّ أكثر أولادها إناثاً.

ريح الصبا

وهذه الرياح يكون هبوبها في آخر الليل وأول النهار، فهي مائلة إلى البرد، لأنّها تمرّ على مواضع باردة فتبرد ببعد الشمس عنها باللّيل فتكون طيبة جداً إلاّ أنّ وقتها قليل لأنّ شعاع الشمس يسوقها من خلفها، فإذا طلعت الشمس أصبحت مقابلها فلا تزال كذلك تمرّ أمام الشمس تسخنها بحرّها وضيائها حتى تصير معتدلة، وهي النسيم السحري الذي يلتذّ به الإنسان ويطيب النوم عليه، ويجد المريض راحة عند هبوبها.

ريح الدبور

يكون هبوب هذه الرياح أول اللَّيل وآخر النهار، فالشمس تكون مدبرة عنها فلا تسخنها تسخين الصَّبا، وزمن هبوبها قليل لانقطاعها بعد أوّل اللَّيل، وهي أكثف وأغلظ من الصبا، وأرطب يسيراً لأنّها تجتاز البحار ولأنّ الشمس تخالفها بحركتها وهي أقلّ حرارة من الصبا وأميل إلى البرد وإن كانا كلاهما بالقياس إلى الرياح الجنوبية والشمالية معتدلين.

ريح العقيم

قال أبو جعفر عليه السلام في حديث: **وأمّا الريح العقيم فإنّها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الأرحام ولا شيئاً من النبات، وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع، وما خرجت منها ريح قطّ إلاّ على قوم عاد حين غضب اللَّه عليهم فأمر الخزان أن يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم، قال فعتت على الخزّان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد، فضجّ الخزّان إلى اللَّه عز وجلّ من ذلك، فقالوا ربّنا إنّها قد عتت عن أمرنا إنّا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك، وعمّار بلادك، قال فبعث اللَّه إليها جبرئيل عليه السلام، فاستقبلها بجناحه فردّها إلى موضعها، وقال لها اخرجي على ما أُمرت به، قال: فخرجت على ما أُمرت به وأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم.**

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **الرياح خمسة منها العقيم فتعوّذوا باللَّه من شرّها**[1].

ما في الهواء من عجائب المخلوقات

عن صفوان الجمّال قال: كنت بالحيرة مع أبي عبد اللَّه عليه السلام، إذ أقبل الربيع وقال أجب أمير المؤمنين، فلم يلبث أن عاد، قلت أسرعت الانصراف،

(١) بحار الأنوار.

قال: إنّه سألني عن شيء فاسأل الربيع عنه، فقال صفوان وكان بيني وبين الربيع لطف، فخرجت إلى الربيع وسألته، فقال: أخبرك بالعجب إنّ الأعراب خرجوا يجتنون الكماة فأصابوا في البرّ خلقاً ملقى فأتوني به فأدخلته على الخليفة، فلمّا رآه قال نحّه وادع جعفراً فدعوته، فقال يا أبا عبد اللّه أخبرني عن الهواء ما فيه، قال في الهواء موج مكفوف، قال ففيه سكّان، قال: نعم، قال: وما سكّانه، قال: خلق أبدانهم أبدان الحيتان ورؤوسهم رؤوس الطير، ولهم أعرفة كأعرفة الديكة ونغانغ كنغانغ الديكة وأجنحة كأجنحة الطير من ألوان أشدّ بياضاً من الفضة المجلوّة، فقال الخليفة: الطّشت فجئت بها وفيها ذلك الخلق، وإذا هو واللّه كما وصفه جعفر.

وعن محمّد بن طلحة في حديث، وكان معه أي مع المأمون بزاة فلمّا بعد عن العمارة، أخذ بازياً فأرسله على دراجة فغاب من عينه غيبة طويلة ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فعجب الخليفة من ذلك غاية العجب، ثم أخذها في يده وعاد في داره في الطريق الذي أقبل منه، فلمّا وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرّة، وأبو جعفر لم ينصرف ووقف كما وقف أولاً، فلمّا دنا منه الخليفة قال يا محمّد ما في يدي، فقال: إنّ اللّه خلق بمشيته في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيدها بزاة الملوك فيختبرون بها سلالة أهل النبوة فلما سمع المأمون كلامه عجب منه وجعل يطيل نظره إليه وقال أنت أنت ابن الرّضا حقّاً.

الزلازل وما يتعلّق بها

الزلزلة هي اهتزاز الأرض دفعة أو دفعات متوالية بالقوة الطبيعية، وهي تحصل غالباً في البقاع التي كانت فيها البراكين مشتعلة قديماً أو موجودة بها فعلاً.

أمّا أسباب حدوثها فقد قال الجيولوجيون: إنّ الأنهر التي تصبّ في البحار كثيراً ما تنقل معها كمية كبيرة من الأتربة الصخرية إلى البحر، وهذه الأتربة تتجمّع على الحافات الغائصة فتتجمع وتترسّب، وقد تبلغ ألوف الألوف من الأطنان من هذه المواد المترسّبة على تلك الحافات، حتى تصبح تلك الحافات متحملة لما لا قِبل لها على حمله، فتغوص أكثر فإذا غاصت لزم ذلك ارتفاع الأقسام المجاورة لها من الأراضي، وهكذا حتى تصبح حدود تلك القارات المتاخمة للبحر غير مستقرة ارتفاعاً وغوصاً، وقد يؤدّي عدم الاستقرار هذا إلى تولّد فتوق عظيمة في تلك البقاع تنتج عنها الزلازل والبراكين.

وقيل في سبب حدوث الزلزال: إنّ باطن الأرض لما كان مشتملاً على كتلة سائلة مضطرمة وكانت القشرة الأرضية كغلاف صلب لها فإنّه عندما يحصل اضطراب في هذا السائل الداخلي لا بدّ وأن يؤثّر في القشرة الخارجية، ومن هذا الأثر تحصل الزلزلة.

ومن الأسباب الغيبية لحدوث الزلازل قال أبو عبد الله عليه السلام حين سُئل عن الزلزلة: **ما هي؟ قال آية، قيل: ما سببها؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى وكّل**

بعروق الأرض ملكاً فإذا أراد اللّه أن يزلزل أرضاً، أوحىٰ إلى ذلك الملك أن حرّك عروق كذا وكذا، قال: فيحرّك ذلك الملك عروق تلك الأرض التي أمره اللّه، فتتحرّك بأهلها.

علامات الزلازل

إذا كانت في نيسان، نهاراً دلّ على حسن حال الفواكهة والعنب، وإن كان ليلاً ينتقلون الناس من أماكنهم.

وإن كانت في أيّار نهاراً دلّت على كثرة الرخص والخصب التام، والمطر في أكثر البلاد، وإن كانت ليلاً فموت يقع في الناس والبقر والغنم، وحرب تقع في خراسان.

وإن كانت في حزيران نهاراً دلّت على الغلاء في تلك السنة وقلّة المراعي، وإن كانت ليلاً تخرب مدينة بابل ويقع الموت في النساء، ويمرض خاصّة الملك، ويموت ملك نينوىٰ.

وإن كانت في تموز نهاراً، دلّت على موت رجل جليل القدر ببابل، وإن كانت ليلاً دلّت على أنّ في خراسان مرضاً وشرّاً عظيماً في أيام الحصاد.

وإن كانت في آب نهاراً دلّت على حسن حال الطعام وكثرة القتال، والسبي، وتظهر اللصوص، وإن كانت ليلاً دلّت على ظهور اللصوص وقطع الطريق وفوران الحروب.

وإن كانت في أيلول نهاراً دلّت على كثرة التناسل وحسن حال الغلاّت والثمار وموت رجل جليل القدر، وإن كانت ليلاً يقع الحرب.

وإن كانت في تشرين الأول نهاراً دلّت على ظهور ملك يستولي على الدنيا ويفتقر الأغنياء، وتستغني الفقراء، ويكون موت في خراسان، وإن كانت ليلاً يدلّ على إسقاط أهل الجبال.

وإن كانت في تشرين الثاني نهاراً دلّت على كثرة الأمراض.

وإن كانت في كانون الأول نهاراً دلّت على موت الحيوان.

وإن كانت في كانون الثاني دلّت على موت الأطفال، وكثرة الخيرات ويكون أمراض كثيرة، وإن كانت ليلاً دلّت على اضطراب الناس.

وإن كانت في شباط نهاراً دلّت على اتّصال الأمطار ومرض الأطفال، واجتماع الجيوش، وتعصى الأولاد على الآباء، ويقع الجوع والوباء، وإن كان ليلاً يدلّ على عموم الغمّ لسائر البلدان، ويكثر الشرّ والأمراض، ويموت رجل عظيم.

وإن كانت في آذار نهاراً تدلّ على كثرة اللصوص، ويقتل الملك، وتموت الناس، ثم يكون في آخر السنة فرح كثير، ويكثر الطعام، ويقع الجوع في بلاد الروم، ويكثر الموت في هذه السنة، وإن كان ليلاً يكون القتال بمصر وتكثر المياه ويظهر الموت في الناس، ويصلح حال الأشجار والثمار. تمّ والحمد لله[1].

---

(١) كشكول البحراني، اللوامع النورانية.

منافع النار وما يتعلق بها

في حديث المفضل قال أبي عبد اللّه عليه السلام : والنار أيضاً كذلك، فإنّها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه، ولما لَم يكن بدّ من ظهورها في الأحايين، لغنائها في كثير من المصالح، جعلت مخزونة في الأجسام، فتلتمس عند الحاجة إليها، وتمسك بالمادة والحطب ما احتيج إلى بقائها لِئَلاَّ تخبو فلا هي تمسك بالمادة والحطب، فتعظم المؤونة في ذلك، ولا تظهر مبثوثة، فتحرق كل ما هي فيه، بل هي على تهيئة وتقدير، اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها. ثمّ فيها خلّة أخرى وهي أنّها ممّا خصّ بها الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة، فإنّه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه، فأمّا البهائم فلا تستعمل النار، ولا تستمتع بها، ولما قدّر اللّه عزّ وجلّ أن يكون هذا هكذا، خلق للإنسان كفّاً وأصابع مهيئة لِقَدْح النار واستعمالها، ولم يعط البهائم مثل ذلك، لكنها أعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان عند فقدها.

وأُنبئك من منافع النار على خلّة صغيرة عظيم موقعها، وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس، فيقضون به حوائجهم ما شاؤوا في ليلهم ولولا هذه الخلة لكان الناس تُصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور، فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ، أو ينسج في ظلمة اللّيل، وكيف كان حال من عرض له وجع في وقت من أوقات اللّيل، فاحتاج إلى أن يعالج ضماداً أو سفوفاً، أو شيئاً يستشفي به.

فأما منافعها في نضج الأطعمة ودفاء الأبدان وتجفيف أشياء وتحليل أشياء وأشباه ذلك فأكثر من أن تحصىٰ وأظهر من أن تخفى[١].

وإنّ النار مخزونة وكائنة في الأجسام، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال حين سُئل، أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره؟ قال: يذهب ولا يعود قيل: ممّا أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات، وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً، قال عليه السلام لم تصب القياس إنّ النار في الأجسام كائنة، والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما بالآخر سطعت من بينهما نار تقتبس منها سراج له الضوء فالنار ثابتة في أجسامها والضوء ذاهب[٢].

وأما أنواع النار، سُئل عليه السلام عن النيران فقال: نار تأكل وتشرب ونار تأكل ولا تشرب ونار تشرب ولا تأكل ونار لا تأكل ولا تشرب، فالنار التي تأكل وتشرب فنار ابن آدم وجميع الحيوان، والتي تأكل ولا تشرب فنار الوقود، والتي تشرب ولا تأكل فنار الشجرة، والتي لا تأكل ولا تشرب فنار القداحة والحباحب[٣].

في أنّ نار الدنيا جزء من سبعين جزء من نار الآخرة، قال أبو عبد اللّه عليه السلام: إنّ ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنّم وقد أطفيت سبعين مرّة بالماء، ثم التهبت ولولا ذلك ما استطاع آدمي أن يطفيها، وأنّها ليؤتى بها يوم القيامة حتى توضع على النار فتصرخ صرخة لا يبقى ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل إلاّ جثى على ركبتيه فزعاً من صرختها[٤].

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) الحباحب ما تطاير من شرر النار في الهواء من تصادم الأحجار أو نحو ذلك.

(٤) البرهان في تفسير القرآن.

أقاليم الأرض

ذكر الحكماء أنّ هذا المعمور مقسّم على سبعة أقسام من الشمال إلى الجنوب وكلّ قسم منها يسمّى إقليماً، فالمعمور من الأرض كلّه سبعة أقاليم، كلّ إقليم منها آخذ من الغرب إلى الشرق على طوله والبحر الأعظم محيط بها وجبل ق وراء البحر وأطراف السماء عليه كأطراف الخيمة على وجه الأرض، وأنّ خضرة السماء من تلونه ولبعد المسافة تبين أنّها زرقاء.

ونذكر الأقاليم السبعة على الترتيب الذي رتّبه العلماء والفلكيون الأوائل.

الإقليم الأول

إقليم الهند ويبتدىء من المشرق من أقصى بلاد الصين فيمرُّ على بلاد الهند ثم على ساحل بحر السند إلى ناحية الجنوب فيمرّ على عمان ثم على اليمن وظفار وحضرموت وعدن وصنعاء وتبالة وجرش وما إلى تلك البلاد حتى يقطع البحر إلى جزيرة العرب فيأتي عليها، ثم يقطع بحر القلزم ويمرّ على بلاد الحبشة ويقطع نيل مصر ويمرّ على مدينة الحبشة وتسمّى جرمى وعلى مدينة النوبة وتسمّى دونقلة ـ وتكتب أيضاً دنقلة ـ ثم يمرّ في أرض المغرب على جنوب بلاد البربر إلى أن ينتهي إلى بحر الغرب الكبير.

وهذا الإقليم صحيح الهواء يورث صحّة الأجسام والحكمة، وله من البروج الجدي والدلو ومن النجوم زحل.

الإقليم الثاني

إقليم الحجاز يبتدىء من المشرق على بلاد الصين ثم يمرّ على بلاد الهند ثم على السند، وفيه مدينة الكافور ويقال لها الفنصورة ثم على الديبل ثم على البحر الأخضر، ويقطع جزيرة العرب في أرض نجد وتهامة، وفيه اليمامة والبحرين وهجر والمدينة ومكة والطائف وجدّة، ثم يقطع بحر القلزم ويمرّ بصعيد مصر فيقطع النيل ويمرّ على أسوان وإفميم ثم يمتدّ في أرض المغرب على وسط بلاد إفريقية ثم يمرّ على بلاد البربر وينتهي إلى البحر المحيط، ولهذا الإقليم من البروج القوس والحوت ومن النجوم المشتري.

الإقليم الثالث

إقليم الشام ومصر، يبتدىء من المشرق فيمرّ على بلاد الصين ثم على بلاد الهند ثم على شمالي بلاد السند ثم على بلاد كابل وسجستان ثم على سواحل بحر البصرة، وفيه مدينة اصطخر ونسا ونيسابور وشيراز وسيراف، ثم يمرّ على كور الأهواز والبصرة وبغداد والكوفة والأنبار وهيت ثم يمرّ على بلاد الشام وفي حمص ودمشق وصور وعكا وطبرية وعسقلان وغزة والقدس والرملة، ثم يقطع أسفل مصر ويمرّ على تنيس ودمياط والفسطاط والفيوم والاسكندرية، ثم يمرّ على بلاد المغرب ويدخل في سبتة حتى ينتهي إلى البحر الكبير.

وهذا الإقليم هواءه غليظ يورث الصفار ومرض من يسكنه من أهل المغرب الاستسقاء والبطن والغالب على الشام الدم، وله من البروج الحمل والعقرب ومن النجوم المريخ.

الإقليم الرابع

وهو إقليم العراق، ويقال له إقليم بابل، يبتدىء من المشرق فيمرّ على بلاد التبت ثم على خراسان وفرغانة وسمرقند وبلخ وبخاري وهراة ومَرو

وَسَرَخْسَ وطبرستان وطوس وجرجان وقومس وقزوين والري وأصفهان وقم وكاشان وهمدان ونهاوند والدينور وحلوان وشهرزود وسرّ من رأى والموصل وحرّان والرقة وقرقيسيا، ثم يمرّ على حلب وقنسرين وأنطاكية والمصيصة وأذنة وعمورية وطرسوس، ثم يمرّ في البحر على جزيرة قبرص ثم يمرّ ببلاد المغرب على طنجة وما والاها، ثم ينتهي إلى البحر الكبير، وله من البروج الأسد ومن النجوم الشمس.

الإقليم الخامس

وهو إقليم الروم، ويبتدىء من المشرق من بلاد يأجوج ومأجوج ثم يمرّ على شمال حران، وفيه من المدن خوارزم والشاش وأذربيجان وأرمينية، ثم يمرّ على بلاد الروم بأسرها ويقطع البحر إلى رومية وجزيرة الأندلس، ثم ينتهي إلى بحر المغرب، وله من البروج الثور والميزان ومن النجوم الزهرة.

الإقليم السادس

وهو إقليم يأجوج ومأجوج ويقال له إقليم الترك، يبتدىء من المشرق ويمرّ على بلاد يأجوج ومأجوج ثم على بلاد الخزر ثم على القسطنطينية ثم ينتهي إلى بلاد المغرب، وله من البروج الجوزاء والسنبلة ومن النجوم عطارد.

الإقليم السابع

إقليم الصين، تبتدىء من المشرق على شمال بلاد يأجوج ومأجوج ثم على بلاد الترك ثم على سواحل بحر جرجان ثم يقطع بحر الروم ويمرّ على بلاد الصقالية والقفجاق ثم بلاد البلغار وباشقرد وما والاها، وله من البروج السرطان ومن النجوم القمر.

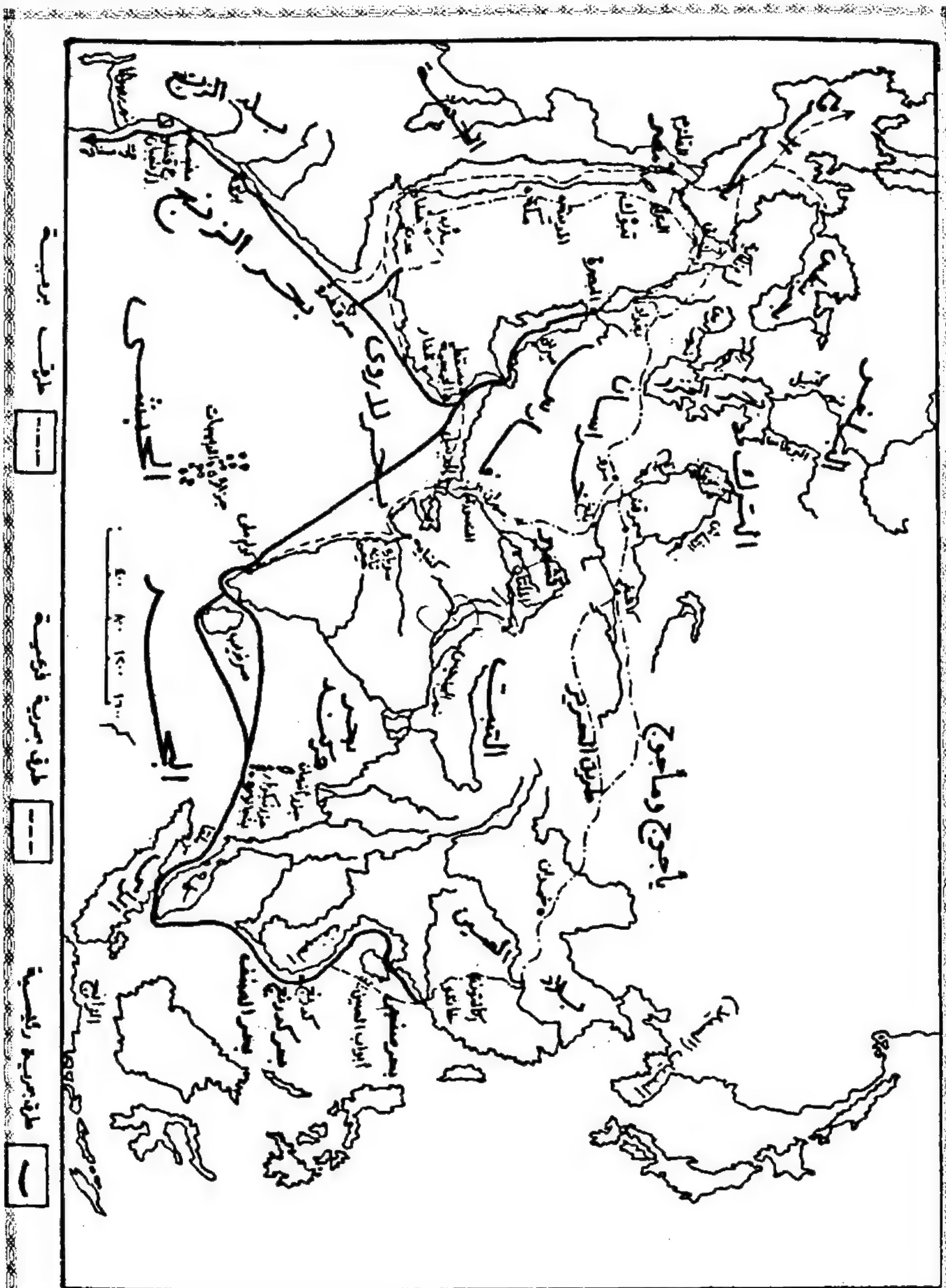

مخطط يبين موقع الأقاليم السبعة على عهد بني العباس

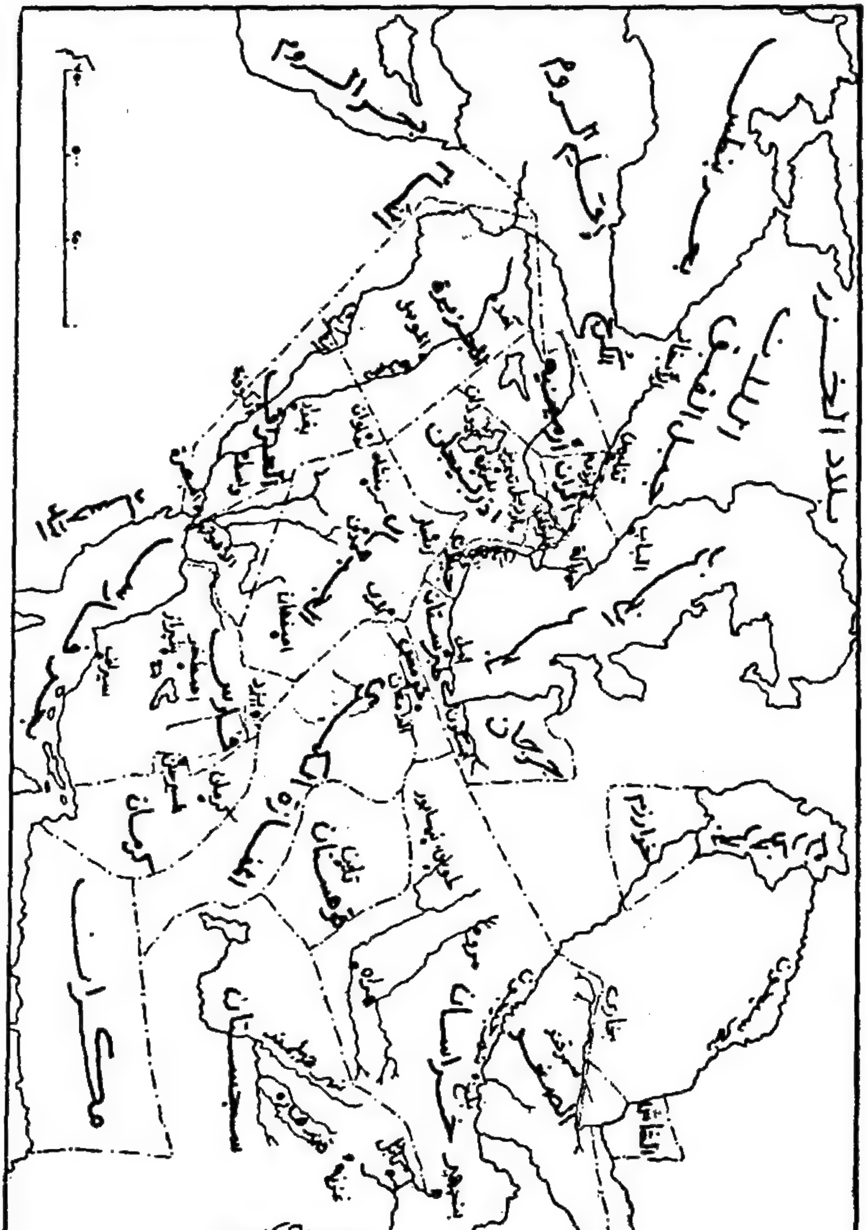

الأقاليم الجنوبية الغربية من قارة آسيا

في أحوال مساكن البلدان

إنّ المساكن تختلف أحوالها في الأبدان بسبب ارتفاعها وانخفاضها في أنفسها ولما يجاورها من ذلك، وحال تربتها هل هي طينية أو ذات منابع أو حمأة أو بها قوّة معدن، ولما لها من كثرة المياه وقلّتها، ولما يجاورها من الأشجار والمعادن والجبال وغيرها.

المساكن الحارة

تكون مسوّدة مغلغلة للشعور مضعفة للهضم، وإذا كثر فيها التبخر وقلّت الرطوبة، أسرع الهرم إلى أهلها، كما في الحبشة فإنّ أهلها يهرمون من بلادهم في ثلاثين سنة والمساكن الحارّة أهلها ألين أبداناً.

المساكن الباردة

يكون أهلها أقوى وأشجع وأحسن هضماً، وإن كانت رطبة كان أهلها لحميين شحميين غائري العروق جافي المفاصل غضّين بصنين.

المساكن الرطبة

يكون أهلها حسنو السحنات لينو الجلود يسرع إليهم الاسترخاء في رياضاتهم ولا يسخن صيفهم شديداً ولا يبرد شتاؤهم شديداً، وتكثر فيهم الحميّات المزمنة والإسهال ونزف الدم من الحيض والبواسير، وتكثر البواسير وتكثر القروح ويكثر فيهم الصرع.

المساكن اليابسة

يعرض لأصحابها أن تيبس أمزجتهم وتقحل جلودهم وتتشقق، ويسبق إلى أدمغتهم اليبس، ويكون صيفهم حارّاً وشتاؤهم بارد.

المساكن العالية

يكون سكّانها أصحّاء أقوياء أجلاد، طويلو الأعمار.

المساكن الغائرة

سكّان الأغوار يكونون دائماً في ومد وكمد أي غضب وهمّ وحزن، ومياههم غير باردة خصوصاً إن كانت راكدة، أو مياهاً بطيحيّة أو سبخية، ومياهها تكون بسبب هوائها رديئة.

المساكن الحجرية المكشوفة

هؤلاء يكون هواؤهم حارّاً شديداً في الصيف بارداً في الشتاء وتكون أبدانهم مدمجة كثيرة الشعر، تغلب عليهم اليبوسة، يسهرون وهم سيّئو الأخلاق، مستكبرون مستدبرون ولهم نجدة في الحروب وذكاء في الصناعات وحدة.

المساكن الجبلية الثلجية

سكّان المساكن الجبلية الثلجية، حكمهم حكم سكّان سائر البلدان الباردة، وتكون بلادهم بلاداً واسعة، ومادام الثلج باقياً تولّد منها رياح طيبة، فإذا ذابت وكانت الجبال بحيث تمنع الرياح عادت ومِدَة أي اشتدّ حرّها.

المساكن البحرية

وتكون هذه البلاد معتدل حرّها وبردها لاستعصاء رطوبتها على الانفعال وقبول ما ينفذ فيها، وتميل إلى الرطوبة أكثر، فإن كانت شمالية كان قرب البحر وغور المسكن أعدل لها، وإن كانت جنوبية حارّة فتكون ضد ذلك.

المساكن الشمالية

هذه المساكن في أحكام البلاد والفصول الباردة التي تكثر فيها أمراض الحقن والعصر وتكثر الأخلاط فيها مجتمعة في الباطن، ومن مقتضياتها جودة الهضم وطول العمر، ويكثر الرعاف فيهم لكثرة الامتلاء وقلة التحلّل فتتفجر العروق، ويسرع برء القروح في أبدانهم لقوتهم وجودة دمائهم، لأنّه ليس من سبب خارج يرخيها ويلينها، ولشدّة حرارة قلوبهم تكون فيهم الأخلاق السبعية.

المساكن الجنوبية

أحكامها أحكام البلاد والفصول الحارة، وأكثر مياهها يكون ملحاً كبريتياً، ورؤوس سكانها تكون ممتلئة مواد رطبة، وتكون أعضائهم مسترخية ضعيفة، وحواسهم ثقيلة وشهواتهم للطعام والشراب ضعيفة، ويعسر برء قروحهم، ويكثر في النساء نزف الحيض، والرجال اختلاف الدم والبواسير والرمد الرطب السريع التحلّل، ويصيبهم الحميّات الطويلة الشتوية والليلية، وتقلّ فيهم الحميّات الحارة لكثرة استفراغهم وتحلّل أخلاطهم.

المساكن المشرقية

وهي المدن المفتوحة إلى المشرق بحذائه، صحيّة جيدة الهواء تطلع عليهم الشمس في أول النهار ويصفو هواؤهم، ثم ينصرف عنهم وقد صفىٰ، وتهبّ عليهم رياح لطيفة ترسلها إليهم الشمس وتتبعها بنفسها وتتفق حركاتها.

المساكن المغربية

وهي المدن المكشوفة إلى المغرب المستورة عن المشرق لا توافيه الشمس إلى حين، وإذا توافيها تأخذ في البعد عنها لا في القرب إليها، فـ تلطف هواءها ولا تجففه بل تتركه رطباً غليظاً وإن أرسلت إلى المدينة ريا أرسلتها مغربية وليلاً، فتكون أحكامها أحكام البلاد الرطبة المزاج المعتدله الحرارة ولولا ما يعرض من كثافة الهواء لكانت تشبه طباع الربيع، لكنها تقصر

عن صحة هواء البلاد المشرقية قصوراً كثيراً، ولرطوبة هوائهم تكون أصواتهم باحة وخصوصاً في الخريف لنوازلهم. .

طبائع البلدان

الربع الأول المشرق، وجميع ما فيه حارّ رطب، وله الهواء والدم، وله ريح الجنوب، وزمانه الربيع، ويختصّ من الكواكب القمر والزهرة، وله من البروج الحمل والثور والجوزاء.

والربع الثاني المغرب، وجميع ما فيه رطب، وله الماء والبلغم، وله من الريح الدبور، وله الشتاء، ومن الكواكب عطارد والمشتري، ومن البروج الجدي والدلو والحوت.

والربع الثالث اليمين وجميع ما فيه حار يابس، وريحه الصبا، وله المرّة الصفراء والصيف، ومن الكواكب الشمس، ومن البروج الأسد والسرطان والسنبلة.

والربع الرابع شمالي وجميع ما فيه يابس وله التراب وله المرة السوداء، وله ريح الشمال، وله الخريف، ومن الكواكب زحل والمريخ ومن البروج الميزان والعقرب.

البلدان الممدوحة

إن الله تعالى فضّل بعض الأرضين على بعض، وجعل بعضها مقدّسة دون أخرى بإرادته ومقتضى قابليتها، قال تعالى: ﴿فاخلع نعليك إنّك بالوادي المقدّس طوى﴾[١]، ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها﴾[٢] ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾[٣]

---

(١) سورة طه: الآية ١٢.
(٢) سورة فصلت: الآية ١٠.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٣٧.

﴿ونجّيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾(١) ﴿فلمّا أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة﴾(٢).

وغيرها من الآيات التي تتحدّث عن البقع المباركة التي جعل اللّه لها شأن من الشأن، لأنّها سبقت غيرها بالإقرار بالولاية، والتي لم تقرّ أنزل اللّه عليها اللعنة وسوء المقام بها، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام: كل شيء لنا منه عدوّ فمن الأرض السبخة(٣).

مكة المكرمة

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لمكّة، ما أطيبك من بلدة وأحبّ إليّ، ولولا أنّ قومك أخرجوني منك ما خرجت(٤).

وعن عبد الرحمن بن سابط قال: لما أراد رسول اللّه صلى الله عليه وآله أن ينطلق إلى المدينة استلم الحجر وقام وسط المسجد والتفت إلى البيت، فقال إنّي لأعلم ما وضع اللّه في الأرض بيتاً أحبّ إليه منك، وما في الأرض بلد أحبّ إليه منك، وما خرجت عنك رغبة ولكن الذين كفروا هم أخرجوني(٥).

وقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: إنّ اللّه عزّ اسمه عرض ولايتك على السموات ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ: ثم عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكة فزيّنها بالكعبة، ثم سبقت إليها المدينة فزيّنها بي(٦).

وفي مسائل ابن سلام، قال ابن سلام سائلاً النبي صلى الله عليه وآله فأخبرني عن ثلاث من رياض الجنة في الأرض أين تكون، قال يا ابن سلام أوّلها مكّة وثانيها بيت المقدس وثالثها مدينة محمّد.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧١.
(٢) سورة القصص: الآية ٣٠.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.
(٤) عوالم العلوم.
(٥) عوالم العلوم.
(٦) عوالم العلوم.

وعن جابر الجعفي، عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال: إنّ اللّه اختار من الأرض جميعاً مكة واختار من مكّة بكّة، فأنزل في بكّة سرادقاً من نور محفوظاً بالدرّ والياقوت، ثم أنزل في وسط السرادق عمداً أربعة، وجعل بين العمد الأربعة لؤلؤة بيضاء وكان طولها سبعة أذرع في ترابيع البيت وجعل فيها نوراً من نور السرادق بمنزلة القناديل، وكان له أعمد أصلها في الثرى، والرؤوس تحت العرش وكان الربع الأول من زمرد أخضر، والربع الثاني من ياقوت أحمر، والربع الثالث من لؤلؤ أبيض، والربع الرابع من نور ساطع، وكان البيت ينزل فيما بينهم مرتفعاً من الأرض وكان نور القناديل يبلغ إلى موضع الحرم، وكان أكبر القناديل مقام إبراهيم، فكان القناديل ثلاثمائة وستين قنديلا، فالركن الأسود باب الرحمة إلى الركن الشامي فهو باب الإنابة، وباب الركن الشامي باب التوسّل وباب الركن اليماني باب التوبة وهو باب آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم وشيعتهم إلى الحجر فهذا البيت حجة اللّه في أرضه على خلقه، فلمّا هبط آدم إلى الأرض هبط على الصفا ولذلك اشتقّ اللّه له اسماً من اسم آدم، يقول اللّه ﴿إنّ اللّه اصطفى آدم﴾ ونزلت حوّا إلى المروة، فاشتقّ اللّه له اسماً من اسم المرأة ـ وساق الحديث إلى أن قال ـ: سأل ربّه أن يهبط البيت إلى الأرض فأهبِطَ، فصار على وجه الأرض، فكان آدم يركن إليه، وكان ارتفاعها عن الأرض سبعة أذرع وكانت لها أربعة أبواب وكان عرضها خمسة وعشرين ذراعاً ترابيعة، وكان السرادق مائتي ذراع في مأتي ذراع[1].

ومن أسماء مكّة، قال أبو عبد اللّه عليه السلام: أسماء مكّة أمّ القرى ومكّة وبكّة والبساسة كانوا إذا ظلموا بستهم أي أخرجتهم وهلكوا، وأم رحم، كانوا إذا لزموها رحموا[2].

وإنّ مكة وسط الدنيا، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم: الكلمات التي اختارهن اللّه لإبراهيم حيث بُني البيت، هي سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلاّ اللّه واللّه

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) روضة الواعظين.

أكبر، وسمّى الكعبة لأنّها وسط الدنيا، ومكّة أشرف البلدان وأفضل البقاع وأول أرض ظهرت على وجه الأرض(١).

وقال اللّه تعالى: ﴿إنّ أوّل بيت وُضع للنّاس للّذي ببكّة مباركاً﴾ فلما خلق اللّه تعالى طينة مكّة على وجه الماء دحى بعدها منها الأرضين وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾.

ورُوي: أنّ الطيور كلّها لا تطير فوق الكعبة تعظيماً لها(٢).

وإنّ مكّة والمدينة لا يدخلها الدّجال ومحفوظة من الطاعون، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام: إنّ الدجال لم يبق منهل إلاّ وطئه، إلاّ مكّة والمدينة، فإنّ على كلّ نقبٍ من أنقابها ملكاً يحفظها من الطاعون والدّجال(٣).

المدينة الطيبة

قال النبي صلى الله عليه وآله: أمرت بقرية، تأكل القرى، تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد(٤).

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: من مات في المدينة بعثه اللّه في الآمنين يوم القيامة(٥).

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: الصلاة في مسجدي تعادل ألف صلاة في غيره، إلاّ المسجد الحرام فإنّه أفضل منه(٦).

بيت المقدس

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

(١) روضة الواعظين.
(٢) روضة الواعظين.
(٣) روضة الواعظين.
(٤) عوالم العلوم.
(٥) روضة الواعظين.
(٦) الكافي.

الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انّه هو السميع العليم﴾[١].

قال النبي ﷺ: أربع مدائن من الجنة مكّة والمدينة، وبيت المقدس ومدينة بيت سيحان وجيحان يقال لها منصورة وهي مصيصة محفوظة بالملائكة[٢].

وعنه عليه الصلاة والسلام قال: أربع محفوظات مكّة والمدينة وبيت المقدس ونجران ومدينة الجنة[٣].

وفي مسائل ابن سلام للنبي ﷺ قال: أخبرني عن موضع الباب الذي فتح من السماء فنزلت منه الملائكة بالرحمة على بني إسرائيل أي موضع هو؟ قال مقابل الصخرة التي ببيت المقدس ومعراج الأنبياء فإنّ بيت المقدس بقعة جمع اللّه فيها خيار خلقه من الأنبياء والأولياء والملائكة المقرّبين[٤].

الكوفة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: مكّة حرم اللّه والمدينة حرم رسول اللّه والكوفة حرمي، لا يريدها جبّار يجوز فيها إلاّ قصمه اللّه.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: الكوفة هي الزكية الطاهرة فيها قبور النبيين والمرسلين وغير المرسلين والأوصياء الصادقين وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث اللّه نبيّاً إلاّ وقد صلّى فيها، وفيها يظهر عدل اللّه، وفيها يكون قائمه والقوام من بعده وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين[٥].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: نعم المدرة الكوفة يحشر من ظهرها سبعون ألفاً، وجوههم على صورة القمر[٦].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.
(٢) روضة الواعظين.
(٣) روضة الواعظين.
(٤) روضة الواعظين.
(٥) روضة الواعظين.
(٦) شجرة طوبى.

وقال عليه السلام: هذه مدينتنا ومحلتنا ومقرّ شيعتنا(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: تربة نحبها وتحبنا، اللّهمّ ارم من رماها وعاد من عاداها(٢).

وسُمع يقول: إنّ ولايتنا عرضت على السموات والأرض والجبال والأمصار، ما قبلها قبول أهل الكوفة(٣).

وأما ما جاء في مسجد الكوفة وفضله:

عن أبي جعفر عليه السلام قال: مسجد كوفان روضة من رياض الجنّة، صلّى فيه ألف نبي وسبعون نبيّاً، وميمنته رحمة وميسرته مكرمة، وفيها عصى موسى وشجرة يقطين وخاتم سليمان، ومنه فار التنور وبحرت السفينة وهي صرة بابل ومجمع الأنبياء عليهم السلام(٤).

وقال عليه السلام: لو يعلم الناس ما في مسجد الكوفة لأعدّوا له الزّاد والراحلة من مكان بعيد، وقال: صلاة فريضة فيه تعدل حجّة ونافلة فيه تعدل عمرة(٥).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: النافلة في هذا المسجد تعدل عمرة مع النبي صلى الله عليه وآله والفريضة فيه تعدل حجة مع النبي صلى الله عليه وآله، وقد صلّى فيه ألف نبي وألف وصي(٦).

وعن هارون ابن خارجة قال قال أبو عبد الله عليه السلام: أتصلّي الصّلاة كلّها في مسجد الكوفة، قلت: لا، قال أما لو كنت بحضرته لرجوت أن لا تفوتني فيه صلاة، قال وتدري ما فضله قلت: لا قال ما من عبد صالح ولا نبي إلاّ وقد

---

(١) شجرة طوبى.
(٢) شجرة طوبى.
(٣) عوالم العلوم.
(٤) روضة الواعظين.
(٥) كامل الزيارات.
(٦) كامل الزيارات.

صلّى في مسجد الكوفان حتى أنّ رسول اللّه ﷺ لما أُسري به قال له جبرئيل عليه السلام أتدري أين أنت الساعة يا محمّد قال: لا قال: أنت مقابل مسجد كوفان، فقال استأذ ربّك حتى أهبط فأصلّي فيه، فاستأذن فأذن له، فهبط فصلّى فيه ركعتي، وإنّ الصلاة المكتوبة فيه تعدل بألف صلاة، وأنّ النافلة فيه تعدل بخمسمائة صلاة، وأنّ مقدمه لروضة من رياض الجنّة، وأنّ ميمنته روضة من رياض الجنّة، وأنّ ميسرته روضة من رياض الجنّة، وأنّ مؤخره روضة م رياض الجنّة، وأنّ الجلوس فيه بغير صلاة ولا ذكر لعبادة، ولو علم الناس ما فيه لأتوه ولو حبواً[1].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو في مسجد الكوفة فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللّه وبركاته فردّ عليه السلام، فقال: جُعلت فداك إنّي أردت المسجد الأقصى فأردت أن أسلّم عليك وأودّعك، فقال أيّ شيء أردت بذلك، فقال الفضل جُعلت فداك قال: قِبْع راحلتك وكل زادك، وصلّ في هذا المسجد فإنّ الصلاة المكتوبة فيه حجّة مبرورة والنافلة عمرة مبرورة، والبركة منه على اثنى عشر ميلاً، يمينه يمن ويسراه مكر، وفي وسطه عين من دهن وعين من لبن وعين من ماء شراباً للمؤمنين وعين من ماء طهور للمؤمنين، منه سارت سفينة نوح وكان فيه نسر ويغوث ويعوق، وصلّى فيه سبعون نبيّاً وسبعون وصيّاً، أنا أحدهم، وقال بيده في صدره ما دعىٰ فيه مكروب بمسألة في حاجة من الحوائج إلاّ أجابه اللّه وفرّج عنه كربه[2].

ومن البقع التي خصّها اللّه بالفضل في الكوفة مسجد سهيل المعروف بالسّهلة:

عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد اللّه عليه السلام أو عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له: أيّ بقاع الأرض أفضل بعد حرم اللّه عزّ وجلّ، وحرم رسوله ﷺ

(١) كامل الزيارات.
(٢) كامل الزيارات.

فقال الكوفة يا أبا بكر هي الزكيّة الطاهرة، فيها قبور النبيين والمرسلين، وقبور غير المرسلين، والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهيل الذي لم يبعث اللّه نبيّاً إلاّ وقد صلّى فيه، ومنها يظهر عدل اللّه، وفيها يكون قائمه، والقوام من بعده، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين[١].

وعن علي بن حسان عن عمّه عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال سمعته يقول لأبي حمزة الثمالي: يا أبا حمزة هل شهدت عمّي ليلة خرج، قال: نعم، قال: فهل صلّى في مسجد سهيل، قال وأين مسجد سهيل لعلك تعني مسجد السّهلة، قال: نعم، أمّا أنّه لو صلّى فيه ركعتين ثم استجار اللّه لأجاره سنة، فقال له أبو حمزة بأبي أنت وأمّي هذا مسجد السّهلة، قال: نعم فيه بيت إبراهيم الذي كان يأتي منه إلى العمالقة، وفيه بيت إدريس الذي كان يخيط فيه، وفيه مناخ الراكب وفيه صخرة خضراء فيها صور الأنبياء وتحت الصخرة الطينة التي خلق اللّه عزّ وجلّ منها النبيين، وفيها المعراج وهو الفاروق الأعظم موضع منه وهو ممرّ الناس وهو من كوفان، وفيه ينفخ في الصور وإليه المحشر يحشر من جانبه سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب أولئك الذين أفلح اللّه حججهم وضاعف نعمهم فإنّهم المستبقون الفائزون القانتون يحبّون أن يدرأوا عن أنفسهم المفخر، ويحلّون بعدل اللّه عن لقائه وأسرعوا في الطاعة، فعملوا وعلموا أنّ اللّه بما يعملون بصير، ليس عليهم حساب ولا عذاب، يُذهب الضغن يطهّر المؤمنين، ومن وسطه سار جبل الأهواز وقد أتىٰ عليه زمان وهو معمور[٢].

كربلاء

عن أبي جعفر عليه السلام قال: خلق اللّه تبارك وتعالى أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدّسها وبارك عليها، فمازالت قبل أن

---

(١) كامل الزيارات.

(٢) كامل الزيارات.

يخلق اللّه الخلق مقدّسة مباركة ولاتزال كذلك حتى يجعلها اللّه أفضل أرض في الجنّة، وأفضل منزل ومسكن يُسكن اللّه فيه أوليائه في الجنّة(١).

وعن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إتّخذ اللّه أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق اللّه أرض الكعبة ويتّخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وأنّه إذا زلزل اللّه تبارك وتعالى الأرض وسيّرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية، فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنّة، وأفضل مسكن في الجنّة لا يسكنها إلاّ النبيّون والمرسلون (وأولوا العزم من الرُّسل) وإنها لتزهر بين رياض الجنّة كما يزهر الكوكب الدرّي بين الكواكب لأهل الأرض، يغشى نورها أبصار أهل الجنّة جميعاً وهي تنادي أنا أرض اللّه المقدّسة الطيبة المباركة التي تضمنت سيّد الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة(٢).

وقال صفوان الجمّال سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول: إنّ اللّه تبارك وتعالى فضّل الأرضين والمياه بعضها على بعض، فمنها ما تفاخرت، ومنها ما بغت، فما من ماء ولا أرض إلاّ عوقبت لتركها التواضع للّه، حتى سلّط اللّه المشركين علىٰ الكعبة وأرسل إلى زمزم ماءً مالحاً حتى أفسد طعمه، وأنّ أرض كربلاء وماء الفرات أوّل أرض وأوّل ماء قدّس اللّه تبارك وتعالى فبارك اللّه عليها، فقال لها تكلّمي بما فضّلك اللّه تعالى، فقد تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض، قالت أنا أرض اللّه المقدّسة المباركة الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك، ولا فخر على من دوني، بل شكراً للّه، فأكرمها وزاد في تواضعها وشكرها اللّه بالحسين عليه السلام وأصحابه، ثم قال أبو عبد اللّه عليه السلام من تواضع للّه رفعه اللّه ومن تكبّر وضعه اللّه تعالى(٣).

وقال عليه السلام: إنّ أرض الكعبة قالت من مثلي وقد بنى اللّه بيته على ظهري، ويأتيني الناس من كلّ فجٍّ عميق، وجُعلت حرم اللّه وأمنه، فأوحىٰ اللّه

---

(١) روضة الواعظين.

(٢) كامل الزيارات.

(٣) كامل الزيارات.

إليها أن كفّي وقرّي فوعزّتي وجلالي، ما فضل ما فُضّلت به فيما أعطيت به أرض كربلاء إلاّ بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضّلتك ولولا ما تضمنته أرض كربلاء لما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به فقرّي واستقرّي وكوني دنيّاً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلا وإلاّ سخت بك وهويت بك في نار جهنّم[١].

وعن أبو جعفر قال: الغاضرية هي البقعة التي كلّم اللّه فيها موسىٰ بن عمران عليه السلام، وناجىٰ نوحاً فيها، وهي أكرم أرض اللّه عليه، ولولا ذلك ما استودع اللّه فيها أوليائه وأنبيائه[٢].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: موضع قبر الحسين عليه السلام من يوم دفن روضة من رياض الجنّة ومنه معراج يعرج بأعمال زوّاره إلى السماء، فليس ملك في السماء ولا في الأرض إلاّ وهم يسألون اللّه في زيارة قبر الحسين عليه السلام ففوج ينزل وفوج يعرج[٣].

قم

عن الصادق عليه السلام، قال: حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه عليهم السلام قال، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء حملني جبرئيل على كتفه الأيمن فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء، أحسن لوناً من الزعفران وأطيب ريحاً، من المسك، فإذا فيها شيخ على رأسه بُرنس، فقلت لجبرئيل ما هذه البقعة الحمراء التي هي أحسن لوناً من الزعفران وأطيب ريحاً من المسك، قال بقعة شيعتك وشيعة وصيّك عليّ عليه السلام، فقلت: من الشيخ صاحب البُرنس، قال إبليس، قلت: فما يريد منهم قال: يريد أن يصدّهم عن ولاية أمير

---

(١) كامل الزيارات.
(٢) كامل الزيارات.
(٣) روضة الواعظين.

المؤمنين عليه السلام ويدعوهم إلى الفسق والفجور، فقلت: يا جبرئيل أهوِ بنا إليهم، فأهوىٰ بنا إليهم أسرع من البرق الخاطف والبصر اللامح، فقلت: قم يا ملعون، فشارك أعداءهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم، فإنّ شيعتي وشيعة علي ليس لك عليهم سلطان فسميت قم[١].

ورُوي عن عدّة من أهل الرّي أنّهم دخلوا على أبي عبد اللّٰه عليه السلام، وقالوا نحن من أهل الرّي، فقال عليه السلام مرحباً بإخواننا من أهل قم، فقالوا نحن من أهل الرّي، فأعاد عليه السلام الكلام، قالوا ذلك مراراً وأجابهم عليه السلام بمثل ما أجابه به أولاً، ثم قال عليه السلام: إنّ للّٰه حرماً وهو مكّة، وأنّ لرسوله صلى الله عليه وآله حرماً وهو المدينة، وأنّ لأمير المؤمنين عليه السلام حرماً وهو الكوفة، وأنّ لنا حرماً وهو بلدة قم، وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمّى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنّة قال الراوي وكان هذا الكلام منه عليه السلام قبل أن يولد الكاظم.

وعن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: محشر الناس كلّهم إلى بيت المقدس، إلاّ بقعة بأرض الجبل، ويقال لها قم، فإنّهم يحاسبون في حفرهم ويحشرون من حفرهم إلى الجنّة، ثم قال: أهل قم مغفور لهم، قيل: فوثب الرجل قال: يابن رسول اللّٰه، هذا خاصّة لأهل قم، قال: نعم ومن يقول بمثل مقالتهم[٢].

وعنه عليه السلام قال: تربة قم مقدّسة وأهلها منّا ونحن منهم، لا يريدهم جبّار بسوء إلاّ عجّلت عقوبته نار جهنّم[٣].

وقال عليه السلام: قم بلدنا وبلد شيعتنا مطهّرة مقدّسة قبلت ولايتنا أهل البيت لا يريدهم جبّار بسوء إلاّ عجلت عقوبته، ما لم يخونوا إخوانهم، فإذا فعلوا ذلك سلّط اللّٰه عليهم جبابرة سوء اما أنهم أنصار قائمنا ودعاة حقّنا ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: اللّهمّ اعصمهم من كلّ فتنة ونجّهم من كلّ هلكة.

---

(١) عوالم العلوم.
(٢) عوالم العلوم.
(٣) عوالم العلوم.

بعض عجائب البلدان

طليطلة

وهي مدينة واسعة الأقطار عامرة الديار، أزلية من بناء عمالقة عاد الأولىٰ، ولها أسوار حصينة لم ير مثلها اتقاناً أو متاعاً، ولها قصبة عظيمة وهي على ضفّة البحر الكبير يشقها نهر يسمّى باجه، ولها قنطرة عجيبة وهي قوس واحد، والماء يدخل من تحته يجري بشدّة، وفي آخر النهر ناعورة طولها تسعون ذراعاً بالرشاشي، يصعد الماء إلى أعلى القنطرة فيجري على ظهرها ويدخل إلى المدينة.

وكانت طليطلة دار مملكة الروم، وكان فيها قصر مقفل أبداً، وكلّما تملّك فيها ملك من الروم أقفل عليه قفلاً محكماً، فاجتمع على باب القصر أربعة وعشرون قفلاً، ثم وليّ الملك رجل ليس من بيت الملك، فقصد فتح القصر، فقالوا له بعض الرهبان والحكماء، إنّ آخر ملوك الأندلس يفتح على يديه، وحذّروه، وجهدوا به فأبى إلاّ فتحها، فأزال الأقفال وفتح الباب فوجد فيها صور العرب على خيلها وجمالها وعليهم العمائم المسبلة متقلّدين السيوف، وبأيديهم الرماح الطوال والعصيّ، ووجد كتاباً فيه: إذا فتح هذا الباب تغلّب على هذه الناحية قوم من الأعراب على صفة هذه الصّور، فالحذر من فتحه الحذر.

ففتحت في تلك السنة الأندلس في زمان حكم الوليد بن عبد الملك،

وقتل طارق بن زياد ذلك الملك شرّ قتلة، ونهب ماله وسبى من بها، وغنم أموالها ووجد بها ذخائر عظيمة، من بعضها مائة وسبعون تاجاً من الدرّ والياقوت والأحجار النفيسة، وإيواناً تلعب فيه الرّماحة بأرماحهم قد مليء من أواني الذهب والفضة ممّا لا يحيط به وصف، ووجد بها المائدة التي لنبي الله سليمان بن داود عليه السلام وكانت على ما ذكر من زمرّد أخضر، وأوانيها من الذهب وصحائفها من اليَشْم والجزع، ووجد أيضاً الزبور بخط يوناني في ورق من ذهب مفصّل بجوهر، ووجد مصحفاً محلّى فيه منافع الأحجار والنبات والمعادن واللغات والطلاسم وعلم السيمياء والكيمياء.

ووجد مصحفاً فيه صناعة أصباغ الياقوت والأحجار وتركيب السموم والترياقات، وصورة شكل الأرض والبحار والبلدان والمعادن والمسافات، ووجد قائمة كبيرة مملوءة من الإكسير، يرد الدرهم منه ألف درهم من الفضة ذهباً إبريزاً.

ووجد مرآة مستديرة عجيبة من أخلاط، قد صنعت لسليمان عليه السلام، إذا نظر الناظر فيها رأى الأقاليم السبعة فيها عيداناً، ووجد مجلساً فيه من الياقوت حمل بعير.

وبطليطلة بساتين محدقة وأنهار مغدقة ورياض وفواكه مختلفة الطعوم والألوان، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة ورساتيق مريعة وضياع وسيعة وقلاع منيعة.

صحراء الغرب شنترية

بها قوم من البربر وأخلاط العرب، وبها معدن الحديد والبريم، ويحكى أنّ بها مدناً عظيمة مطلسة من أعمال الحكماء، لا تظهر إلاّ صدفة.

فمنها ما حكى أنّ رجلاً أتى عمر بن عبد العزيز وكان يومئذٍ عامل على مصر، فعرّفه أنّه رأى في صحراء الغرب بالقرب من شنترية، وقد أوغل فيها في طلب جمل له ندّ منه، مدينة قد خرب الأكثر منها وأنّه قد وجد فيها شجرة

عظيمة بساق غليظ تثمر من جميع أنواع الفواكه، وأنّه أكل منها كثيراً وتزوّد، فقال له رجل من القبط، هذه إحدى مدينتي هرمس الهرامسة وبها كنوز عظيمة.

فوجّه عمر مع ذلك الرجل جماعة من ثقاته واستوثقوا من الزاد والماء عن شهر، وطافوا تلك الصحارى مراراً فلم يقفوا على شيء من ذلك.

وحكي أنّ موسى بن نصير لمّا قُلّد الغرب، أخذ في السير على ألواح الأقصى بالنجوم والطوالع، وكان عارفاً بها، فأقام سبعة أيام يسير في الرمال بين مهبّ الغرب والجنوب، فظهرت له مدينة عظيمة لها حصن عظيم بأبواب من حديد، فرام أن يفتح باباً منها فلم يقدر، وأعياه ذلك لغلبة الرمال عليها، فأصعد رجلاً إلى أعلاه فكان كلّ من صعد ونظر إلى المدينة صاح ورمى بنفسه إلى داخلها ولا يعلم ماذا يصيبه ولا يراه أحد، فلم يجد له حيلة، فتركها ومضىٰ.

الأحقاف

هي تلال من الرمل التي بين حضرموت وعُمان، وهي قرى متفرّقة، ورُوي عن عبد الله بن قلابة أنّه خرج في طلب إبل له شردت، فبينما هو في صحارى بلاد اليمن وأرض سبأ، إذ وقع على مدينة عظيمة بوسطها حصن عظيم، وحوله قصور شاهقة في الجوّ، فلمّا دنا منها ظنّ أنّ بها سكاناً أو أُناساً يسألهم عن إبله، فإذا هي قفر ليس بها أنيس ولا جليس، قال: فنزلت عن ناقتي وعقلتها ثم استللت سيفي ودخلت المدينة ودنوت من الحصن، فإذا ببابين عظيمين لم يُرَ في الدنيا مثلهما في العظم والارتفاع، وفيهما نجوم مرصّعة من ياقوت أبيض وأصفر يضيء بها ما بين الحصن والمدينة، فلمّا رأيت ذلك تعجّبت منه وتعاظمني الأمر، فدخلت الحصن وأنا مرعوب ذاهب اللُّب، وإذا الحصن كمدينة في السعة، وبه قصور شاهقة وكلّ قصر منها معقود على عمد من زبرجد وياقوت، وفوق كلّ قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف أيضاً، وكلّها مبنية بالذهب والفضة مرصّعة باليواقيت الملوّنة والزبرجد واللؤلؤ، ومصاريع تلك القصور كمصاريع الحصن في الحسن والترصيع. وقد فرشت أراضيها باللؤلؤ الكبار وبنادق المسك والعنبر والزعفران، فلمّا عاينت ما عاينت

من ذلك، ولم أرَ مخلوقاً كدت أن أصعق، فنظرت من أعالي الغرف فإذا بأشجار على حافات أنهار تخرق أزقتها وشوارعها، منها ما أثمرت ومنها ما لم تثمر، وحافات الأنهار مبنية بلبن من فضة وذهب، فقلت: لا شكّ أنّ هذه الجنّة الموعود بها في الآخرة، فحملت من تلك البنادق واللؤلؤ ما أمكن، وعدت إلى بلادي وأعلمت الناس بذلك.

فبلغ الخبر معاوية بن أبي سفيان وكان يومئذٍ هو المتسلّط بالحكم، فكتب إلى عامله بصنعاء أن يجهزني إليه فوفدت عليه، فاستخبرني عمّا سمع من أمري فأخبرته فأنكر معاوية أخباري، فدفعت له من ذلك اللؤلؤ وقد اصفرّ وتغيّر، وكذلك بنادق العنبر والزعفران والمسك، ففتحها فإذا فيها بعض رائحته، فبعث معاوية إلى كعب الأحبار، فلمّا حضر قال له: يا كعب إني دعوتك لأمر أنا من تحقيقه على قلق ورجوت أن يكون علمه عندك، فقال: وما هو الأمر؟ قال معاوية: هل بلغك أنّ في الدنيا مدينة مبنية من ذهب وفضة عمدها من زبرجد وياقوت وحصباؤها لؤلؤ وبنادق مسك وعنبر وزعفران؟ قال: نعم، هي إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، بناها شداد بن عاد الأكبر.

قال معاوية: حدثنا من حديثها، قال كعب: إنّ عاداً الأول كان له ولدان شديد وشداد، فلمّا هلك ملكا بعده البلاد، ولم يبق أحد من ملوك الأرض إلاّ دخل في طاعتهما، فمات شديد بن عاد، فملك شداد الملك بعده على الانفراد، وكان مولعاً بقراءة الكتب القديمة، وكلّما مرّ به ذكر الجنّة وما فيها من القصور والأشجار والثمار، وغيرهما ممّا في الجنة، دعته نفسه أن يبني مثلها في الدنيا عتوّاً على اللّه عزّ وجلّ فأصرَّ على ابتنائها، فوضع مائة ملك تحت يد كلّ ملك ألف قهرمان[1]، ثم قال انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها فأبنوا لي مدينة من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت ولؤلؤ، واجعلوا تحت عقود تلك المدينة أعمدة من زبرجد وأعاليها قصوراً وفوق القصور غرفاً مبنية من الذهب والفضة، واغرسوا تحت تلك القصور في أزقتها وشوارعها أصناف الأشجار

---

(١) القهرمان: أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخرجه.

المختلفة والثمار وأجروا تحتها الأنهار في قنوات من الذهب والفضة النضار، فإني أسمع في الكتب القديمة والأسفار صفة الجنّة في الآخرة والعقبى، وأنا أحبّ أن أجعل لي مثلها في الدنيا.

فقالوا بأجمعهم: كيف نقدر على ما وصفت، وكيف لنا بالزبرجد والياقوت الذي ذكرت، فقال لهم: ألستم تعلمون أنّ ملك الدنيا كلّها لي وبيدي، وكلّ من فيها طوع أمري، قالوا: نعم نعلم ذلك، قال: فانطلقوا إلى معادن الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والفضة والذهب فاستخرجوها واحتفروا ما بها ولا تبقوا مجهوداً في ذلك، ومع ذلك فخذوا ما في أيدي العالم من أصناف ذلك، ولا تبقوا ولا تذروا واحذروا وانذِروا.

وكتب كتبه إلى كلّ ملك في الدنيا وجهاتها وأقطارها يأمرهم فيها أن يجمعوا ما في بلادهم من أصناف ما ذكر، وأن يحتفروا معادنها ويستخرجوها من التراب والصخور والمعادن والأحجار وقعور البحار، فجمعوا ذلك في عشر سنين، وكان عدد الملوك المبتلين بجمع ذلك ثلاثمائة وستين ملكاً، وخرج المهندسون والفعلة والحكماء والصنّاع من سائر البلاد والبقاع والبراري، وتبددوا في البراري والقفار والجهات والأقطار حتى وقفوا على صحراء عظيمة فيحاء نقية خالية من الآكام والجبال والأودية والتلال، وبها عيون مطردة وأنهار متجعدة، فقالوا: هذه صفة الأرض التي أمرنا بها ونبذنا إليها، فاختطّوا بفنائها بقدر ما أمرهم به شداد ملك الأرض، وأجروا فيها قنوات الأنهار ووضعوا الأسس على المقدار، وأرسلت إليهم ملوك الأقطار بالجواهر والأحجار واللؤلؤ الكبار والعِقيان النضار على الجمال في البراري والقفار وفي البحر حمّلوا بها السفن الكبار ووصل إليها من تلك الأصناف ما لا يوصف ولا يعدّ ولا يحصىٰ ولا يكيّف.

فأقاموا في عمل ذلك ثلاثمائة سنة جداً من غير تعطيل أبداً، وكان شداد قد عَمر في العمر تسعمائة سنة، فلمّا فرغوا من عمل ذلك أتوه وأخبروه بالإتمام، فقال لهم شداد انطلقوا واجعلوا عليها حصناً منيعاً شاهقاً رفيعاً،

واجعلوا حول الحصن قصوراً، عند كلّ قصر ألف غلام، ليكون في كل قصر منها وزير من وزرائي، فمضوا وفعلوا ذلك في عشر سنين ثم حضروا بين يدي شداد وأخبروه بحصول القصد والمراد، فأمر وزراءه وهم ألف وزير وأمر خاصته ومن يثق بهم من الجنود وغيرهم، أن يستعدوا للرحلة ويتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد تحت ركاب ملك الدنيا شداد، وأمر من أراد من نسائه وحرمه وجواريه وخدمه أن يأخذوا في الجهاد، فأقاموا في أخذ الأهبة لذلك عشرين سنة.

ثم سار شداد بمن معه من الأحشاد مسروراً ببلوغ المراد، حتى إذا بقي بينه وبين إرم ذات العماد مرحلة واحدة، أرسل اللّه عليه وعلى من معه من الأمة الكافرة الجاحدة صيحة من سماء قدرته، فأهلكتهم جميعاً بسوط عظمته وسطوته، ولم يدخل شداد ومن معه إليها ولا رأوها ولا أشرفوا عليها، ومحا اللّه آثار طرقها ومحجتها، فهي مكانها حتى الساعة على هيئتها.

بعض المدن المحجوبة عن الأنظار

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: **إنّ للّه مدينة خلف البحر سعتها مسيرة أربعين يوماً للشمس، فيها قوم لم يعصوا اللّه قطّ ولا يعرفون إبليس**[١].

وعن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن ميراث العلم، ما مبلغه، أجوامع هو من هذا العلم أم تفسير كلّ شيء من هذه الأمور التي نتكلّم فيها؟ فقال: **إنّ للّه عزّ وجلّ مدينتين مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب فيها قوم لا يعرفون إبليس، ولا يعلمون بخلق إبليس نلقاهم كلّ حين فيسألوننا عمّا يحتاجون إليه ويسألوننا عن الدعاء فنعلّمهم ويسألوننا عن قائمنا متى يظهر، فيهم عبادة واجتهاد شديد، لمدينتهم أبواب ما بين المصراع إلى المصراع مائة فرسخ، لهم تقديس وتمجيد ودعاء واجتهاد شديد لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم، يصلّي الرجل منهم شهراً لا يرفع رأسه من سجدة، طعامهم التسبيح، ولباسهم الورق،**

---

(١) بحار الأنوار.

ووجوههم مشرقة بالنور، وإذا رأوا منّا واحداً يخشوه واجتمعوا له وأخذوا من أثره من الأرض يتبرّكون به، لهم دوي إذا صلُّوا كأشدِّ من دوي الرِّيح العاصف منهم جماعة لم يضعوا السلاح مذ كانوا ينتظرون قائمنا يدعون اللّه عزّ وجلّ أن يريهم إيّاه، وعمر أحدهم ألف سنة، إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقرّبهم إلى اللّه عزّ وجلّ، إذا احتبسنا عنهم ظنّوا ذلك من سخط، يتعاهدون أوقاتنا التي نأتيهم فيها لا يسأمون ولا يفترون يتلون كتاب اللّه عزّ وجلّ كما علمناهم، وانّ فيما نعلمهم ما لو تليَ على الناس لكفروا به، ولا يكرهونه، يسألون عن الشيء إذا ورد عليهم في القرآن لا يعرفونه فإذا أخبرناهم به انشرحت صدورهم لما يسمعون منّا، وسألوا لنا البقاء وأن لا يفقدونا ويعلمون أنّ المنّة من اللّه عليهم فيما نعلمهم عظيمة، ولهم خرجة مع الإمام إذا قام يسبقون فيها أصحاب السلاح، ويدعون اللّه عزّ وجلّ أن يجعلهم ممن ينتصر به لدينه، فهم كهول وشبّان، إذا رأى شابٌ منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتى يأمر لهم الطريق، هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام عليه السلام فإذا أمرهم الإمام بأمر قاموا إليه أبداً حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره. لو أنّهم وردوا ما بين المشرق والمغرب من الخلق لأفنوهم في ساعة واحدة لا يحتك فيهم الحديد لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقدّه حتى يفصله في ساعة، يَغبر بهم الإمام عليه السلام الهند والديلم والروم وتور وفارس وما بين جابا إلى جابلقا وهما مدينتان واحدة بالمشرق وواحدة بالمغرب، لا يأتون على أهل دين إلاّ دعوهم إلى اللّه عزّ وجلّ، وإلى الإسلام والإقرار بمحمّد صلى الله عليه وآله والتوبة وولايتنا أهل البيت فمن أجاب منهم ودخل في الإسلام تركوه، وأمّروا عليهم أميراً منهم، ومن لم يجب ولم يقرّ لمحمّد صلى الله عليه وآله ولم يقرّ بالإسلام ولم يسلم قتلوه حتى لا يبقىٰ بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلاّ آمن[١].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

وادي برهوت

يكون هذا الوادي في حضرموت باليمن، وهو من أودية جهنّم تجتمع فيه أرواح الكفّار والمنافقين، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ من وراء اليمن وادياً يقال له وادي برهوت ولا يجاوز ذلك الوادي إلاّ الحيّات السود والبوم من الطير، في ذلك الوادي بئر يقال له بلهوت يُغدىٰ ويراح إليها بأرواح المشركين يسقون من ماء الصديد.

وسُئل عليه السلام عن أكرم واد على وجه الأرض فقال: واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء، وسُئل عن شرّ واد على وجه الأرض فقال وادياً باليمن يقال له برهوت وهو من أودية جهنّم[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال في حديث: وإنّ للّه ناراً في المشرق وخلقها ليسكنها أرواح الكفّار ويأكلون من زقومها ويشربون من حميمها ليلهم، وإذا طلع الفجر هاجب إلى واد باليمن يقال له برهوت أشدّ حرّاً من نيران الدنيا، كانوا فيها يتلاقون ويتعارفون فإذا كان المساء عادوا إلى النار فهم كذلك إلى يوم القيامة[٢].

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) البرهان في تفسير القرآن.

فوائد الجبال

في حديث المفضل قال أبي عبد الله عليه السلام: أنظر يا مفضلٍ إلى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة، التي يحسبها الغافلون فضلاً لا حاجة إليها، والمنافع فيها كثيرة، فمن ذلك أن تسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها، لمن يحتاج إليه ويذوب ما ذاب منه، فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام، وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل، ويكون فيها كهوف ومعاقل للوحوش من السباع العادية.

ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرّز من الأعداء، وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء[1] ويوجد فيها معادن لضرب من الجواهر، وما فيها خلال أُخر لا يعرفها إلاّ المقدر لها في سابق علمه[2].

اقتضت حكمة الباري أن جعل القسم اليابس من الأرض الذي يعيش عليه الحيوان والإنسان وينبت فوقه النبات عبارة عن قشرة جامدة واقفة على مايع مذاب من مواد معدنية ملتهبة، وهذا المايع لم يزل في اضطراب وغليان في جوف الأرض لحرارته الهائلة، ولولا هذه الجبال التي أثقلتها واشتبكت أصولها وهي من الأحجار الصلبة لكانت الزلازل دائمة الخسف والشق وهلاك آلاف

---

(١) الأرحاء: جمع رحى وهي الطاحونة.
(٢) بحار الأنوار.

النفوس في كلّ يوم متواتراً، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت تصلّب القشرة الأرضية بالأحجار كي لا تميد بأهلها.

قال تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً﴾[١] وقال تعالى: ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلّكم تهتدون﴾[٢] ﴿والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي﴾[٣].

ومن منافعها أنّها الرواسي التي تثقل الأرض فتحفظها من الاضطراب والانشقاق الحادث من الزلازل، ومنها أنّه بواسطتها تكون المياه النازلة منها إلى السفوح سبباً لحصول الأنهار وطرقها التي تجري فيها المياه على وجه الأرض.

ومنها ما ذكره الإمام عليه السلام أنّ الثلوج تسقط على قللها وتبقى محفوظة لوقت الحاجة ويذوب ما ذاب منها فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع فتكون الأنهار الصغار ثم العظام، وبعبارة أوضح أنّ المطر إذا نزل في الشتاء حفظت الجبال قسماً كبيراً منه بصورة ثلج أو برد على قممها وقللها إلى فصل الصيف فإذا سخن الهواء يأخذ بالذوبان ويسيل بالتدريج بسبب حرارة الشمس فيسقي الأرض الظليمة، وقد يتحلّل بعض هذا الثلج أو البرد فيغور في شقوق الجبال وثقابها ثم يخرج منها بصورة عيون يجري منها الماء أنهاراً وأودية يرتوي بها الحيوان والإنسان وينبت بها الزرع، وهكذا حتى يأتي الشتاء وتعود الأمطار والثلج والبرد على قمم الجبال، فعرف من هنا أنّه لولا الجبال لكانت هذه المياه النازلة مطراً لم تجر على سطح الأرض إلاّ ريثما يهدأ المطر ثم تنشّفه الأرض والأهوية وعندئذٍ يعدم الحيوان والنبات في صميم الصيف عند الحاجة الشديدة للماء، ثم إنّ الدليل على أنّ العيون والأنهار كلّها من الجبال هو أنّا لا نرتقي في نهر أو وادي إلاّ وأفضىٰ بنا السير إلى جبل، والعيون لا توجد إلاّ بالقرب من الجبل، فوجود الجبال هو السبب في عمارة العالم وحياة حيوانه ونباته.

---

(١) سورة النبأ: الآية ٦.
(٢) سورة النحل: الآية ١٥.
(٣) سورة ق: الآية ٧.

هذه بعض منافع الجبال التي أدركنا جلّها وهناك الكثير من المنافع لا يعلمها إلاّ خالقها جلت قدرته، ونكتفي بقول رسول الله ﷺ في الجبال: ظهورها حرز وبطونها كنز.

بعض الجبال المشهورة والعجيبة

كما أنّ الله فضّل الأرضين بعضها على بعض، وجعل خاصية في بعضها دون الأخرى، كذلك الجبال فمنها الممدوح ومنها المذموم فبعضها يكون وقود نار جهنّم كما أنّ بعضها من يبكي ويتدكدك من خشية الله، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال في حديث: ولقد مررنا معه يعني رسول الله ﷺ بجبل فإذا الدموع يخرج من بعضه، فقال له النبي ﷺ ما يبكيك يا جبل، فقال يا رسول الله كان عيسى مرّ بي وهو يخوّف الناس بنار وقودها الناس والحجارة، فأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة، قال له لا تخف تلك الحجارة الكبريت، فقرّ الجبل وسكن(١).

وقد ذكر قدامة العلماء أنّ عدد الجبال المشهورة مائة وثمانية وأربعون جبلاً، والحال انّها أكثر من هذا العدد، لما أحصيناها في معاجم البلدان وكتب الآثار القديمة، ونذكرها بعضها لما فيها من عجائب قدرة الله.

جبل ق

﴿ق والقرآن المجيد﴾(٢).

سُئل الصادق عليه السلام عن معنى ق فقال عليه السلام: ق جبل محيط بالأرض، وخضرة السماء منه، وبه يمسك الله الأرض أن تميد بأهلها(٣).

---

(١) الاحتجاج.
(٢) سورة ق: الآية ١.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال، سمعته يقول: ق جبل محيط بالدنيا من زمرد أخضر وخضرة السماء من ذلك الجبل[١]، وهذه الإحاطة كإحاطة بياض العين بسوادها.

وسُئل النبي صلى الله عليه وآله عن، ق وما خلفه، قال صلى الله عليه وآله: خلفه سبعون أرضاً من الذهب وسبعون أرضاً من فضة، وسبعون أرضاً من مسك، وخلفه سبعون أرضاً سكّانها الملائكة لا يكون فيها حرّ ولا برد وطول كلّ أرض مسيرة عشرة آلاف سنة[٢].

وسُئل صلى الله عليه وآله عن عرض قاف وطوله واستدارته فقال صلى الله عليه وآله: مسيرة عرضه ألف سنة من ياقوت أحمر، قضيبه من فضة بيضاء وزجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب والأخرى في وسط السماء عليها مكتوب ثلاثة أسطر، الأول: بسم اللّه الرحمن الرحيم، الثاني: الحمد للّه ربّ العالمين، الثالث: لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه عليّ وليّ اللّه[٣].

وذكر أنّه لما مرّ عليه ذو القرنين رأى حوله جبالاً صغاراً فناداه يا قاف ما هذه الجبال التي حولك؟ فقال عروقي، ليس في الدنيا مدينة إلاّ وفيها عرق منها، فإذا أراد اللّه تعالى أن يزلزل أرضاً أمرني فحرّكت ذلك العرق فتتزلزل تلك الأرض، فقال الإسكندر فهل وراءك شيء، قال: نعم أرض طولها خمسمائة عام في خمسمائة عام، فيها جبال من ثلج تحطّم بعضها بعضاً، لولا ذلك الثلج لاحترقتم من حرّ جهنّم.

جبل الكمد

وهو جبل أسود موحش يكون في يسار قرية عُسْفان وهي تبعد ستة

(١) تفسير القمّي.
(٢) جامع الأخبار.
(٣) جامع الأخبار.

وثلاثين ميلاً على مكّة على طريق المدينة، عن عبد اللّه بن بكر الارجاني قال: صحبت أبا عبد اللّه عليه السلام في طريق مكّة من المدينة فنزلنا منزلاً يقال له عسفان، ثم مررنا بجبل أسود عن يسار الطريق موحش، فقلت له: يابن رسول اللّه ما أوحش هذا الجبل ما رأيت في الطريق مثل هذا، فقال لي: يابن بكر أتدري أيّ جبل هذا، قلت: لا، قال: هذا جبل الكمد، وهو على واد من أودية جهنّم وفيه قتلة أبي الحسين عليه السلام، استودعهم فيه تجري من تحتهم مياه جهنّم من الغسلين والصديد والحميم، وما يخرج من جبّ الجويّ وما يخرج من الفلق من آثام، وما يخرج من طينة الخبال وما يخرج من جهنّم وما يخرج من لظى ومن الحطمة وما يخرج من سقر وما يخرج من الحميم، وما يخرج من الهاوية، وما يخرج من السعير.

إلى أن قال: وربما طويت الجبل الذي هما فيه وهو جبل الكمد، قال قلت له: جُعلت فداك، فإذا طويت الجبل فما تسمع قال: أسمع أصواتهما يناديان عرّج علينا نكلّمك، فإنّا نتوب، وأسمع من الجبل صارخاً يصرخ بي أجبهما، وقل لهما اخسؤوا فيها ولا تكلمون[١].

جبل سيلان

بقرب مدينة أردبيل من أذربيجان، وهو من أعلى جبالْ الدنيا، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله من قرأ: ﴿فسبحان اللّه حين تمسون وحين تصبحون﴾ إلى ﴿وكذلك تخرجون﴾ كتب اللّه له من الحسنات بعدد كلّ ورقة ثلج تقع على جبل سيلان، قيل وما سيلان يا رسول اللّه، قال جبل بأرمينية وأذربيجان، عليه عين من عيون الجنّة وفيه قبر من قبور الأنبياء.

قال أبو حامد الأندلسي على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه، ماؤها أبرد من الثلج وكأنّما شِيبَ[٢] بالعسل لشدّة عذوبته، وبجوف

(١) كامل الزيارات.
(٢) شيب: أي خُلط.

الجبل ماء يخرج من عين، يسلق البيض لحرارته، يقصدها الناس لمصالحهم، وبحضيض هذا الجبل شجر كثير ومراعٍ وشيء من حشيش لا يناوله إنسان ولا حيوان إلاّ مات لساعته.

قال القزويني[1] ولقد رأيت الجبل والدواب ترعى في هذا المكان فإذا قربت من هذا الحشيش نفرت وولّت منهزمة كالمطرودة، قال وفي سفح هذا الجبل بلدة اجتمعت بقاضيها، واسمه أبو الفرج عبد الرحمن الأردبيلي، وسألته عن حال تلك الحشيشة فقال الجن تحميها، وذكر أيضاً أنّه بنى في قرية مسجداً فاحتاج إلى قواعد كبار حجرية لأجل العمد، فأصبح فوجد على باب المسجد قواعد منحوتة من الصخر محكمة الصنعة كأحسن ما يكون.

جبل سرنديب

هو في أكرم واد على وجه الأرض كما قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام، ويكون بأعلى الصين، يرى في البحر من مسيرة ثلاثة أيام، وفيه أثر قدم آدم مغموسة في الحجر، وقيس موضعها فكانت سبعة أذرع وقيل سبعون ذراعاً، ويرى على هذا الجبل ألوان كألوان الطواويس لا تخلو منه ليلاً ولا نهاراً، ولا بدّ له في كلّ يوم من مطر يغسل موضع قدم آدم عليه السلام، ويوجد فيه الياقوت الأحمر والألماس، وفي واديه جميع الطّيب من الورقة التي نزلت مع آدم.

جبل جوشن

غربيّ حلب، فيه معدن النحاس، قيل: إنّه بطل عمل النحاس فيه منذ عبر عليه سبي الحسين عليه السلام، وكانت زوجة الحسين عليه السلام مثقلة بالحمل فطرحت هناك، وطلبت من صنّاع النحاس ماء للشرب فمنعوها وسبوها، فدعت عليهم فامتنعت الريح من ذلك الحين، وإلى الآن من عمل فيه لا يربح، وفيه مشهد مبارك يعرف بمشهد الطرح.

---

(١) نقلاً عن كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات.

عين الحياة

وهي عين لا يصيبها شيء ميّت إلاّ حيا، ولا يشرب منها ذو روح إلاّ بقي خالداً لا يموت إلى يوم القيامة، وهي العين التي شرب منها الخضر عليه السلام، وهي القطعة التي بين المغرب والجنوب والله تعالى أعلم.

فعن الأصبغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب عليه السلام: وتركا بعضهم يومئذٍ يموج في بعض يعني يوم القيامة وكان ذو القرنين عبداً صالحاً وكان من الله بمكان نصح لله فنصح له وأحب الله فأحبّه، وكان قد سبب له في البلاد ومكّن له فيها، حتى ملكه ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليلاً من الملائكة يقال له رقائيل ينزل عليه ويحدِّثه ويناجيه، فبينما هو ذات يوم عنده إذ قال له ذو القرنين يا رقائيل كيف عبادة أهل السماء وأين هي من عبادة أهل الأرض؟ قال رقائيل يا ذا القرنين وما عبادة أهل الأرض؟ فقال أما عبادة أهل السماء، ما في السموات موضع قدم إلاّ وعليه ملك قائم لا يقعد أبداً وراكع لا يسجد أبداً وساجد لا يرفع رأسه أبداً، فبكى ذو القرنين بكاءً شديداً، وقال: يا رقائيل إني أحبّ أن أعيش حتى أبلغ من عبادة ربّي وحقّ طاعته بما هو أهله، قال رقائيل يا ذا القرنين إنّ لله في الأرض عيناً تدعى عين الحياة فيها عزيمة من أسمائه من يشرب منها لم يمت حتى يكون هو الذي يسأل الله الموت، فإن ظفرت بها تعيش ما شئت قال وأين تلك العين وهل تعرفها؟ قال: لا غير أنا نتحدّث في السماء إنّ لله في الأرض ظلمة لم يعطاها إنس ولا جان فقال ذو القرنين وأين تلك الظلمة؟ قال: رقائيل ما أدري ثم صعد رقائيل، فدخل ذا القرنين حزن

طويل من قول رقائيل ومما خبّره من العين والظلمة ولم يخبره بعلم ينتفع به منها فجمع ذو القرنين فقهاء أهل مملكته وعلمائهم وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فلمّا اجتمعوا عنده قال ذو القرنين يا معاشر الفقهاء وأهل الكتب وآثار النبوّة هل وجدتم فيما قرأتم من كتاب اللّه وفي كتب من كان قبلكم من الملوك أن للّه عيناً تدعى عين الحياة فيها من اللّه عزيمة أنّه من يشرب منها لم يمت حتى يكون هو الذي سأل اللّه الموت؟ قالوا: لا يا أيها الملك قال: فهل وجدتم فيما قرأتم من الكتب أنّ للّه في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جان؟ قالوا: لا يا أيها الملك فحزن ذو القرنين حزناً شديداً وبكى ولم يخبر عن العين والظلمة ممّا يحب، وكان فيمن حضره غلام من الغلمان من أولاد الأوصياء وكان ساكتاً لا يتكلّم حتى إذا أيس ذو القرنين منهم، قال له الغلام: أيّها الملك إنك تسأل هؤلاء أمراً ليس لهم به علم وعلم ما تريد عندي، ففرح ذو القرنين فرحاً شديداً حتى نزل عن فراشه وقال له: ادن مني فدنا منه، فقال: أخبرني ؟ قال: نعم أيّها الملك إني وجدت في كتاب آدم الذي كتب يوم سمّى ما في الأرض من عين أو شجر فوجدت فيه أنّ للّه عيناً تدعى عين الحياة فيها من اللّه عزيمة أنّه من يشرب منها لم يمت حتى يكون هو الذي يسأل اللّه الموت، بظلمة لم يطأها إنس ولا جان ففرح ذو القرنين، وقال: أدن مني أيّها الغلام تدري أين موضعها؟ قال: نعم وجدت في كتاب آدم أنّها على قرن الشمس يعني مطلعها، ففرح ذو القرنين وبعث أهل مملكته فجمع أشرافهم وفقهائهم وأهل الحكم منهم، فاجتمع إليه ألف حكيم وعالم وفقيه فلمّا اجتمعوا إليه تهيأ للمسير وتأهّب له بأعدّ العدّة وأقرب القوة فسار بهم يريد مطلع الشمس يخوض البحار ويقطع الجبال والفيافي والأرضين والمفاوز فسار اثنتي عشرة سنة حتى انتهى إلى طرف الظلمة فإذا هي ليست بظلمة ليل ولا دخان ولكنها هو ما بين الأفقين فنزل بطرفها وعسكر عليها وجمع علماء أهل عسكره وفقهائهم وأهل الفضل منهم وقال: يا معاشر الفقهاء والعلماء إني أريد أن أسلك هذه الظلمة فخرّوا له سجداً فقالوا: أيّها الملك إنك لتطلب أمراً ما طلبه ولا سلكه أحد من كان قبلك من النبيين والمرسلين ولا من الملوك، قال: إنّه لا بدّ لي من طلبها، قالوا: يا أيها الملك إنّا لنعلم أنّك إذا

سلكتها ظفرت بحاجتك بغير منّة عليك لأمرنا ولكنّا نخاف أن يعلق بك منها أمر يكون فيها هلاك ملكك وزوال سلطانك وفساد من في الأرض؟ فقال: لا بدّ من أن أسلكها فخرّوا سجداً وقالوا: إنّا نتبرأ إليك ممّا يريد ذو القرنين فقال ذو القرنين: يا معشر العلماء أخبروني بأبصر الدواب؟ قالوا الخيل الإناث البكارة أبصر الدواب فانتخب من عسكره فأصاب ستة آلاف فرس إناثاً أبكاراً وانتخب من أهل العلم والفضل والحكمة ستة آلاف رجل فدفع إلى كل رجل فرساً وعقولاً وسخر وهو الخضر على ألف فرس فجعلهم على مقدمته وأمرهم أن يدخلوا الظلمة وسار ذو القرنين في أربعة آلاف وأمر أهل عسكره أن يلزموا بعسكره اثنتى عشر سنة فإن رجع هو إليهم إلى ذلك الوقت وإلاّ تفرّقوا في البلاد ولحقوا ببلادهم أو حيث شاؤوا، فقال الخضر: أيّها الملك انا نسلك في الظلمة لا يرى بعضنا بعضاً كيف نصنع بالضلال إذا أصابنا؟ فأعطاه ذو القرنين خزرة حمراء كأنّها مشعلة لها ضوء وقال خذ هذه الخزرة إذا أصابكم الضلال فارم بها إلى الأرض فإنّها تصيح فإذا صاحت رجع أهل الضلال إلى صوتها فأخذها الخضر ومضى في الظلمة وكان الخضر يرتحل وينزل ذو القرنين فبينما الخضر يسير ذات يوم إذ عرض له واد في الظلمة فقال لأصحابه قفوا هذا الموضع لا يتحرّكن أحد منكم من موضعه فنزل عن فرسه فتناول الخزرة فرمى بها في الوادي فأبطأت عنه بالإجابة حتى ساء ظنّه وخاف أن لا تجيبه ثم أجابته فخرج إلى ضوئها فإذا هي العين يقفوها وإذا ماؤها أشدّ بياضاً من اللبن وأصفى من الياقوت وأحلى من العسل فشرب منه ثم خلع ثيابه واغتسل بها ثم لبس ثيابه ثم رمى بالخزرة نحو أصحابه فأجابته فخرج إلى أصحابه وركب وأمرهم بالمسير فساروا ومرّ ذو القرنين بعده فأخطأ الوادي فسلك تلك الظلمة أربعين يوماً وأربعين ليلة[١].

وفي رواية قيل لذو القرنين: إنّ للّه في أرضه عيناً يقال لها عين الحياة، لا يشرب منها ذو روح لم يمت حتى الصيحة، فدعا ذو القرنين الخضر وكان أفضل

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

أصحابه عنده ودعا بثلاثمائة وستين رجلاً ودفع إلى كل واحدٍ منهم سمكة وقال لهم اذهبوا إلى موضع كذا وكذا فإنّ هناك ثلاثمائة وستين عيناً فليغسل كلّ واحد منكم سمكته في عين، غير عين صاحبه فذهبوا يغسلون، وقعد الخضر يغسل فانسابت السمكة منه في العين، وبقي الخضر متعجّباً ممّا رأى، وقال في نفسه ما أقول لذي القرنين، ثم نزع ثيابه يطلب السمكة فشرب من مائها ولم يقدر إلى السمكة، فرجعوا إلى ذي القرنين، فأمر ذو القرنين بقبض السمكة من أصحابه، فلما انتهوا إلى الخضر فلم يجدوا معه شيئاً فدعاه وقال له: ما حال السمكة، فأخبره الخبر، فقال له فصنعت ماذا، فقال اغتمست فيها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها، قال: فشربت من مائها، قال: نعم، قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها فقال للخضر: أنت صاحبها[1].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

عين ص

وهي تنبع من ركن من أركان العرش، سُئل جعفر بن محمد عليه السلام عن معنى قول الله تعالى عزّ وجلّ (ص)، قال: ص عين تنبع من تحت العرش، وهي التي توضئ منها النبي صلى الله عليه وآله، لمّا عرج به، ويدخلها جبرئيل عليه السلام كلّ يوم دخلة، فينغمس فيها ثم يخرج منها فينفض أجنحته، فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلاّ خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً يسبّح الله ويقدّسه ويكبّره ويحمده إلى يوم القيامة[١].

وسُئل أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام وما ص الذي أمر أن يغتسل منه النبي صلى الله عليه وآله قال: عين تنفجر من ركن من أركان العرش يقال له ماء الحياة[٢].

عين زمزم

في الخبر أنّ إبراهيم لما ترك اسماعيل عليهما السلام وأمّه هاجر بموضع الكعبة وأراد الرجوع قالت له هاجر إلى من تكلنا، قال إلى الله، قالت حسبنا الله ونِعم الوكيل، فأقامت عند ولدها حتى نفد ماؤها فأدركتها الحِنّة على ولدها فترت اسماعيل بموضعه وارتقت على الصفا تنظر، عيناً أو شخصاً فلم تر شيئاً، فدعت ربّها واستسقته ثم نزلت حتى أتت المروة فدعت مثل ذلك، ثم سمعت

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) وسائل الشيعة.

صوت السباع فخشيت على ولدها فأسرعت نحو اسماعيل فوجدته يفحص والماء قد انفجر من عين تحت رجليه، فلمّا رأت هاجر ذلك الماء جعلت تحوطه بالتراب لئلاً يسيل ويذهب.

وماء زمزم من أفضل المياه على وجه الأرض قال أمير المؤمنين عليه السلام: ماء زمزم خير ماء على وجه الأرض، وشرّ ماء على وجه الأرض ماء برهوت الذي بحضرموت، ترده هامّ الكفّار باللّيل.

وقال عليه السلام: ماء زمزم دواء ممّا شرب له.

وسمع أبو عبد اللّه عليه السلام يقول: ماء زمزم شفاء من كلّ داء[١]، وقيل إنّ ماء زمزم إذا شرب منه للشفاء أصبح شفاءً، وإذا شرب للظمأ أروىٰ الظمآن، وإذا شرب للجوع أشبع الجوعان.

---

(١) وسائل الشيعة.

الأنهـار

ذكر العلماء أنّ الأمطار والثلوج إذا وقعت على الجبال تنصب إلى مغارات بها، وتبقى مخزونة فيها في الشتاء، فإن كان في أسافل الجبال منافذ ينزل الماء من تلك المنافذ فيحصل منها الجداول وينضمّ بعضها إلى بعض فتحدث منها الأنهار والغدران والأودية، فإن كانت المغارات، التي هي الخزانات لهذه المياه في أعالي الجبل استمرّ جريانه أبداً من غير انقطاع لأنّ المياه تنصب إلى سفح الجبل ولا تنقطع لاتّصال الامداد من الأمطار والثلوج، وإن انقطعت لانقطاع المدد بقيت المياه واقفة، كما نرى في الأودية من الغدران التي تجري في وقت وتنقطع في وقت.

وقال بطليموس: إنّ بهذا الربع المسكون ماءة نهر، وقيل: مائتان وتسعون نهراً طول كلّ نهر منها خمسون فرسخاً إلى ألف فرسخ، فمنها م يجري من المشرق إلى المغرب، ومنها ما يجري بالعكس، ومنها ما يجري مر الشمال إلى الجنوب، ومنها ما يجري بالعكس، وكلها تبتدىء من الجبا وتصبّ في البحار بعد انتفاع العالم بها، وفي ضمن ممرّها تتصوّر بطائ وبحيرات، فإذا صبّت في البحر المالح وأشرقت الشمس على البحار فتصعد إل الجو بخاراً ثم ينعقد غيوماً وأندية، كالدولاب الدائر، فلا يزال الأمر كذلك إ أن يبلغ الكتاب أجله، فسبحان المدبّر لمملكته ببدائع حكمته.

وقد جعل الله الخواص المحمودة في بعضها، والبعض منها ذمّها ولعنها

وذلك لعلل قدّرها اللّه تعالى في سابق أمره، منها: أنّ نوحاً عليه السلام لما كان أيام الطوفان دعا المياه كلّها فأجابته إلاّ ماء الكبريت والماء المرّ فلعنهما(١).

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: نهران مؤمنان ونهران كافران، فالمؤمنان الفرات ونيل مصر، وأمّا الكافران فدجلة وماء بلخ(٢).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان، فالفرات الماء في الدنيا والآخرة، والنيل العسل وسيحان الخمر وجيحان اللبن(٣).

ولنذكر بعض خواص وعجائب أشهر نهرين الفرات والنيل واللّه الموفّق.

نهر الفرات

وهو نهر عذب طيب ذو هيبة وهو سيد المياه في الدنيا والآخرة كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: وللفرات فضائل كثيرة منها ما رُوي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إنّ ملكاً من السماء يهبط في كلّ ليلة معه ثلاثة مثاقيل مسكاً من مسك الجنة فيطرحها في الفرات، وما من نهر في شرق الأرض ولا غربها أعظم بركة منه(٤).

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: تقطر في الفرات كلّ يوم قطرات من الجنّة(٥).

وعن عبد اللّه بن سليمان، قال: لمّا قدم أبو عبد اللّه عليه السلام الكوفة في زمن أبي العباس فجاء على دابته في ثياب سفره حتى وقف على جسر الكوفة،

---

(١) وسائل الشيعة.
(٢) وسائل الشيعة.
(٣) كامل الزيارات.
(٤) وسائل الشيعة.
(٥) كامل الزيارات.

ثم قال لغلامه اسقني، فأخذ كوز ملاح، فغرف له به فأسقاه فشرب والماء يسيل من شدقيه وعلى لحيته وثيابه، ثم استزاده فزاده، فحمد اللّه ثم قال: نهر ماءٍ ما أعظم بركته، أمّا أنّه يسقط في كلّ يوم سبع قطرات من الجنّة، أما لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا الأخبية على حافته أمّا لولا ما يدخله من الخاطئين ما اغتمس فيه ذو عاهة إلاّ برأ(١).

وعنه عليه السلام قال: يدفق في الفرات كلّ يوم دفقات من الجنّة وقال عليه السلام: لو كان بيننا وبينه أميال لأتيناه فنستشفي به(٢).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: نهركم هذا يعني الفرات يصبّ فيه ميزابان من ميازيب الجنة(٣).

نهر النيل

أصل النيل الفيض، ونهر النيل فيض مصر، واتفقوا على أنّ مبدأه من جبل القمر، وهو ينبع من اثنتى عشر عيناً، وأنّ العيون تصبّ في بحيرة مثل البطائح خلف خطّ الاستواء يجتمع فيها الماء رمال هناك بين جبال.

وقيل: إنّه متى بلغ ستة عشر ذراعاً استحقّ السلطان الخراج، وإذا بلغ ثمانية عشر ذراعاً يحدث بمصر وباء عظيم، وإذا بلغ عشرين ذراعاً مات ملك مصر.

وذكر أنّ سيحون وجيحون والنيل والفرات كلّها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال هناك وتسلك على البحر المظلم، وهي أحلى من العسل وأذكى رائحة من المسك، ولكنها تتغيّر بتغيّر المجاري، وليس في الدنيا نهر يصبّ من الجنوب إلى الشمال، ويعلو في شدّة الحرّ حتى تنقص له الأنهار

---

(١) كامل الزيارات.
(٢) وسائل الشيعة.
(٣) وسائل الشيعة.

كلّها، غير النيل، وسبب مَدّه أنّ الله تعالى يبعث إليه ريح الشمال فيقلب عليه البحر المالح فيصير كالسِّكْر[١] له فيزيد حتى يعم البلاد فإذا بلغ حدّ الريّ بعث الله عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر.

ومن خصائص نهر النيل أنّه من أنهار الجنّة وهو العسل المذكور فيها، وحكي أنّ رجلاً من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام يسمّى جايداً، لمّا دخل مصر ورأس عجائبها آلىٰ على نفسه أن لا يفارق ساحل النيل إلى منتهاه أو يموت، فسار ثلاثين سنة في العامر وثلاثين سنة في الخراب حتى انتهى إلى بحر أخضر فرأى النيل يشقّ البحر، وأنّه ركب دابة هناك سخّرها الله له فعدَتْ به زماناً وأنّه وقع في أرض من حديد، جبالها وأشجارها حديد، ثم وقع في أرض من نحاس جبالها وأشجارها نحاس، ثم وقع في أرض من فضة جبالها وأشجارها فضة، ثم وقع في أرض من ذهب جبالها وأشجارها ذهب، وأنّه انتهىٰ في مسيره إلى سور مرتفع من ذهب، وفيه قبّة عالية من ذهب ولها أربعة أبواب والماء ينحدر من ذلك السور ويستقرّ في تلك القبة ثم يخرج من الأبواب الأربعة، فمنها ثلاثة تغيض في الأرض، والرابع يجري على وجه الأرض وهو النيل، والثلاثة سيحون وجيحون والفرات، وأنّه أتاه ملك حسن الهيئة، فقال له: السلام عليك يا جايد، هذه الجنّة.

ثم قال له إنّه سيأتيك رزق من الجنّة فلا تُؤْثِر عليه شيئاً من الدنيا.

فبينما هو كذلك إذ أتاه عنقود من العنب فيه ثلاثة ألوان، لون كاللؤلؤ ولون كالزبرجد الأخضر ولون كالياقوت الأحمر.

فقال له الملك يا جايد هذا من حصرم الجنّة، فأخذه جايد ورجع، فرأى شيخاً تحت شجرة من تفاح فحدثه وآنسه، وقال له يا جايد ألا تأكل من هذا التفاح، فقال إنّ معي طعاماً من الجنّة وإنّي لمستغنٍ عن تفاحك، فقال له: صدقت يا جايد، إنّي لأعلم أنه من الجنّة، وأعلم من أتاك به وهو أخي، وهذا

---

(١) السكر: بكسر السين وسكون الكاف: ما يُسَدّ به النهر ونحوه.

التفاح أيضاً من الجنّة، ولم يزل به ذلك الشيخ حتى أكل من التفاح، وحين عض على التفاحة رأى ذلك الملك وهو يعضّ على اصبعه ثم قال له: أتعرف هذا الشيخ قال: لا، قال: هو واللّه الذي أخرج أباك آدم من الجنة، ولو قنعت بالعنقود الذي معك لأكل منه أهل الدنيا ما بقيت الدنيا، ولم ينفد وهو الآن مجهودك إلى مكانك، قال: فبكىٰ جايد وندم وسار حتى دخل مصر وجعل يحدّث الناس بما رأى في مسيرة العجائب.

ومن خواص ماء النيل أنّه يميت القلب، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ماء نيل مصر يميت القلب[1]، وهذا لا ينافي خبر أنّه نهر من أنهار الجنّة، لأنّ النهر وكلّ شيء لا يكون في الجنّة إلاّ بمقتضىٰ قابليته وهذه القابلية يجب أن تكون برتبة الجنّة، أي بمستواها وهذا الاستواء لا يكون إلاّ بعدما يُصفّى التصفية الكاملة من كلّ العروضات والكثافات والكدورات الدنيوية، فيكون طعم ماء النيل كالعسل كما ورد في الخبر، والخمر المذموم المحرّم في الدنيا يكون في الجنّة ﴿لذّة للشاربين﴾[2]، وهكذا واللّه أعلم.

---

(١) وسائل الشيعة، وفي الكافي يميت القلوب.
(٢) سورة محمّد: الآية ١٥.

الجزيرة الخضراء

نذكرها كما أوردها الشيخ محمد باقر المجلسي في بحاره دون تعليق سوىٰ قوله رحمة اللّه عليه: وجدت رسالة مشتهرة بقصة الجزيرة الخضراء في البحر الأبيض أحببت إيرادها لاشتمالها على ذكر من رآه، ولما فيه من الغرائب، وإنّما أفردت لها باباً لأنّي لم أظفر به في الأصول المعتبرة، ولنذكرها بعينها كما وجدتها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي هدانا لمعرفته والشكر له على ما منحنا للإقتداء بسنن سيّد بريّته محمّد الذي اصطفاه من بين خليقته، وخصّنا بمحبّة علي والأئمة المعصومين من ذريّته، صلّى اللّه عليهم أجمعين، الطيّبين الطاهرين وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد.. فقد وجدت في خزانة أمير المؤمنين عليه السلام وسيّد الوصيّين وحجّة ربّ العالمين، وإمام المتقين، علي بن أبي طالب عليه السلام، بخطّ الشيخ الفاضل والعالم العامل الفضل بن يحيى بن علي الطيبي الكوفي قدّس اللّه روحه ما هذا صورته:

الحمد للّه ربّ العالمين وصلّى اللّه على محمّد وآله وسلّم.

وبعد.. فيقول الفقير إلىٰ عفو اللّه سبحانه وتعالىٰ الفضل بن يحيىٰ بن علي الطيبي الإمامي الكوفي عفىٰ اللّه عنه، قد كنت سمعت من الشيخين

الفاضلين العالمين، الشيخ شمس الدين بن نجيح الحلي والشيخ جلال الدين عبد الله بن الحوام الحلّي قدّس الله روحيهما ونوّر ضريحيهما في مشهد سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء مولانا وإمامنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام في النصف من شهر شعبان سنة تسع وتسعين وستمائة من الهجرة النبوية علىٰ مشرّفها محمّد وآله أفضل الصلاة وأتمّ التحيّة حكاية ما سمعاه من الشيخ الصالح التقي والفاضل الورع الزكي زين الدين علي بن فاضل المازندراني المجاور بالغري على مشرفيه السلام، حيث اجتمعا به في مشهد الإمامين الزكيّين الطاهرين المعصومين السعيدين عليهما السلام بسرّ من رأىٰ وحكىٰ لهما حكاية ما شاهده ورآه في البحر الأبيض والجزيرة الخضراء من العجائب.

فمرّ بي باعث الشوق إلىٰ رؤياه وسألت تيسير لقياه والاستماع لهذا الخبر من لقلقة فيه بإسقاط رواته، وعزمت علىٰ الانتقال إلىٰ سرّ من رأىٰ للاجتماع به. فاتفق أنّ الشيخ زين الدين علي بن فاضل المازندراني انحدر من سرّ من رأىٰ إلىٰ الحلّة في أوائل شهر شوال من السنة المذكورة ليمضي علىٰ جاري عادته ويقيم في المشهد الغروي على مشرّفيه السلام.

فلمّا سمعت بدخوله إلىٰ الحلّة وكنت يومئذٍ بها قد أنتظر قدومه فإذا أنا به وقد أقبل راكباً يريد دار السيد الحسيب ذي النسب الرفيع والحسب المنيع السيد فخر الدين الحسن بن علي الموسوي المازندراني نزيل الحلّة أطال الله بقاه ولم أكن إذ ذاك الوقت أعرف الشيخ الصالح المذكور لكن خلج في خاطري أنّه هو!.

فلمّا غاب عن عيني تبعته إلىٰ دار السيد المذكور فلمّا وصلت إلى باب الدار رأيت السيد فخر الدين واقفاً على باب داره مستبشراً، فلمّا رآني مقبلاً ضحك في وجهي وعرّفني بحضوره، فاستطار قلبي فرحاً وسروراً ولم أملك نفسي على الصبر على الدخول إليه في غير ذلك الوقت، فدخلت الدار مع السيد فخر الدين فسلّمت عليه وقبّلت يديه فسأل السيّد عن حالي. فقال له:

ـ هو الشيخ فضل بن الشيخ يحيىٰ الطيبي صديقكم.

فنهض واقفاً وأقعدني في مجلسه ورحّب بي وأحفىٰ السؤال عن حال أبي وأخي الشيخ صلاح الدين لأنّه كان عارفاً بهما سابقاً ولم أكن في تلك الأوقات حاضراً، بل كنت في بلدة واسط أشتغل في طلب العلم عند الشيخ العالم العامل الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن محمّد الواسطي الإمامي تغمّده اللّٰه برحمته وحشره في زمرة أئمته عليهم السلام.

فتحادثت مع الشيخ الصالح المذكور متّع اللّٰه المؤمنين بطول بقائه فرأيت في كلامه إمارات تدلّ على الفضل في أغلب العلوم من الفقه والحديث والعربية بأقسامها، وطلبت منه شرح ما حدث به الرجلان الفاضلان العالمان الشيخ شمس الدين والشيخ جلال الدين الحلّيّان المذكوران سابقاً عفىٰ اللّٰه عنهما.

فقصّ لي القصة من أولها إلى آخرها بحضور السيد الجليل السيد فخر الدين نزيل الحلّة صاحب الدار وحضور جماعة من علماء الحلّة والأطراف قد كانوا أتوا لزيارة الشيخ المذكور وفّقه اللّٰه. وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر شوّال سنة تسع وتسعين وستمائة.

وهذه صورة ما سمعته من لفظه أطال اللّٰه بقاءه، وربّما وقع في الألفاظ التي نقلتها من لفظه تغيير لكن المعاني واحدة. قال حفظه اللّٰه تعالى:

«قد كنت مقيماً في دمشق الشام منذ سنين مشتغلاً بطلب العلم عند الشيخ الفاضل الشيخ عبد الرحيم الحنفي وفّقه اللّٰه لنور الهداية في علمي الأصول والعربية، وعند الشيخ زين الدين علي المغربي الأندلسي المالكي في علم القراءة لأنه كان عالماً فاضلاً عارفاً بالقراءات السبع وكان له معرفة في أغلب العلوم من الصرف والنحو المنطق والمعاني والبيان والأصولين وكان ليّن الطبع لم يكن عنده معاندة في البحث ولا في المذهب لحسّ ذاته! فكان إذا جرى ذكر الشيعة يقول: قال علماء الإمامية، بخلاف غيره من المدرسين فإنّهم كانوا يقولون عند ذكر الشيعة: قال علماء الرافضة! فاختصصت به وتركت التردّد إلى غيره.

فأقمنا على ذلك برهة من الزمان أقرأ عليه في العلوم المذكورة، فاتّفق أنّه عزم على السفر من دمشق الشام يريد الديار المصرية. فلكثرة المحبة التي كانت

بيننا عزّ عليّ مفارقته وهو أيضاً كذلك فآل الأمر إلى أنّه هداه اللّه صمم العزم على صحبتي له إلى مصر وكان عنده جماعة من الغرباء مثلي يقرؤون عليه فصحبه أكثرهم، فسرنا في صحبته إلى أن وصلنا مدينة بلاد مصر المعروفة بالقاهرة وهي أكبر من مدائن مصر كلّها. فأقام بالمسجد الأزهر مدّة يدرّس، فتسامع فضلاء مصر بقدومه فوردوا كلّهم لزيارته وللانتفاع بعلومه، فأقام في قاهرة مصر مدّة تسعة أشهر ونحن معه على أحسن حال وإذا بقافلة قد وردت من الأندلس ومع رجل منهم كتاب من والد شيخنا الفاضل المذكور يعرّفه فيه بمرض شديد قد عرض له وأنّه يتمنّى الاجتماع به قبل المَمات ويحثّه فيه على عدم التأخير، فرقّ الشيخ من كتاب أبيه وبكىٰ وصمّم العزم على المسير إلى جزيرة الأندلس. فعزم بعض التلامذة على صحبته، ومن الجملة أنا، لأنّه هداه اللّه قد كان أحبّني محبّة شديدة وحسّن لي المسير معه، فسافرت إلى الأندلس في صحبته فحيث وصلنا إلى أول قرية من الجزيرة المذكورة عرضت لي حمى منعتني عن الحركة. فحيث رآني الشيخ على تلك الحالة رقّ لي وبكى وقال:

يعزّ عليّ مفارقتك!.

فأعطى خطيب تلك القرية التي وصلنا إليها عشرة دراهم وأمره أن يتعاهدني حتى يكون مني أحد الأمرين! وإن منّ اللّه بالعافية أتبعه إلى بلده.. هكذا عهد إليّ بذلك وفقه اللّه بنور الهداية إلى طريق الحقّ المستقيم، ثم مضىٰ إلى بلد الأندلس ومسافة الطريق من ساحل البحر إلى بلده خمسة أيام، فبقيت في تلك القرية ثلاثة أيام لا أستطيع الحركة لشدّة ما أصابني من الحمّى، ففي آخر اليوم الثالث فارقتني الحمّى وخرجت أدور في سكك تلك القرية فرأيت قفلاً[1] قد وصل من جبال قريبة من شاطىء البحر الغربي يجلبون الصوف والسمن والأمتعة.

فسألت عن حالهم، فقيل: إنّ هؤلاء يجيئون من جهة قريبة من أرض البربر وهي قريبة من جزائر الرافضة.

(١) القفل: القافلة الراجعة من السفر.

فحيث سمعتُ ذلك منهم ارتحت إليهم وجذبني باعث الشوق إلى أرضهم. فقيل لي: إنّ المسافة خمسة وعشرون يوماً! منها يومان بغير عمارة ولا ماء، وبعد ذلك فالقرى متّصلة.

فاكتريت معهم من رجل حماراً بمبلغ ثلاثة دراهم لقطع تلك المسافة التي لا عمارة فيها، فلمّا قطعنا معهم تلك المسافة ووصلنا أرضهم العامرة تمشّيت راجلاً وتنقّلت على اختياري من قرية إلى أخرى إلى أن وصلت إلى أول تلك الأماكن، فقيل لي: إنّ جزيرة الروافض قد بقي بينك وبينها ثلاثة أيام!

فمضيت ولم أتأخر، فوصلت إلى جزيرة ذات أسوار أربعة ولها أبراج محكمات شاهقات وتلك الجزيرة بحصونها راكبة على شاطىء البحر، فدخلت من باب كبيرة يقال لها باب البربر! فدرت في سككها أسأل عن مسجد البلد.

فهديت عليه ودخلت إليه فرأيته جامعاً كبيراً معظّماً واقعاً على البحر من الجانب الغربي من البلد. فجلست في جانب من المسجد لأستريح وإذا بالمؤذن يؤذّن للظهر ونادىٰ بـ (حيّ على خير العمل) ولمّا فرغ دعا بتعجيل الفرج للإمام صاحب الزمان عليه السلام فأخذتني العبرة بالبكاء!!

فدخلت جماعة بعد جماعة إلى المسجد وشرعوا في الوضوء على عين ماء تحت شجرة في الجانب الشرقي من المسجد وأنا أنظر إليهم فرحاً مسروراً لما رأيته من وضوئهم المنقول عن أئمة الهدى عليهم السلام.

فلمّا فرغوا من وضوئهم وإذا برجل قد برز من بينهم بهيّ الصورة عليه السكينة والوقار فتقدّم إلى المحراب وأقام الصلاة فاعتدلت الصفوف وراءه وصلّى بهم إماماً وهم به مأمومون.. صلاةً كاملةً بأركانها المنقولة عن أئمتنا عليهم السلام على الوجه المرضي فرضاً ونفلاً وكذا التعقيب والتسبيح!.

ومن شدّة ما لقيته من وعثاء السفر وتعبي في الطريق لم يمكني أن أُصلّي معهم الظهر. فلمّا فرغوا ورأوني أنكروا عليّ عدم اقتدائي بهم! فتوجهوا نحوي بأجمعهم وسألوني عن حالي ومن أين أصلي؟ وما مذهبي؟!. فشرحتُ لهم

أحوالي وأني عراقي الأصل، وأمّا مذهبي فإنني رجل مسلم أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الأديان كلّها ولو كره المشركون.

فقالوا لي: لم تنفعك هاتان الشهادتان إلاّ لحقن دمك في دار الدنيا!! لم لا تقول الشهادة الأخرى لتدخل الجنّة بغير حساب؟! فقلت لهم: وما تلك الشهادة الأخرى إهدوني إليها يرحمكم اللّه.

فقال لي إمامهم: الشهادة الثالثة هي أن تشهد أنّ أمير المؤمنين ويعسوب المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من ولده أوصياء رسول اللّه وخلفاؤه من بعده بلا فاصلة!.

قد أوجب اللّه عزّ وجلّ طاعتهم على عباده، وجعلهم أولياء أمره ونهيه، وحججاً على خلقه في أرضه، وأماناً لبريته، لأنّ الصادق الأمين محمّداً رسول ربّ العالمين صلّى اللّه عليه وآله وسلّم أخبر بهم عن اللّه تعالى مشافهة من نداء اللّه عزّ وجلّ له عليه السلام في ليلة معراجه إلى السموات السبع وقد صار من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، وسمّاهم له واحداً بعد واحد صلوات اللّه وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فلمّا سمعتُ مقالتهم هذه حمدت اللّه سبحانه على ذلك وحصل عندي أكمل السرور، وذهب عنّي تعب الطريق من الفرح، وعرّفتهم أني على مذهبهم، فتوجّهوا إليّ توجه إشفاق وعيّنوا لي مكاناً في زوايا المسجد. ومازالوا يتعاهدوني بالعزّة والإكرام مدّة إقامتي عندهم وصار إمام مسجدهم لا يفارقني ليلاً ولا نهاراً.

فسألته عن ميرة[1] أهل بلده من أين تأتي إليهم؟ فإنّي لا أرى لهم أرضاً مزروعة! فقال:

---

(١) المير: بكسر الميم وهو الطعام.

ـ تأتي إليهم ميرتهم من الجزيرة الخضراء من البحر الأبيض من جزائر أولاد الإمام صاحب الأمر عليه السلام.

فقلت له: كم تأتيكم ميرتكم في السنة؟

فقال: مرتين! وقد أتت مرّة وبقيت الأخرى.

فقلت: كم بقي حتى تأتيكم؟

قال: أربعة أشهر.

فتأثرت لطول المدّة، ومكثت عندهم مقدار أربعين يوماً أدعو اللّه ليلاً ونهاراً بتعجيل مجيئها، وأنا عندهم في غاية الإعزاز والإكرام. ففي آخر يوم من الأربعين ضاق صدري لطول المدّة فخرجت إلى شاطىء البحر، أنظر إلى جهة المغرب التي ذكروا أهل البلد أنّ ميرتهم تأتي من تلك الجهة.

فرأيت شبحاً من بعيد يتحرّك، فسألت عن ذلك الشبح أهل البلد وقلت لهم: هل يكون في البحر طيرٌ أبيض؟ فقالوا لي: لا.. فهل رأيت شيئاً؟ قلت: نعم!.. فاستبشروا، وقالوا: هذه المراكب التي تأتي إلينا في كلّ سنة من بلاد أولاد الإمام عليه السلام، فما كان إلاّ قليل حتّى قدمت تلك المراكب، وعلى قولهم أنّ مجيئها كان في غير الميعاد. فقدم مركب كبير وتبعه آخر وآخر حتّى كملت سبعاً فصعد من المركب الكبير شيخ مربوع القامة، بهيّ المنظر، حسن الزيّ، ودخل المسجد فتوضّأ الوضوء الكامل على الوجه المنقول عن أئمة الهدى عليهم السلام وصلّى الظهرين. فلمّا فرغ من صلاته التفت نحوي مسلّماً عليَّ فرددت عليه السلام، فقال:

ـ ما اسمك؟ وأظن أنّ اسمك علي.

قلت: صدقت!

فحادثني بالسرّ محادثة من يعرفني، فقال:

ـ ما اسم أبيك؟ ويوشك أن يكون فاضلاً!

قلت: نعم.

ولم أكن أشكّ في أنّه قد كان في صحبتنا من دمشق، فقلت:

ـ أيها الشيخ.. ما أعرفك بي وبأبي؟ هل كنت معنا حيث سافرنا من دمشق الشام إلى مصر؟. فقال: لا!.

قلت: ولا من مصر إلى الأندلس؟.

قال: لا.. ومولاي صاحب العصر.

قلت له: فمن أين تعرفني باسمي واسم أبي؟.

قال: إعلم أنّه قد تقدّم إليَّ وصفك وأصلك ومعرفة اسمك وشخصك وهيئتك واسم أبيك وأنا أصحبك معي إلى الجزيرة الخضراء! فسررتُ بذلك حيث قد ذكرتُ ولي عندهم اسمٌ!..

وكان من عادته أنّه لا يقيم عندهم إلاّ ثلاثة أيام فأقام أسبوعاً وأوصل الميرة إلى أصحابها المقررة لهم. فلمّا أخذ منهم خطوطهم بوصول المقرر لهم عزم على السفر وحملني معه وسرنا في البحر فلمّا كان في السادس عشر من مسيرنا في البحر رأيت ماءً أبيض فجعلت أطيل النظر إليه، فقال لي الشيخ واسمه محمّد: ما لي أراك تطيل النظر إلى هذا الماء؟.

فقلت له: إني أراه على غير لون ماء البحر!..

فقال لي: هذا هو البحر الأبيض.. وتلك الجزيرة الخضراء! وهذا الماء مستدير حولها مثل السور من أي الجهات أتيته وجدته وبحكمة اللّه تعالى ان مراكب أعدائنا إذا دخلته غرقت وإن كانت محكمة ببركة مولانا وإمامنا صاحب العصر عليه السلام.

فاستعملته وشربتُ منه فإذا هو كماء الفرات.

ثم انّا لمّا قطعنا ذلك الماء الأبيض وصلنا إلى الجزيرة الخضراء، لازالت

عامرة آهلة. ثم صعدنا من المركب الكبير إلى الجزيرة ودخلنا البلد، فرأيته محصّناً بقلاع وأبراج وأسوار سبعة واقعة على شاطىء البحر، ذات أنهار وأشجار مشتملة على أنواع الفواكه والأثمار المنوّعة! وفيها أسواق كثيرة وحمّامات عديدة، وأكثر عمارتها برخام شفاف، وأهلها في أحسن الزي والبهاء. فاستطار قلبي سروراً لما رأيته.

ثم مضىٰ بي رفيقي محمّد بعدما استرحنا في منزله إلى الجامع المعظّم، فرأيت فيه جماعة كثيرة وفي وسطهم شخص جالس عليه من المهابة والسكينة والوقار ما لا أقدر أن أصفه، والنّاس يخاطبونه بالسيد شمس الدين محمّد العالم، ويقرؤون عليه القرآن والفقه والعربية بأقسامها وأصول الدين. والفقه الذي يقرؤونه عن صاحب الأمر عليه السلام مسألة مسألة وقضية قضية وحكماً حكماً.

فلمّا مثلت بين يديه رحّب بي وأجلسني في القرب منه وأحفى السؤال عن تعبي في الطريق وعرّفني أنّه تقدّم إليه كل أحوالي وأنّ الشيخ محمّد رفيقي إنّما جاء بي معه بأمر من السيد شمس الدين العالم أطال اللّه بقاءه. ثم أمر لي بتخلية موضع منفرد في زاوية من زوايا المسجد وقال لي:

ـ هذا يكون لك إذا أردت الخلوة والراحة!

فنهضت ومضيت إلى ذلك الموضع فاسترحت فيه إلى وقت العصر، وإذا أنا بالموكل بي قد أتى إليَّ وقال لي: لا تبرح من مكانك حتى يأتيك السيد وأصحابه لأجل العشاء معك.

فقلت: سمعاً وطاعة.

فما كان إلاّ قليل وإذا بالسيد سلّمه اللّه قد أقبل ومعه أصحابه فجلسوا ومدّت المائدة فأكلنا ونهضنا إلى المسجد مع السيّد لأجل صلاة المغرب والعشاء! فلمّا فرغنا من الصلاتين ذهب السيّد إلى منزله ورجعت إلى مكاني.

وأقمت على هذه الحال مدّة ثمانية عشر يوماً ونحن في صحبته أطال اللّه

بقاءه. فأول جمعة صلّيتها معهم رأيت السيد سلّمه اللّه صلّى الجمعة ركعتين فريضة واجبة، فلمّا انقضت الصلاة، قلت:

ـ يا سيدي قد رأيتكم صلّيتم الجمعة ركعتين فريضة واجبة!.

قال: نعم.. لأنّ شروطها المعلومة قد حضرت فوجبت.

فقلت في نفسي: ربّما كان الإمام عليه السلام حاضراً!..

ثم في وقت آخر سألت منه في الخلوة!

ـ هل كان الإمام حاضراً؟.

فقال: لا.. ولكني أنا النائب الخاص بأمر صدر عنه عليه السلام.

فقلت: يا سيدي.. وهل رأيت الإمام عليه السلام؟

قال: لا.. ولكني حدّثني أبي رحمه الله أنّه سمع حديثه ولم يرَ شخصه! وأنّ جدّي رحمه الله سمع حديثه ورأى شخصه!.

فقلت له: ولم ذاك يا سيدي.. يختص بذلك رجل دون آخر؟.

فقال لي: يا أخي.. انّ اللّه سبحانه وتعالى يؤتي الفضل من يشاء من عباده وذلك لحكمة بالغة وعظمة قاهرة، كما أنّ اللّه تعالى اختصّ من عباده الأنبياء والمرسلين والأوصياء المنتجبين، وجعلهم أعلاماً لخلقه، وحججاً على بريته ووسيلة بينهم وبينه ﴿ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة﴾ ولم يخل أرضه بغير حجة على عباده للطفه بهم ولا بدّ لكلّ حجة من سفير يبلّغ عنه.

ثمّ إنّ السيد سلّمه اللّه أخذ بيدي إلى خارج مدينتهم، وجعل يسير معي نحو البساتين، فرأيت فيها أنهاراً جارية وبساتين كثيرة مشتملة على أنواع الفواكه! عظيمة الحسن والحلاوة: من العنب والرمّان والكمثري وغيرها ما لم أرها في العراقين ولا في الشامات كلّها!.

فبينما نحن نسير من بستان إلى آخر إذ مرّ بنا رجل بهيّ الصورة، مشتمل ببردتين من صوف أبيض. فلمّا قرب منّا سلّم علينا وانصرف عنّا، فأعجبتني هيئته!؟ فقلت للسيد سلّمه اللّه:

ـ من هذا الرجل؟

قال لي: أتنظر إلى هذا الجبل الشاهق؟

قلت: نعم..

قال: إنّ في وسطه لمكاناً حسناً وفيه عين جارية تحت شجرة ذات أغصان كثيرة، وعندها قبّة مبنية بالآجر، وأنّ هذا الرجل مع رفيق له خادمان لتلك القبة. وأنا أمضي إلى هناك في كلّ صباح جمعة وأزور الإمام عليه السلام منها وأصلي ركعتين وأجد هناك ورقة مكتوب فيها ما أحتاج إليه من المحاكمة بين المؤمنين! فمهما تضمنته الورقة أعمل به. فينبغي لك أن تذهب إلى هناك وتزور الإمام عليه السلام من القبّة.

فذهبت إلى الجبل فرأيت القبّة على ما وصف لي سلّمه اللّه، ووجدت هناك خادمين، فرحّب بي الذي مرّ علينا وأنكرني الآخر! فقال له:

ـ لا تنكره فإنّي رأيته في صحبة السيد شمس الدين العالم.

فتوجّه إليّ ورحّب بي، وحادثاني وأتيا لي بخبز وعنب فأكلت وشربتُ من ماء تلك العين التي عند القبّة وتوضأت وصلّيت ركعتين.

وسألت الخادمين عن رؤية الإمام عليه السلام فقالا لي:

ـ الرؤية غير ممكنة! وليس معنا إذن في إخبار أحد..

فطلبت منهما الدعاء فدعيا لي وانصرفتُ عنهما ونزلتُ من ذلك الجبل إلى أن وصلت إلى المدينة. فلمّا وصلتُ إليها ذهبتُ إلى دار السيد شمس الدين العالم، فقيل لي: إنّه خرج في حاجة له.

فذهبت إلى دار الشيخ محمد الذي جئت معه في المركب، فاجتمعت به وحكيت له عن مسيري إلى الجبل واجتماعي بالخادمين وإنكار الخادم عليَّ فقال لي: ليس لأحد رخصة في الصعود إلى ذلك المكان سوى السيد شمس الدين وأمثاله! فلهذا وقع الإنكار منه لك.

فسألته عن أحوال السيد شمس الدين أدام اللّٰه أفضاله فقال:

ـ إنّه من أولاد أولاد الإمام، وأنّ بينه وبين الإمام عليه السلام خمسة آباء! وأنّه النائب الخاص عن أمر صدر منه عليه السلام.

قال الشيخ الصالح زين الدين علي بن فاضل المازندراني المجاور بالغري على مشرّفه السلام: واستأذنت السيّد شمس الدين العالم أطال اللّٰه بقاءه في نقل بعض المسائل التي يحتاج إليها عنه وقراءة القرآن المجيد ومقابلة المواضع المشكلة من العلوم الدينية وغيرها، فأجاب إلى ذلك وقال:

ـ إذا كان ولا بدّ من ذلك فابدأ أولاً بقراءة القرآن العظيم.

فكان كلّما قرأتُ شيئاً فيه خلاف بين القرّاء أقول له: قرأ حمزة كذا، وقرأ الكسائي كذا، وقرأ عاصم كذا، وأبو عمرو بن كثير كذا! فقال السيد سلّمه اللّٰه:

نحن لا نعرف هؤلاء. وإنّما القرآن نزل على سبعة أحرف قبل الهجرة من مكّة إلى المدينة! وبعدها لمّا حجّ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله حجّة الوداع نزل عليه الروح الأمين جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد.. أتل عليَّ القرآن حتّى أعرّفك أوائل السور وأواخرها وشأن نزولها.

فاجتمع إليه علي بن أبي طالب وولداه الحسن والحسين عليهم السلام، وأبيّ بن كعب، وعبد اللّٰه بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد اللّٰه الأنصاري، وأبو سعيد الخدريّ، وحسّان بن ثابت، وجماعة من الصحابة رضي اللّٰه عن المنتجبين منهم. فقرأ النبيّ صلى الله عليه وآله القرآن من أوّله إلى آخره، فكان كلّما مرَّ بموضع فيه اختلاف بيّنه له جبرئيل عليه السلام وأمير المؤمنين يكتب ذاك في درج من أدم فالجميع قراءة أمير المؤمنين ووصيّ رسول ربّ العالمين.

والقرآن الذي جمعه أمير المؤمنين عليه السلام بخطّه محفوظ عند صاحب الأمر عليه السلام، فيه كل شيء حتّى إرش الخدش! وأمّا هذا القرآن فلا شكّ ولا شبهة في صحّته وأنّه كلام الله سبحانه هكذا صدر عن صاحب الأمر عليه السلام.

قال الشيخ الفاضل علي بن فاضل: ونقلت عن السيد شمس الدين حفظه الله مسائل كثيرة تنوف على تسعين مسألة! وهي عندي جمعتها في مجلّد وسمّيتها بـ «الفوائد الشمسية» ولا أطلع عليها إلاّ الخاص من المؤمنين وستراه إن شاء الله تعالى.

فلمّا كانت الجمعة الثانية وهي الوسطىٰ من جمع الشهر، وفرغنا من الصلاة وجلس السيد سلّمه الله في مجلس الإفادة للمؤمنين، وإذا أنا أسمع هرجاً ومرجاً وجزلة عظيمة خارج المسجد! فسألت من السيد عمّا سمعته فقال لي:

ـ إنّ أمراء عسكرنا يركبون في كل جمعة من وسط كل شهر، وينتظرون الفرج!.

فاستأذنته في النظر إليهم، فأذن لي. فخرجت لرؤيتهم، وإذا هم جمع كثير يسبّحون الله ويحمدونه ويهلّلونه جلّ وعزّ، ويدعون بالفرج للإمام القائم بأمر الله والناصح لدين الله م ح م د بن الحسن المهدي الخلف الصالح صاحب الزمان عليه السلام.

ثم عدت إلى مسجد السيد سلّمه الله فقال لي:

ـ رأيت العسكر؟

فقلت: نعم..

قال: فهل عددت أمراءهم؟

قلت: لا..

قال: عدّتهم ثلاثمائة ناصر وبقي ثلاثة عشر ناصراً! ويعجّل الله لوليه الفرج بمشيته إنّه جواد كريم.

قلت: يا سيدي.. ومتى يكون الفرج؟

قال: يا أخي.. إنّما العلم عند اللّه، والأمر متعلّق بمشيته سبحانه وتعالى حتّى أنّه ربّما كان الإمام عليه السلام لا يعرف ذلك! بل له علامات وامارات تدلّ على خروجه من جملتها: أن ينطق ذو الفقار بأن يخرج من غلافه، ويتكلّم بلسان عربي مبين (قم يا وليّ اللّه على اسم اللّه فاقتل بي أعداء اللّه)!.

ومنها ثلاثة أصوات يسمعها الناس كلّهم، الصوت الأول: (أزفت الآزفة يا معشر المؤمنين)! والصوت الثاني: (ألا لعنة اللّه على الظالمين لآل محمّد عليهم السلام) والثالث: بدن يظهر فيرى في قرن الشمس يقول: (إنّ اللّه بعث صاحب الأمر م ح م د بن الحسن المهدي عليه السلام فاسمعوا له وأطيعوا).

فقلت: يا سيدي.. قد روينا عن مشايخنا أحاديث رويت عن صاحب الأمر عليه السلام أنّه قال: لما أُمر بالغيبة الكبرى: (من رآني بعد غيبتي فقد كذب)! فكيف فيكم من يراه؟

فقال: صدقت.. انّه عليه السلام إنّما قال ذلك في ذلك الزمان لكثرة أعدائه من أهل بيته وغيرهم من فراعنة بني العباس حتّى أنّ الشيعة يمنع بعضها بعضاً عن التحدّث بذكره! وفي هذا الزمان تطاولت المدة وأيس منه الأعداء، وبلادنا نائية عنهم وعن ظلمهم وعنائهم وببركته عليه السلام لا يقدر أحدٌ من الأعداء على الوصول إلينا.

قلت: يا سيدي.. قد روت علماء الشيعة حديثاً عن الإمام عليه السلام أنه أباح الخمس لشيعته. فهل رويتم عنه ذلك؟

قال: نعم.. انّه عليه السلام رخص وأباح الخمس لشيعته من ولد علي عليه السلام وقال: (هم في حلٍّ من ذلك).

قلت: وهل رخّص للشيعة أن يشتروا الإماء والعبيد من سبي العامة؟ قال: نعم.. ومن سبي غيرهم لأنه عليه السلام قال: (عاملوهم بما عاملوا به أنفسهم)!.

وهاتان المسألتان زائدتان على المسائل التي سمّيتها لك.

وقال السيد سلّمه اللّه: إنّه يخرج من مكّة بين الركن والمقام في سنة وتر! فليرتقبها المؤمنون.

فقلت: يا سيدي.. قد أحببت المجاورة عندكم إلى أن يأذن اللّه بالفرج! فقال لي: إعلم يا أخي أنّه قد تقدّم إليّ كلام بعودك إلى وطنك، ولا يمكنني وإيّاك المخالفة لأنّك ذو عيال وغبت عنهم مدّة مديدة! ولا يجوز لك التخلّف عنهم أكثر من هذا.

فتأثرت من ذلك وبكيت! وقلت: يا مولاي.. وهل تجوز المراجعة في أمري؟ قال: لا.

قلت: يا مولاي.. وهل تأذن لي في أن أحكي كلّما قد رأيته وسمعته؟ قال: لا بأس أن تحكي للمؤمنين لتطمئنّ قلوبهم! إلاّ كيت وكيت، وعيّن ما لا أقوله.

فقلت: يا سيدي.. أما يمكن النظر إلى جماله وبهائه عليه السلام؟ قال: لا.. ولكن إعلم يا أخي أنّ كلّ مؤمن مخلص يمكن أن يرى الإمام ولا يعرفه!.

فقلت: يا سيدي.. أنا من جملة عبيده المخلصين ولا رأيته!.

فقال لي: بل رأيته مرّتين! مرّةً منها لما أتيت إلى (سرّ من رأى) وهي أوّل مرّة جئتها وسبقك أصحابك وتخلّفت عنهم حتّى وصلت إلى نهر لا ماء فيه. فحضر عندك فارس على فرس شهباء وبيده رمح طويل وله سنان دمشقي! فلمّا رأيته خفت على ثيابك. فلمّا وصل إليك قال لك: لا تخف! إذهب إلى أصحابك فإنّهم ينتظرونك تحت تلك الشجرة فأذكرني واللّه ما كان.

فقلت: قد كان ذلك يا سيدي!.

قال: والمرّة الأخرى حين خرجت من دمشق تريد مصراً مع شيخك الأندلسي، وانقطعت عن القافلة وخفت خوفاً شديداً فعارضك فارس على فرس

غرّاء محجلة وبيده رمح أيضاً وقال لك: سر ولا تخف إلى قرية على يمينك ونم عند أهلها اللّيلة وأخبرهم بمذهبك الذي وُلدت عليه ولا تتق منهم، فإنّهم مع قرى عديدة جنوبي دمشق مؤمنون مخلصون يدينون بدين علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين من ذريّته عليهم السلام!.

أكان ذلك يا ابن فاضل؟ قلت: نعم.. وذهبت إلى عند أهل القرية ونمت عندهم فأعزّوني! وسألتهم عن مذهبهم فقالوا لي ـ من غير تقيّة مني ـ: نحن على مذهب أمير المؤمنين ووصي رسول ربّ العالمين علي بن أبي طالب والأئمة المعصومين من ذريّته عليهم السلام.

فقلت لهم: من أين لكم هذا المذهب؟ ومن أوصله إليكم؟

قالوا: أبو ذرّ الغفاري رضي اللّه عنه حين نفاه عثمان إلى الشام ونفاه معاوية إلى أرضنا هذه فعمّتنا بركته.

فلمّا أصبحت طلبتُ منهم اللحوق بالقافلة فجهّزوا معي رجلين ألحاقني بها بعد أن صرّحت لهم بمذهبي!.

فقلت له: يا سيدي.. هل يحجّ الإمام عليه السلام في كلّ مدّة بعد مدّة؟ قال لي: يا ابن فاضل.. الدنيا خطوة مؤمن! فكيف بمن لم تقم الدنيا إلاّ بوجوده ووجود آبائه عليهم السلام. نعم يحجّ في كلّ عام ويزور آباءه في المدينة والعراق وطوس على مشرّفيها السلام ويرجع إلى أرضنا هذه.

ثمّ إنّ السيد شمس الدين حثّ عليّ بعدم التأخير بالرجوع إلى العراق وعدم الإقامة في بلاد المغرب. وذكر لي أنّ دراهمهم مكتوب عليها «لا إله إلاّ اللّه، محمّد رسول اللّه، عليّ وليّ اللّه، محمّد بن الحسن القائم بأمر اللّه» وأعطاني السيد منها خمسة دراهم وهي محفوظة عندي للبركة!.

ثمّ انّه سلّمه اللّه وجّهني مع المراكب التي أتيت معها إلى أن وصلنا إلى تلك البلدة التي أوّل ما دخلتها من أرض البربر.

وكان قد أعطاني حنطة وشعيراً فبعتها في تلك البلدة بمائة وأربعين ديناراً

ذهباً من معاملة بلاد المغرب، ولم أجعل طريقي على الأندلس امتثالاً لأمر السيد شمس الدين العالم أطال الله بقاءه. وسافرت منها مع الحجج المغربي إلى مكّة شرّفها الله تعالى، وحججت وجئت إلى العراق وأريد المجاورة في الغريّ على مشرّفيها السلام حتّى الممات.

قال الشيخ زين الدين علي بن فاضل المازندراني: لم أر لعلماء الإمامية عندهم ذكراً سوى خمسة: السيد المرتضى الموسوي، والشيخ أبو جعفر الطوسي، ومحمّد بن يعقوب الكليني، وابن بابويه، والشيخ أبو القاسم جعفر بن سعيد الحلي.

هذا آخر ما سمعته من الشيخ الصالح التقي والفاضل الزكي علي بن فاضل المذكور أدام الله إفضاله وأكثر من علماء الدهر وأتقيائه أمثاله، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً وصلّى الله على خير خلقه سيّد البرية محمّد وعلى آله الطاهرين المعصومين وسلّم تسليماً كثيراً.

وإنّ هناك بعض الروايات تتحدّث عن وجود مدن مخفية في الأرض، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إنّ لله مدينة خلف البحر سعتها مسيرة أربعين يوماً للشمس، فيها قوم لم يعصوا الله قطّ، ولا يعرفون إبليس**(١).

وعنه عليه السلام قال: **إنّ لله عزّ وجلّ مدينتين، مدينة بالمشرق ومدينة بالمغرب، فيها قوم لا يعرفون إبليس، ولا يعلمون بخلق إبليس نلقاهم كلّ حين فيسألونا عمّا يحتاجون إليه ويسألوننا عن الدعاء فنعلّمهم، ويسألوننا عن قائمنا متى يظهر، فيهم عبادة واجتهاد شديد، لمدينتهم أبواب ما بين المصراع إلى المصراع مائة فرسخ لهم تقديس وتمجيد ودعاء واجتهاد شديدد لو رأيتموهم لاحتقرتم عملكم، يصلّي الرجل منهم شهراً لا يرفع رأسه من سجدة، طعامهم التسبيح، ولباسهم الورق، ووجوههم مشرقة بالنور، وإذا رأوا منّا واحداً يخشوه واجتمعوا له وأخذوا من أثره من الأرض يتبرّكون به، لهم دوي إذا صلّوا كأشدّ**

(١) بحار الأنوار.

من دوي الرِّيح العاصف، منهم جماعة لم يضعوا السلاح مذ كانوا ينتظرون قائمنا، يدعون اللَّه عزّ وجلّ أن يريهم إيّاه، وعمر أحدهم ألف سنة، إذا رأيتهم رأيت الخشوع والاستكانة وطلب ما يقرّبهم إلى اللَّه عزّ وجلّ، إذا احتبسنا عنهم ظنّوا ذلك من سخط، يتعاهدون أوقاتنا التي نأتيهم فيها، لا يسأمون ولا يفترون يتلون كتاب اللَّه عزّ وجلّ كما علمناهم، وأنّ فيما نعلمهم ما لو تلي على الناس لكفروا به ولا يكرهونه، يسألون عن الشيء إذا ورد عليهم في القرآن لا يعرفونه فإذا أخبرناهم به انشرحت صدورهم لما يسمعون منّا، وسألوا لنا البقاء وأن لا يفقدونا، ويعلمون أنّ المنّة من اللَّه عليهم فيما نعلمهم عظيمة، ولهم خرجة مع الإمام إذا قام يسبقون فيها أصحاب السلاح، ويدعون اللَّه عزّ وجلّ أن يجعلهم ممّن ينتصر بهم لدينه، فهم كهول وشبّان إذا رأى شاب منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتى يأمر لهم الطريق، هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام عليه السلام، فإذا أمرهم الإمام بأمر قاموا إليه أبداً حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره، لو أنّهم وردوا ما بين المشرق والمغرب من الخلق لأفنوهم في ساعة واحدة لا يحتك فيهم الحديد، لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقدّه حتى يفصله في ساعة، يعبر بهم الإمام عليه السلام الهند والديلم والروم وتور وفارس وما بين جابلسا إلى جابلقا، وهما مدينتان واحدة في المشرق وواحدة بالمغرب لا يأتون على أهل دين إلاّ دعوهم إلى اللَّه عزّ وجلّ وإلى الإسلام والإقرار بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم والتوبة وولايتنا أهل البيت فمن أجاب منهم ودخل في الإسلام تركوه، وأمّروا عليهم أميراً منهم، ومن لم يجب ولم يقرّ لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يقرّ بالإسلام ولم يسلم قتلوه، حتى لا يبقى بين المشرق والمغرب وما دون الجبل أحد إلاّ آمن[١].

إنّ هذه الروايات تبيّن صفة الدولة التي يخرج بها الإمام عليه السلام، فهي موجودة بكل حيثياتها وصفاتها في الأرض وسكّانها إنس من ولد آدم أمثالنا تماماً، يحملون الصفات الفعلية للخير من تقوى وقوّة إيمان واستعداد، رجال

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، وهم ينهلون ويستسقون العلم ممن أشهدهم اللّه خلق السموات والأرض عليهم السلام، فهم متقدمون ومتطورون عنّا بمئات السنين، وقد حجبهم اللّه إلى اليوم الموعود، فهم ينتظرون الإذن بالخروج لنصرة القائم عجّل اللّه فرجه، ولهذه الأخبار في معانيها أسرار وبطون لا تعيها إلاّ عقول واعية وقلوب صافية، ونسأل اللّه أن يجعلنا في ركبهم وتحت رايتهم في حكم صاحب العصر والزمان أرواحنا فداه وعجّل اللّه فرجه الشريف.

جزيرة الواق واق

من عجائب هذه الجزيرة بها أشجار تحمل ثمراً كالنساء بصور وأجسام وعيون وأيدٍ وأرجل وشعور وأثداء وفروج كفروج النساء، وهنّ حسان الوجوه، معلّقات من شعورهن، يخرجن من غلف كالأجربة الكبار، فإذا أحسسن بالهواء والشمس يصحن واق واق، حتى تتقطّع شعورهن فإذا انقطعت ماتت، وأهل هذه الجزيرة يفهمون هذا الصوت ويتطيرون منه، وهذه الأشجار هي مزج بين النبات والحيوان.

وقيل: إنّ من تجاوز هؤلاء وقع على نساء يخرجن من الأشجار أعظم منهن قدوداً وأطول منهن شعوراً، وأكمل محاسن وأحسن أعجازاً وفروجاً، ولهنّ رائحة عطرة طيبة، فإذا انقطعت شعورها ووقعت من الشجرة عاشت يوماً أو بعض يوم، وربما جامعها من يقطعها أو من يحضر قطعها فيجد لها لذّة عظيمة لا توجد في النساء.

وأرضهنّ أطيب الأراضي وأكثرها عطراً وطيباً، وبها أنهار أحلى ماءً من العسل والسكّر المذاب، وليس فيها أنيس ولا عامر إلاّ الفيلة، وربما بلغ ارتفاع الفيل في هذه الجزيرة أحد عشر ذراعاً.

وبها من الطير شيء كثير، وليس يعلم ما وراء هذه الجزيرة إلاّ اللّه تعالى، ويخرج من بعض هذه الجزائر سيل عظيم يسيل كالقطران يصبّ في البحر فيحرق السمك في البحر فيطفو على الماء.

أقول: والله أعلم أنّ هذه الجزيرة ربما تكون من الأساطير التي نسجت من الوهم والخيال، أو تكون من مخلوقات الله التي ذكرها في كتابه الكريم: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ بدليل أنّ نعيم جنّة الدنيا مشابه لنعيم الدنيا بمعنى أنّ جميع ما في الدنيا من الفواكه والمطاعم والملابس والسّلطنة مشابه لما في جنّة الدنيا لأنّ تلك هي الأصل وإنّما هذه مثال وتذكرة وذكرىٰ للذاكرين، وكذلك ما في جنّة الدنيا مثال وتذكرة لجنّة الآخرة وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿كلّما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً﴾[1] وقوله ﷺ: الدنيا مزرعة الآخرة، فلا يكون شيء هناك إلاّ وله مَثل آية يستدلّ بها عليه في الدنيا، ولهذا لما سُئل الحبر النصراني محمّد بن علي الباقر عليه السلام عن أهل الجنّة كيف يأكلون ولا يتغوطون فأجابه عليه السلام نظيره في هذه الدنيا الجنين في بطن أُمّه يتغذّى ولا يتغوّط.

ولقد ثبت في الأخبار أنّ في الجنّة أشجاراً تنبت بنساء من الحور العين، فعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: على حافتي ذلك النهر ـ يعني نهر الكوثر ـ جواري نابتات كلّما قلعت واحدة تنبت أخرى[2]، وعن رسول الله ﷺ: من قال لا إله إلاّ الله غرست له شجرة في الجنّة من ياقوتة حمراء نبتها في مسك أبيض أحلى من العسل وأشدّ بياضاً من الثلج وأطيب ريحاً من المسك فيها مثال ثدي الأبكار[3]، فهذه هي الأصل في الجنّة وفي الأرض إن صدقت حكاية جزيرة الواق واق فهي المثال والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.
(٣) الكافي.

خريطة العالم المنسوبة إلى الإدريسي وتظهر فيها الواق واق بوضوح، لاحظ أنّ وضع العالم في هذه الخريطة وضع مقلوب، بحيث لو انت قلبتها رأساً على عقب لسهل عليك التعرّف إلى معالمها.

جزيرة المستشكين

وهي من الجزر التي مرّ عليها الإسكندر، وتعرف بجزيرة التّنين، وهي عظيمة بها أشجار وأنهار وثمار، وبها مدينةٌ عظيمة، وكان بها التنين العظيم الذي قتله الإسكندر، وكان من حديثه أنّه ظهر بها تنّين عظيم، كاد أن يهلك الجزيرة وما بها من السكّان والحيوان، فاستغاث الناس منه إلى الإسكندر وكان الإسكندر قد قارب تلك الأرض، وشكوا إليه أنّ التنين قد أكل مواشيهم وأتلف

أموالهم وقطع الطريق على الناس وأنّ له عليهم في كلّ يوم ثورين عظيمين ينصبونهما فيأتي إليهما كالسحابة السوداء وعيناه تتوقدان كالبرق الخاطف، والنار والدخان يخرجان من فيه فيبتلع الثورين ويرجع إلى مكانه.

فسار الإسكندر إلى المدينة وأمر بالثورين فسلخا وحشا جلودهما زفتاً وكبريتاً وزرنيخاً وكلساً ونفطاً وزئبقاً، وجعل مع ذلك كلاليب من حديد وأقامهما في المكان المعهود، فجاء التنين في الغد إليهما على العادة فابتلعهما، فأضرمت النار في جوفه وتعلّقت الكلاليب بأحشائه، وسرى الزئبق في جسده ورجع مضطرباً إلى مقرّه.

فانتظروه من الغد فلم يأت ولم يخرج فذهبوا إليه فإذا هو ميّت وقد فتح فاه كأوسع قنطرة وأعلاها، ففرحوا وشكروا سعيَ الإسكندر إليهم وحملوا إليه الهدايا العجيبة من بينها دابّة عجيبة يقال لها المعراج مثل الأرنب، أصفر اللون وعلى رأسه قرن واحد أسود لم يرها شيء من السباع الضواري والوحوش الكاسرة إلاّ هرب منها.

جزيرة العبّاد والحكماء

وهي من الجزر العظيمة التي دخلها ذو القرنين، فوجد بها قوماً قد أنحلتهم العبادة حتى صاروا كالحمم السود، فسلّم عليهم فردّوا عليه السلام، فسألهم ما عيشكم يا قوم في هذا المكان؟

فقالوا: ما رزقنا اللّه تعالى من الأسماك وأنواع النباتات، ونشرب من هذه المياه العذبة، فقال لهم ألا أنقلكم إلى عيشة أطيب مما أنتم فيه وأخصب، فقالوا له، وما نصنع به إنّ عندنا في جزيرتنا هذه ما يغني جميع العالم ويكفيهم لو صاروا إليه وأقبلوا عليه، قال وما هو؟ فانطلقوا به إلى وادٍ لا نهاية لطوله وعرضه، يتّقد من ألوان الدرّ والياقوت والكهرمان الأصفر والأزرق والزبرجد والبلخش والأحجار التي لم تر في الدنيا، والجواهر التي لا تقوّم، ورأى شيئاً لا تحمله العقول ولا يوصف بعض بعضِه ولو اجتمع العالم على نقله لعجزوا،

فقال: لا إله إلاّ اللَّه، سبحان من له المُلك العظيم ويخلق اللَّه ما لا تعلمه الخلائق.

ثم انطلقوا به من شفير ذلك الوادي حتى أتوا به إلى مستوى واسع من الأرض لا تنهيه الأبصار، به أصناف الأشجار وأنواع الثمار وألوان الأزهار وأجناس الطير، وخرير الأنهار وأفياء وظلال ونسيم ذو اعتلال، ونزه ورياض وجنّات وغياض، فلمّا رأى ذو القرنين ذلك سبّح اللَّه العظيم واستصغر أمر الوادي وما به من الجواهر عند ذلك المنظر البهيج الزاهر، فلمّا تعجّب من ذلك، قالوا له: أيّ مَلكٍ مَلَك في الدنيا بعض بعضٍ ما ترى؟ قال: لا وحق عالم السرّ والنّجوى، فقالوا: كلّ هذا بين أيدينا ولا تميل أنفسنا إلى شيء من ذلك، وقنعنا بما نقوى به على عبادة الربّ الخالق، ومن ترك للَّه شيئاً عوّضه اللَّه خيراً منه، فاتركنا ودعنا بحالنا أرشدنا اللَّه وإيّاك، ثم ودّعوه وفارقوه وقالوا له: دونك هذا الوادي فاحمل منه ما تريد، فأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً.

ورُوي أنّه مرّ على أُمّة صالحة، يهدون بالحقّ وبه يعدلون، فوجد حالتهم في العدل والتراحم سواء، أخلاقهم حسنة، وطريقتهم مستقيمة، وقلوبهم طاهرة وليس في أيديهم شيء ممّا يتعامل به النّاس، قد احتفروا قبورهم على أبواب بيوتهم، فإذا أصبحوا جاؤوا إليها فتعاهدوها وصلّوا فيها، فإذا تعالى النهار خرجوا إلى البريّة فَرَعَوْا بقلها كما ترعى الدوابّ الحشيش، وليس على بيوتهم أبواب، ولا عليهم ولاة ولا بينهم قضاة، ولا يتنازعون ولا يتباغضون ولا يتحاسدون ولا يقتتلون، وليس فيهم فقير ولا مسكين، فعجب الإسكندر منهم وقال: أما لكم ملك؟ قالوا: بلى رجل جالس على رأس هذا الجبل، فأرسل إليه فقال: ما لي إليك من حاجة. فركب الإسكندر وصعد إليه، فسلّم عليه، وإذا رجل من أعقل الناس وأزهدهم، وبين يديه جماجم يقلّبها بيده، ولم يكترث بالإسكندر ولم ينزعجْ له. فقال له الإسكندر: أخبرني عن هذه الحال التي أنتم عليها، فإني لم أجد في الأمم أحداً على مثلها، فقال: سلْ عمّا بدا لك، قال: ما أرى في أيديكم شيئاً من الدنيا، فهلاّ استمتعتم بالذهب والفضة

وتعاملتم بهما؟ فقال: لأنا ما رأينا أحداً نال منهما شيئاً إلاّ وتاقت نفسه إلى ما هو أعظم منه، فقال: فما بالكم حفرتم قبوركم على أبواب بيوتكم؟ قال: لأنّا إذا نظرنا إليها قصرت آمالنا فنذكر الموت، قال: فما بال بيوتكم ليس لها أبواب؟ قال: ما بيننا متّهم ولا خائن، قال: فما بالكم ليس عليكم حاكم؟ قال: لأنّا لا نتنازع في شيء، قال: فما بالكم ترعون البقل وتدعون الحيوانات؟

قال: نكره أن نجعل بطوننا قبوراً لها، وفي البقل كفاية ومقنع. قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قال: لأنّا لا نتكاثر ولا نتفاخر. قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تتباغضون ولا تتحاسدون؟ قال: قد ألَّف اللَّه بين قلوبنا. قال: فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ؟ قال: تواضعنا للَّه فنزع الحسد والفظاظةَ منّا. قال: فما بالكم أطول النّاس أعماراً؟ قال: لأنّا نعطي الحقّ ونحكم بالعدل. قال: فما بالكم لا تضحكون؟ قال: لا نغفل عمّن لا يغفل عنّا. قال: فما هذه الجماجم التي بين يديك؟ فبكى وقال: جماجم ملوك ملكوا هذه الأرض، أمّا هذه الجمجمة فجمجمة ملكٍ مَلَكَ هذه الأرض مائة عام فعتا وبغى وتجبَّر وتكبَّر وظلم، فلمّا رأى اللَّه منه ذلك حسمه بالموت، فصار كالحجر الملقى قد أحصى عليه عمله حتى يجازيه به في معاده. ثمّ أشار إلى جمجمة أخرى وقال: هذه جمجمة مَلكٍ ملكَ هذه الأرض فعدل وأحسن وتواضع، ثم جاءه الموت فصيَّره إلى ما ترى. ثم مدَّ يده إلى جمجمة ذي القرنين وقال: وهذه الجمجمة تصير إلى ما صارت إليه هذه الجماجم، فانظر يا عبد اللَّه ما أنت صانع. فبكى ذو القرنين وقال: يا أخي هل لك أن تصحبني فأتّخذك وزيراً وأشركك في ملكي؟ فقال: هيهات هيهات، فقال: ولم؟ قال: لأنَّ النّاس كلّهم لي صديق، وهم لك عدوّ. قال: ولم؟ قال: لرفضي الدنيا وليس في يدي منها ما أُعادَى عليه، وهي في يدك فيعادونك لأجلها. فقال: إن رأيت أن تمنَّ عليَّ بصحبتك فافعل، فقال: على شريطة، قال: وما هي؟ قال: تضمن لي شباباً لا هرم فيه، وصحةً لا سقم فيها، وحياة لا موت معها. قال: لا أستطيع ذلك، قال: فاذهب عنّي ودعني بين يدي مَن يقدر على ذلك. فانصرف عنه ذو القرنين باكياً.

وقيل له: جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو؟ قال: هو علم من علم الأنبياء، قيل فقلت: كان علي بن أبي طالب يعلمه؟ فقال: كان أعلم الناس به.

وعنه عليه السلام في حديث المفضل: قال: فإن قال قائل ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها متنقلاً، قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدلّ بها من تنقل المتنقلة ومسيرها في كلّ برج من البروج، كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلّها متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه.

وعن أبي بصير قال: رأيت رجلاً يسأل أبا عبد اللّه عليه السلام عن النجوم، فلمّا خرج من عنده قلت له: هذا علم له أصل؟ قال: نعم.

وعنه عليه السلام: قال: إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق روح القدس، ولم يخلق خلقاً أقرب إليه منها، وليست بأكرم خلقه عليه، فإذا أراد أمراً ألقاه إليها، فألقاه إلى النجوم فجرت به.

وقال هارون الرشيد مخاطباً الإمام الكاظم عليه السلام الناس ينسبونكم، يا بني فاطمة إلى علم النجوم، وفقهاء العامة يقولون: إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: إذا ذُكر أصحابي فاسكتوا، وإذا ذُكر القدر فاسكتوا، وإذا ذُكر النجوم فاسكتوا.

وعلي كان أعلم الخلائق بالنجوم وأولاده وذريّته كانوا عارفين بها. فأجابه الكاظم عليه السلام بالقول: هذا الحديث ضعيف، واسناده مطعون فيه، واللّ تعالى مدح النجوم فلولا أنّ النجوم صحيحة ما مدحها اللّه، والأنبياء كان عالمين بها، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وكذلك نُري إبراهيم ملكو السموٰات والأرض وليكون من الموقنين﴾ وقال: ﴿فنظر نظرة في النجوم، فق إنّي سقيم﴾، فلو لم يكن عالماً بالنجوم ما نظر فيها، ولا قال إنّي سقي وإدريس كان أعلم أهل زمانه بالنجوم، واللّه أقسم بمواقع النجوم وقال. ﴿فالمدبرات أمراً﴾، يعني بذلك اثني عشر برجاً، وسبع سيارات، وبعد علم

القرآن، لا يكون أشرف من علم النجوم، وهو علم الأنبياء والأوصياء الذين قال فيهم: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾، ونحن نعرف هذا العلم وما ننكره[١].

وان نبوّة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد ﷺ قد دلّ عليها عموماً أخبار المنجّمون، وإنّ النبي ﷺ ذكر مولده الشريف بمقتضى علم النجوم فقال: ولدت بالسماك.

وهناك الكثير من الروايات تنهى عن بعض الأعمال في أوقات معينة وذلك لتأثير النجوم والكواكب تأثيراً سلبياً فيها، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سافر أو تزوّج والقمر في العقرب لم ير الحسنىٰ[٢].

وعن الرضا عليه السلام فيما قال في حديث: إعلم أن جماعهن والقمر في برج الحمل والدلو من البروج أفضل وخير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر، وفي حرز الجواد عليه السلام قال من شروط كتابة الحرز، وينبغي أن لا يكون طلوع القمر في برج العقرب.

ومن المكارم في حديث أنّه نهىٰ عن الحجامة في الأربعاء إذا كانت الشمس في العقرب.

وعن الكاظم عليه السلام: من تزوّج في محاق الشهر فليسلم لسقط الولد.

ورُوي أنّ رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّي أريد الخروج في تجارة لي وذلك في محاق الشهر فقال: أتريد أن يمحق الله تجارتك، تستقبل هلال الشهر بالخروج.

فنقول بعد هذا الإثبات بلا اطناب ممل ولا إيجاز مخل، ان حركة النجوم مرتبطة بالأرض ارتباط تعلّق، بمعنى أنها والأرض وما عليها كالجسد الواحد، فكلّ ما يحدث فيها تداعا له ما يناسبه في الأرض، وسيران النجوم يحكي مسيرة

---

(١) فرج المهموم.
(٢) بحار الأنوار.

حياة الإنسان في الأرض، وفي حساب درجاتها ومنازلها ومعرفة خواصها ممكن اكتشاف ما يحدث في المستقبل والحاضر، وهو ما يسمىٰ بعلم التنجيم، ولكن دلّت التجربة والرواية أنّ الإحاطة بعلم التنجيم وفهم جميع حيثياته متعذّر ومحال لأنّ معرفة طبائع البروج والكواكب وأمزجتها لا يحصل إلاّ بالتجربة أو بواسطة القوة الباصرة ولا ارتياب في أنهما قاصرات من تحصيل ذلك المطلوب. فحصولها بالتجربة باطل وذلك لأنّ أقل ما لا بدّ منه في التجربة أن يحصل ذلك الشيء على حالة واحدة مرتين وهذا متعذّر لأنّ الفلك إذا وقع على شكل معين فإنه لا يعود إلى مثل ذلك الشكل إلاّ بعد ألوف من السّنين ومعلوم أنّ الأعمار لا تفي بذلك والتواريخ التي تضبط هذه المدة لا يتصل بعضها ببعض، فإذاً لا سبيل إلى معرفة هذه الأحوال من جهة التجربة.

وأمّا حصولها بالقوة الباصرة فذلك أيضاً باطل لأنّه لا ارتياب في أنّها قاصرة عن إدراك الصغير من البعيد، فإنّ أصغر الكواكب ممّا في الفلك الثامن وهو الذي يمتحن به حدّة البصر مقداره بمقدار كرة الأرض بضع عشرة مرة وعظم الأرض أكبر من كرة عطارد، ولو تكوكب الفلك الأعظم التاسع بكواكب على قدر الكوكب الصغير المذكور من الثوابت لما أمكن للحسّ إدراكه أصلاً فضلاً عمّا يكون قدره على مقدار عطارد أو أصغر منه، وعلى هذا التقدير يمكن أن يكون في السمٰوات كواكب كثيرة فعّالة، وإن كنّا لا نعرف وجودها فضلاً عن أن نعرف طبائعها، وقد ثبت عن أهل الرصد أنّه بقي في الفلك سوى الكواكب المرصودة كواكب كثيرة لم ترصد، إمّا لفرط صغرها أو لخفاء آثارها، ولا شكّ أنّ الوقوف على طبائعها متعذّر.

فلا أحد يستطيع الحكم بالتنجيم، إلاّ بعد رصد جميع الكواكب ومعرفة طبائعها ومزاجها والدرجات التي بينها، وهذا متعذّر في إمكانيات البشر لحدود اطلاعهم، فهو علم كثيره لا يدرك وقليله لا ينفع، ولهذا ورد في الروايات النهي عن استماع المنجم لأنّه يحكم على معرفته القليلة التي غالباً ما تكون خطأً، فعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال: **أيّها الناس إيّاكم وتعلّم النجوم إلاّ ما**

يهتدى به في برّ أو بحر، فإنّها تدعو الكهانة والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار، وقوله عليه السلام تدعو إلى الكهانة أي تبديل نتائج الكواكب الصحيحة إلى خاطئة لجهله بها اعتماداً على مزاجه أو ما تخبر الشياطين له.

أمّا الروايات فقد دلّت أنّ هذا العلم منحصر عند من أطلعه اللّه على علمه وهم أمناء وحيه وخُزّان علمه المعصومون عليهم الصلاة والسلام.

فعن الصادق عليه السلام قال: في السماء أربعة نجوم لا يعلمها إلاّ أهل بيت من العرب وأهل بيت في الهند(١)، المراد بالعرب أوصياء محمّد صلى الله عليه وآله كما أنّ المراد ببيت الهند أوصياء إدريس عليه السلام.

وعن سعيد بن جبير قال: استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس، فقال له بعد التهنية يا أمير المؤمنين تناحست النجوم بالطالعات وتناحست السعود بالنحوس، وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء ويومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه كوكبان، وانقدح من برجك النيران وليس لك الحرب بمكان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام ويحك يا دهقان المنبيء بالآثار المحذّر من الأقدار، ما قصّة صاحب الميزان وقصة صاحب السرطان؟ وكم المطالع من الأسد، والساعات من المحركات وكم بين السواري والدراري؟ قال سأنظر، وأومأ بيده إلى كمّه وأخرج منه اسطرلاباً ينظر فيه، فتبسّم عليه السلام، فقال: أتدري ما حدث البارحة وقع بيت بالصين وانفرج برج ماجين وسقط سور سرانديب، وانهزم بطريق الروم بأرمينة، وفقد ديّان اليهود بأيله، وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك إفريقية، أكنت عالماً بهذا، قال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: البارحة سعد سبعون ألف عالم وولد في كل عالم سبعون ألفاً، والليلة يموت مثلهم وهذا منهم وأومأ بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي لعنه اللّه وكان جاسوساً للخوارج في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام، فظن الملعون أنّه يقول خذوه، فأخذ بنفسه فمات، فخرّ الدهقان ساجداً، فقال أمير

---

(١) اللوامع النورانية.

المؤمنين عليه السلام: ألم أروك من عين التوفيق قال: بلى يا أمير المؤمنين، فقال: أنا وأصحابي لا شرقيون ولا غربيون نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك، أمّا قولك انقدح من برجك النيران فكان الواجب أن تحكم به لي لا عليَّ، أمّا نوره وضياؤه فعندي وأمّا حريقه ولهبه فذاهب عنّي، وهذه مسألة عميقة أحسبها إن كنت حاسباً(١).

وعن بياع السابري قال: قلت لأبي عبد اللّه: إنّ لي في النظرة في النجوم لذّة، وهي معيبة عند الناس، فإن كان فيها إثم تركت ذلك وإن لم يكن فيها إثم فإنّ لي فيها لذّة، قال: فقال عليه السلام: تعدّ الطوالع قلت: نعم، فعددتها له، فقال: كم تسقي الشمس القمر من نورها؟ قلت: هذا شيء لم أسمعه قطّ، قال: وكم تسقي الزهرة الشمس من نورها؟ قلت: ولا هذا، قال: فكم تسقي الشمس من اللوح المحفوظ من نوره؟، قلت: وهذا شيء ما أسمعه قطّ، قال فقال: هذا شيء إذا علمه الرجل عرف أوسط قصبته في الأجمة، ثم قال ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند.

وعن أبان بن تغلب قال: كنت عند أبي عبد اللّه عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلّم عليه فردّ أبو عبد اللّه عليه السلام، فقال له مرحباً يا سعد، فقال له الرجل بهذا الاسم سمّتني أُمّي وما أقلّ من يعرفني به فقال له أبو عبد اللّه عليه السلام صدقت يا سعد المولى، فقال الرجل: جُعلت فداك بهذا كنت ألقّب، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام لا خير في اللّقب ان اللّه تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾، ما صناعتك، يا سعد؟ فقال: جُعلت فداك انا من أهل بيت ننظر في النجوم، لا يقال إنّ باليمن أحداً أعلم بالنجوم منّا، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام، فكم ضوء المشتري على ضوء القمر درجة؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: صدقت، فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو

---

(١) بحار الأنوار.

عبد اللّه عليه السلام صدقت، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الإبل؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام صدقت، فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال له أبو عبد اللّه عليه السلام: صدقت فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب؟ فقال اليماني: لا أدري فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: صدقت في قولك: لا أدري، فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليماني: نجم نحس، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام: لا تقل هذا فإنّه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء عليهم السلام وهو النجم الثاقب الذي قال اللّه في كتابه، فقال اليماني: فما معنى الثاقب؟ فقال: إنّ مطلعه في السماء السابعة فإنّه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سمّاه اللّه النجم الثاقب.

وعن هشام الخفاف قال: قال أبو عبد اللّه عليه السلام: كيف بصرك بالنجوم قال قلت: ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم منّي، فقال: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال: فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها، قال فقال لي: إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين لا يُرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة، قال قلت: هذا واللّه شيء لا أعرفه ولا سمعنا أحداً من أهل الحساب يذكره، فقال لي: كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها، قال قلت: هذا واللّه نجم ما سمعت به ولا سمعت أحداً من الناس يذكره، قال: سبحان اللّه فأسقطتم نجماً بأسره فعلىٰ ما تحسبون، ثم قال: فكم الزهرة من القمر جزءاً في ضوئه، قال فقلت: هذا شيء لا يعلمه إلاّ اللّه عزّ وجلّ، قال: فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها؟ قال قلت: ما أعرف هذا، قال: صدقت، ثم قال: فما بال العسكرين يلتقيان في هذا حاسب وفي هذا حاسب، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر، ويحسب هذا لصاحبه بالظفر ثم يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر فأين كانت النجوم، قال فقلت: لا واللّه ما أعلم ذلك، قال فقال: صدقت إنّ أصل الحساب حق، ولكن لا يعلم ذلك إلاّ من علم مواليد الخلق كلّهم[1].

---

(١) الكافي.

النجوم

قد ذكر علماء الفلك أنّ لمعان النجم متوقّف على المسافة التي يبتعد النجم بها عنّا، وكمية الضوء المنبعثة منه، فبعض النجوم يتبعد عنّا مئات السنين الضوئية ولكنه ساطع يتلألأ لانبعاث الكمّيات الهائلة من الضوء منه ولهذا استطاع الفلكيون رصدها للمعانها ونورها، أمّا النجوم التي لا ينبعث منها الضوء سواء كانت بعيدة أو قريبة عنّا لم ترصد بكاملها لعدم رؤية الإنسان لها، ولا يعلم حصرها إلاّ خالقها ومبدعها.

وإليك أسماء النجوم التي تمّ رصدها، ووضع الفلكيون أسماء لها مناسبة لأشكالها.

النجم المسمّى بآخر النهر يبعد عنّا سبعين سنة ضوئية[١]، وقال المنجّمون إنّه يعطى الملك والغلبة في البحار، فإن كان مع زحل كان أقوى تأثيراً، وإن كان مع المشتري فالملك يكون أعلىٰ مرتبة ودرجة.

النجم المسمّى الدبران، ويسمّى عين الثور أو نير الثور، يبعد عنّا ٥٧ سنة ضوئية، ومزاجه مزاج المريخ، فهو من نجوم العمر والزيادة في القوّة، وإن كان المريخ منه على ثلاث درجات من قبل أو بعد فيدلّ على الظّفر بالملوك والأموال والقتل، وإن كان مع زحل فإنّه يفيد الملك الحاكم والجبال والبحار، وإن كان مع المشتري في درجة واحدة أعطى الملك والتدبير بلا خوف ولا اضطراب بل مع الأمن والعدل، وإذا كانت الشمس منه على خمسة عشر درجة فإنّه يعطى ملك العالم كالإسكندر وأمثاله، وإذا كانت الزهرة هناك فالملك مع الحظوة بالنساء، وإذا كان القمر معه فالملك في العبيد والإماء.

النجم المسمّى العيوق وهو يبعد عنّا ٥٢ سنة ضوئية، مزاجه مزاج المريخ وعطارد وهو من نجوم الماء والاستكثار منه.

---

(١) الضوء حين يسير في الفضاء يقطع ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر في الثانية الواحدة من الزمن.

النجم المسمّى منكب الجوزاء يبعد عنّا ٢٠٠ سنة ضوئية، ومزاجه مزاج زحل وعطارد.

نجم سهيل ويسمّى أيضاً سهيل اليمن، ويبعد عنّا ٢٠٠ سنة ضوئية.

نجم الشعرى اليمانية، ويبعد عنّا ٨,٦ سنة ضوئية، وقد ذكر بعض المنجّمين أنّه نحس حارّ يكاد أن يلتهب العالم من حرارته، إلاّ أنّه ضعيف لأنّ حرارته موفقة للقوة والحياة مثل حرارة المشتري.

نجم الشعرى الشامية، ويبعد عنّا ١٠,٥ سنة ضوئية، مزاجه مزاج عطارد وهو تلو الشعرى اليمانية في القوة وإعطاء الملك، فإذا اقترنت به الكواكب السيارة أعطت بحسب ما يليق بتلك المقارنة.

قلب الأسد يبعد عنّا ٥٦ سنة ضوئية، مزاجه مزاج المريخ ويسير من المشتري.

السماك الرامح يبعد عنّا ٤١ سنة ضوئية مزاجه مزاج عطارد وزحل، وهذا النجم يقال الشمعي لأنّه في لون الشمع الأصفر وهو من كواكب الهواء.

نجم السماك الأعزل مزاجه مزاج الزهرة ويسير من عطارد، قالوا إنّه كوكب استخراج الضمير.

نجم النسر الواقع ويبعد عنّا ٢٦ سنة ضوئية.

نجم النسر الطائر ويبعد عنّا ١٦ سنة ضوئية.

نجم فم الحوت ويبعد عنّا ٢٤ سنة ضوئية مزاجه مزاج زحل وعطارد.

نجم قلب العقرب ويبعد عنّا ٣٨٠ سنة ضوئية.

نجم اقنطورس ويبعد عنّا ٤,٣ سنة ضوئية.

نجم رجل الجبار ضوئه يفوق ضوء الشمس ثلاثة آلاف مرّة ويبعد عنّا ثلاثمائة سنة ضوئية.

نجم قنطورس ويبعد عنّا ٣٠٠ سنة ضوئية.

نجم الصليب ويبعد عنّا ٢٣٠ سنة ضوئية.

نجم التوأمين ويبعد عنّا ٢٨ سنة ضوئية.

نجم سنبل القمح ويبعد عنّا ٢٣٠ سنة ضوئية.

ذنب الطائر ويبعد عنّا ٤٦٥ سنة ضوئية، ونجم الفرس ونجم المراق في المرأة المسلسلة ونجم القطب ورأس التوأم المؤخر ونجم جنب برشاوش الأيمن وهو مرفق الثريا، ونجم نير فرش السفينة ويسمّى سهيل الوزن، ونجم سهيل حصار وسهيل رقاش، ونجوم الكرسي في صورة ذات الكرسي، ونجم الكف الخصيب، ونجم أخفىٰ الفرقدين، ونجم نير سعد السعود، ونجم فم الفرس، ونجم راعي النعايم ونجم الراعي الذي على رأس حواء وكبله الذي على منكب الحواء الأيمن ونجم نير الثريا، ونجم نير البطين ونجم أذن الكلب ونجم العذارى ونجم مقدم البطين وهو منشأليه الحمل وأول الثريا وسعد بلع، ونجم رأس الساكب.

وقد حسب عدد النجوم التي ترى بواسطة نظارة هرشل الكبيرة ما ينيف على عشرين مليون نجم.

تأمّل سطور الكائنات كأنها ... من الملأ الأعلى إليك دلائل
وقد خطّ فيها لو تأملت خطّها ... ألا كلّ شيء ما خلا اللّه باطل

وإليك خارطة السماء لمعرفة مواقع النجوم فيها في الصيف والشتاء.

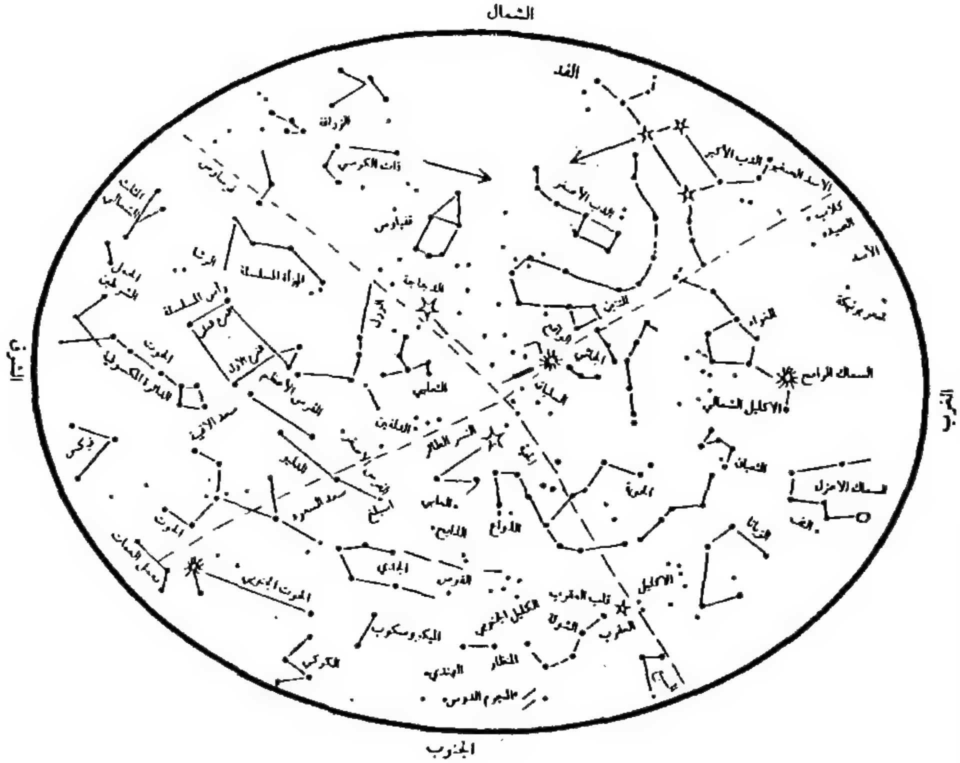

مواقع النجوم وخريطة السماء في أول الصيف ٢٢ يونية

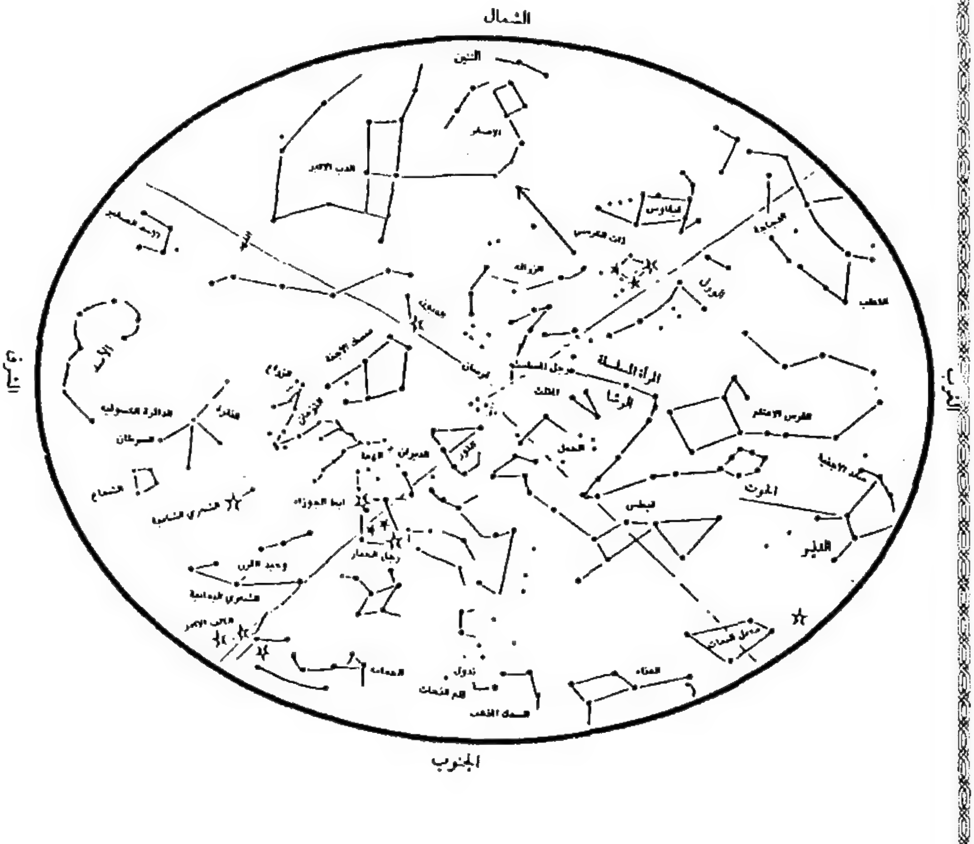

مواقع النجوم وصور السماء في فصل الشتاء ٢٢ ديسمبر

الشهب والنيازك

الشهب أجسام تتفاوت وزناً بين أوقيات صغيرة، إلى أطنان كبيرة، ويدخل الغلاف الهوائي منها كلّ يوم ملايين عديدة التي توجد في الفضاء فرادى أو جماعات، كأسراب النحل، فإذا اقتربت الأرض منها جذبتها نحوها، فتدخل الغلاف الهوائي بسرعة كبيرة، ويتولّد من احتكاكها بالطبقة الهوائية المحيطة بالأرض حرارة شديدة فتشتعل، ويذهب معظمها هباء في الجو، أمّا القليل جداً منها ممّا لا تكفي الحرارة المتولّدة فيه بالاحتكاك مع الهواء لتبخره فيسقط إلى الأرض، وهو ما يسمّى عادة نيازك.

والفرق بين الشهب والنيازك، أنّ الشهب صغيرة جداً إذ لا يبلغ ثقل الشهاب منها إلاّ على عشرة جرام فقط، فتستحيل إلى بخار قبل أن تصل إلى سطح الأرض، ومعدل سرعة الشهب ٢٦ ميلاً في الثانية إلى ١٥٠ ميلاً، وكأنّها تجر ذيلاً طويلاً خلفها، وهي في الحقيقة أثر احتراقها أثناء حركتها السريعة، وينتهي هذا الاحتراق بفنائها في الجو بالتبخر أو التفتيت إلى ذرّات صغيرة جداً تسقط على الأرض كغبار.

أمّا النيازك فهي أجسام صلبة كبيرة الحجم لم يكتمل احتراقها أثناء احتكاكها بالغلاف الهوائي، وتصل إلى سطح الأرض بفعل الجاذبية وهي الأجسام التي يمكن أن تصل إلى أيدينا من الفضاء الخارجي ومعظم النيازك ذات أشكال مخروطية يغلب عليها اللون الأسود وهي غير ملساء وتكثر فيها التجاويف وبعضها يصل نسبة الحديد المنصهر فيها تسعين في المائة.

البروج الشمسية

﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّناها للناظرين﴾[١] ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾[٢].

معلوم أنّ السنة القمرية تقلّ عن السنة الشمسية بنحو أحد عشر يوماً ممّا يجعل الشهور القمرية تتقهقر تباعاً نحواً من شهر واحد في كلّ ثلاث سنوات فتدور بذلك الفصول اثنان وثلاثين مرّة في كلّ ثلاث وثلاثين سنة قمرية، لذلك فقد سلك الناس في العقود الماضية طرقاً مختلفة كما استنبطوا قواعد كثيرة لتعيين المواعيد الدقيقة للتغيّرات الفصولية والمواسم المختلفة، ومن ما استعملوه البروج الشمسية لا سيما لدى الخاصة من أهل المدن وكانوا يأخذون مقارناتها من مصادرها الموثوقة المقصورة في فقهاء الدين الإسلامي أو الفلكيون، وبما أنّ دائرة البروج مقسّمة إلى ٣٦٠ درجة يخصّ كل برج منها ثلاثين درجة، وبما أنّ طول السنة ٣٦٥ يوماً فقد وائموا بين الدرجات والأيام ووزعوها كالنحو التالي:

فصل الربيع: الحمل ٣١، الثور ٣١، الجوزاء ٣٢، المجموع ٩٤ يوماً.

---

(١) سورة الحجر: الآية ١٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٦١.

فصل الصيف: السرطان ٣١، الأسد ٣١، السنبلة ٣١، المجموع ٩٣ يوماً.

فصل الخريف: الميزان ٣٠، العقرب ٣٠، القوس ٢٩، المجموع ٨٩ يوماً.

فصل الشتاء: الجدي ٢٩، الدلو ٣٠، الحوت ٣٠، المجموع ٨٩ يوماً.

فمجموع المجاميع ٣٦٥ يوماً، يضيفون إليها يوماً واحد هو الكبيسة، ثمانية مرّات في كل ثلاث وثلاثين سنة قمرية.

تنبيـه:

المهم الذي ينبغي التنبيه له في هذا المقام الذي تزلّ فيه الأقدام إلاّ من رضع التحقيق من ثدي التوفيق أن تعلم أنّ بعض الفلاسفة والمنجّمين والذين وافقوهم على الرأي الذين قالوا بألوهية الكواكب واستحقاقها للعبادة، واستقلالها بالتأثير والتدبير في هذا العالم، وهذا كفر مجمع عليه في جميع الملل والأديان، لأنّ الملل كلّها متّفقة على أنّ المستحقّ للعبادة والذي بيده التأثير وتدبير الكائنات إنّما هو إله واحد واجب الوجود متّصف بصفات الألوهية والربوبية وأنّ كلّ ما عداه حادث مفتقر إليه على الدوام لا يستقل بنفسه في شيء من الأشياء ولو لحظة واحدة.

أمّا ما دلّ النقل والعقل أنّها علامات أجرى اللّه تعالى عادته بوجود الحوادث عندها لا بها ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ ومع تجويز التخلّف عند فرق تلك العادة كالصدقة والدعاء وعدم الإقدام على أمر كالتزويج والقمر في برج العقرب كما ورد في الروايات، وهذا الحكم هو كما في سائر الأسباب العادية في الأكل والشرب والقطع والإحراق، كما تقول بأنّ فلان شبعان لأنه أكل، وفلان ريّان لأنّه شرب، فعلى هذا إذا ثبت بالتجربة وتكرر بالمشاهدة أنّه متى طلع الثريا في الفجر مثلاً وجد المطر، فقال أحدنا اعتماداً على تلك التجربة والمشاهدة المتكررة أنّ طلوع الثريا في الفجر سبب وجود المطر لم

يلزمه شيء من الإثم بل هذا مجمع على جوازه عند فقهاء الأمصار في جميع الأقطار، فافهمه فإنّه قد يشكل على البعض، فيظن أنّه اسناد الأمر إلى الكواكب مطلقاً كفر يجب الزجر عنها، قد يوهم إطلاق لفظ التأثير خلاف المقصود وإن لم يرد القائل معناه المنكر بل أراد المعنى الصحيح الذي ذكرناه، فينبغي أن يهجر اللفظ الموهم فيعبر بلفظ صريح في المقصود بأن يقول مثلاً جرت العادة بوجود المطر عند طلوع الثريا، أو يقول قد يوجد المطر عند طلوع الثريا، أو غير ذلك من العبارات، فعلىٰ هذا فقس سائر الأحكام النجومية، واللّه الموفّق للصواب وإليه المرجع والمآب.

الكواكب

تتكوّن أسرة المجموعة الشمسية والمعروفة باسم الكواكب السيّارة ، بحسب بعدها عن الشمس هكذا: عطارد ـ الزهرة ـ الأرض ـ المريخ ـ المشتري ـ زحل ـ أورانوس ـ نبتون ـ بلوتو.

وكلما كان الكوكب أقرب للشمس كانت سرعته أكثر من غيره في قطع الفلك، ولما كانت الثلاث الكواكب الأخيرة، أورانوس ونبتون وبلوتو بعيدة جداً عن الشمس فإنّ تأثيرها على حياة الإنسان يكاد يكون معدوماً، ولذا أغفلها الفلكيون والمنجمون إذ يقتصر تأثيرها على حياة الشعوب والدول فقط التي تمتدّ إلى مئات بل ألوف السنين.

وأما تأثير الكواكب الخمسة على الأرض والإنسان فيدلّ عليه أمور منها هذه الأوجه الستّة:

الأول: إنا نرى اختلاف حال الفصول حرّاً وبرداً، فنرى صيفاً أحرّ من صيف وشتاء أبرد من شتاء، وإذا بحثنا عن سبب ذلك التفاوت لم نجد ذلك إلاّ أنّه متى قارن الشمس كوكب حار كان الصيف حاراً في غاية الحرارة وإذا قارنها كوكب ضده فالأمر يكون بالضد، فقس على هذا القول التفاوت في برد الشتاء.

الثاني: استقراء أحكام النجوم مثاله أنا رأينا كلّ من نكح امرأة والزهرة

التي لها تأثير في الشبق والعشق والباه والألفة حالة في الحوت والقمر يسد بينهما في الثور أو يكون القمر في السرطان والزهرة في الثور، أو يكون القمر مقارناً لها في أحد المواضع الثلاثة المذكورة، فإنّ الزوجة المنكوحة تكون موافقة له ويتفق بينهما من المحبة ما يتعجب منه الناس، وأنّ كل من تزوج والزهرة محترقة في السنبلة أو الحمل أو العقرب أو المريخ يقابلها ويربعها وزحل مع ذلك يقارن الزهرة أو يقابلها من بعض المواضع المذكورة والمشتري ساقط عنها فإنّ تلك الوصلة بينهما تكون في غاية الرداءة ويعظم الضرر بين الزوج والزوجة من التباغض ما يؤدّي إلى قبح الأحوال.

الثالث: ما جرّب من كون القوّة الطبيعية تقوى بقوة القمر وتضعف بضعفه، ألا ترى أنّ القمر إذا قارن الزهرة في برج الثور، واستعمل أحد في ذلك اليوم النورة التي جرت العادة باستعمالها لإزالة الشعر، فإنّها لا تؤثر في ذلك الوقت أثراً معتداً به ولا تزيله، وإن كانت عادته قد جرت بنتفه من غير تألّم فإنّه في ذلك اليوم لا يمكنه نتفه إلاّ بألم شديد، وذلك لقوة الشعر يومئذٍ بواسطة قوة الطبيعة، وأيضاً من شرب في ذلك اليوم من الأدوية التي جرت العادة بأن تسهل من شربها، فإنّه في ذلك اليوم لا يسهله ذلك الدواء إلاّ إذا ضاعفه وتكون نتيجته أقلّ من العادة وذلك بسبب ما قلنا من أنّ القوّة الطبيعية تكون في غاية القوة بسبب قوة القمر وكونه في شرفه وبكونه مع الزهرة، وإذا قويت القوة الطبيعية منعت الأخلاط من التحلل.

الرابع: إذا كان المشتري في السرطان والقمر يقارنه، فإنّ الطبيعة في ذلك تكون في غاية القوة، حتى أنّ الدواء الذي يجلس الإنسان عشرين مجلساً في غير ذلك الوقت فإنّه لا يجلسه في ذلك الوقت إلاّ خمس مرّات أو أقلّ، ومع هذا فإنّه لا يتألّم من ذلك الدواء ولا يحصل في باطنه وجع ولا كرب.

الخامس: من زرع زرعاً أو غرس غرساً والقمر في الجدي أو الدلو أو العقرب، ومع ذلك يكون القمر مقارناً بزحل ولا ينظر إلى المشتري فإنّ ذلك المزروع والمغروس لا ينمو ولا يفلح أبداً.

السادس: إن من اتّخذ طيباً والقمر مقارناً لزحل أو متّصلاً به من بعض بيوت النحسين، ولا ينظر القمر إلى الزهرة أو ينظر إليها ولكنها غير قوية، فإنّه لا يكون لذلك الطّيب رائحة طيّبة ولا يحصل المقصود منه، وبالضد إذا كان القمر متّصلاً بالزهرة اتّصالاً مقبولاً والزهرة في الميزان.

فهذه ستّة أوجه دالّة على أنّ الكواكب غير النيرين لها تأثير في هذا العالم بإذن القادر المختار، وقد ثبت بما ذكرناه من هذه الاعتبارات وأمثالها أنّ الموجب لظهور الآثار في هذا العالم بحسب ما أجراه اللّٰه تعالى من العادة بمقتضىٰ حكمته الأزلية الباهرة،

ونشرع الآن في ذكر أحوال الكواكب وطبائعها مضافاً إليها النيّرين الشمس والقمر.

القمر: برجه السرطان، وهو مؤنث ليلي، مائي بارد رطب معتدل، يقطع الفلك في ٢٩ يوماً وثلث يوم، شرفه في الدرجة الثالثة من برج الثور، وهبوطه في الثالث من برج العقرب، ووباله في الجدي، له من الأيام الاثنين ومن الليالي الجمعة.

عطارد: له برجان الجوزاء والسنبلة، وهو ممتزج الطبع بما يمازجه من الكواكب، فإذا انفرد بطبعه كان الغالب عليه الأنوثة، والبرودة واليبوسة، يقطع الفلك في ٨٨ يوماً، شرفه في الدرجة الخامسة عشر من السنبلة، وهبوطه في الخامس عشر من برج الحوت، ووباله فيه وفي القوس، له من الأيام الأربعاء ومن الليالي الأحد.

الزهرة: له برجان الثور والميزان، وهو مؤنث ليلي مائي رطب معتدل، يقطع الفلك في ٢٢٥ يوماً، شرفه في الدرجة السابعة والعشرون من الحوت وهبوطه في السنبلة ووباله في الحمل والعقرب، له من الأيام الجمعة ومن الليالي الثلاثاء.

الشمس: له برج الأسد، وهو مذكر نهاري، ناري حارّ يابس معتدل،

يقطع الفلك في سنة، شرفه في الدرجة التاسعة عشر من الحمل، وهبوطه في الميزان ووباله في الدلو، وله من الأيام الأحد ومن الليالي الخميس.

المريخ: له برجان الحمل والعقرب، وهو مذكر ليلي ناري حار يابس، يقطع الفلك في سنة و٨٨ يوم، شرفه في الدرجة الثامنة والعشرون من الجدي وهبوطه في السرطان ووباله في الثور والميزان، له من الأيام الثلاثاء ومن الليالي السبت.

المشتري: له برجان القوس والحوت، مذكر نهاري هوائي حار رطب معتدل، يقطع الفلك في أحد عشر سنة وتسعة أيام، شرفه في الدرجة الخامسة عشر من السرطان، وهبوطه في الجدي ووباله في الجوزاء والسنبلة، وله من الأيام الخميس ومن الليالي الاثنين.

زحل: له برجان الجدي والدلو، وهو مذكر نهاري ترابي بارد يابس مفرط، يقطع الفلك في ٢٩ سنة وخمسة أيام، شرفه في الدرجة الحادية والعشرين من الميزان وهبوطه في الحمل ووباله في السرطان والأسد، له من الأيام السبت ومن الليالي الأربعاء.

عجائب الشمس

﴿والشمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾[١].

الشمس هي القرص المعروف في السماء الذي يشع نوره على وجه البسيطة بل على جميع الكواكب السيّارة والقمر، ونحن إذ نرى ونحسّ بنورها وحرارتها فإنّه لم يصل إلينا منها أكثر من جزء واحد من ألفي جزء من الحرارة المشعة منها.

والشمس هي المصدر لنور جميع السيارات التي منها أرضنا وهي منبع حرارتها ومبعث ما فيها من حياة وقوة ونشاط، وظهور آثار الشمس على الأرض أظهر من أن يخفىٰ وأكثر من أن يحصىٰ، فمنها أنا نرى جميع الحيوانات في الليل كالميتة، فإذا طلع نور الصباح ظهرت في أجساد الحيوانات أنوار الحياة، وكلما كان طلوع ذلك النور أكثر كان ظهور قوّة الحياة في الأبدان أكثر، ثم كلّما طلع قرص الشمس ترى الإنسان وسائر الحيوانات يبدأون بالحركة، ومادامت الشمس صاعدة إلى وسط السماء كانت حركاتهم في الزيادة والقوّة، فإذا مالت الشمس عن وسط السماء أخذت حركاتهم وقواهم في الضعف، ولاتزال كذلك إلى غيبوبة الشمس، وكلّما ازدادت الغيبوبة ازداد الضعف والفتور والنقصان وهدأت الأبدان وضعفت، ورجعت جميع الحيوانات إلى بيوتها واحجرتها

(١) سورة يس: الآية ٣٨.

كالميتة المعدومة، حتى إذا طلعت عليهم الشمس في اليوم الثاني رجعوا إلى الحالة الأولى من الحياة والنشاط وقوّة الحركة.

ومنها أنّ كلّ موضع تكون الشمس بعيدة عن مسلماته جداً اشتدّ البرد فيه، مثل الموضعين اللذين تحت القطبين فإنّهما لشدّة البرد فيهما لا يتكون فيها حيوان ولا ينبت فيها نبات، ويكون هناك ستة أشهر نهاراً وستة أخرى ليلاً، وتكون هناك رياح عاصفة.

ومنها أنّه قد دلّ الاستقراء على أنّ السبب في اختلاف الناس في أجسامهم وأخلاقهم أو طبائعهم وسيرهم وألوانهم سواداً وبياضاً وتوسطاً بين ذلك إنما هو اختلاف أحوال الشمس بحسب القرب أو البعد عنها أو التوسط بين ذلك.

ومنها ما يشاهد من اختلاف أحوال الفصول الأربعة بسبب انتقال الشمس في أرباع الفلك، ولا شكّ أنّ السبب في تولّد النبات ونضجها وكمال حالها إنّما هو من هذه الفصول الأربعة، والسبب في الفصول هي الشمس، والسبب للسبب مسبب لما سببه السبب وهو ظاهر.

ومنها ما يتعلّق بالنبات والحيوان والمعادن، كمثل ما يشاهد في النيلوفر والأذريون وورق الخروع وغيرها، من نموّها في أول النهار عند أخذ الشمس في الارتفاع والصعود، وإذا شرعت الشمس في الانحطاط والنزول شرعت في الذبول والضعف، وأيضاً في الزروع والنبات لا ينمو ولا ينشأ إلاّ المواضع التي تطلع عليها الشمس ويصل إليها قوة حركتها، وأيضاً أن وجود بعض النبات في بعض البلاد دون البعض لا سبب له إلاّ اختلاف البلدان في الحرّ والبرد اللذين لا سبب لهما إلاّ الشمس، فإنّ النخل مثلاً ينبت في البلاد الحارّة ولا ينبت في البلاد الباردة وفي الإقليم الأول تنبت الأفاوية الهندية التي لا توجد في سائر الأقاليم، وفي البلاد الجنوبية التي وراء خطّ الاستواء تنبت أشجار وفواكه وحشائش لا يعرف شيء منها في بلاد الشمال.

وأمّا الحيوانات فيختلف الحال في تولدها باختلاف حرارة البلاد وبرودتها، كالفيل فيختلف الحال في تولدها باختلاف حرارة البلاد وبرودتها فإنّ

الفيل والغيلم والببغاء توجد في أرض الهند ولا توجد في سائر الأقاليم التي تكون دونها في الحرارة، وكذلك غزال المسك والكركدن، وقد يوجد بعضها في البلاد التي هي أشدّ حرارة من بلاد الهند، فإنّ الفيل يوجد في البلاد الجنوبية وهي بلاد السودان أعظم جسوماً وأطول أعماراً.

وأمّا انعقاد الأجسام السبعة والأحجار والمعادن فمعلوم أنّ السبب فيها بخارات تتوالد من باطن الأرض بسبب تأثير الشمس، فإذا اختلفت تلك البخارات في قعور الجبال وأثرت الشمس في نضجها تولدت المعادن على تفصيل بينوه في علم الطبيعة.

وفي بيان حكمته جلّ وعلا الباهرة التي هي من أقوى البراهين الظاهرة الدالّة على قدرته وإرادته، أنّه خلق الأرض متحرّكة تدور حول الشمس فإنّها لو كانت واقفة في موضع واحد لاشتدّت السخونة في ذلك الموضع واشتدّ البرد في سائر المواضع وفسد الكلّ بذلك، القريب بالسخونة والبعيد بالبرودة المفرطتين لكنه جلّ وعلا بحكمته جعلها تطلع أول النهار من المشرق فتقع على ما يحاذيها من وجه الغرب، ثم لاتزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على الجوانب الشرقية فحينئذٍ بسبب هذه الحركة والدوران لا يبقى موضع مكشوف في المشرق والمغرب إلاّ ويأخذ حظاً من شعاع الشمس هذا بحسب المشرق والمغرب، وأمّا بحسب الجنوب والشمال فإنّه تعالى جعل حركاتها مائلة عن منطقة الفلك الأعظم، لأنّه لو لم تكن للأرض حركة في الميل لكان تأثيرها مخصوصاً بمدار واحد، فكان سائر المدارات تخلو عن المنافع الحاصلة منه وكان يبقىٰ كل واحد من المدارات حينئذٍ على كيفية واحدة أبداً، فإن كانت تلك الكيفية حارة أفنت الرطوبات كلّها وأحالتها إلى النارية ولم تتكون المتولدات في العالم أصلاً، لأنّ الموضع المحاذي للشمس على كيفية الاحتراق والنارية، والبعيد عنها على كيفية باردة مفرطة، والمتوسط بينهما على كيفية متوسطة فيكون في موضع شتاء دائم وفي موضع صيف دائم وفي موضع آخر ربيع أو خريف فلا يتمّ فيه النضج.

وأيضاً لو لم تكن للشمس عودات متوالية بل كانت تتحرّك حركة بطيئة لكان هذا الميل قليل النفع، وكان التأثير شديد الإفراط وكان يفرض قريباً مما لم يكن ميل البتة، كذلك لو كانت حركتها أسرع من هذه لما كملت المنافع أيضاً ولا تتمّ لقصور التأثير، وأمّا إذا كان هناك ميل يحفظ الحركة في جهة مدّة ثم تنتقل إلى جهة أخرى بمقدار الحاجة ويبقى في كل جهة برهة من الدهر تمّ بذلك تأثيرها وكثرت منافعها كما هو الموجود، فسبحان المنعم المتفضل بدون عمل سابق ولا استحقاق لاحق.

كسوف الشمس

يحدث كسوف الشمس عندما يمرّ القمر بين الأرض والشمس فيحجب ضوء الشمس عن بعض الأماكن علي الأرض، ويكون كسوف الشمس كليّاً عندما يحجب القمر قرص الشمس كله، وبيان ذلك أنّ القمر عند اجتماعه مع الشمس في دقيقة واحدة بأن يكونا على خط واحد يكون القمر بيننا وبينها لأنها أعلى منه فيكون نصفه المضيء جهة الشمس ونصفه المظلم مواجهاً لنا فلا نرى من ضوئه شيئاً، والكسوف الكلي سببه أنّ ظل القمر يترك خلفه على هيئة مخروط يلامس طرف مخروط ظل الأرضِ ماراً بخط منحنٍ على سطحها وهو الذي يرى منه أهل الأرض الكسوف الكلي، ولا يستمر الكسوف الكلي غير دقائق لا تزيد على خمسة دقائق، وتحدث هذه الظاهرة على فترات متباعدة تمتّ لنحو مئتين عام لذلك ينتقل الفلكيون إلى الجهات التي يمكن منها رصد الكسوف الكلّي حينما ينتهي مخروط ظلّ القمر قبل أن يصل سطح الأرض فيرى قرص الشمس تتوسطه دائرة سوداء من حولها حلقة مضيئة هي الجزء الظاهر من قرص الشمس، وقد يكون الكسوف جزئياً عندما لا يحجب القمر إلاّ جزءاً من الشمس وذلك واضح فكسوف الشمس الكلّي عند البعض من أهل الأرض هو جزئي عند البعض الآخر وقد لا يرى عند البعض الآخر.

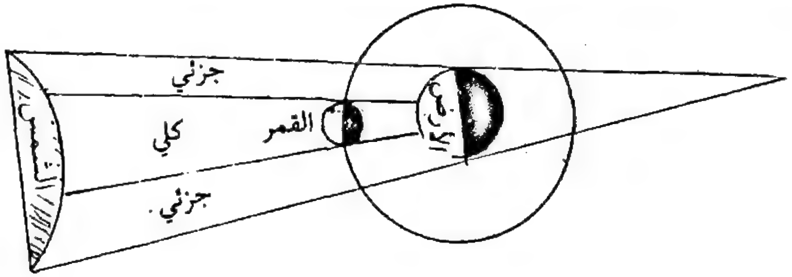

علامات الكسوف

روى الشيخ الراوندي في كتاب عن الصدوق باسناده إلى الصادق عليه السلام ذكر في كتاب دانيال عليه السلام علامات كسوف الشمس في الأشهر العربية.

إذا انكسفت في شهر محرم: فإنّ السنة تكون خصبة إلاّ أنّه يصيب الناس أوجاع في آخرها وأمراض فيكون للسلطان الظفر على أعدائه وتكون زلزلة بعدها سلامة.

وإذا انكسفت في صفر: فإنّه يكون فزع وجوع في ناحية المغرب ويكون قتال في المغرب كثير، ثم يقع الصلح في الربيع، والظفر يكون للسلطان.

وإذا انكسفت في ربيع الأول: فإنّه يكون بين الناس صلح، ويقل الاختلاف والظفر للسلطان بالمغرب، ويقل البقر والغنم ويتسع في آخر السنة الأرزاق ويقع الوباء في البدو بالإبل.

وإذا انكسفت في ربيع الآخر: فإنّه يكون بين الناس اختلاف كثير ويقتل منهم خلق كثير، ويخرج خارجي على الملك ويكون فزع وقتال، ويكثر الموت في الناس.

وإذا انكسفت في جمادى الأول: فإنّه يكون السّعة في جميع الناس بناحية المشرق والمغرب، ويكون للسلطان على الرعية نظر، ويحسن السلطان إلى أهل مملكته ويراعي جانبهم.

وإذا انكسفت في جمادى الآخر: فإنّه يموت رجل عظيم في المغرب، ويقع ببلاد مصر قتال وحروب شديدة، ويكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة.

وإذا انكسفت في رجب: فإنّه تعمر الأرض وتكون أمطار كثيرة بالجبال وبناحية المشرق، ويكون جراد بناحية فارس ولا يضرّهم ذلك.

وإذا انكسفت في شعبان: تكون سلامة في جميع الناس من السلطان، ويكون للسلطان ظفر على أعدائه بالمغرب ويقع وباء في الجبال في آخر السنة ويكون عاقبته إلى سلامة.

وإذا انكسفت في شهر رمضان: كان جملة الناس يطيعون عظيم فارس ويكون للروم على العرب كرّة شديدة، ثمّ يكون الغلب على الروم ويسبى منهم ويغنم.

وإذا انكسفت في شوّال: فإنّه يكون في أرض الهند والزنج قتال شديد ويكثر نبات الأرض بالمشرق.

وإذا انكسفت في ذي القعدة: فإنّه يكون مطر كثير متواتر ويقع خراب بناحية فارس.

وإذا انكسفت في ذي الحجّة: فإنّه يكون فيه رياح كثيرة وينقص الأشجار ويقع بالأرض من المغرب خراب ويغلو عليهم، ويخرج خارجي على الملك ويصيبه منه شدّة ويقلّ طعام أهل فارس ثم يرخص الطعام في السنة الثانية.

وأمّا ما جاء في الملحمة الاسكندرية التي لا تخلو من قوة الاعتبار كما ذكر العلاّمة الجزائري في اللوامع فإذا أردنا اختصارها هنا فنقول قد ذكر في تلك الملحمة.

العواص... إذا انكسفت في شهر أيار: مع طلوع الشمس دلّ على شمول ...لاد واضطراب أمير الجبال، وانتقال الملك عن السلطان

إلى غيره، وأنّ الملوك تتغير نياتهم على خواصّهم ويستبدلون بهم، وأن المواشي تتناسل وكذلك البقر، وإذا انكسفت وأظلم النهار فإنّه يشتدّ الرعود في تلك السنة ويكثر الأمطار إذا مضى من هذا الشهر اثنان وعشرون يوماً، وان انكسفت والضياء باقٍ كان الحرّ شديداً بالنهار، ونهب في الناس وتفريق في أهل المدائن وزروعها ودوابهم وأمتعتهم، وقتال بين الملوك، ويكون في أذربيجان وقعة صعبة وأمر شديد يجتمع الملوك بعضها إلى بعض، ويذهب أموال أهل الشرق والغرب، وإن كان كسوفها من قبل المشرق وذلك في أول النهار فإنّ الملك يظفر على أعدائه ويهلكهم.

وإذا انكسفت في حزيران: في أول النهار يدلّ على تجدّد سلطان في بلد الجبل غير سلطانه، وعلى أنه يقتل وجهاء الناس ويدلّ على حسن حال المواشي وتناسلها، ووقوع الوباء في السواحل والمواضع التي هي قريبة البحر، وعلى انتقال الملك من بعض الملوك إلى ولده وقتل والديه، وانتشار الأمور ببابل واختلالها. وإن انكسفت عند طلوعها وقع الشرّ والقتال بين ملكين ويهلكان جميعاً، وإن كان عند غروبها يدلّ على هلاك أهل المغرب وهلاك رجل له قدر في بعض البلاد، وإن كانت في وسط السماء فأمر يحدث في الأرض وقتال بمصر، ويقع فساد كبير في أرض بابل.

وإن انكسفت في تموز: عند طلوعها تكثر الفتن وسائر المدن الملاصقة للمشرق، وظهور الوباء في تلك السنة، وإن كان وسط السماء يدلّ على ارتفاع شأن ملك فارس وانقياد الملوك إليه، ويدلّ أيضاً على كثرة الوباء في عموم البلاد في أكثر الأرض، وإن كان قِبل المغرب يدلّ على خصب السنة وفساد التمور وعلى أنّه تطيع الملوك كلها ملك بابل، وتشدّ الروم على العرب ويغلبونهم.

وإن انكسفت في آب: عند طلوعها يدلّ على قتال شديد وهرجة عن ناحية صعبة، وإن كانت وسط السماء يدلّ على توسط حال السنة إلاّ أنّ السلطان إلى بعضها وينقص بعضها، وإن كان عند غروبها دلّ على

والقتال، ويدلّ على إمساك القطر وحسن أمور الملك ويقتل أعداءه وتحسن نيّة السلطان وأولي الأمر في أتباعهم ورعايتهم.

وإن انكسفت في ايلول: عند طلوعها أوجب الغلاء واتصال الفتن والشرّ، وإن كانت وسط السماء فإنّ بعض الملوك يقصد بلاد المغرب وتتصل الفتن في سائر البلاد، ويقلّ المطر ويقع الشر في أرض بابل، وإن كان عند غروبها يدل على حسن حال أهل نينوىٰ وخراسان وكثرة التمور في تلك السنة، وإن انكسفت ورأيت الشمس حمراء مستديرة في وقت الكسوف فإنّه يدلّ على قتال شديد وسفك الدماء، وقال: ذو القرنين إنّه يهلك الملك وتكون الأسعار صالحة، ويهلك حصن من الحصون العظيمة وتكثر الأشجار وتصلح الأرض، ويكون القتال والحرب في ناحية مصر.

وإن انكسفت في تشرين الأول: في أول النهار فإنّه يدلّ على هلاك رجل عظيم القدر ويموت الملك وتشتعل الحروب في الأرض، ويظهر الجراد، وينقطع المطر، وإن كانت وسط السماء فإنّه يسقط رجل عظيم القدر ويكون فساد في أذربيجان، ويصيب الدواب والأغنام، وينقطع الغيث مدّة ثلاثة أشهر، وإن انكسفت عند غروبها وقع الجراد في بلاد الروم.

وإن انكسفت في تشرين الثاني: عند طلوعها ولم يتغيّر لونها ولم تسوَد فإنّ السلطان يضعف أمره، ويقع الغلاء في أرض يونان مصر، وإن كانت في وسط السماء يدلّ على خصب السنة وحسن حالها وكثرة خيراتها مع كثرة العلل والأمراض التي تحدث آخر السنة، ويدلّ أيضاً على تعدّي السلطان على أهل السواد، وينتقل بعض الملوك من مقرّ سريره إلى مدينة أخرى يكون هلاكه فيها، وإن كان في آخر النهار فإنّ الغلاء والوباء يقعان في بلاد الروم، ويلحق العرب شدّة ويقع بينهم السيف، ويكثر الغيث في البلاد وتقوى شوكة المتلصصة وتنقطع الطرقات.

وإن انكسفت في كانون الأول: دلّت على كثرة الخرابات وتشتدّ الرياح العواصف، ويقع الوباء في خراسان وفارس، ويكثر السمك والعصافير، ويقع

القتال في بلاد العرب ويكون الغالب الاضطراب في سائر المدن، وينتزع ملك مصر من موضعه وينحلّ نظام ملكه، وإن كانت بأسرها فإنّه يكون جوع وموت ببابل وأرض موصل وبلد فارس، ويظهر مكر من العرب، وإن كان بحمرة ينقص القمح ويكثر الشعير، ويكون قتل وفزع في المدينة، وتكثر الأشرار، ويهلك رؤساء قوم في ثلج، وتنقص الخيرات وتقع الحروب.

وإن انكسفت في كانون الثاني: إن كان جزئياً يدلّ على خصب السنة وكثرة الخيرات ووفور الغلّات والثمار واتّصال الأمطار، ويدلّ على هرب رجل عظيم القدر من بلاد الروم وقصد فارس ودخوله على سلطانها وتتحارب السلاطين، ويموت ملك مصر، وتتقدّم السفلة والسواقط وينحط أهل الشرف، ويكثر المطر والبرد، ويظهر الجراد، ويكثر القتل والنهب في البلاد، ويقهر الملك الصغير الكبير، وإن انكسفت كلّها يهلك ملك حدث السن، ويقع الغلاء والقتل بمصر ويقتل الزنج ملكهم ويُقتل النساء.

وإن انكسفت في شباط: يدلّ على الغلاء وقلّة الأمطار واتصال الثلوج وشمول الوباء، وحسن حال بابل، وخروج خارجي وانتصابه للملك، واضطراب السواد مدّة ثلاثة أشهر، ويظههر رجل عظيم القدر بجبال فارس وأذربيجان وتختلف الأراجيف في الأرض وتختل السواحل، وتغرق السفن، وتكثر الأدهان والسمسم ويقع الوباء في الغنم، وإن انكسفت كلّها فإنّه يقع قتل عظيم ببابل ويلحق أهل خراسان شدّة عظيمة.

وإن انكسفت في آذار: يدلّ على خصب السنة وحسن حال الثمار وكثرة الأندية والأمطار في خراسان، وعلى وقوع الوباء في أرمينية، ويجيء المطر في آخر السنة، ويكون أكثر الاضطراب في المشرق والمغرب، وتظهر في خراسان علل مختلفة، وإن انكسفت كلها لحق بعض السلاطين مكيدة من أعاديهم، ويقتل ملك عظيم ويزول ملكه، ويكون مرض غريب وأكثر ذلك يكون في العامة[1].

---

(١) اللوامع النورانية.

ومن علامات القائم عجّل الله فرجه الشريف انكساف الشمس في شهر رمضان، قال أبو جعفر عليه السلام: آيتان تكونان قبل القائم لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره، فقال الرجل يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف، فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّي لأعلم بما تقول ولكنّها آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام [1].

وعنه عليه السلام قال: آيتان بين يدي هذا الأمر خسوف القمر لخمس وخسوف الشمس لخمسة عشر، ولم يكن ذلك منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض، وعند ذلك سقط حساب المنجّمين.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: تنكسف الشمس لخمس مضين من شهر رمضان، قبل قيام القائم عليه السلام.

وعنه عليه السلام قال: علامة خروج المهدي عليه السلام كسوف الشمس في شهر رمضان ليلة ثلاث عشر منه.

عجائب القمر

القمر ليس جسماً مضيئاً بذاته كالشمس أو النجوم، ولكنه يعكس الضوء الساقط عليه من الشمس، وعند اقترانه بالشمس لا نرى منه شيئاً، لأنّ وجهه المنير يكون جهة الشمس ووجهه المظلم يكون جهة الأرض، ويقال له حينئذٍ أنّه في المحاق أو الاجتماع، وعند مفارقته لها يقال له حينئذٍ هلال، ويميل إلينا جزء صغير من نصفه المضيء نسميه هلالاً، وكلّ ليلة يتزايد الهلال عرضاً بحركته الميلية ويبعد عن الشمس إلى الشرق بنحو ١٣ درجة ما يوازي ٥٢ دقيقة وذلك بحركته الذاتية، ويلزم أن يتأخر في غروبه كلّ ليلة بعد غروب الشمس بهذا المقدار مضافاً لكلّ ليلة ٥٢ دقيقة تقريباً حتى يظهر لنا نصف الجزء المنير

(١) عوالم العلوم.

في اليوم الثامن بعد ولادته، وفي هذه الحالة يكون بعده عن الشمس ٩٠ درجة أو ثلاثة بروج، ويقال له حينئذٍ أنّه في التربيع الأول، ثم يتقدّم القمر في فلكه من الغرب إلى الشرق، فيتسمرّ في تباعده عن الشمس كل يوم ١٣ درجة تقريباً حتى يصل إلى الاستقبال في منتصف الشهر الهلالي وفي هذه الحالة يكون بعده عن الشمس ١٨٠ درجة أو ستة بروج، ويتجه إلينا عند ذلك جزؤه المنير كلّه ويسمّى بدراً، ويقال له حينئذٍ أنّه في الاستقبال، ثم يعاكس التغيّرات من التوليد إلى الاستقبال، أي يأخذ الجزء المنير في التناقص، ويتأخر في طلوعه بالمقدار المتقدّم كلّ ليلة حتى يختفي نصف الجزء المنير، وفي هذه الحالة يكون بعده عن الشمس ٢٧٠ درجة أو تسعة بروج، ويقال له حينئذٍ أنّه في التربيع الأخير، ولايزال يتناقص ويتأخر حتى يصير هلالاً يطلع في الشرق قبل طلوع الشمس ثم يغيب الجزء المنير تماماً، ويعود إلى المحاق عند الاقتران وهكذا.

ومدّة هذه الدورة ٢٩ يوماً و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثواني وهي مدّة الشهر العربي.

وظهور آثار القمر على الأرض أكثر من غيره وذلك لأنّه أقرب الكواكب إلى الأرض فكان التأثير منه أكثر وأولىٰ، وان حركات القمر سريعة وتغيّراته قليلة، وأمّا سائر الكواكب فحركتها بطيئة وتغيّرات الأرض كثيرة، فكان اسناد تغيّرات الأرض إلى حركات القمر أولى، ثم إنّ القمر بسبب سرعة حركته يمزج أنوار بعض الكواكب بأنوار الباقي ولا شكّ أنّ امتزاجاتها مبادىء لحدوث الحوادث في هذا العالم فكان القمر هو المبدأ القريب.

فمن تأثير القمر على هذا العالم أنّ أصحاب التجارب قالوا: إنّ البحار ما يأخذ في الازدياد من حين مفارقة الشمس للقمر إلى وقت الامتلاء، ثم إنّها تأخذ في الازدياد بعد الامتلاء، وفي الانتقاص عند شروع نور القمر في النقصان وهكذا دائماً.

ومن البحار ما يحصل فيه المدّ والجزر في كلّ يوم وليلة، في طلوع القمر وغروبه، فإذا وصل القمر مشرقاً من مشارق البحر فالمدّ، ولايزال كذلك إلى أن

يصير القمر وسط السماء في ذلك الموضع فعند ذلك ينتهي المد منتهاه، ثم إذا انحط القمر يشرع البحر في الجزر ويرجع البحر، ولايزال كذلك راجعاً إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهي الجزر منتهاه، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المدّ هناك في المرة الثانية ولايزال زائداً إلى أن يصل القمر وتد الأرض فحينئذٍ ينتهي المدّ منتهاه في المرة الثانية، ثم يبتدىء الجزر مرة ثانية ويرجع إلى البحر حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فتعود الحالة الأولى من المدّ مرّة أخرى، وهكذا دائماً أبداً، وتكون الأرض مستديرة والبحر محيطاً بها على استدارتها، والقمر يطلع عليها كلّها مقدار يوم وليلة، فكلّما تحرّك القمر صار موضع القمر أفقاً لموضع من مواضع البحر وصار ذلك الموضع وسط السماء لموضع آخر ووتد الأرض لموضع آخر، وفيما بين كل وتدين من هذه الأوتاد تظهر حالة أخرى، فلا جرم يحصل بسبب ذلك في البحر أحوال مختلفة مضطربة.

ومن تأثير القمر أنا نرى أبدان الحيوانات وقت زيادة نور القمر تكون أقوى وأسخن وبعد الامتلاء تكون أضعف وأبرد، وتكون الأخلاط التي في بدن الإنسان مادام نور القمر زائداً زائدة، ويكون ظاهر البدن أكثر رطوبة وحسناً، فإذا نقص ضوء القمر صارت هذه الأخلاط في غور البدن والعروق وازداد ظاهر الجسد يبساً.

ومنها أيضاً اختلافات الحيوانات وتفاوت أيامها وكلّ ذلك مبني على ضوء القمر ونقصانه كما هو مذكور في كتب الطب.

ومنها أنّ شعر الحيوانات فإنّه مادام القمر زائداً في ضوئه فإنه يسرع نباته ويغلظ ويكثر فإذا أخذ ضوء القمر في الانتقاص أبطأ نباته ولم يغلظ.

وأيضاً يكثر ألبان الحيوانات في أول الشهر إلى نصفه مادام القمر زائداً في ضوئه، وإذا نقص نور القمر نقص غزارة ألبانها، وكذلك أدمغة الحيوانات تكون أزيد مما تنعقد في آخر الشهر، بل ذكروا أنّ هذه الأحوال تختلف باختلاف حال القمر في اليوم الواحد، فإنّ القمر إذا كان فوق الأرض في الربع الشرقي، فإنّه

تكثر ألبان الضروع وتزداد أدمغة الحيوانات، وإن حدث في أجواف الطير في ذلك الوقت بيض كان بياضه أرق من بياض البيض الذي يحدث في غير ذلك الوقت من اليوم والليلة، فإذا زال القمر وغاب عنهم نقص نقصاناً ظاهراً، وهذه الاعتبارات تظهر عند الاستقراء ظهوراً بيّناً.

ومنها إذا قعد إنسان أو نام في ضوء القمر حدث في بدنه استرخاء ويهيج عليه الزكام والصداع، ومنها أنّ السمك الذي في البحار والأنهار يخرج أول الشهر إلى امتلائه من أحجرتها ومن قعور البحار ويكون سمنها أزيد، وأمّا بعد الامتلاء إلى الاجتماع فإنّها تدخل في قعر البحر وفي أحجرتها وينقص سمنها، بل حتى في اليوم والليلة، فمادام القمر مقبلاً من الشرق إلى وسط السماء فإنّها تخرج سمينة فإذا زال القمر عادت إلى أحجرتها ولا تكون سمينة للغاية، وكذلك حشرات الأرض تخرج من أحجرتها في النصف الأول من الشهر أكثر من خروجها في النصف الثاني.

ومنها أنّ الأشجار والغروس إذا غرست والقمر زائد في الضوء مقبلٌ إلى وسط السماء علقت وكبرت ونشت وحملت وأسرعت النبات، وإن كان ناقصاً في الضوء زائلاً عن وسط السماء كان بالضدّ وكلّ ما ذكرناه كذلك.

ومنها أن القمر من الاجتماع إلى الامتلاء تكون الرياحين والبقول والأعشاب في ذلك الوقت أزيد نشوّاً أو أكثر نموّاً، وفي النصف الآخر من الشهر بالضدّ من ذلك، والقثاء والقرع والخيار والبطيخ ينمو نموّاً بالغاً عند ازدياد الضوء، فأمّا في وسط الشهر عند حصول الامتلاء فهناك يعظم النموّ حتى إنّه يظهر التفاوت في الحسّ في الليلة الواحدة، وكذلك المعادن والينابيع فإنّها تزداد في النصف الأول من الشهر وتنقص في النصف الثاني منه وذلك معروف عند أصحاب المعادن.

ومنها أنّ لدغة العقرب ولسعة الثعبان تكون أشدّ سماً في النصف الأول من الشهر في حين النصف الثاني تصبح أقلّ تأثيراً، وكذلك السباع تكون أشدّ

شراسة وافتراساً لطلب الصيد مادام ضوء القمر في ازدياد إلى النصف الثاني من الشهر.

وفي اقتران القمر بالكواكب وحلوله في الأبراج تأثيرٌ خاصٌ في حياة الإنسان، وأوضح ذلك الأحاديث الواردة في كراهة السفر والتزويج في محاق الشهر وإذا كان القمر في برج العقرب وفي وصية أرستطاليس إلى الإسكندر في اختيار الفصد والحجامة قال: إذا أردت يا إسكندر أن تفجر أو تخرج من الدم كثيراً أو قليلاً وأن تقطع عرقاً فلا تحاول شيئاً من ذلك حتى يهلّ الهلال وحتى يفارق الشمس بثلاث عشرة درجة، واحذر أن يكون القمر في القوس، وهو الطالع أو في الدلو أو في الجدي أو في الجوزاء، وتحذر من نظر الشمس أو القمر والطالع في التربيع والمقابلة، وكون القمر في الاجتماع أو في بروج مائية.

واحذر أن يكون المريخ في الطالع أو مقابلاً له، وكذلك زحل، وأفضل الأوقات للفصد النصف الآخر من الشهر، ليكون القمر ناقص الضوء ولا يكون في الميزان ولا في العقرب والنحوس إليه غير ناظرة، وأردأ ما يكون إذا كان في ثانية أو ثامِنِه نحس.

فأمّا الحجامة فإذا كان القمر زائداً في الضوء ولا تنظر إليه النحوس وخاصة المريخ ويكون القمر مع الزهرة أو تنظر الزهرة أو المشتري إليه، وإذا كان موضع الطالع أو القمر له سلطان على ذلك الموضع من الجسد فلا يتعرضه، أي لا يتعرّض إليه.

ومدار أمرك على إصلاح القمر وتغيبه عن النحوس واتصاله بالسعود واللّهٰ موفقك ومدبّرك برحمته.

منازل القمر

﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾[١].

منازل القمر تنقسم إلى ثمانية وعشرين منزلة وهي مرتبة من أول برج الحمل إلى آخر برج الحوت، وكلّها واقعة في داخل البروج التي هي في وسط السماء لأنّها تمرّ فيها الشمس ويمرّ فيها القمر وتمرّ فيها الكواكب السيّارة المتحيّرة، ونذكرهم على الترتيب مع ما جاء عن هرمس في أحكامهم وطبائعهم والله أعلم.

الشرطين

وهو النطح، من أحكامه أنّه ناري نحس مشرب بالسعادة لأنّه وجه المريخ، وفيه لا تدخل على الملوك ولا تسع في حوائجهم ولا تتصل بهم فإنّ الاتصال بهم في هذا اليوم يورث القتل، ومن دخل عليهم تحرّكت روحانية البغض في قلوبهم ولمن سعى في حوائجهم لم يحمدوا سعيه، وجعلوا العقوبة له جزاء سعيهم، وتزوّج في هذا اليوم، فإنّ من تزوّج فيه حظيت المرأة عنده وحظي هو عندها ويتمتع كل واحد منهما بالآخر، واشتر فيه الدوابّ والبقر واغرس فيه، وابن البناء فيه، فإنّ عاقبة ذلك محمودة، ولا تؤاخ في ذلك اليوم أحد فإنّ تلك المودّة زائلة ولا تشتر فيه للتجارة فإنّه غير محمود العاقبة ولا

---

(١) سورة يس: الآية ٣٩.

تسافر فيه، ولا تكتل غلتك، ولا تشتغل فيه بعلم الصّنعة ولا بشيء من أعمالها، ومن ولد فيه فإن كان ذكراً فلا يحمد فيه شيء من أمره ولا تثبت الأموال معه، وإن كانت أنثى فإنّها تكون محبوبة عند الناس، محظية عند الرجال تشتهر بعمل غير صالح.

البطين

من أحكامه أنّه سعد حار يابس لأنه وجه الشمس وهو ألين جوهراً، أدخل فيه على الملوك واتصل بالاخوان واستفتح بينك وبين من تريد بالودّ والمحبة، ولا تتزوّج فيه ولا تشتر رقيقاً ولا شيئاً من الحيوان، ولا تشتر فيه شيئاً للتجارة، ومن ولد فيه إن كان ذكراً كان صالحاً ناسكاً كتوماً للأسرار محمود السيرة حسن المعيشة كثير الأعداء، وإن كانت أنثى كانت متهتكة مبغضة للناس.

الثريا

من أحكامه أنّه وسط ممتزج سعد لأنّه وجه الزهرة، أدخل فيه على الملوك واتصل بالأشراف واختلط بالاخوان وتزوّج فيه واشتر ما أحببت، وابن الأبنية، واحصد فيه زرعك واكتل فيه غلتك، والبس فيه ما أحببت من جديد الثياب، فإنّ كلّ ذلك محمود العاقبة، ومن ولد فيه ذكراً أو أنثى فهو صالح سعيد محمود السيرة مرضي الطريقة.

الدبران

هو أرضي يابس نحس لأنّه وجه عطارد، لا تدخل فيه على الملوك، ولا تستفتح عملاً من تدبير الصنعة ولا دعوة ولا زرعاً ولا تتزوّج فيه ولا تسافر فإنّ ذلك كله غير محمود العاقبة، ومن ولد فيه كان خبيث الدخلة والسيرة وإن كانت أنثى كانت متهتكة لا يحبّها الرجال ولا تحظى عندهم.

الهقعة

من أحكامه أنّها حارّة يابسة إلى التوسط نحسة ممتزجة بالسعادة لأنّها

وجه القمر، وفيه أدخل على الملوك واستفتح فيه بالأعمال وتزوّج فيه، وازرع واغرس وابن فيه وسافر فيه، فإنّ كلّ ذلك محمود العاقبة حسن الخاتمة باقي الذكر، ومن ولد فيه فإن كان ذكراً كان حسن السيرة محموداً عند الناس، وإن كانت أنثى كانت غير صالحة محظية عند الرجال مستور ذلك منها.

الهنعة

ومن أحكامها أنّها باردة قريبة إلي اليوبسة، إعمل فيها ما تريد من سفر وتزويج وغرس وبناء، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان صالح السريرة محمود العاقبة.

الذراع

من أحكامه أنه سعد رياحي ليّن طرب، وفيه أدخل على الملوك، وازرع واحصد وتزوّج واشتر فيه الدوابّ والبس فيه الجديد وسافر فيه فإنّ ذلك كله محمود العاقبة حسن الخاتمة، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى كان سعيداً صالحاً محمود السيرة.

النثرة

مائي ليّن سعد ممزوج بنحس، وفيه لا تدبر الصنعة، وفيه سافر وادخل على الملوك وازرع فيه واحصد ولا تكتل فيه، ومن ولد فيه إن كان ذكراً كان سيىء السيرة مذموم مكدود العيشة، وإن كانت أنثى كانت صالحة محمودة السيرة.

الطرفة

مائي ليّن نحس وقيل إنّه سعد أبيض لأنّه وجه الشمس، لا تتزوّج فيه ولا تشتر فيه دوابّ، ولا تزرع فيه ولا تحصد ولا تكتل فيه غلّتك، فإنّ من زرع فيه زرعاً واكتال غلّته انتهبه الأعداء، ولا تسافر فيه، وحارب فيه الأعداء فإنّه يورث الظفر، ومن ولد فيه ذكراً أو أنثى كان منحوساً مذموماً عند الناس.

الجبهة

رطب ممتزج بالحرارة، سعد ممزوج بنحس، وفيه أدخل على الملوك وازرع واحصد ولا تكتل غلتك، فإنّ من اكتال فيه غلّته سرقها اللصوص منه أو سرقوا ثمنها منه، وتزوّج في هذا اليوم فإنّه محمود العاقبة، واشتر فيه الدواب وسافر فيه، واستفتح فيه تدبير الحرب فإنّ فيه الظفر والسلامة، ومن ولد فيه فإن كان ذكراً كان راهياً ذكياً، وإن كانت أنثى تكون شديدة الحرص على الرجال مستورة الحال.

الزبرة

وتسمّى الخرثان، نارية يابسة سعد وسط، فيه أدخل على الملوك وازرع واحصد واكتل غلتك والبس فيه الجديد من الثياب واشتر فيه الدواب وسافر واستفتح فيه بالأعمال كلّها فإنّ ذلك كلّه محمود العاقبة بإذن اللّه، ومن ولد فيه ذكراً أو أنثى فإنّه يكون سعيداً صالحاً ميموناً على والديه وأهل بيته ومحموداً بين الناس.

الصرفة

رطب ممتزج الجوهر من النار والأرض، نحس مخلوط بسعادة، وفيه لا تزرع ولا تكتل غلتك، ولاتستفتح فيه بالأعمال ولا تدخل فيه الملوك والأشراف ولا تتزوّج فيه ولا تشتر فيه الدواب، ودبر فيه الحرب وسافر فإنه يورث السلامة والظفر، ومن ولد فيه إن كان ذكراً كان خبيث الداخلة داهي الفكر مقبولاً عند العامة، وإن كانت أنثى كانت بذيئة سليطة منكرة مذمومة.

العواء

وهو وسط أرضي يابس سعد ممتزج، يصلح لكل ما تريد صلاحه، وازرع واحصد ولا تكتل غلتك فيه، ولا تدبر فيه الصنعة ولا تحارب فيه أحداً ولا تخالط الأعداء، وادخل فيه على الملوك والأشراف والبس ما أحببت من جديد

الثوب وتزوّج فيه واشتر الدوابّ وسافر فيه، ومن ولد فيه فإن كان ذكراً كان مشؤوماً على أهله ووالديه، وإن كانت أنثى كانت محبوبة مستورة ذات عفة وحسن حال.

السماك

أرضيٍ يابس سعد، استفتح فيه الأعمال وازرع فيه واحصد وابنِ فيه البناء واكتل فيه غلتك ولا تدخل فيه على الملوك ولا تباشر فيه الحرب وتزوّج فيه ولا تسافر فيه ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى فإنّه يكون صالح السريرة نافذ البصيرة قوي الإيمان.

الغفر

رطب رياحي سعد، حلل فيه عقد السموم القاتلة واعمل فيه كل عمل يؤدّي إلى منفعة، وتزوّج فيه وازرع واحصد واكتل فيه غلّتك والبس ما أحببت من ثيابك الجدد، واستفتح فيه جميع الأعمال، ومن ولد فيه ذكراً أو أنثى فإنّه يكون سعيداً ميموناً على والديه محبوباً سائراً صالحاً.

الزبانا

سعد ممتزج بنحس رياحي، لا تدبر فيه الصنعة وازرع فيه واحصد ولا تكتل فيه غلّتك فإنّ من فعل ذلك تلف عليه، ولا تسافر فيه، ولا تلبس فيه جديداً، وادخل فيه على الملوك والأشراف وتزوّج فيه، واشتر الدواب، ودبّر فيه الحرب، ومن ولد فيه فإن كان ذكراً كان سعيداً ناسكاً محسناً ميموماً، وإن كانت أنثى كانت مشؤومة على والديها.

الإكليل

رياحي ممزوج بالمناحس، لا تدخل فيه على الملوك ولا تطلب حاجة من الأشراف، ولا تزرع فيه ولا تحصد ولا تكتل غلّتك فيه ولا تسافر ولا تلبس ثوباً جديداً، فإنّ من لبس فيه ثوباً جديداً أريق عليه من دمه، ولا تتزوج فيه، ولا

تستفتح فيه شيئاً من الأعمال من تدبير المعيشة والتجارة إلاّ بعد الصدقة والدعاء، ولا تحارب فيه أحداً، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى فإنّه يكون مشؤوماً مبغضاً ويكون محروماً.

القلب

خالط فيه الملوك وأدخل على الأشراف، وسافر وازرع واحصد واكتل فيه غلّتك، واستفتح فيه أعمالك، وتزوّج فيه واشتر الدوابّ والبس ما أردت من الثياب الجدد، فكل ذلك محمود العاقبة، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى فإنّه يكون سعيداً ميموناً محبباً عند الناس حسن المعيشة والتدبير والسيرة ومستور الحال.

الشولة

ناري رطب ممتزج سعد مخلوط بنحس، لا تدبر فيه الصنعة ولا تعالج فيه من الروحانية ولا تسافر فيه ولا تكتل غلّتك فإنّ من فعل ذلك وقعت تلك الغلة في نهب الأعداء، ولا تتزوّج فيه، ولا تلبس فيه ثوباً جديداً فإنّه يورث الحمّىٰ، ولا تفتح فيه شيئاً من الأعمال إلاّ بعد الصدقة، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى فإنّه يكون مشؤوماً على والديه وأهله مذموماً في الناس.

النعايم

ناري سعد، استفتح فيه جميع الأعمال وخالط فيه الملوك والأشراف وازرع فيه واكتل غلّتك وتزوج واشتر الدوابّ، وابنِ فيه، وحارب فيه فإنّ فيه الظفر والسلامة، والبس فيه ما أحببت من جديد فإنّ ذلك كلّه محمود العاقبة، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى، فإنّه يكون ميموناً سعيداً محبباً بين الناس حسن السيرة.

البلدة

ناري نحس، لا تزرع فيه ولا تغرس ولا تكتل غلّتك ولا تسافر ولا تتزوج

ولا تشتر ولا تبيع إلاّ بعد الصدقة فإنّها تدفع البلاء، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى فإنّه يكون منحوساً يموت أحد والديه وتكون تربيته على أسوأ حال.

سعد الذابح

أرضي نحس مشوب بالسعادة، ازرع فيه ولا تكتل غلّتك فيه، فإن فعلت ذلك خرجت الغلّة منك، ولا تسافر، ومن ولد فيه فإن كان ذكراً فإنّه يكون سعيداً محبوباً محبباً عند الناس حسن السيرة وإن كانت أنثى كانت مشؤومة.

سعدَ بلع

أرضي سعد مشرب بنحس، سافر فيه وادخل على الملوك وازرع واكتل غلّتك، ولا تتزوّج فيه، والبس فيه ما أحببت من ثيابك الجدد، ومن ولد فيه فإن كان ذكراً فإنّه يكون مشؤوماً محروماً وإن كانت أنثى كانت ميمونة مستورة عفيفة محمودة السيرة.

سعد السعود

استفتح فيه جميع الأعمال وخالط فيه الأشراف والملوك وازرع واكتل غلّتك والبس فيه ما أحببت من جميع ثيابك الجدد، وسافر فيه وتزوج واشتر الدوابّ، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى، فإنّه يكون سعيداً ميموناً مستوراً محبباً إلى الخلق محمود السيرة.

سعد الأخبية

ناري رياحي نحس، لا تسافر فيه ولا تزرع ولا تكتل غلّتك ولا تخالط الملوك والأشراف إلاّ بعد الصدقة وقراءة سورة التوحيد، ولا تتزوج فيه، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى فإنّه يكون مشؤوماً يموت عنه والداه ويربّيه الأباعد.

الفرع المقدم

ازرع فيه وسافر وهو نافع لتدبير الحروب والبس ثياباً جدداً فإن كلّ ذلك

محمود العاقبة، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى فإنّه يكون سعيداً محبوباً مشهوراً صالحاً في سيرته وتدبيره مستور الحال.

الفرع المؤخر

وهو سعد أبيض وجه المشتري وهو يصلح للخير كلّه وقيل إنه سعد مشوب بنحس، ادخل فيه في طلب الحوائج على الأشراف، وحارب فيه وسافر ولا تتزوّج، والبس فيه ما أحببت من جديد الثياب، وازرع فيه ولا تكتل غلّتك، ومن ولد فيه إن كان ذكراً كان مشؤوماً مذموماً عند الناس، وإن كانت أنثى كانت ميمونة محبّة سعيدة مستورة.

الرشا

مائي سعيد، دبّر فيه الصنعة وازرع فيه واكتل غلّتك وسافر واشتر ما أحببت من الدواب واستفتح فيه الأعمال كلها فإنّ عاقبته محمودة، ومن ولد فيه ذكراً كان أو أنثى فإنّه يكون سعيداً ميموناً محبوباً عند الناس حسن السيرة والله أعلم.

والقمر يبيت كلّ ليلة في منزلة من هذه المنازل فإذا كان مع الثريا في ليلة من الليالي يكون في الليلة المقبلة مع الدبران وهكذا.

خسوف القمر

إنّ اعتراض الأرض أو القمر لمسار أشعة الشمس يؤدّي إلى تكوين ظلال لهما، ويكون ظلّ الأرض أو القمر على شكل مخروط مظلم يسمّى مخروط ظلّ القمر ومخروط ظلّ الأرض، يحيط بكلّ منهما منطقة شبه الظلّ وتحدث ظاهرة خسوف القمر، وكلّما اتخذت الأرض مكاناً وسطاً على خطّ مستقيم في السماء بين الشمس مصدر الضوء، والقمر حيث يقع ظلّ الأرض على القمر كدائرة أو جزء من دائرة محدودة تحجب إضاءته تدريجياً حتى يختفي ثم تنقشع عنه تدريجياً حتى يعود منيراً كما كان، ويحتجب الضوء عن القمر نتيجة لمروره في

مخروط ظلّ الأرض عند اعتراضها له ويسمّى خسوفاً كليّاً، أمّا الخسوف الجزئي عندما يدخل القمر في مخروط شبه الظلّ حيث يتسرّب إليه بعض من ضوء الشمس ولا يكون إلاّ عند الاستقبال أي يكون القمر بدراً.

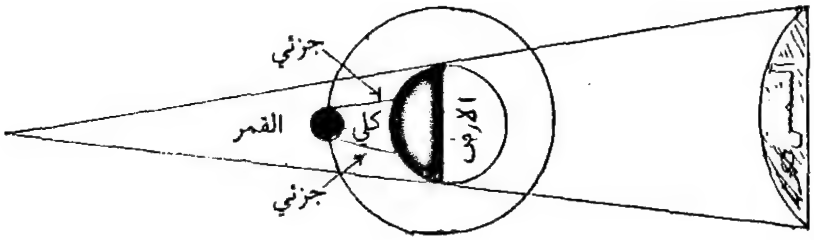

علامات خسوف القمر

ومما ذكر من الملاحم لخسوف القمر ورأيناها موافقة للتجربة الملحمة الإسكندرية، حيث إنّها تنسب إلى الإسكندر الأكبر ذي القرنين وهي علامات خسوف القمر في الأشهر الرومية وهي:

إذا انخسف القمر في نيسان: في أول الليل يدلّ على قتل رجل عظيم القدر بالحديد، وتتغيّر نية الآباء على الأولاد ويقلّ سكونهم إليهم، ويدلّ أيضاً على كثرة الثلوج والخصب والرخص، وإن كان في نصف الليل ولونه يضرب إلى الحمرة يدل على الغلاء والوباء وقلّة الأمطار، وإن كان آخر الليل يدلّ على صلاح حال الملك ورعيته وعلى اتصال الأمطار وهلاك الوحوش وهلاك الغلاّت إلاّ أنّه يحسن حال الكرم.

وإن كان في أيار: في أول اللّيل يدلّ على ثوران الفتن وعلى أن يلحق الزرع اليرقان وتموت البقر وتكون الأمطار متصلة ويحصل بين أهل طائفة من فارس قتال، وإن كان نصف اللّيل يدلّ على وقوع الوباء بنواحي بيت المقدس وحدوث الغلاء غير أنّ حال النخيل يحسن، ويستولي على الأمور السلطانية

إنسان غشوم مقعد ويكون بسبب تغيير نية السلطان على خواصه، وتتصل الأمطار وتقع الحروب بأرض بابل ويقع الجوع بأذربيجان وتقتل أشراف الناس ويصيب الناس شدّة، وإن كان آخر اللّيل يدلّ على سكون الناس وأمنهم وزوال أسقامهم ويكثر السمك والعصافير.

وإن انخسف في حزيران: فإن كان أول اللَّيل يدلّ على خبث نيّة أصحاب الدول وسعيهم في خراب أمور الملك وتتصل الأمطار ويظهر الجراد ولا يفسد إلاّ قليلاً، ويكثر الجور بفارس وتكثر الأثمار وينقص القمح وإن كان في نصف اللَّيل يدلّ على الوباء وعلى إسقاط الحبوب، وإن كان في آخر الليل يدلّ على غزارة المياه وحسن حال مصر في آخر السنة وخروجهم على سلطانهم، ويحسن حال الزرع والنخيل والأشجار.

وإن انخسف في تموز: في أول اللَّيل يدلّ على كثرة الأمطار ووقوع الوباء في الناس والوحوش، وإن كان في نصف اللّيل يدلّ على وقوع الوباء في المغرب واتّصال الفتن في كثير من البلدان وكثرة المطر، وإن كان في آخر الليل يدلّ على محاصرة بابل وكثرة الأراجيف ووقوع الوباء في مواضع كثيرة وتكثر الأوجاع والعلل وظهور البرص.

وإن انخسف في آب: أول اللَّيل يدلّ على محاصرة أهل بابل ووقوع القتال واضطراب السلطان ويعتري الناس ضيقة الصدر ولا يعرفون سببه، ويعارضهم شبيه الوسواس، وتكثر الأمطار، وإن كان في نصف اللَّيل فإنّه يقع تشويش وتكثر الأمطار وترخص الغلاّت.

وإن انخسف في أيلول: في أول اللَّيل يدلّ على فساد الزرع ويظهر الجراد وتكثر الأراجيف ويسير ملك من الشرق إلى المغرب ويملك بلادها ويضيفها إلى مملكته، وتكون سنة خصبة ويعرض للناس وجع العين وتكثر الأمطار جداً، وإن كان في نصف اللَّيل يدلّ على كثرة المياه وحسن حال الأنعام وكثرة العشب، وإن كان في آخر اللَّيل يعمّ الخصب البلاد ويفرح الناس وتقلّ الأمراض ويهلك الملك ويرث ولده من بعد.

وإن انخسف في تشرين الأول: في أول اللَّيل يدلّ على اضطراب وتشويش ووقوع الملك بخواصه فيحطهم عن مراتبهم، ويدلّ على وقوع القتال في الجبال وعلى هلاك البقر والمواشي وحدوث الآفات في الكلاب وكثرة العلل والأمراض، ويحسن الزرع وتكثر الأمطار بعد تأخيرها، وإن كان نصف اللَّيل فإنّ السنة كثيرة الخيرات.

وإن كان خسوفه في تشرين الثاني: فإن كان أول اللَّيل يدلّ على الوباء ووقوع الآفة في المزارع، ويموت ملك العرب، ويظهر الوجع في أهل الجبال بفارس، وإن كان نصف اللَّيل يدلّ على اضطراب أمور الناس مع اتصال الأمطار، ويظهر الجراد الكثير ويحسن الزرع ويفقد رجل، ويسير أهل المشرق إلى أهل المغرب ويكون بينهم حرب كثير.

وإن انخسف في كانون الأول: فإن كان أول اللَّيل فإنّه يدلّ على الوباء بأرض الأهواز وفارس، وعلى عموم الرخص، وعلى هلاك أعداء الملك، وإن كان نصف اللَّيل إلى الصبح فإنّه يدل على وفور المياه ويفسد السمسم ويحسن حال الثمار والغلاّت الصيفية، وتهلك الوحوش مع كثرة العشب والزرع في الجبال، ويتحدّث الناس بأمور تظهر في المغرب، ويموت ملك الشام ويكثر الموت في الإبل، وقال ذو القرنين: يكون حروب وقتال يقع في المدائن، ويقلّ الزرع والفواكه والقطن، ويزيد في العيون، ويظهر في الناس اليرقان ويهلك القمح والشعير، وتخصب أرض بابل وتكثر الأمطار بأذربيجان، ويكثر الثلج ويظهر الجراد ويكون في أصفهان جوع ووباء.

وإن انخسف في كانون الثاني: فإن كان أوّل اللَّيل فإنّه يدلّ على ارتفاع الأسعار في الأهواز، وإن كان نصف اللَّيل أو آخره فإنّه يدلّ على هلاك الوحوش وبوارها، وظهور الجراد وكثرة الأمراض بأرض بابل مع كثرة الفواكه، وتمكن النفاق في قلوب الناس ويحسن الزرع.

وإن انخسف في شباط: فإن كان أوّل اللَّيل فإنّه يدلّ على وقوع الغلاء في بلاد المغرب ويصيب الناس اليرقان، وإن كان نصف اللَّيل أو آخره فإنّه يدل

على اضطراب أهل البحر وهلاك راكبي السفن بالغرق، وعلى اتصال الحرب وهلاك رجل عظيم بفارس، وهلاك قوم من التجار واضطراب الملك إلاّ أنّه يظفر بأعدائه، وإن كان خسوفه بحمرة فأراجيف ورعد ويعصىٰ على الملك أصحابه، وتغلو الأسعار بأرض الترك ويظهر صوت شديد، وتسفك الدماء.

وإن انخسف في آذار: فإن كان أوّل اللّيل فإنّه يدلّ على الجزع الشديد بأهل البحر وعلى وقوع البلاء في بلاد الهند وموت ملكهم، وعلى حسن حال المواشي ويكون بمصر قتال شديد وتخرب بعض بلدانها ويقع البرد والثلج، وإن كان نصف اللّيل فإنّه يدلّ على موت بأرض مصر ويموت ملك المغرب، واللَّه أعلم.

تقديم:

إنّ الاتصالات الفلكية تحتاج إلى الأسباب الفاعلية، والأسباب الفاعلية أيضاً تحتاج إلى الأسباب القابلية، فمثلاً إذا أخبر الفلكي عن حصول الاتصالات الفلكية التي هي كالأسباب الفاعلية وهي العلامات كما ذكرنا وليست المسببة، فإن كان المخبر به خيراً سعىٰ الإنسان في تحصيل المنفعلات الأرضية حتى يكمل الحصول، وإن كان شرّاً سعىٰ في الدوافع حتى لا يحصل ذلك الشيء المكروه، ألا ترى إلى أهل التجربة من الملاحين والزراعين إذا علموا أنّ الزمان الآتي يكون البحر فيه مضطرباً والهواء مفسداً، فإنّهم يحترزون عن ركوب البحر وعن الزراعة، وإن عرفوا كون الزمان الآتي ملائماً لذلك العمل مناسباً له فإنّهم يشتغلون بذلك العمل فينتفعون به، وأيضاً الأطباء الذين يعرفون طبائع الفصول ومقتضياتها، فإنّهم يتحصلون الأغذية والأدوية والمنازل الدافعة لتلك المضار فيتخلصون من مضار الأهوية.

وكذلك الذين يعرفون نزول المطر ينتقلون قبل نزوله إلى المواضع التي تصونهم عن المطر.

وأكثر الناس انتفاعاً بتقدّم المعرفة الأطباء، فإنّهم يعرفون الأوقات الملائمة لسقي الأدوية والأوقات التي تلائمه، والأغذية الموافقة لكلّ فصل، وما ذلك إلاّ بسبب ما معهم من تقدم المعرفة، فكذا ههنا أن الأحكامي إذا عرف

طبيعة الكوكب الفلاني في البرج الفلاني يقتضي الأثر الفلاني، فإن كان ذلك الأثر خيراً فيشتغل بتهيئة الأسباب المنفعلة الأرضية وإن كان شرّاً اشتغل بتهيئة الأسباب الدافعة، فإنّا نعلم أنّ الشمس وقت الصيف تسخن الهواء فتهيىء الأسباب الدافعة للحرّ، ونعلم وقت الشتاء ببرد الهواء فتهيىء الأسباب الدافعة للبرد وهكذا.

ونذكر هنا ما جاءت به الأخبار في جلب مسببات الخير ودفع نحوسات الأيام والأوقات، وذلك لصدق وصحّة نتائجها لما أودعه اللّه تعالى من علم فيهم عليهم الصلاة والسلام، ونذكر أيضاً ما ذكره بعض العلماء وإن كانت ضعيفة ولكن لا تخلو من قوّة واعتبار وموافقة للتجارب، واللّه الموفق.

الأعمال التي تدفع النحس ومحذور الأيام

الصدقة:

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: كان بيني وبين رجل قسمة أرض، وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخّىٰ ساعة السّعود فيخرج فيها، وأخرج أنا في ساعة النّحوس، فاقتسمنا فخرج لي خير القسمين، فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرىٰ، ثم قال ما رأيت كاليوم قط، قلت: ويل الآخر ما ذاك قال: إني صاحب النجوم أخرجتك في ساعة النّحوس وخرجت أنا في ساعة السّعود ثمّ قسّمنا فخرج لك خير القسمين، فقلت ألا أحدّثك بحديث حدّثني به أبي عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله، من سرّه أن يدفع اللّه عنه نحس يومه فليفتح يومه بصدقة يذهب اللّه بها عنه نحس يومه، ومن أحبّ أن يذهب اللّه عنه نحس ليلته، فليفتح ليلته بصدقة يدفع اللّه عنه نحس ليلته، فقلت: إني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من النجوم[1].

وعن ابن أبي عميران قال: كنت أنظر في النجوم وأعرفها وأعرف الطّالع،

---

(١) بحار الأنوار.

فيدخلني من ذلك شيء، فشكوت ذلك إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، فقال: إذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على أول مسكين ثم امض، فإنّ اللّه عزّ وجلّ يدفع عنك.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: تصدّق واخرج أيّ يوم شئت.

وسُئل عليه السلام يكره السفر في شيء من الأيام المكروهة الأربعاء أو غيره قال: افتتح سفرك بالصدقة واخرج إذا بدا لك، واقرأ آية الكرسي واحتجم إذا بدا لك.

الدعاء وقراءة القرآن:

عن سهل بن يعقوب الملقّب بأبي نوّاس، قال: قلت للعسكري عليه السلام ذات يوم، يا سيدي قد وقع إليَّ اختيارات الأيام عن سيدنا الصادق عليه السلام بما حدّثني به الحسن بن عبد اللّه بن مطهر عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه عن سيدنا الصادق عليه السلام في كلّ شهر، فأعرضه عليك، فقال لي: إفعل، فلمّا عرضته عليه وصححه، قلت له: يا سيدي في أكثر هذه الأيام قواطع عن المقاصد لما ذكر فيها من التحذير والمخاوف، فتدلّني على الاحتراز من المخاوف فيها فإنّما تدعوني الضرورة إلى التوجّه في الحوائج فيها، فقال لي: يا سهل إنّ لشيعتنا بولايتنا لعصمة لو سلكوا بها في لجج البحار الغامرة وسباسب البيداء الخايرة بين سباع وذئاب وأعادي الجن والإنس لأمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا فثق باللّه عزّ وجلّ واخلص بالولاء لأئمّتك الطاهرين، وتوجّه حيث شئت واقصد ما شئت، إذا أصبحت وقلت ثلاثاً: أصبحت اللّهمَّ معتصماً بذمامك المنيع الذي لا يطاول ولا يحاول من كلّ طارق وغاشم من ساير ممّا خلقت وما خلقت من خلقك الصّامت والناطق في جُنّةٍ من كلّ مخوف بلباس ولاء أهل بيت نبيّك عليهم السلام محتجباً من كلّ قاصد إلى أذية بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقّهم والتّمسُّكِ بحبلهم جميعاً موقناً أن الحقّ لهم ومعهم وفيهم، وبهم أوالي من والوا وأجانب من جانبوا فأعذني اللّهمَّ بهم من شرّ كلّ ما أتّقيه يا عظيم، حجزت الأعادي عنّي ببديع السموات والأرض، إنّا

جعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم.

وقلتها عشيّاً ثلاثاً أحصنت في حصن من مخاوفك، وأمن من محذورك، فإذا أردت التوجّه في يوم قد حذرت فيه، فقدّم أمام توجّهك الحمد للّه ربّ العالمين والمعوذتين وآية الكرسي سورة القدر وآخر آية في سورة آل عمران وقل: اللّهمّ بك يصول الصائل، وبقدرتك يطول الطائل ولا حول ولا قوّة يمتارها ذو قوّة إلاّ منك بصفوتك من خلقك وخيرتك من بريتك محمّد نبيّك وعترته وسلالته عليه وعليهم السلام صلِّ عليهم وأكفني شرّ هذا اليوم وضرّه وارزقني خيره ويُمنَه، واقض لي في متصرفاتي بحسن العاقبة وبلوغ المحبة والظّفر بالأمنية وكفاية الطاغية الغوية وكلّ ذي قدرة لي على أذيّة حتى أكون في جُنّةٍ وعصمة من كل بلاء ونقمة وأبدلني من المخاوف أمناً ومن العوائق فيه يسراً، لا يصدني صادّ عن المراد ولا يحلّ بي طارق من أذىٰ العباد إنّك على كلّ شيء قدير والأمور إليك تصير، يا من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ودخل رجل على أبي الحسن العسكري عليه السلام يوم الثلاثاء، فقال لم أرك أمس قال: كرهت الخروج في يوم الاثنين، قال: من أحبّ أن يقيه اللّه شرّ يوم الاثنين فليقرأ أول ركعة من صلاة الغداة ﴿هل أتى على الإنسان﴾، ثم قرأ أبو الحسن عليه السلام ﴿فوقاهم اللّه شرّ ذلك اليوم﴾.

وكتب الأدعية كمهج الدعوات والبلد الأمين والمفاتيح وغيرها قد ضمنت الكثير من الأدعية والحجب التي تقي محذور الأيام، وقد رفعنا ذكرها لضيق المقام وعدم الخروج عن المرام، ونسأل اللّه التوفيق على الدوام والعفو عن كل ذنب حرام.

عدم التطيّر:

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أوحى اللّه عزّ وجلّ

إلى داود عليه السلام يا داود كما لا تضرّ الطيرة من لا يتطيّر منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيرون[١].

وعنه عليه السلام قال: الطيرة على ما تجعلها إن هوّنتها تهوّنت وإن شددتها تشدّدت، وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا تطيّرت فامض وإذا ظننت فلا تفض.

وعنه صلى الله عليه وآله قال: كفّارة الطيرة التوكّل.

---

(١) الأنوار النعمانية.
(٢) الكافي.

الأيـام

اليوم هو الزمان الذي يمتدّ من شروق الشمس إلى غروب الشمس، أمّا اللَّيل فهو الزمان الذي يقع بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر، أمّا الزمن الذي يقع بين طلوع الفجر وشروق الشمس، الظاهر هو ليس من النهار ولا من اللَّيل أو أنه يجمع النّهار واللّيل.

ومجموع ساعات اللَّيل والنهار أربع وعشرون ساعة، وكلّما نقص من الليل زاد في النّهار وكلّما نقص من النهار زاد في اللَّيل ﴿يولج اللَّيل في النّهار ويولج النّهار في اللَّيل﴾.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام في حديث المفضل: **فكّر يا مفضل في مقادير اللَّيل والنهار وكيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل منهما إذا طال خمس عشرة ساعة لا يتجاوز ذلك، أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كلّ ما في الأرض من حيوان ونبات، أمّا الحيوان فكان لا يهدأ ويقرّ طول هذه المدة، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك ينهكهما أجمع ويؤدّيها إلى التلف، أمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق، وكذلك اللَّيل لو امتدّ مقداره هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش حتى يموت جوعاً، وتخمد الحرارة الطبيعية عن النبات حتى يعفن ويفسد كالذي نراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.**

وأمّا ما جاء في فضائل الأيام ومعانيها وخواصها وما يتقىٰ من المحذور منها.

فعن رسول الله ﷺ: يوم الجمعة يوم عبادة فتعبّدوا الله فيه، ويوم السبت لآل محمّد عليهم السلام، ويوم الأحد لشيعتهم، ويوم الاثنين يوم بني أمية ويوم الثلاثاء يوم لين، ويوم الأربعاء لبني عباس، ويوم الخميس يوم مبارك بورك لأمّتي في بكورها فيه[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: السبت لنا والأحد لشيعتنا، والاثنين لأعدائنا، والثلاثاء لبني أُميّة، والأربعاء يوم شرب الدواء، والخميس يقضى فيه الحوائج، والجمعة للتنظيف والتطيّب وهو عيد المسلمين، وهو أفضل من الفطر والأضحىٰ، ويوم الحجّة، وكان غدير أفضل الأعياد وهو الثامن عشر من ذي الحجّة، وكان يوم الجمعة، ويخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة، وتقوم القيامة يوم الجمعة، وما من عمل أفضل في يوم الجمعة من الصلاة على النبي وآله.

وروى الصقر بن أبي دلف في خبر طويل، قال: قلت لأبي الحسن العسكري عليه السلام: يا سيدي حديث يروىٰ عن النبي ﷺ لا أعرف معناه، قال وما هو؟ قال: قلت قوله لا تعادوا الأيام فتعاديكم ما معناه؟ فقال: نعم، الأيام ما قامت السموٰات والأرض، فالسبت اسم رسول الله ﷺ، والأحد كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام، والاثنين الحسنٰ والحسين عليهما السلام، والثلاثاء علي بن الحسين وجعفر بن محمّد، والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا، والخميس ابني الحسن بن علي والجمعة ابن ابني وإليه يجتمع عصابة الحقّ، وهو الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملأت جوراً وظلماً، فهذا معنى الأيام، فلا تعادوهم في الدنيا يعادوكم في الآخرة.

وعن النبي ﷺ قال: لا تسبّوا الرِّياح فإنّها مأمورة، ولا تسبّوا الجبال ولا الساعات ولا الأيام ولا اللَّيالي فتأثموا وترجع عليكم.

---

(١) روضة الواعظين.

وسأل شامي أمير المؤمنين عليه السلام عن الأيام وما يجوز فيها من العمل فقال عليه السلام: يوم السبت يوم مكر وخديعة ويوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر وطلب، ويوم الثلاثاء يوم حرب ودم، ويوم الأربعاء يوم شؤم فيه يتطيّر الناس، ويوم الخميس الدخول على الأمراء وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح.

يوم الجمعة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم الجمعة سيّد الأيام يضاعف فيه الحسنات ويرفع فيه الدرجات ويستجاب فيه الدعوات، ويكشف فيه الكربات ويقضى فيه الحوائج العظام وهو يوم المزيد لله، فيه عتقاء وطلقاء من النار، ما دعا فيه أحد من النار وعرف حقّه وحُرمته إلاّ كان حقّاً على الله تعالى أن يجعله من عتقائه وطلقائه من النّار، فإن مات في يومه أو ليلته مات شهيداً، وبعث آمناً، وما استخفّ أحد بحرمته وضيّع حقّه إلاّ كان حقّاً على الله تعالى أن يصليه نار جهنّم إلاّ أن يتوب(١).

وفي خبر طويل لما سُئل النبي صلى الله عليه وآله عن الأيام قال: سألتني عن يوم الجمعة، فقال نعم يا رسول الله، قال صلى الله عليه وآله، تسميّة الملائكة في السماء يوم المزيد، يوم الجمعة يوم خلق الله فيه آدم، يوم الجمعة أسكن الله فيه آدم الجنّة، يوم أسجد الله ملائكته لآدم، يوم الجمعة جمع الله فيه لآدم عليه السلام حواء، يوم الجمعة يوم غفر ذنب آدم، يوم الجمعة يوم قال الله تعالى للنّار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، يوم الجمعة يوم استجيب فيه دعاء يعقوب، يوم الجمعة يوم كشف الله فيه البلاء عن أيّوب، يوم الجمعة يوم فدىٰ الله فيه اسماعيل بذبح عظيم، يوم الجمعة يوم خلق الله فيه السموات والأرض وما بينهما، يوم الجمعة يوم يتخوّف فيه الهول وشدّة القيامة والفزع الأكبر تقوم الساعة، يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ما من ملك مقرّب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا

---

(١) روضة الواعظين.

برّ ولا بحر إلاّ وهنّ يشفعن من يوم الجمعة إلى أن تقوم فيه الساعة، وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم، سأل اللّه شيئاً إلاّ أعطاه.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّما سمّيت الجمعة جمعة لأنّ اللّه تعالى جمع فيها خلقه لولاية محمّد ووصيّه عليهم الصلاة والسلام، في الميثاق فسمّاه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه.

وقال الصادق عليه السلام: من مات منّا بين زوال الشمس يوم الخميس إلى زوال الشمس من يوم الجمعة من المؤمنين أعاذه اللّه من ضغطة القبر.

وقال الباقر عليه السلام: إذا كان حين يبعث اللّه العباد، أتىٰ بالأيام يعرّفها الخلائق باسمها وحليتها، يقدّمها يوم الجمعة له نور ساطع، يتبعه سائر الأيام، كأنّها عروس كريمة ذات وقار، تهدى إلى ذي حلم ويسار، ثم تكون الجمعة شاهداً وحافظاً لمن سارع إلى الجمعة، يدخل المؤمنون إلى الجنّة على قدر سبقهم إلى الجمعة.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ليلة الجمعة ليلة غرّاء، ويومها يوم أزهر، ومن مات ليلة الجمعة كتب اللّه له براءة من ضغطة القبر، ومن مات يوم الجمعة كتب اللّه له براءة من النار.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام إنّه قال: إنّ اللّه اختار من كلّ شيء شيئاً واختار من الأيام يوم الجمعة.

وسُئل عليه السلام عن الشمس كيف تركد كل يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود، قال: لأنّ اللّه تعالى جعل يوم الجمعة أضيق الأيام، فقيل له ولم جعل أضيق الأيام، قال: لأنّه لا يعذّب المشركين في ذلك اليوم لحرمته عنده.

وعنه عليه السلام قال: إنّ العبد المؤمن ليسأل اللّه الحاجة فيؤخّر قضاءها إلى يوم الجمعة، ليخصّه بفضل يوم الجمعة.

وعنه عليه السلام: من وافق منكم يوم الجمعة فلا يشغلن بشيء عن العبادة فإنّ فيه يغفر اللّه للعباد وينزل عليهم الرحمة.

وعنه عليه السلام قال: الصدقة ليلة الجمعة ويومها بألف، والصلاة على محمّد وآله ليلة الجمعة ويوم الجمعة بألف من الحسنات ويحطّ اللّه ألفاً من السيئات، ويرفع ألفاً من الدرجات، فإن المصلّي على محمّد وآله في ليلة الجمعة يزهر نوره في السموٰات إلى يوم القيامة، وإن ملائكة اللّه في السموات يستغفرون له ويستغفر له الملك الموكّل بقبر رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى أن تقوم الساعة.

ويستحبّ في يوم الجمعة دخول الحمّام والغُسل وحلق الرأس وتقليم الأظافر ويكره السفر فيه قبل الزوال لمكانة الصلاة، وبعد الزوال يكون السفر فيه مباركاً، وفي بعض الأخبار أنّ فيه ساعة من احتجم فيها هلك فلذا كُره فيه الحجامة، وفي بعض الأخبار تخصيص الكراهة بوقت الزوال، وهو يوم نكاح وتزويج والتطيب فيه ممدوح ولبس الثياب الجديدة وشراء الثمار فيه للأهل، ويكره فيه النورة.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: خمس خصال تورث البرص النورة يوم الجمعة ويوم الأربعاء، والتوضؤ والاغتسال بالماء الذي تسخنه الشمس، والأكل على الجنابة، وغشيان المرأة في حيضها، والأكل على الشبع[1].

وعنه صلى الله عليه وآله قال: اطرقوا أهاليكم في كلّ جمعة بشيء من الفاكهة واللحم حتى يفرحوا بالجمعة.

وعنه صلى الله عليه وآله: من قلّم أظفاره يوم الجمعة أخرج اللّه من أنامله الداء وأدخل فيه الدواء.

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: من أخذ شاربه وأظفاره كلّ يوم جمعة، وقال حين يأخذه بسم اللّه وباللّه وعلى سنّة محمّد وآل محمّد، لم يسقط من قلامة ولا جزازة إلاّ كتب اللّه له بها عتق نسمة ولم يمرض إلاّ مرضه الذي يموت فيه.

---

(١) بحار الأنوار.

والجمعة له من الكواكب الزهرة، وله برجان الثور والميزان، ملكه العلوي عينائيل والسفلي الأبيض وكنيته أبو الجن زوبعة.

يوم السبت

يوم السبت يوم مبارك وممدوح في طلب الحوائج، قال النبي ﷺ: **بارك الله لأمّتي في سبتها وخميسها**، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **من كان مسافر فليسافر يوم السبت فلو أنّ حجراً زال عن جبل لردّه الله إلى مكانه.**

وعنه عليه السلام قال: **لا تخرج يوم الجمعة في حاجة فإذا كان يوم السبت وطلعت، فاخرج في حاجتك.**

وتقليم الأظفار وأخذ الشارب فيه حسن، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **من قلّم أظفاره يوم السبت ويوم الخميس، وأخذ من شاربه عوفي من وجع الأضراس ووجع العينين**[1].

وإن الحجامة فيه تورث الضعف وزعم أصحاب الملاحة أن النخلة إذا غُرست يوم السبت لم تحمل وكوكبه زحل، وله برجان الجدي والدلو الأول ترابي، والثاني رياحي، وملكه العلوي كسفيائيل عزرائيل، والسفلي ميمون السياف السحابي وكنيته أبانوخ.

يوم الأحد

قال أصحاب السّير وأصحاب التنجيم إنّ أوّل الأيام الأحد، وهو أوّل أيام الدنيا، وبدأ الله فيه خلق الأشياء، وهو صالح لابتداء الأمور.

كوكبه الشمس وبرجه الأسد ناري، وملكه العلوي روقيائيل والسفلي أبو عبد الله المذهب.

---

(١) مكارم الأخلاق.

يوم الاثنين

أنحس الأيام، ففي الخبر أنحس أيام السنة يوم عاشوراء وأنحس أيام الأسبوع يوم الاثنين، وهو منسوب إلى بني أُميّة لأنّهم جعلوه عيداً لما قتلوا الحسين عليه السلام.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **لا تسافر يوم الاثنين ولا تطلب فيه الحاجة.**

وجاء رجل إلى موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: جعلت فداك إنّي أريد الخروج، فادع لي، فقال ومتى تخرج؟ قال يوم الاثنين، فقال له ولم تخرج يوم الاثنين، قال أطلب فيه البركة، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وُلد يوم الاثنين، فقال: **كذبوا، وُلد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة، وما من يوم أعظم شؤماً من يوم الاثنين، يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وانقطع فيه وحي السماء وظلمنا فيه حقّنا.**

والاثنين له من الكواكب القمر، وبرجه السرطان مائي، وملكه العلوي جبرائيل والسفلي مرّة بن الحارث وكنيته أبو النور الأبيض.

يوم الثلاثاء

يوم مبارك تستحبّ فيه العقود وإصلاح حال النفس والحجامة، قال أبو عبد الله عليه السلام: **ومن تعذّرت عليه الحوائج فليلتمس طلبها يوم الثلاثاء، فإنّه اليوم الذي ألان الله تعالى فيه الحديد لداود عليه السلام**[1].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: **من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة أو أربع عشرة أو لإحدى وعشرين من الشهر كانت له شفاء من أدواء السنة كلّها، وكانت لما سوى ذلك شفاءً من وجع الرأس والأضراس والجنون والجذام والبرص.**

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

ويوم الثلاثاء له من الكواكب المريخ، وبرجه الحمل والعقرب، وملكه العلوي سمسمائيل والسفلي الأحمر أبو محرز.

يوم الأربعاء

يوم نحس غير مرغوب في طلب الحوائج، فعن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: **يوم الأربعاء يوم نحس مستمر.** وعن النبي صلى الله عليه وآله بعد أن قال الأربعاء نحس مستمر، وسُئل عن ذلك فقال: **إنّ اللّه جلّ جلاله رفع أركان جهنّم يوم الأربعاء، وربّع زواياها وأشدّ حرّها يوم الأربعاء، وما أنزل اللّه من السماء إلى الأرض رجساً ولا غضباً ولا نقمة إلاّ في يوم الأربعاء.**

وفي مسائل الشامي لأمير المؤمنين عليه السلام قال: أخبرني عن يوم الأربعاء والتطيّر منه، وثقله، وأيّ أربعاء هو، فقال عليه السلام: **آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه، ويوم الأربعاء أُلقي إبراهيم عليه السلام في النّار، ويوم الأربعاء وضعوا المنجنيق، ويوم الأربعاء غرّق اللّه فرعون، ويوم الأربعاء جعل اللّه عزّ وجلّ أرض قوم لوط عاليها سافلها، ويوم الأربعاء أرسل اللّه عزّ وجلّ الرّيح على قوم عاد، ويوم الأربعاء أصبحت كالصّريم، ويوم الأربعاء سلّط اللّه على نمرود البقّة، ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله، ويوم الأربعاء خرّ عليهم السقف من فوقهم، ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان، ويوم الأربعاء أحرق بيت المقدس، ويوم الأربعاء أحرق مسجد سليمان بن داود باصطخر من كورة فارس، ويوم الأربعاء قُتل يحيى بن زكريا، ويوم الأربعاء أظلّ قوم فرعون أوّل العذاب، ويوم الأربعاء خسف اللّه عزّ وجلّ بقارون، ويوم الأربعاء ابتلىٰ اللّه أيوب عليه السلام بذهاب ماله، ويوم الأربعاء أدخل يوسف السجن، ويوم الأربعاء قال اللّه عزّ وجلّ إنا دمرناهم وقومهم أجمعين، ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة، ويوم الأربعاء عقروا الناقة، ويوم الأربعاء أمطر عليهم حجارة من سجيل ويوم الأربعاء شجّ النبي صلى الله عليه وآله وكسرت رباعيته، ويوم الأربعاء أخذت العماليق التابوت.**

وعن النبي ﷺ أنّه قال لعلي عليه السلام: **احذروا يوم الأربعاء فإنّه نحس إلاّ للطب والأدوية.**

ورُوي أنّ في كلّ سنة ثلاثمائة ألف وعشرون ألف بلية تنزل في آخر أربعاء من شهر صفر، فيكون بضعف أيام السنة، تصلّي في ذلك اليوم أربع ركعات تقرأ في كلّ ركعة بعد الفاتحة إنّا أعطيناك الكوثر سبع عشرة مرة والتوحيد خمس مرّات والمعوذتين مرّة واحدة، فإذا سلّم دعا بهذا الدعاء: **يا شديد القوى يا شديد يا عزيز ذلّت لقدرتك جميع خلقك يا منعم، يا مكرم لا إله إلاّ أنت يا أرحم الراحمين.**

وفي رواية، فصلّ أربع ركعات بتسليم واحد تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة واحدة والكوثر سبع مرّات والتوحيد سبع عشرة مرّة والمعوذتين مرّة، فإذا سلّم قال قبل أن يتكلم ويقوم من مقامه: **بسم اللّه الرحمن الرحيم يا شديد المحال**، ويكتب ويشدّ في عضده: **يا شديد القوى، يا شديد المحال، يا عزيز ذلّت لعزّتك جميع خلقك، يا مجمل يا مفضل يا كافي يا وافي يا حافظ يا حفيظ، يا من بيده مقادير كلّ شيء وإليك ألجأ وبك ألوذ وعليك توكّلت فأحرسني بحراسة حفظك وحل بيني وبين من ناواني فإنّي أدرأ بك في نحره، وأعوذ بك من شرّه فأكفنيه يا ربّ، لا إله إلاّ أنت برحمتك يا أرحم الراحمين**[1].

والأربعاء له من الكواكب عطارد، وله برجان الجوزاء والسنبلة، وملكه العلوي ميكائيل، والسفلي برقان وكنيته أبو العجائب.

يوم الخميس

يوم مبارك محمود في طلب الحوائج والسفر، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: **إذا أراد أحدكم حاجة فليبكر في طلبها يوم الخميس، فإنّ**

(١) كشكول البحراني.

رسول الله ﷺ قال: اللَّهمَّ بارك لأُمّتي في بكورها يوم الخميس.

وقال أبو جعفر عليه السلام: كان رسول الله ﷺ يسافر يوم الخميس، وقال قال: يوم الخميس يحبّه الله وملائكته ورسوله.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: من احتجم في آخر خميس من الشهر في أول النهار سلَّ عنه الداء سلاً. وقال: من قصَّ أظافره يوم الخميس وترك واحدة ليوم الجمعة نفى الله عنه الفقر. وقال: إنّ الدم يجتمع في موضع الحجامة يوم الخميس، فإذا زالت الشمس تفرّق، فخذ حظّك من الحجامة قبل الزوال.

والخميس له من الكواكب المشتري، وله برجان القوس والحوت، ملكه العلوي صرفيائيل والسفلي شمهورش وهو قاضي الجن.

أحكام دخول السنة القمرية في الأيام

روى الشيخ الراوندي في كتاب القصص عن الصدوق باسناده إلى الصادق عليه السلام، قال: إنّ في كتاب دانيال عليه السلام:

إنّ المحرّم إذا كان يوم السبت: يكون الشتاء بارداً وتكثر فيه الكمأة ويقلّ العسل، وتغلو فيه الحنطة، ويكثر فيه الوباء وموت الأطفال، وتسلم الزراعة من الآفات، ويحصل في العنب وبعض الأشجار آفة، وترخص فيه الأسعار، ويقع الطاعون في بلاد الروم، ويكون حرب بين الروم والعرب والظفر للعرب يغنمون أموال الروم ويأسرون ذراريهم ويكون الظفر للسلطان.

وإذا كان المحرّم يوم الأحد: يكون الشتاء معتدلاً، ويكون فيه مطر نافع، ويصيب بعض الأشجار آفة، ويكون فيه أنواع الموت والبلاء، ويكون العسل قليلاً في تلك السنة، ويكون في الهواء أثر الطاعون والوباء، ويكون في آخر السنة غلاء قليل في المأكولات، ويكون الغلاء للسلطان في آخره.

وإذا كان المحرّم يوم الاثنين: يكون الشتاء صالحاً ويكون في الصيف حرّ شديد ويكثر المطر في أوانه، ويكثر البقر والغنم ويكثر العسل ويرخص الطعام، والأسعار في بلدان الجبال وتكثر الفواكه فيها وهي أذربيجان وعراق العجم والأهواز وبرّ فارس، وقيل المراد ببلاد الجبل همدان وما والاها، ويكثر في تلك السنة موت النساء، وفي آخر السنة يخرج خارجي على السلطان بنواحي المشرق، ويصيب بعض فارس غمّ ويكثر الزكام في أرض الجبل.

وإذا كان المحرم في يوم الثلاثاء: فإنّه يكون الشتاء شديد البرد، ويكثر الثلج والجمد بأرض الجبل وناحية المشرق، ويكثر الغنم والعسل، ويصيب بعض الأشجار من الكروم آفة، ويكون بناحية الشام والمغرب آفة من حدث يحدث في السماء يموت فيه خلق كثير، ويخرج على السلطان خارجي قوي وتكون الغلبة للسلطان، ويكون في أرض فارس في بعض الغلاّت آفة، وتغلو الأسعار في آخر السنة.

وإذا كان المحرّم في يوم الأربعاء: فإنّ الشتاء يكون وسطاً، ويكون المطر في الصيف صالحاً نافعاً مباركاً، وتكثر الثمار والغلاّت في الجبال كلّها وفي ناحية المشرق، إلاّ أنّه يقع الموت في الرجال في آخر السنة، ويصيب الناس بأرض بابل وبالجبل آفة، وترخص الأسعار وتسكن مملكة العرب في تلك السنة وتكون الغلبة للسلطان.

وإذا كان المحرّم يوم الخميس: فإنّه يكون الشتاء ملائماً ويكثر القمح والفواكه والعسل بجميع نواحي المشرق، وتكثر الحمّى في أول السنة وفي آخره وبجميع أرض بابل في آخر السنة، ويكون للروم على المسلمين غلبة، ثم تظهر العرب عليهم بناحية المغرب ويقع بأرض السند حروب والظفر لملوك العرب.

وإذا كان المحرّم في يوم الجمعة: فإنّه يكون الشتاء بلا برد، ويقلّ المطر وماء الأودية والعيون، وتقلّ الغلاّت بناحية الجبال مائة فرسخ في مائة فرسخ، ويكثر الموت في جميع الناس، وتغلو الأسعار بناحية المغرب ويصيب بعض الأشجار آفة، ويكون للروم على الفرس كرّة شديدة وغلبة عظيمة.

أحكام دخول السنة الشمسية في الأيام

وهي ملحمة مباركة منسوبة إلى ذو القرنين وقد رأيناها موافقة للتجربة والله أعلم.

إن دخلت السنة في يوم الأحد: كان طالعها الشمس وبرجها الأسد، فتكون السنة باردة ويكون فيها وجع العين وموت الصبيان وتعسير الحبالىٰ،

ويهيج فيها حرب عظيم بين العرب والعجم، ويظهر فيها الجراد، ولا يضرّ شيئاً، ويقتل سلطان من العرب، ويكسف فيها القمر، والحجّ فيها صعب ويرجع الحاجّ سالماً، وخريفها جيد وصيفها جيد أول زرعها خير من آخره، وتكون في الحنطة والشعير عاهة لكنه يكيل كيلاً عظيماً ثم يصلح وتكثر فيه البركة، ويثمر النخل وتكون الكروم في البلاد مثمرة، وتكثر الفتن، وتصلح بلاد المغرب وتفسد بلاد العجم، ويصلح التزويج والبيع والشراء ويكثر عش النحل، ويصيب العدس والباقلاء آفة، ويجود الدخن والجوز، ويفسد الفجل والذرة، ويصلح العنب والرمان في تلك البلاد ويظهر في الناس الحكة والجرب، ويكثر اللبن في الخريف.

وإن دخلت السنة في الاثنين: فإنّ طالعها القمر وبرجه السرطان، فتكون السنة مائية كثير أثمارها غزيرة ألبانها في الشرق والغرب، ولكنها فيها حرب عظيم، ويثمر النخل في الحجاز وتصلح المواشي ويكثر الجبن والسمن واللحم والشحم، وتسمن الحبالى، وهي سنة باردة رياحها كثيرة، ويقع في الغنم هلاك في آخر السنة، وموت في البقر آخر السنة وحرّها شديد وبردها شديد، ويحصل للناس في صدورهم وجع عظيم يوقع الموت، ويبطىء الشعير، وتصلح الحنطة ويصاب العدس والسمسم والكراث والتفاح والدخن وتكثر الحمّىٰ ويصلح فيها الحجّ إلى بيت اللّه الحرام، ولا بدّ فيه من اختلاف ويقع مرتين في عرفات وفي منىٰ، ويصيب الزرع جمرة في الخريف ولا يضرّه شيء.

وإن دخلت السنة بالثلاثاء: كان طالعها المريخ وبرجه العقرب، وتكون السنة سليمة أوّلها صحّة وفيها شدّة وآخرها رخاء، ثمرها قليل، وقمحها وشعيرها وعدسها كثير وتقع فتنة في المغرب، ويقع موت في الصبيان والشيوخ والنساء ويظهر الجراد، ويقع في بلاد خراسان ضجة عظيمة ووقعة شديدة، ويظهر ملك يبلغ اليمن ويرجع، ويظهر في الشام حرب عظيم ويعزل ملك ويظهر آخر، وتبلغ الحنطة صاعين بدينار، ويرخص القماش، ويكثر صيد البحر في آخر السنة، ويخمد الحرب في آخر السنة وتصلح البلاد، وتقلّ الدراهم

والدنانير، ويكثر الماء في الصيف، ويكثر الزرع ويكثر اللبن في الضروع، وترجع إلى الصلاح، ويقع في الأرض النقص، ويكون البيع والشراء.

وإن دخلت السنة بيوم الأربعاء: كان طالعها عطارد وله من البرج الحوت والسنبلة، جَربها كثير وطعنها ومرضها وشرّها كثير، ويصلح فيها اللبن والعدس والشعير، ويصلح العود كلّه في جميع البلاد، وتكثر فيها الأمراض، وينبع فيها العيون، وحربها كثير، وتموت فيها الحبالى وتكثر فيها الدنانير، ويقلّ فيها النّيل من كثرة الفواحش، وتصلح فيها الكروم والبهائم والغنم ويصلح الربيع والخريف، ويقع فيها البيع والشراء، ويصيب الناس رياح القولنج، وتأخذهم في قلوبهم، ويموت كبار الناس، وتقع في الشام جمرة في الخريف، وتخر بلاد اليمن، ويكون شتاؤها بارداً وصيفها ماطراً، وتصلح فيها الحنطة والشعير والعدس والذرة والدخن والسمسم، ويهيج فيها النساء على الرجال، ويأتي على الناس رياح كثيرة في آخر السنة، وتكون رياح شديدة أيامها بلياليها.

وإن دخلت السنة بيوم الخميس: كان طالعها المشتري وله من البروج القوس والحوت، وهي سنة قليلة المطر وثمرها وخيرها قليل، وهي سنة ذات غلاء يذهب فيها الشعير، وتصير الحنطة في قرار الأرض، ويقع في الزرع عاهة في مرتفع الأرض، ولها شدّة إلاّ أنّها سنة آخرها خير من أوّلها، فيها يصلح الشام ويفسد اليمن، ويكسف القمر ويهيج البحر، ويظهر المطر في آخر السنة ويصلح الخريف، ويكثر الشرّ والندم وربما خرجت خارجة وتزلزل الأرض وتستقر الناس بعد ذلك ويصلح الزرع أينما كان، ويقع الموت في ذوي المال، والصبيان يموتون برياح تعرض لهم.

وإن دخلت السنة في يوم الجمعة: كان طالعها الزهرة ولها من البروج الثور والميزان، وهي سنة يكون فيها رياح عواصف وأمطار، ونجوم سواقط، وتظهر فيها الملوك، ويغلو فيها الشعير، وينبت فيها البيدروج، وتصلح فيها المواشي ويكثر فيها اللبن والجبن، وتصلح فيها الغنم والإبل والأبدان، ويقع في جهة من الأرض وثبة عظيمة ومصيبة وعاهة ورياح كثيرة، وفيها يحصل وجع

الظهر والحلق، وتكون اللصوص كثيرة ويهيج ريح القبول، حتى يعطش الزرع، وتتعسّر الحبالىٰ، ويموت فيها خلق كثير، وتصلح السنة في آخرها، ويجيء مطر عظيم، وخير كثير بعد ذلك، وتسمن النساء، ويظهر على مكة المشرفة أمير من الشام، تصيب سكّان مكّة شدّة ويكثر فيها الجدري، ويكثر الجراد، وآخرها خير من أوّلها، ويخاف على مكة من صغار العيون، ويكسف أحد النيرين وهي سنة شديدة يهلك فيها الملوك، ويظهر فيها نجم من ذوات الأذناب.

وإن دخلت السنة في يوم السبت: كان طالعها زحل ولها من البروج الجدي والدالي، فتكون سنة غير صالحة للمواشي، ويهلك فيها الحمير من آفة تصيبها، ورياحها كثيرة، فيها الحرب، وينهب القماش ويكثر الجدري، وفيها أنواع الأوجاع كالظهر والحلق، ويكثر فيها الطير والزرازير، وتهبّ فيها رياح القبول، ويفسد فيها ثمر النخل، وتصلح الأعناب، ويغلو القماش وترخص الغنم في بلاد وتغلو في بلاد، ويغلو السمن واللحم، وتهلك صغار الغنم ويقع فيها الناس فرار ونهب ويكثر فيها إسقاط الحبالىٰ، ويكثر الطلاق، ويحصل فيها مطر شديد، وتهلك البهائم من المطر، ويكثر الزرع في آخرها، شتاؤها شديد وصيفها شديد، ويظهر الغلاء في الشام والعراق واليمن، ويكثر فزعة في المشايخ القدماء والنساء، ويقع بأرض اليمن اختلاف عظيم، وتقل الرياح، ويقع في الحاجة فزعة عظيمة، ويصيب الحاج نهب القماش، ويكسف أحد النيرين، ويكون فيها سفك عظيم، وتكون البركة في الزرع، وتكثر الحمّى والوباء.

أحكام أيام الأشهر القمرية

اليوم الأول: قال الصادق عليه السلام: اليوم الأول من الشهر خلق فيه آدم عليه السلام، وهو يوم مبارك لطلب الحوائج والدخول على السلطان، وطلب العلم والتزويج، والسفر والبيع والشراء، واتخاذ الماشية، ومن هرب فيه أو ضلّ قدر عليه إلى ثمان ليال، والمريض فيه يبرأ، والمولود فيه يكون سمحاً مرزوقاً كريماً.

اليوم الثاني: عن الصادق عليه السلام: فيه خلقت حواء من آدم عليه السلام، يصلح للتزويج وبناء المنازل وكتب العهود والسفر وطلب الحوائج والاختيارات ومن مرض فيه أول النهار خفّ أمره بخلاف آخره، والمولود فيه يكون صالح التربية، وفي رواية تزوّج وآت أهلك من السفر واشتر وبع واطلب فيه الحوائج واتق فيه السلطان، وهو صالح للزرع والغرس والسلف والقرض والمعاملة والدخول بالأهل.

اليوم الثالث: عن الصادق عليه السلام أنّه يوم نحس مستمر نزع آدم وحواء لباسهما وأخرجا من الجنّة، فاجعل شغلك فيه صلاح منزلك ولا تخرج من دارك إن أمكنك واتق فيه السلطان والبيع والشراء وطلب الحوائج والمعاملة والمشاركة والهارب فيه يوجد، والمريض فيه يجهد والمولود فيه يكون مرزوقاً طويل العمر، وفي رواية يوم نحس فيه قتل هابيل أخوه قابيل عليه اللعنة والعذاب السرمد، وهو يوم مذموم لا تسافر فيه ولا تعمل عملاً ولا تلق فيه أحداً واستعذ بالله من شرّه بعوذة أمير المؤمنين عليه السلام ومن ولد فيه يكون منحوساً.

اليوم الرابع: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم صالح للزرع والصيد والبناء واتّخاذ الماشية ويكره فيه السفر، فمن سافر فيه خيف عليه القتل والسلب أو بلاء يصيبه، وفيه مولود هابيل، والمولود فيه يكون صالحاً مباركاً، ومن هرب فيه عسر طلبته ولجأ إلى من يمنعه، وفي رواية يوم صالح للتزويج والصيد، ويذمّ فيه السفر، وفيه ولد هابيل بن آدم.

اليوم الخامس: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم نحس مستمرّ فيه ولد قابيل الشقي الملعون، وفيه قتل أخاه، وفيه دعا بالويل على نفسه، وهو أوّل من بكى في الأرض فلا تعمل فيه عملاً ولا تخرج من منزلك، ومن حلف فيه كاذباً عجّل له الجزاء ومن ولد فيه صلح حاله، وفي رواية من ولد فيه كان مشؤوماً فقيراً أنكد الحياة عسير الرزق، ومن مرض فيه أو في ليلته ثقل مرضه وخيف عليه.

اليوم السادس: عن الصادق عليه السلام أنّه يوم صالح للتزويج ومن سافر فيه

في برّ أو بحر رجع إلى أهله بما يحبّه، وهو جيّد لشراء الماشية، ومن ضلّ فيه أو أبق وجد، ومن مرض فيه برىء، ومن ولد فيه صلحت تربيته وسلم من الآفات، وفي رواية أنّه يصلح للتزويج والمعاش وكلّ حاجة، والأحلام يظهر تأويلها بعد يوم أو يومين، وهو يوم ولد فيه نوح وصالح أيضاً للصيد والبيع والشراء والديون والقضاء والأخذ والعطاء والنزهة ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً موسعاً عليه في حياته، ومن مرض فيه أو في ليلته لم يجاوز مرضه أسبوعاً ثم يبرأ بإذن الله تعالى.

اليوم السابع: عن الصادق عليه السلام، أنّه يوم صالح لجميع الأمور، ومن بدأ فيه بالكتابة أكملها، ومن بدأ فيه بعمارة أو غرس حمدت عاقبة، ومن ولد فيه صلحت تربيته ووسع عليه رزقه، وفي رواية أنّه يوم سعيد مبارك فيه ركب نوح السفينة، فاركب البحر وسافر في البر والق العدوّ واعمل ما شئت فإنّه يوم عظيم البركة محمود لطلب الحوائج والسّعي فيها، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً على نفسه وأبويه خفيف النجم موسعاً عيشه، ومن مرض فيه أو في ليلته برىء بإذن الله تعالى.

اليوم الثامن: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم صالح لكل حاجة من بيع أو شراء، ومن دخل على سلطان قضيت حاجته، ويكره فيه ركوب البحر والسفر في البرّ والخروج إلى حرب، ومن ولد فيه صلحت ولادته ومن هرب فيه لم يقدر عليه إلاّ بتعب، ومن ضلّ فيه لم يرشد إلاّ بجهد، والمريض فيه يجهد، وفي رواية، أنّه يوم صالح للبيع والشراء، فاشتر فيه وبع وخذ واعط ولا تعرض للسفر فإنّه يكره فيه سفر البرّ والبحر، ومن ولد فيه كان متوسط الحال طويل العمر.

اليوم التاسع: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم خفيف صالح لكلّ أمرٍ تريده فابدأ فيه بالعملِ واقترض فيه وازرع، ومن حارب فيه غلب ومن سافر فيه رزق مالاً ورأى خيراً، ومن هرب فيه نجا، ومن مرض فيه ثقل، ومن ضلّ قدر عليه، ومن ولد فيه صلحت ولادته ووفق فيه في كلّ حالاته.

وفي رواية: أنّه يوم صالح محمود ولد فيه سام بن نوح، وهو يوم مبارك يصلح للحوائج والدخول على السلطان وجميع الأعمال والدَّين والقرض والأخذ والعطاء، ومن ولد فيه كان محبوباً مقبولاً عند الناس يطلب العلم ويعمل بأعمال الصالحين.

اليوم العاشر: عن الصادق عليه السلام: أنه ولد فيه نوح عليه السلام، ومن ولد فيه يكبر ويهرم ويرزق، ويصلح للبيع والشراء، والضالة فيه توجد والهارب فيه يظفر به ويحبس، وينبغي للمريض فيه أن يوصي وهو صالح للحرث والزرع وكلّ خير. وفي رواية: يوم محمود رفع الله في إدريس مكاناً علياً وفيه أخذ موسى التوراة، يصلح لكتب الكتب والشروط والعهود وأعمال الدواوين والحساب، ومن ولد فيه كان مباركاً حليماً صالحاً عفيفاً، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه.

اليوم الحادي عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه ولد فيه شيث، صالح لابتداء العمل والبيع والشراء والسفر ويجتنب فيه الدخول على السلطان، ومن هرب فيه رجع طائعاً، ومن مرض فيه يوشك أن يبرأ، ومن ضلّ فيه سلم، ومن ولد فيه طابت عيشته غير أنه لا يموت حتى يفتقر، ويهرب من السلطان وفي رواية: من ولد فيه يكون مرزوقاً في معيشته ويعمر حتى يهرم ولا يفتقر أبداً.

اليوم الثاني عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم صالح للتزويج وفتح الحوانيت والشركة وركوب البحار، تجنّب فيه الوسائط بين الناس، والمريض يوشك أن يبرأ، والمولود فيه يكون حسن التربية.

اليوم الثالث عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم نحس فاتّق فيه المنازعة والحكومة ولقاء السلطان وكلّ أمر ولا تدهن ولا تحلق فيه شعراً، ومن ضلّ فيه أو هرب سلم، ومن مرض فيه أجهد، والمولود فيه ذكراً لا يعيش.

وفي رواية: يوم نحس فيه هلك ابن نوح وامرأة نوح، وهو يوم مذموم في حل فاستعذ بالله من شرّه، ومن ولد فيه كان مشؤوماً عسير الرزق كثير الحقد

نكد الخلق، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه، وفي رواية أخرى يُتّقى في المنازعات ولقاء السلاطين والحكومات وحلق الرأس ودهن الشعر، ومن هرب فيه سلم، وإن ولد فيه ذكر لم يعش.

اليوم الرابع عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم صالح لكلّ شيء، ومن ولد فيه يكون غشوماً، وهو جيّد لطلب العلم، والبيع والشراء والسفر والاستعراض وركوب البحر، ومن هرب فيه أُخذ ومن مرض فيه برىء، وفي رواية يوم سعيد صالح لكلّ حاجة، ومن ولد فيه عمّر ويكون مشغولاً بطلب العلم ويكثر ماله في آخر عمره.

اليوم الخامس عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم مبارك يصلح لكلّ حاجة والسفر وغيره فاطلبوا فيه الحوائج فإنّها مقضية، وفي رواية أنّه يوم صالح لكلّ الأمور إلاّ من أراد أن يستقرض أو يقرض، ومن مرض فيه برىء عاجلاً ومن هرب فيه ظفر به، والمولود فيه يكون الثغ أو أخرس، وفي رواية: يوم صالح لكلّ عمل أو حاجة ولقاء الأشراف والعظماء والرؤساء فاطلب فيه حوائجك والق سلطانك واعمل ما بدا لك فإنّه يوم سعيد، ومن ولد فيه يكون الثغ اللسان أو أخرس، ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه إلاّ أن يشاء الله.

اليوم السادس عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم نحس لا يصلح لشيء سوى الأبنية والأساسات، ومن سافر فيه هلك، ومن هرب فيه رجع، ومن ضلّ فيه سلم، ومن مرض فيه برىء سريعاً، والمولود يكون فيه مجنوناً إن ولد قبل الزوال وإن ولد بعد الزوال صلحت حاله.

وفي رواية: من سافر فيه هلك، يكره لقاء السلطان ويصلح للتجارة والبيع والمشاركة والخروج إلى البحر والأبنية والأساسات، والذي يهرب فيه يرجع، ومن ضلّ فيه سلم، ومن ولد في صبيحته إلى الزوال كان مجنوناً ومن بعد الزوال يكون أعماله صالحة.

اليوم السابع عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم صافٍ مختار لجميع الحوائج، يصلح للبيع والشراء والتزويج والدخول على السلطان وغير ذلك

فاطلب فيه ما تريد فإنّه جيد، خلقت فيه القوّة وخلق فيه ملك الموت، وهو الذي بارك فيه الحقّ على يعقوب عليه السلام، وهو صالح للعمارة وفتق الأنهار وغرس الأشجار، والسفر فيه لا يتمّ.

وفي رواية: أنّه يوم متوسّط واحذر فيه المنازعة والقرض والاستقراض فمن أقرض فيه شيئاً لم يُرد إليه، ومن استقرض لم يرده، ومن ولد فيه صلحت أحواله، وفي رواية: يوم صالح مختار محمود لكلّ عمل فاطلبوا فيه الحوائج واشتر وبع والق الكتاب والعمّال ومن شئت، ومن ولد فيه كان مباركاً سعيداً في كلّ أموره، ومن مرض فيه أو في ليلته خلص وبرىء بإذن اللّه تعالى.

اليوم الثامن عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم مختار جيّد مبارك سعيد يصلح للتزويج والسفر فمن سافر فيه قضيت حاجته، مبارك لكلّ ما تريد تعمله ولطلب الحوائج، صالح لكلّ حاجة من بيع وشراء وزرع فإنّك تربع، واسع في جميع حوائجك فإنّها تقضى واطلب فيه ما شئت فإنّك تظفر ويصلح للدخول على السلطان والقضاة، ومن خاصم عدوّه ظفر فيه بإذن اللّه تعالى وغلبه، ومن تزوج فيه يرى خيراً، ومن اقترض قرضاً ردّه إلى من اقترض منه، ومن مرض فيه يوشك أن يبرأ، والمولود يصلح حاله ويكون عيشه طيّباً ولا يرىٰ فقراً ولا يموت إلاّ عن توبة.

اليوم التاسع عشر: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم خفيف يصلح لكلّ شيء، والسفر فمن سافر فيه قضى حاجته وقضيت أموره وكلّما يريد يصل إليه، صالح للتزويج والمعاش والحوائج وتعلّم العلم وشراء الرقيق والماشية سعيد مبارك، ولد فيه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، ومن ضلّ فيه أو هرب قدر عليه بعد خمسة عشر ليلة، ومن ولد فيه كان صالحاً للحال متوقعاً لكلّ خير.

اليوم العشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه جيد مبارك يصلح لطلب الحوائج والسفر، فمن سافر فيه كانت حاجته مقضية، وجيّد للبناء والتزويج والدخول على السلطان وغيره.

وفي رواية: أنّه يوم متوسط صالح للسفر وقضاء الحوائج والبناء ووضع

الأساس وغرس الشجر والكرم واتّخاذ الماشية، ومن هرب فيه بعُد دركه ومن ضلّ فيه خفي أمره، ومن مرض فيه صعب مرضه ومن ولد فيه صعب عيشه.

وفي رواية: يوم جيد محمود صالح مسعود مبارك لما يؤتى فاشتر فيه وبع واعمل ما شئت، ومن ولد فيه كان طويل العمر ملكاً يملك بلداً أو ناحية منه، ومن مرض فيه أو في ليلته يخلص بإذن الله تعالى.

اليوم الحادي والعشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم نحس مستمر يصلح فيه إراقة الدماء فاتّقوا فيه ما استطعتم ولا تطلبوا فيه حاجة ولا تنازعوا فيه فإنّه مذموم رديء منحوس، ولا تعلق فيه سلطان تتّقيه فهو يوم رديء لسائر الأمور ولا تخرج من بيتك وتوقّ ما استطعت وتجنّب فيه اليمين الصادقة وتجنّب فيه الهوام فإنّ من لُسع فيه مات ولا تواصل فيه أحداً فهو أوّل يوم أريق فيه الدم وحاضت فيه حواء، ومن سافر فيه لم يرجع وخيف عليه ولم يربح، والمريض تشتدّ علّته ولم يبرأ، ومن ولد فيه يكون محتاجاً فقيراً.

وفي رواية أيضاً: أنّه يوم نحس مذموم أكل آدم فيه من الشجرة وعصى ربّه، فاحذروه ولا تطلب فيه حاجة ولا تلق سلطاناً ولا تعمل عملاً ولا تشارك أحداً واقعد في منزلك واستعذ بالله من شرّه، ومن ولد فيه كان ضيق العيش نكد الحياة، ومن مرض فيه يخاف عليه.

اليوم الثاني والعشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم مختار حسن ما فيه مكروه يصلح لكلّ حاجة والشراء والبيع والصيد فيه والسفر، ومن سافر فيه ربح ويرجع معافاً إلى أهله سالماً وهو جيد لطلب الحوائج والمكارم وسائر الأعمال والصدقة فيه مقبولة، ومن دخل على سلطان قضيت حاجته ويبلغ بقضاء الحوائج.

وفي رواية: أنّه يوم سعيد مبارك مختار لما تريد من الأعمال فاعمل ما شئت والق من شئت فإنّه مبارك، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً سعيداً، ومن مرض فيه أو في ليلته لا يخاف عليه، ويستحبّ فيه الشراء والبيع.

اليوم الثالث والعشرون: عن الصادق عليه السلام: يوم سعيد مختار ولد فيه يوسف عليه السلام، يصلح لكل حاجة ولكل ما تريدونه وخاصة التزويج والتجارات كلها والدخول على السلطان والسفر، ومن سافر فيه غنم، والرؤيا فيه كاذبة، والآبق فيه يوجد والضالّة ترجع والمريض فيه يبرأ، ومن ولد فيه لا يموت، إلاّ مقتولاً.

وفي رواية: أنّه يوم سعيد مبارك لكلّ ما تريد للسفر والتحويل من مكان إلى مكان وهو جيّد للحوائج، ولقاء الملوك، ومن ولد فيه كان سعيداً وعاش طيباً ومن مرض فيه أو في ليلته نجا بإذن الله تعالى، أقول: إنّ اختلاف الرواية في حكم المولود لا يعني الحتم على بطلانها، ولكن أراد الإمام في حكمه لا يموت إلاّ مقتولاً في اليوم المذكور إذا كان القمر مقترن مع كوكب معين، وفي حكمه يكون سعيداً وطيباً أيضاً في اليوم نفسه هذا مع اقتران القمر مع كوكب آخر، لأنّ القرانات تختلف تأثيراتها لما عرفت من اختلاف طبائع الكواكب وأمزجتها، ولهذا تجد اختلاف أحكام المواليد في النادر وإن ولدوا في نفس اليوم، والله أعلم.

اليوم الرابع والعشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم نحس مستمرّ مذموم مشؤوم ملعون ولد فيه فرعون، وهو يوم عسر نكد فاتّقوا ما استطعتم، لا ينبغي أن تبتدىء فيه لحاجة، ويكره فيه جميع الأعمال والأحوال ولا يحسن لكلّ أمر تطلب فيه، من سافر فيه مات في سفره.

وفي رواية أخرى: من مرض فيه طال مرضه، ومن ولد فيه يكون سقيماً حتى يموت نكداً في عيشه ولا يوفّق لخير وإن مرض عليه جهد ويقتل في آخر عمره أو يغرق.

اليوم الخامس والعشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم مذموم نحس، وهو اليوم الذي أصاب مصر فيه تسعة ضروب من الآفات فلا تطلب فيه حاجة واحفظ نفسك فإنّه اليوم الذي ضرب فيه أهل الآيات مع فرعون وهو شديد البلاء، الآبق فيه يرجع ولا يحلف فيه صادقاً ولا كاذباً وهو يوم مشؤوم، من سافر فيه لا يربح ومن مرض فيه أجهد ولم يفق في مرضه فائقة.

وفي رواية: من ضرب فيه لا يكاد يبرأ وهو إلى الموت أقرب من الحياة، والمولود فيه يكون مباركاً مرزوقاً نجيباً وتصيبه علة شديدة فيسلم منها.

اليوم السادس والعشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم صالح مبارك للسفر، ضرب فيه موسى البحر فانفلق، يصلح لكلّ حاجة ما خلا التزويج والسفر، فاجتنبوا فيه ذلك فإنّه من تزوج فيه لم يتم تزويجه ويفارق أهله ومن سافر فيه لم يصلح له ذلك فليتصدّق.

وفي رواية: أنّه يوم صالح متوسط للبيع والشراء والسفر وقضاء الحوائج والبناء والغرس والزرع، وهو يوم جيّد فسافر فيه والق من شئت تغلب وتقضى حوائجك، ومن ولد فيه كان متوسّط الحال ومن مرض فيه أو في ليلته برىء بعد مدّة ويكره فيه التزويج.

اليوم السابع والعشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم مختار جيّد يصلح لطلب الحوائج والشراء والبيع والدخول على السلطان والبناء والزرع والخصومة ولقاء القضاة والسفر والابتداءات والأساسات والتزويج، وهو يوم سعيد جيّد وفيه ليلة القدر، خفيف لسائر الأحوال، اتّجر فيه وطالب بحقّك واطلب عدوّك والق فيه من شئت، ويكره فيه إخراج الدم، ومن مرض فيه مات.

وفي رواية: من مرض فيه أو في ليلته نجا، ومن ولد فيه يكون جميلاً حسناً طويل العمر كثير الرزق قريباً إلى الناس محبّاً إليهم.

اليوم الثامن والعشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم سعيد مبارك، ولد فيه يعقوب عليه السلام، يصلح للسفر وجميع الحوائج وكلّ أمر والعمارة والبيع والشراء والدخول على السلطان قابل فيه أعدائك فإنك تظفر بهم، وتزوّج فيه.

ورواية أخرى: لا تخرج فيه الدم فإنّه رديء، ومن مرض فيه يموت ومن أبق فيه رجع، ومن ولد فيه يكون حسناً جميلاً محبوباً محبّاً إلى الناس وإلى أهله مشغوفاً محزوناً طول عمره وتصيبه الغموم ويبتلى في بدنه ويعافى في آخر عمره ويعمّر طويلاً ويبتلىٰ في بصره، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من وُلد فيه

يكون صبيح الوجه مسعود الجلد مباركاً ميموناً، ومن طلب فيه شيئاً تمّ له وكان عاقبته محمودة.

اليوم التاسع والعشرون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم مختار يصلح لكلّ حاجة، وإخراج الدم، وهو يوم سعيد لسائر الأمور والحوائج والأعمال وفيه تبارك اللّه تعالى على الأرض المقدسة، ويصلح للنقلة وشراء العبيد والبهائم ولقاء الاخوان والأصدقاء، وفعل البرّ والحركة، ويكره فيه الدَّين والسلف والأيمان، من سافر فيه يصيب مالاً كثيراً إلاّ من كان كاتباً فإنّه يكره له ذلك، والرؤيا فيه صادقة ولا تقصّها إلاّ بعد يوم، ومن مرض فيه برىء ومن ولد فيه يكون صالحاً حليماً، والآبق فيه يوجد، ولا تستخلف فيه أحداً ولا تأخذ فيه من أحد شيئاً، وادخل فيه على السلطان ولا تضرب فيه حرّاً ولا عبداً، ومن ضلّت له ضالّة وجدها.

اليوم الثلاثون: عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم جيد للبيع والشراء والتزويج، ومن ولد فيه يكون حليماً مباركاً ويعسر تربيته ويسوء خلقه ويرزق رزقاً يمنع منه، ومن هرب فيه أخذ، ومن ضلّت له ضالّة وجدها، ومن اقترض فيه شيئاً ردّه سريعاً.

وفي رواية: أنّه يوم مبارك ميمون مسعود مصلح منجح فاعمل فيه ما شئت والق من أردت وخذ واعط وسافر وانتقل وبع واشتر فإنّه صالح لكلّ ما تريد موافق لكلّ ما يعمل، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً مقبلاً حسن التربية، ومن مرض فيه أو في ليلته لم تطل علّته ونجا سالماً بإذن اللّه تعالى[١].

ففي الشهر سبعة أيام نحاس تحذر منها وتسمّى بالكوامل فلا يكاد يصلح فيها عمل.

توقَّ من الأيام سبعاً كواملاً ... ولا تبغ فيهن بيعاً ولا سفر
ولا تلبس ثوباً جديداً وخلقة ... ولا تنكح لأنثى ولا تغرس الشجر

---

(١) كشكول البحراني.

ولا تحفـر بئـراً ولا تبـن منـزلاً مقـابلـة السلطـان فـالحـذر الحـذر
ثـلاث وخمـس ثـم ثـالـث عشـرة ويتبعهـا مـن بعـد الستـة عشـر
وحـادي والعشـريـن لا تنـس ذكـره ورابـع والعشـريـن والخـامـس الأثـر
وآخـر أربعـا مـن كـل شهـر فتـركـه وكذا ورد النص الذي شاع واشتهر
تـوقـاهـمُ مـا دمـت حيّـاً فـإنّهـم كـأيـام عـاد ليـس تبقـى ولا تـذر

الأيام المحذورة في السنة القمرية

لقد ورد عن الصادق عليه السلام: **إنّ في السنة اثنى عشر يوماً من اجتنبها نجا ومن وقع فيها هوى، فاحفظوها، في كلّ شهر منها يوم.**

ففي المحرّم الثاني والعشرون، وفي صفر العاشر، وفي ربيع الأول الرابع، وفي ربيع الثاني الثامن والعشرون، وجمادى الأول الثامن والعشرون، وفي جمادى الثانية الثاني عشر، ورجب الثاني عشر، وفي شعبان السادس والعشرون، وفي رمضان الرابع والعشرون، وفي شوال الثاني، وفي ذي القعدة الثامن والعشرون، وفي ذي الحجة الثامن.

وورد أنّ في كلّ شهر يومان فعن أمير المؤمنين عليه السلام كما نقله المحدّث الكاشاني، قال: **إنّ في السنة أربعاً وعشرون يوماً نحسات وديّات لا يتمّ الأمر الذي شرع فيها، ولا يعيش الطفل الذي ولد فيها ولا يظفر الغازي الذي غزا فيها، ولا تنمو الشجرة التي غرست فيها، وفي كل شهر منها يومان ففي:**

المحرم: الحادي عشر والرابع عشر.

وفي صفر: الأول والعشرين.

وفي ربيع الأول: العاشر والعشرون.

وفي ربيع الثاني: الأول والحادي عشر.

وفي جمادى الأولى: الأول والحادي عشر.

وفي جمادى الثاني: الأول والحادي عشر.

وفي رجب: الحادي عشر والثالث عشر.

وفي شعبان: الرابع مع العشرين.

وفي رمضان: الثالث مع العشرين.

وفي شوال: السادس والثامن.

وفي ذي القعدة: السادس والعاشر.

وفي ذي الحجة: الثامن مع العشرين.

عجائب الساعات

ينقسم اليوم الكامل إلى اللّيل والنّهار، ويتكوّن كلٌ من اللّيل والنّهار من اثني عشر ساعة، وهذه الاثنا عشر كاملة فلا يكمل اللّيل والنّهار إلاّ بها، فالساعات لا تنقص ولا تزيد ولكن ربما تطول وتقصر لطول النّهار وقصر اللّيل أو العكس، ولكلّ ساعة من ساعات اللّيل أو النّهار أحكام وخواص مناسبة للكوكب المتولّد فيها، ولهذا جعلوا أسمائها بأسماء الكواكب لاحتوائها خواص وصفات الكوكب الحاكم فيها، وهذا النظم مرتّب على ترتيب الساعات مبتدأً من يوم الأحد.

شمس وبدر ومريخ عطارد   للمشتري زهرة تعلو على زحل
وكلّ يوم له نجم فعد به   من تالي السبت بالترتيب وابتهل

في أسماء ساعات النهار وما يتعلّق بها من أحكام وخواص:

الأولى: تسمّى يانف، وفيها صلاة الناس لربّهم، وهي أقوى الساعات تأثيراً للكوكب المناسب لها، تصلح لقضاء الأمور وعقد الألسن كلّها.

الثانية: تسمّى بامور، فيها صلاة الملائكة لربّهم، وهي تصلح لطلسم المودّة والالفة بين الناس.

الثالثة: تسمّى تيب، فيها تشكر الطيور ربّها، وهي تصلح لطلسم السباع والطير كلّه.

الرابعة: تسمّى سلح، فيها تشكر الخلائق ربّها، وهي تصلح لطلسم الحيّات والعقارب.

الخامسة: تسمّى شعلك، فيها تشكر كلّ دابة ربّها، وهي تصلح لطلسم السباع والوحوش كلّها.

السادسة: تسمّى تمور، فيها دعاء الكروبيين، يعمل فيها طلسم المسجونين فيطلقون.

السابعة: تسمّى بدور، وفيها صلاة حملة العرش، يعمل فيها طلسم الالفة بين السلاطين.

الثامنة: تسمّى لمعوق، تصلح لطلسم التفريق بين الأعداء.

التاسعة: تسمّى بيرون، تصلح لطلسم المسافرين فلا يقوى عليهم اللصوص.

العاشرة: تسمّى بخور، فيها تنزل الرحمة من اللّه، وهي تصلح لطلسم الدخول على السلاطين واستمالتهم.

الحادية عشر: تسمّى جبر، فيها يفرح الصالحون، وتصلح لطلسم الالفة والمودّة.

الثانية عشر: تسمّى رحلون، فيها استغفار الناس، وتصلح للصمت.

في أسماء ساعات اللّيل وما يتعلّق بها من أحكام وخواص:

الأولى: تسمّى حرام، فيها صلاة الجنّ لربّهم فهم مشتغلون فيها بالصلاة فلا يؤذون في تلك الساعة أحداً، وهي تصلح لطلسم السكوت.

الثانية: تسمّى بروز، فيها تسبيح السمك لربّها وحيوانات الماء كلّها وهوام البرّ، فهي ساعة تصلح للسكون أيضاً.

الثالثة: تسمّى نهور، وفيها تسبيح النيران والحيّات فلا تؤذي فيها أحداً، ويعقد فيها كلّ لسان لقضاء الحوائج.

الرابعة: تسمّى الحير، فيها يجمع الجان، فإذا اعتزل فيها أحد من الناس فزع واستوحش، فتصلح لطلسم ينقش في الذهب والفضة للودّ والالفة بين الناس، وللقطيعة بين الأعداء يكتب على الصفر الأحمر والأصفر.

الخامسة: تسمّى قمهين، فيها يسكن الماء وفيها تسبيح الخلائق، يعمل فيها طلسم السحاب والرياح العاصفات.

السادسة: تسمّى زرون، فيها ينام الماء ويركد، وهي تصلح لطلسم الأحلام التي يرى فيها كلما يريد الإنسان عمله.

السابعة: تسمّى ياقوت، يعمل فيها طلسم السلاطين، فلا تطلب فيها منهم حاجة إلاّ قضيت.

الثامنة: تسمّى رينه، فيها يشكر نبات الأرض ربّه عزّ وجلّ، فيعمل فيها طلسم المزارع والبساتين.

التاسعة: تسمّى سفعد، فيها صلاة الملائكة لربّ العالمين، تصلح لطلسم الدخول على السلاطين.

العاشرة: تسمّى صحكو، فيها يعمل طلسم من يريد أن لا تزني نساء أهل البلدة.

الحادية عشر: تسمّى العطو، فيها تفتح أبواب السماء للصلاة، فمن دعا الله فيها بيقين أعطاه الله تعالى ما سأله قطعاً.

الثانية عشر: تسمّى شلشم، فيها يصلّي المؤمن للخالق سبحانه وتعالى، وهي تصلح لطلسم السكون والوقار، ومن خواصها أن الطلسم المعمول بها لا يحله أحد البتة بإذن الله تعالى.

وقد روي استحباب الزواج والعقد ليلاً لخاصية فيه توجب الاتفاق، فعن

أبي جعفر عليه السلام قال: تزوّج بالليل، فإنّ الله جعله سكناً، ولا تطلب حاجة بالليل.

وبلغه عليه السلام أنّ رجلاً تزوّج في ساعة حارّة عند نصف النهار، فقال عليه السلام: ما أراهما يتفقان، فافترقا.

نحوسات الساعات وجيدها للاستخارة

رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام، في الساعات الحسنة والنحسة للاستخارة بالقرآن:

يوم السبت: أوّله جيّد إلى الضحى، نحسه إلى الزوال، جيّده إلى العصر، نحسه إلى النوم.

يوم الأحد: أوّله جيّد إلى الظهر، نحسه إلى العصر، جيّده إلى الليل، نحسه إلى النوم.

يوم الاثنين: أوّله جيّد إلى طلوع الشمس، نحسه إلى الضحى، وجيده إلى الظهر، نحسه إلى النوم.

يوم الثلاثاء: أوّله نحس إلى الضحى، وجيّده إلى الظهر، نحسه إلى العصر، جيّده إلى الليل.

يوم الأربعاء: أوّله جيّد إلى الظهر، نحسه إلى العصر، جيّده إلى النوم.

يوم الخميس: أوّله جيّد إلى طلوع الشمس، نحسه إلى الظهر، جيّده إلى النوم.

يوم الجمعة: أوّله جيّد إلى طلوع الشمس، نحسه إلى الضحى، جيّده إلى العصر، نحسه إلى المغرب، جيّده إلى النوم[١].

---

(١) كشكول البحراني.

تسبيح المخلوقات

لم يخلق اللَّه عزّ وجلّ شيء في الوجود إلاّ لغاية وهدف وإلاّ كان خلقه عبث والعياذ باللَّه، وإذا وجدت الغاية وهي العبادة لزم التكليف، والتكليف لا يكون إلاّ لذي شعور وحسّ وإدراك وحياة، وهذا التكليف يكون على قدر شعور الشيء، والآيات كثيرة تشير إلى هذا المعنى منها: ﴿وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[1] فلفظ الشيء في هذه الآية نكرة في سياق النفي يفيد العموم، أي كلّ ما يطلق عليه شيء من أيّ مرتبة كان فهو يسبّح، والتسبيح عبادة لا يكون إلاّ بتكليف ولا يكلّف إلاّ بشعور.

وهذا التسبيح ليس تسبيحاً كونياً كما زعم البعض أي من باب دلالة الأثر على المؤثّر، يعني أنّ كلّ شيء يدلّ على أنّ له خالقاً وصانعاً، لأنّ هذه الدلالة ليست ممّا لا تفقه، بل هي دلالة واضحة إنها تفقه وتشعر فقوله سبحانه: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ أوضح شاهد على أنّ هذا التسبيح هو تسبيح تشريعي تكليفي، وتسبيح خاص بشعور وإخلاص ولكن لا يفقهونه، وليس تسبيح كوني حالي.

وقال تعالى: ﴿ألم تر أنّ اللَّه يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدّوابّ وكثير من الناس وكثير حقّ

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

عليه العذاب﴾[١]، قد أثبت للشمس والقمر والجبال والجماد كلّها وللشجر والدوابّ سجوداً، والسجود عبادة ولا تكون إلاّ بتكليف، ولا يكون التكليف إلاّ بالشّعور، ولولا أنّ الأشياء المذكورة لها إدراك وشعور من عالمها وفي رتبتها لما صحّ نسبة السجود إليها.

والقول بأنّ هذا السجود هو السجود التكويني أي دلالتها على المؤثر وكونها آية للصانع وليس بسجود تشريعي، قول خالٍ من الصواب والتحقيق، لأنّ قوله تعالى: ﴿وكثير من الناس﴾ يدفع هذا القول لأنّ النّاس كافّة حتى الكافر والمشرك يدلّ على وجوده وعلى صانعه وعلى المؤثّر فكلّهم خاضعون تكوينياً لربّهم لا كثير منهم فقط، فقوله سبحانه: ﴿وكثير من الناس﴾ ثم تعقيبه بقوله: ﴿وكثير حقّ عليه العذاب﴾ أقوى حجّة لما قلناه، لأنّ معنى قوله: ﴿وكثير حقّ عليه العذاب﴾ أي لم يسجدوا للّه ولم يخضعوا له وضلّوا عن طريق العبادة، انهم لم يأتوا بالعبادة التشريعية والسجود التكليفي العبادي، فلذا حقّ عليهم العذاب.

والسجود التكويني مساوق لوجود كلّ مخلوق، فجميع الخلق فضلاً عن جميع الناس بلا استثناء وجودهم يدلّ على صانعهم وخالقهم وعلى مؤثرهم وموجدهم، مؤمنين كانوا أو كفّاراً أو مشركين، وكلّهم ساجدون وخاضعون ومسبّحون تكويناً، وإلاّ لما دخلوا في عرصة الكون ولما صاروا موجودين، وكلّهم متساوون في حكم التكوين بحكم قوله تعالى: ﴿كان الناس أُمّة واحدة﴾ وبقوله تعالى: ﴿وأتينا طائعين﴾، وإنما اختلفوا وكانوا شِيعاً في الحكم التشريعي لقوله تعالى: ﴿فاختلفوا﴾.

فآية السجدة المذكورة من سورة الحج حجّة قاطعة لإثبات الإدراك والشعور للمذكورات فيها من النبات والجماد والدواب بحكم إثبات التشريعية لها.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموٰات والأرض

---

(١) سورة الحج: الآية ١٨.

والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً﴾(١)، فالعرض على السمٰوات والأرض والجبال وإبائها من حملها وإشفاقها منها لا تكون إلاّ لذي شعور وإدراك، ثم الإتيان بنون الجمع المؤنث العاقل في قوله: ﴿فأبين﴾ ولم يقل: فأبت، وقوله: ﴿أن يحملنها﴾ ولم يقل: أن تحملها وأشفقت منها، دليل الشعور والإحساس من عالمها ورتبتها من الوجود، فيكون تكليفاً بحسبها وعبادتها بحسبها.

وقوله تعالى أيضاً: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾(٢)، ولا شكّ أنّ الطّوع ضدّه الكره وكلاهما لا يكونان إلاّ بإرادة وعلم وشعور، ثم إتيانه سبحانه ﴿طائعين﴾ بالياء والنون للذين هما علامة جمع الغائب العاقل، وما قال طائعات أو طائعة دليل على حسهما وشعورهما، ولو تدبّرت كلام اللّه تعالى لرأيته مشحوناً بما يدل على المراد والمطلوب كقوله في سورة يس: ﴿وكلّ في فلك يسبحون﴾ أي كلّ من الشمس والقمر في فلك يسبحون بالواو والنون ولم يقل سابحة أو يسبّح وكذلك قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ بالياء والنون ولم يقل ساجدة، إلى غير ذلك.

وفي الأخبار صريح ما ذكرناه لدلالة الشعور والحسّ لجميع المخلوقات نذكر بعضها واللّه الموفق.

من تسبيح يوم الخميس: سبحانك لا إله إلاّ أنت، تسبّح لك السمٰوات بأقطارها والشمس في مجاريها والقمر في منازله والنجوم في مسيراتها والفلك في معارجه، سبحانك لا إله إلاّ أنت تسبّح لك النهار بضوئه واللّيل بدجاه والنور بشعاعه والظلمة بغموضها، سبحانك لا إله إلاّ أنت تسبّح لك الرياح في مهبّها والسحاب بأمطارها والبرق بأخطافه والرعد بأرزامه، سبحانك لا إله إلاّ أنت

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.
(٢) سورة فصلت: الآية ١١.

تسبّح لك الأرض بأقواتها والجبال بأطوارها والأشجار بأوراقها والمراعي في منابتها(١).

ومن علل محمّد بن علي بن إبراهيم قال: بكاء السماء إحمرارها من غير غيم وبكاء الأرض زلازلها، وتسبيح الشجر حركتها من غير ريح وتسبيح البحار زيادتها ونقصانها، وتسبيح الشجر نموّه، وقال أيضاً: ظلّه يسبح اللّه.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة﴾ إلى آخر الآية، عرض اللّه أمانتي على السموٰات السبع بالثواب والعقاب، فقلن ربّنا لا نحملها بالثواب والعقاب لكنّا نحملها بلا ثواب ولا عقاب، وان اللّه عرض أمانتي وولايتي على الطيور فأوّل من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأوّل من جحد البوم والعنقاء فلعنهما اللّه تعالى من بين الطيور، فأمّا البوم فلا تقدر أن تظهر بالنهار لبغض الطير لها، وأمّا العنقاء فغابت في البحار لا تُرى، وأنّ اللّه عرض أمانتي على الأرضين فكلّ بقعة آمنت بولايتي جعلها طيبة زكية وجعل نباتها وثمرها حلواً وعذباً وجعل ماءها زلالاً، وكلّ بقعة جحدت أمانتي وأنكرت ولايتي جعلها سبخاً وجعل نباتها مرّاً علقماً وجعل ثمرها العوسج والحنظل وجعل ماءها ملحاً أُجاجاً، ثم قال عليه السلام وحملها الإنسان يعني أُمّتك يا محمد ولاية أمير المؤمنين وإمامته بما فيها من الثواب والعقاب، انّه كان ظلوماً لنفسه جهولاً لأمر ربّه من لم يؤدّها بحقّها فهو ظلوم غشوم(٢).

وعن الرضا عليه السلام في خبر طويل في فضل يوم الغدير قال: وفي يوم الغدير عرض اللّه الولاية على أهل السموٰات السبع، فسبق إليها أهل السماء السابعة فزيّن بها العرش ثم سبق إليها أهل السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور، ثم سبق إليها أهل السماء الدنيا فزيّنها بالكواكب، ثمّ عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكة فزيّنها بالكعبة، ثم سبقت إليها المدينة فزيّنها بالمصطفى صلى الله عليه وآله، ثم سبقت إليها الكوفة فزيّنها بأمير المؤمنين عليه السلام، وعرضها

---

(١) الطرائف.
(٢) عوالم العلوم.

على الجبال، فأوّل جبل أقرّ بذلك ثلاثة أجبال العقيق وجبل الفيروزج وجبل الياقوت، فصارت هذه الجبال جبالهن وأفضل الجواهر، وسبقت إليها جبال أُخر فصارت معادن الذهب والفضة، وما لم يقرّ بذلك ولم يقبل صارت لا تنبت شيئاً، وعرضت في ذلك اليوم على المياه فما قبل منها صار عذباً وما أنكر صار ملحاً أُجاجاً، وعرضها في ذلك اليوم على النبات فما قبله صار حلواً طيباً وما لم يقبل صار مرّاً، ثم عرضها في ذلك اليوم على الطير فما قبلها صار فصيحاً مصوّتاً وما أنكرها صار أخرس ألكَنَ[١].

وعن داوود الرقي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال سألته عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ قال نقض الجدر تسبيحها[٢].

وعنه عليه السلام قال: حين سُئل عن قول اللّه: ﴿وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده﴾ قال كلّ شيء يسبّح بحمده، وقال إنّا لنرى أن ينقض الجدر وهو تسبيحها[٣].

وعنه عليه السلام قال: شكت سافل الحيطان إلى اللّه عزّ وجلّ من ثقل أعاليها فأوحىٰ اللّه عزّ وجلّ إليها يحمل بعضك بعضاً[٤].

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام أنّه دخل عليه رجل فقال له فداك أبي وأمي إني أجد اللّه يقول في كتابه: ﴿وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ فقال له: هو كما قال اللّه تعالى، قال أتسبح الشجرة اليابسة؟ فقال: نعم أما سمعت خشب البيت كيف تنقصف ـ ينقض ـ وذلك تسبيحه فسبحان اللّه على كلّ حال[٥].

---

(١) عوالم العلوم.
(٢) الكافي.
(٣) تفسير العياشي.
(٤) بحار الأنوار.
(٥) البرهان في تفسير القرآن.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال، قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لا تضربوا الدّواب على وجوهها فإنّها تسبّح اللّه، وفي حديث آخرَ لا تسموها في وجوهها[١].

وعنه عليه السلام قال: ما من طير يصاد في برّ أو بحر، ولا شيء يصاد من الوحش إلاّ بتضييعه التسبيح[٢].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: كنت مع علي بن الحسين ، في داره، وفيها شجرة، وفيها عصافير، وهنّ يصحن، فقال: أتدري ما يقلن هؤلاء؟ فقلت: لا أدري، فقال: يسبّحن ربهنّ ويطلبن رزقهن[٣].

وفيما ناجىٰ اللّه موسى: يا موسى ما دعوتني ورجوتني فاني سأغفر لك على ما كان منك، السماء تسبّح لي وجلاً والملائكة من مخافتي مشفقون والأرض تسبّح لي طمعاً، وكلّ الخلائق يسبّحون لي داخرين وفي ذلك الخبر: والأرض مطيعة والسماء مطيعة والبحار مطيعة وعصياني شقاء الثقلين وأنا الرحمن الرحيم ورحمان كلّ زمان[٤].

ما يقول الحيوان في كلامه

عن ابن عباس قال شهدنا مجلس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإذا نحن بعدّة من العجم فسلّموا عليه فقالوا جئناك لنسألك عن ستّ خصال فإن أنت أخبرتنا آمنّا وصدّقنا وإلاّ كذّبنا وجحدنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام سلوا متفقهين ولا تسألوا متعنتين، قالوا: أخبرنا ما يقول الفرس في صهيله والحمار في نهيقه والدراج في صياحه والقنبرة في صفيرها والديك في نعيقه والضفدع في نقيقه، فقال عليه السلام : إذا التقى الجمعان ومشى الرجال إلى الرجال بالسيوف يرفع الفرس رأسه فيقول سبحان الملك القدوس، ويقول

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) البرهان في تفسير القرآن.

(٣) الاختصاص.

(٤) الجواهر السنية.

الحمار في نهيقه اللَّهمَّ العن العشارين، ويقول الديك في نعيقه بالأسحار اذكروا اللَّه يا غافلين، ويقول الضفدع في نقيقه سبحان المعبود في لجج البحار ويقول الدراج في صياحه الرحمن على العرش استوى، وتقول القنبرة في صفيرها اللَّهمَّ العن مبغضي آل محمد.

قال فقالوا آمنّا وصدّقنا وما على وجه الأرض من هو أعلم منك، فقال عليه السلام: ألا أزيدكم قالوا: بلى يا أمير المؤمنين فقال: إنّ للفرس في كلّ يوم ثلاث دعوات مستجابات يقول في أوّل النّهار وسّع علىٰ سيدي الرّزق، ويقول في وسط النّهار اللَّهمَّ اجعلني أحب إلى سيّدي من أهله وماله، ويقول في آخر نهاره اللَّهمَّ ارزق سيدي على ظهري الشهادة[1].

ورُوي أنّ الحسين بن علي عليه السلام سُئل في حال صغره عن أصوات الحيوانات لأنّ من شرط الإمام أن يكون عالماً بجميع اللّغات حتى أصوات الحيوانات، فقال على ما روى محمّد بن إبراهيم بن الحرث التميمي عن الحسين عليه السلام أنه قال: إذا صاح النسر فإنّه يقول يابن آدم عش ما شئت فآخره الموت، وإذا صاح البازي يقول: يا عالم الخفيّات ويا كاشف البليّات، وإذا صاح الطاووس يقول: مولاي ظلمت نفسي واغتررت بزينتي فاغفر لي، وإذا صاح الدرّاج يقول: الرحمن على العرش استوى، وإذا صاح الديك يقول: من عرف اللَّه لم ينس ذكره، وإذا قرقرت الدجاجة تقول: يا إله الحقّ أنت الحق وقولك الحق يا اللَّه يا حق، وإذا صاح الباشق يقول: آمنت باللَّه واليوم الآخر، وإذا صاحت الحداة تقول: توكّلت على اللَّه الرزّاق، وإذا صاح العقاب يقول: من أطاع اللَّه لم يشق، وإذا صاح الشاهين يقول: سبحان اللَّه حقاً حقاً، وإذا صاحت البومة تقول: البُعد من الناس أنس، وإذا صاح الغراب يقول: يا رازق ابعث الرّزق الحلال، وإذا صاح الكركي يقول: اللَّهمَّ احفظني من عدوّي، وإذا صاح اللقلق يقول: من تخلّى عن النّاس نجا من أذاهم، وإذا صاحت البطة

---

(١) بحار الأنوار.

تقول: غفرانك يا اللّه، وإذا صاح الهدهد يقول: ما أشقى من عصى اللّه، وإذا صاح القمري يقول: يا عالم السرّ والنجوى يا اللّه، وإذا صاح الدبسي يقول: أنت اللّه لا إله سواك يا اللّه، وإذا صاح العقعق يقول: سبحان من لا يخفى عليه خافية، وإذا صاح الببغا يقول: من ذكر ربّه غفر ذنبه، وإذا صاح العصفور يقول: استغفر اللّه مما يسخط اللّه، وإذا صاح البلبل يقول: لا إله إلاّ اللّه حقّاً حقّاً، وإذا صاحت القبجة تقول: قرب الحق قرب، وإذا صاحت السماناة تقول: يا ابن آدم ما أغفلك عن الموت، وإذا صاح السوزينق يقول: لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه وآله خيرة اللّه، وإذا صاحت الفاختة تقول: يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد، وإذا صاح الشقراق[1] يقول: مولاي اعتقني من النّار، وإذا صاحت القنبرة ـ القبرة ـ تقول: مولاي تب على كل مذنب من المؤمنين، وإذا صاح الورشان يقول: إن لم تغفر ذنبي شقيت، وإذا صاح الشفنين يقول: لا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم، وإذا صاحت النعامة تقول: لا معبود سوى اللّه، وإذا صاحت الخطافة فإنّها تقرأ سورة الحمد وتقول: يا قابل توبة التوّابين يا اللّه لك الحمد، وإذا صاحت الزرافة تقول: لا إله إلاّ اللّه وحده، وإذا صاح الحمل يقول: كفى بالموت واعظاً، وإذا صاح الجدي يقول: عاجلني الموت ثقل ذنبي وازداد، وإذا صاح الأسد يقول: أمر اللّه مهم مهم، وإذا صاح الثور يقول: مهلاً مهلاً يا ابن آدم أنت بين يدي من يَرىٰ ولا يُرىٰ وهو اللّه، وإذا صاح الفيل يقول: لا يغني عن الموت قوّة ولا حيلة وإذا صاح الفهد يقول: يا عزيز يا جبّار يا متكبّر يا اللّه، وإذا صاح الجمل يقول: سبحان مذلّ الجبارين سبحانه، وإذا صهل الفرس يقول: سبحان ربّنا سبحانه، وإذا صاح الذئب يقول: ما حفظ اللّه لن يضيع أبداً، وإذا صاح ابن آوى يقول: الويل الويل للمذنب المصرّ، وإذا صاح الكلب يقول كفى بالمعاصي ذلاً، وإذا صاح الأرنب يقول لا تهلكني يا اللّه لك الحمد، وإذا صاح الثعلب يقول: الدنيا دار غرور وإذا صاح الغزال يقول: نجّني من الأذى، وإذا صاح الكركدن يقول: أغثني وإلاّ هلكت يا مولاي، وإذا صاح

---

(١) الشقراق طائر صغير قدر الهدهد مرقّط بخضرة وحمرة وبياض.

الإبل يقول: حسبي اللّه ونعم الوكيل حسبي اللّه، وإذا صاح النمر يقول: سبحان من تعزز بالقدرة سبحانه، وإذا سبّحت الحية تقول: ما أشقى من عصاك يا رحمن وإذا سبّحت العقرب تقول: الشرّ شيء وحش.

ثم قال عليه السلام: ما خلق اللّه من شيء إلاّ وله تسبيح يحمد به ربّه ثم تلا هذه الآية: ﴿وإن من شيء إلاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال رجل من اليهود لرسول اللّه صلى الله عليه وآله يا محمد أخبرني ما يقول الحمار في نهيقه وما يقول الفرس في صهيله وما يقول الدرّاج في صوته، وما تقول القنبرة في صوتها وما يقول الضفدع في نقيقه وما يقول الهدهد في صوته، قال: فأطرق رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ثم قال: أعد عليَّ يا يهودي، قال: فأعاد فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أمّا الحمار فيلعن العشار وأمّا الفرس فيقول: المُلك للّه الواحد القهّار، وأمّا الدرّاج فيقول: الرحمن على العرش استوى وأمّا الديك فيقول: سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والرّوح، وأمّا الضفدع فيقول: اذكروا اللّه يا غافلين، وأمّا الهدهد فيقول: رحمك اللّه يابا داوود يعني سليمان بن داوود، وأمّا القبرة فيقول: لعن اللّه من يبغض أهل بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله [1].

وسُئل عليه السلام عن الوزغ قال: هو الرجس مسخ فإذا قتلته فاغتسل يعني شكراً، وقال: إن أبي كان قاعداً في الحجر ومعه رجل يحدّثه، فإذا هو الوزغ يُوَلْوِل بلسانه، فقال أبي عليه السلام للرجل: أتدري ما يقول هذا الوزغ قال الرجل: لا أعلم ما يقول، قال: فإنّه يقول لئن ذكرت عثمان لأسبنّ عليّاً، وقال: إنه ليس يموت من بني أمية ميت إلاّ مسخ وزغاً[2].

وعن محمد بن جعفر عن أبيه عليهما السلام، قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: استوصوا بالصنانيات خيراً يعني الخطاف، فإنّه آنس طير الناس بالناس، ثم قال

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) عوالم العلوم.

رسول الله ﷺ: أتدرون ما تقول الصنانية إذ هي ترنّمت، تقول: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين، حتى تقرأ أمّ الكتاب، فإذا كان في آخر ترنّمها قالت: ولا الضالين[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتّخذوا الحمام الراعبية في بيوتكم فإنّها تلعن قتلة الحسين عليه السلام [٢].

وعن داوود بن فرقد قال: كنت جالساً في بيت أبي عبد الله عليه السلام فنظرت إلى الحمام الرّاعبي يقرقر طويلاً فنظر إليّ أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا داوود أتدري ما يقول هذا الطير قلت: لا والله جعلت فداك، قال: تدعو على قتلة الحسين بن علي عليه السلام فاتّخذوه في منازلكم[٣].

عجائب خلق الحيوان

قال تعالى: ﴿وما من دابةٍ في الأرض ولا طائرٍ يطير بجناحيهِ إلاّ أُممٌ أمثالكم﴾[٤].

﴿والله خلق كلَّ دابةٍ من ماءٍ فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلقُ الله ما يشاء إنّ الله على كلّ شيء قدير﴾[٥].

في حديث المفضل عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ابتدىء لك بذكر الحيوان ليتضح لك من أمره ما وضح لك من غيره، فكّر في أبنية أبدان الحيوان، وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة، ولو كانت كذلك لا تنثني، ولا تتصرف في الأعمال، ولا هي على غاية اللّين والرخاوة، فكانت لا

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) كامل الزيارات.

(٣) كامل الزيارات.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٥) سورة النور: الآية ٤٥.

تتحامل، ولا تستقل بأنفسها، فجُعلت من لحم رخو ينثني، تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق تشدّه، وتضمّ بعضه إلى بعض، وغلّفت ـ وعُليت ـ فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كلّه وأشباه ذلك، هذه التماثيل التي تحمل من العيدان، وتلف بالخرق وتُشد بالخيوط، وتُطلى فوق ذلك بالصمغ فتكون العيدان بمنزلة العظام، والخرق بمنزلة اللّحم، والخيوط بمنزلة العصب والعروق، والطلاء بمنزلة الجلد، فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرّك حدث بالإهمال من غير صانع جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميّتة، فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحري أن لا يجوز في الحيوان.

وفكّر يا مفضل ـ بعد هذا ـ في أجساد الأنعام فإنها حين خلقت على أبدان الإنس من اللّحم والعظم والعصب، أعطيت أيضاً السمع والبصر ليبلغ الإنسان حاجته، فإنّها لو كانت عمياً صمّاً لما انتفع بها الإنسان ولا تصرفت في شيء من مآربه، ثم منعت الذهن والعقل لتذُلّ للإنسان، فلا تمتنع عليه، إذا كدّها الكدّ الشديد، وحمّلها الحمل الثقيل، فإن قال قائل انّه قد يكون للإنسان عبيد من الإنس، يذلّون ويذعنون بالكدّ الشديد، وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن، فيقال في جواب ذلك إنّ هذا الصنف من الناس قليل، فأمّا أكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل والطحن وما أشبه ذلك، ولا يُغرون بما يحتاج إليه منه، ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال، لأنّه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد إلى عدّة أناسي، فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقه من التعب الفادح في أبدانهم والضيق والكدّ في معاشهم.

فكّر يا مفضل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها، على ما هي عليه ممّا فيه صلاح كلّ واحد منها، فالإنس لما قدروا أن يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والتجارة والصياغة والخياطة، وغير ذلك، خلقت لهم أكفّ كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكّنوا من القبض على الأشياء، وأوكدها هذه الصناعات.

وآكلات اللَّحم لما قدّر أن تكون معاشها من الصيد، خلقت لهم أكف مدمجة[١] ذوات براثن[٢] ومخالب تصلح لأخذ الصيد ولا تصلح للصناعات، وآكلات النبات لما قدّر أن يكونوا، لا ذوات صنعة ولا ذات صيد خلقت لبعضها أظلاف تقيها خشونة الأرض إذا حاولت طلب المرعىٰ، ولبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخمص القدم تنطبق على الأرض عند تهيئها للركوب والحمولة.

تأمّل التدبير في خلق آكلات اللَّحم من الحيوان، حين خلقت ذوات أسنان حداد، وبراثن شداد، وأشداق[٣] وأفواه واسعة، فإنّه لما قدر أن يكون طعمها اللَّحم خلقت خلقة تشاكل ذلك وأعينت بسلاح، وأدوات تصلح للصيد، وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخالب مهيئة لفعلها، ولو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا تحتاج إليه، لأنّها لا تصيد ولا تأكل اللَّحم، ولو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه، أعني السلاح الذي تصيد به وتتعيّش، أفلا ترى كيف أعطي كلّ واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبقته، بل ما فيه بقاؤه وصلاحه.

أنظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أماتها[٤] مستقلة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الإنس، فمن أجل أنّه ليس عند أماتها ما عند أمهات البشر من الرفق والعلم بالتربية، والقوّة عليها بالأكف والأصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدرّاج والقبج، تَدْرج وتلقط حين تنقاب عنها البيضة، فأمّا ما كان منها ضعيفاً لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام واليمام والحمّر[٥] فقد جعل في الأمّهات فضل عطف عليها، فصارت تمج الطعام في أفواهها بعدما

---

(١) مدمجة أي مستقيمة محكمة متداخلة.
(٢) براثن جمع برثن بالضم ـ من السباع والطير بمنزلة الاصبع من الإنسان.
(٣) الأشداق جمع شدق وهي زاوية الفم من باطن الخدين.
(٤) أماتها جمع أم وقيل: إنها تستعمل في البهائم وأما في الناس فهي أمهات.
(٥) حمر طائر أحمر اللون.

توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقلّ بأنفسها، ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما ترزق الدجاج، لتقوىٰ الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلاً أُعطي بقسط من تدبير الحكيم اللّطيف الخبير.

أنظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجاً، لتتهيأ للمشي، ولو كانت أفراداً لم تصلح لذلك، لأنّ الماشي ينقل قوائمه يعتمد على بعض، فذو القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة، وذو الأربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف، لأنّ ذا الأربع لو كان ينقل قائمتين من أحد جانبيه ويعتمد على قائمتين من الجانب الآخر لم يثبت على الأرض كما يثبت السرير وما أشبهه، فصار ينقل اليمنىٰ من مقاديمه مع اليسرىٰ من مآخيره، وينقل الآخرين أيضاً من خلال، فيثبت على الأرض ولا يسقط إذا مشىٰ.

أما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرىٰ الفرس مودعاً منعّماً، والبعير لا يطيقه عدّة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي، والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه، حتى يضع النير[1] على عنقه ويحرث به، والفرس الكريم يركب السيوف والأسنة بالمواتاة لفارسه، والقطيع من الغنم يرعاه واحد، ولو تفرّقت الغنم فأخذ كلّ واحد منها في ناحية لم يلحقها، وكذلك جميع الأصناف المسخرة للإنسان كانت كذلك، إلاّ بأنها عدمت العقل والروية، فإنّها لو كانت تعقل وتتروى في الأمور كانت خليقة أن تلتوي على الإنسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده والثور على صاحبه، وتتفرّق الغنم عن راعيها وأشباه هذا من الأمور.

وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس، كانت خليقة أن تحتاجهم، فمن كان يقوم للأسد والذئاب والنمور والدببة لو تعاونت وتظاهرت على الناس، أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها وصارت مكان ما كان يخاف من أقدامها ونكايتها، تهاب مساكن الناس وتحجم عنها، ثم لا

(١) النير الخشبة المعترضة في عنقي الثورين.

تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها إلاّ بالليل، فهي مع صولتها كالخائف من الإنس بل مقموعة ممنوعة منهم ولو كان ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيّقت عليهم.

ثم جعل الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه، وحافظ له، ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة اللّيل لحراسة منزل صاحبه وذبّ الذعار عنه، ويبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه ودون ماشيته وماله، ويألفه غاية الألف حتى يصبر معه على الجوع والجفوة، فلِم طُبع الكلب على هذه الألفة والمحبّة، إلاّ ليكون حارساً للإنسان له عين بأنياب ومخالب ونباح هائل ليذعر منه السارق ويتجنّب المواضع التي يحميها ويخفرها.

يا مفضل تأمل وجه الدابة كيف هو، فإنّك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها، لئلا تصدم حائطاً، أو تتردّى في حفرة وترى الفم مشقوقاً شقاً في أسفل الخطم[١] ولو شقّ كمكان الفم من الإنسان في مقدّم الذقن، لما استطاع أن يتناول به شيئاً من الأرض ألا ترى أنّ الإنسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده، تكرمة له على سائر الآكلات، فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جُعل خرطومها مشقوقاً من أسفله، لتقبض على العلف ثم تقضمه، وأعينت بالجحفلة[٢] لتتناول بها ما قرُب وما بعُد.

اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه، فإنّه بمنزلة الطبق على الدبر والحياء جميعاً، يواريهما ويسترها، ومن منافعها فيه أن ما بين الدبر ومراقي البطن منها وضر[٣] يجتمع عليها الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبة تذبّ بها عن تلك المواضع، ومنها أنّ الدابة تستريح إلى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة، فإنّه لما كان قيامها على الأربع بأسرها، وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرّف والتقلّب، كان لها في تحريك الذنب راحة، وفيه منافع أخرى يقصر عنها

---

(١) خطم الدابة مقدّم أنفها وفمها.

(٢) الجحفلة هي لذات الحافر كالشفة للإنسان.

(٣) وضر مصدر الوسخ.

الوهم، فيعرف موقعها في وقت الحاجة إليها، فمن ذلك أنّ الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء أعون على نهوضها، من الأخذ بذنبها، وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم، ثم جعل ظهرها مسطحاً مبطوحاً على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها، وجعل حياها بارزاً من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها، ولو كان أسفل البطن كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها، ألا ترى أنه لا يستطيع أن يأتيها كِفاحاً[1] كما يأتي الرجل المرأة.

تأمّل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير، فإنّه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء، وازدرادهما إلى جوفه، ولولا ذلك لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض، لأنّه ليست له رقبة يمدها كسائر الأنعام، فلمّا عدم العنق أُعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله، فيتناول به حاجته، فمن ذا الذي عوّضه مكان العضو الذي عدم ما يقوم مقامه إلاّ الرؤوف بخلقه، وكيف يكون هذا بالإهمال، كما قالت الظلمة، فإن قال قائل: فما باله لم يُخلق ذا عنق كسائر الأنعام؟ قيل: إنّ رأس الفيل وأذنيه أمر عظيم، وثقل ثقيل، فلو كان ذلك على عنق عظيم، لهدّها وأوهنها، فجعل رأسه ملصقاً بجسمه لكيلا يناله منه ما وصفناه، وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول غذاءه، فصار مع عدم العنق مستوفياً ما فيه بلوغ حاجته.

أنظر الآن كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة في أسفل بطنها؟ فإذا هاجت للضراب ارتفع وبرز، حتى يتمكن الفحل من ضربها، فاعتبر كيف جعل حياء الأنثى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ثم جعلت فيه هذه الخلّة ليتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه.

فكّر في خلق الزرافة، واختلاف أعضائها، وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان، فرأسها رأس فرس، وعنقها عنق جمل، وأظلافها أظلاف بقرة، وجلدها جلد نمر.

---

(١) الكفاح ـ بالكسر ـ الملاقاة وجهاً لوجه.

وزعم ناس من الجهّال باللّه عزّ وجلّ: أن نتاجها من فحول شتّى، قالوا: وسبب ذلك أنّ أصنافاً من حيوان البرّ إذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة، وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتّى وهذا جهل من قائله، وقلّة معرفة بالباري جلّ قدسه، وليس كلّ صنف من الحيوان يلقح كلّ صنف، فلا الفرس يلقح الجمل، ولا الجمل يلقح البقر، وإنّما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه، كما يلقح الفرس الحمار، فيخرج بينهما البغل، ويلقح الذئب الضبع، فيخرج من بينهما السِمْع[1]، على أنّه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو كل واحد منهما، كما في الزرافة، عضو من الفرس وعضو من الجمل، وأظلاف من البقرة، بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما، كالذي تراه في البغل، فإنّك ترى رأسه وأذنيه وكفله، وذنبه وحوافره وسطاً بين هذه الأعضاء من الفرس والحمار وشحيجة[2]، كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار، فهذا دليل على أنّه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتّى من الحيوان، كما زعم الجاهلون، بل هي خلق عجيب من خلق اللّه للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء، وليعلم أنّه خالق أصناف الحيوان كلّها، يجمع بين ما يشاء من أعضائها، في أيّها شاء ويفرّق ما شاء منها في أيّها شاء، ويزيد في الخلقة ما شاء، وينقص منها ما شاء، دلالة على قدرته على الأشياء، وأنّه لا يعجز شيء أراده جلّ وتعالى، فأمّا طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإنّ منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة، ذاهبة طولاً في الهواء، فهي تحتاج إلى طول العنق لتتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتقوت من ثمارها.

تأمّل خلقة القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر، وكذلك أحشاؤه شبيهة أيضاً بأحشاء الإنسان وخصّ مع ذلك بالذهن والفطنة التي بها يفهم عن سائسه ما يؤمي إليه ويحكي كثيراً مما

---

(١) السِمْع ولد الذئب من الضبع والأنثى سِمْعة.
(٢) الشحيج من شحج البغل: صوّت وغلظ صوته.

يرى الإنسان يفعله، حتى أنّه يقرب من خلق الإنسان وشمائله في التدبير في خلقته على ما هي عليه، أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنّه من طينة البهائم وسنخها إذ كان يقرب من خلقها هذا القرب، وأنّه لولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على أنّ في جسم القرد فضولاً أخرى تفرق بينه وبين الإنسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله، وهذا لم يكن مانعاً للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطي مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الإنسان ـ في الحقيقة ـ هو النقص في العقل والذهن والنطق.

أنظر يا مفضل إلى لطف الله جلّ اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامها هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف لتقيها من البرد وكثرة الآفات أُلبِست الأظلاف والحافر والأخفاف لتقيها من الحفاء إذ كانت لا أيدي لها ولا أكفّ ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها واستبدال بها.

فأمّا الإنسان فإنّه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل. فهو ينسج ويغزل ويتّخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالاً بعد حال. وله في ذلك صلاح من جهات. من ذلك أنّه يشتغل بصنعة اللباس عن العبث وما تخرجه إليه الكفاية. ومنها أنّه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء ولبسها إذا شاء ومنها أن يتخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لها جمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروباً من الخفاف[1] والنعال يقي بها قدميه. وفي ذلك معائش لمن يعمله من الناس ومكاسب يكون فيها معائشهم ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم. فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء.

فكّر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم، فإنّهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا، كما يواري الناس موتاهم، وإلاّ فأين جيف هذه الوحوش والسباع

---

(١) الخفاف: جمع خُف وهو ما يلبس بالرجل.

وغيرها، لا يرى منها شيء، وليست قليلة فتخفى لقلّتها؟ بل لو قال قائل: إنّها أكثر من الناس لصدق.

فاعتبر في ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الظباء والمها[١] والحمير الوحش والوعول والأيائل وغير ذلك من الوحوش وأصناف السباع من الأسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها، وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض، وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والأوز والكراكي[٢] والحمام وسباع الطير جميعاً، وكلّها لا يرى منها إذا ماتت إلاّ الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع، فإذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها، ولولا ذلك لامتلأت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء.

فانظر إلى هذا بالذي يخلص إليه الناس، وعملوه بالتمثيل الأول الذي مثل لهم كيف جعل طبعاً وأذكاراً في البهائم وغيرها، ليسلم الناس من معرّة[٣] ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد.

فكّر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها، بالطبع والخلقة، لطفاً من اللّه عزّ وجلّ لهم، لئلاّ يخلو من نعمة جلّ وعزّ أحد من خلقه لا بعقل وروية، فإن (الأيل) يأكل الحيّات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع عن شرب الماء، خوفاً من أن يدبّ السمّ في جسمه فيقتله، ويقف على الغدير وهو مجهود عطشاً، فيعجّ عجيجاً عالياً، ولا يشرب منه. ولو شرب لمات من ساعته.

فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة، من تحمل الظمأ الغالب الشديد، خوفاً من المضرّة في الشرب، وذلك مما لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه.

---

(١) المها: جمع مهاة وهي البقرة الوحشية.

(٢) الكراكي: جمع كركي وهو طائر كبير أغبر اللون طويل العنق والرجلين.

(٣) المعرّة: الأمر القبيح والمساءة والإثم والأذى.

والثعلب إذا أعوزه الطعم، تماوت ونفخ بطنه، حتى يحسبه الطير ميتاً، فإذا وقعت عليه لتنهشه، وثب عليها فأخذها، فمن أعان الثعلب العديم النطق والروية بهذه الحيلة، إلاّ من توكّل بتوجيه الرّزق له من هذه وشبهه، فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما تقوى عليه السباع من مساورة الصيد، أُعين بالدّهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه.

والدلفين يلتمس صيد الطير، فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويسرحه حتى يطفوا على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه، فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها.

فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة.

قال المفضل فقلت: أخبرني يا مولاي عن التنين[1] والسحاب، فقال عليه السلام: إنّ السحاب كالموكل به، يختطفه حيثما ثقفه[2]، كما يختطف حجر المغناطيس الحديد، فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفاً من السحاب، ولا يخرج إلاّ في القيظ مرّة إذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قَلَت فلمَ وكِّل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه إذا وجده؟ قال: ليدفع عن الناس مضرّته.

قال المفضل فقلت: قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر، فصف لي الذرة والنملة والطير، فقال عليه السلام يا مفضل تأمّل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عمّا فيه صلاحها، فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة؟ إلاّ من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره.

أنظر إلى النمل واحتشاده في جمع القوت واعداده، فإنّك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحبّ إلى زبيتها، بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو

---

(١) التنين: الحية العظيمة.

(٢) ثقفه: أدركه وظفر به.

غيره، بل للنمل في ذلك من الجدّ والتشمير ما ليس للناس مثله، أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل، ثم يعمدون إلى الحب فيضمّونه قطعاً، لكيلا ينبت فيفسد عليهم، فإن أصابه ندى أخرجوه فنشروه حتى يجف، ثم لا يتخذ النمل الزبية إلاّ في نشز[1] من الأرض كيلا يفيض السيل فيغرقها، وكلّ هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق عليها لمصلحة من اللّه جلّ وعزّ.

أنظر إلى هذا الذي يقال له الليث[2] وتسميه العامة «أسد الذباب» وما أُعطي من الحيلة والرفق في معاشه، فإنّك تراه حين يحسّ بالذباب قد وقع قريباً منه، تركه مليّاً حتى كأنه موات لا حراك به، فإذا رأى الذباب قد اطمأنّ وغفل عنه، دبّ دبيباً دقيقاً، حتى يكون منه بحيث تناله وثبته، ثم يثبّ عليه فيأخذه، فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كلّه، مخافة أن ينجو منه، فلا يزال قبضاً عليه، حتى يحسّ بأنّه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه، ويحيىٰ بذلك منه.

فأمّا العنكبوت فإنّه ينسج ذلك النسج، فيتخذه شركاً ومصيدة للذباب، ثم يكمن في جوفه، فإذا نشب فيه الذباب أجال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة، ليعيش بذلك منه.

فذلك يحكي صيد الكلاب والفهود، وهذا يحكي صيد الأشراك والحبائل.

فانظر إلى هذه الدّويبة الضعيفة، كيف جعل في طبعها ما لايبلغه الإنسان إلاّ بالحيلة واستعمال الآلات فيها، فلا تزدري بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثّل بالشيء الحقير، فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

---

(١) النشز: المكان المرتفع.

(٢) الليث: ضرب من العناكب.

تأمّل يا مفضل جسم الطائر وخلقته، فإنّه حين قدر أن يكون طائراً في الجو، خفف جسمه وأدمج خلقه، واقتصر به مع القوائم الأربع على اثنتين، ومن الأصابع الخمس على أربع، ومن منفذين المزبل والبول على واحد يجمعهما، ثم خلق ذا جؤجؤ[١] محدد، ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه، كما جعلت السفينة بهذه الهيئة، لتشقّ الماء وتنفذ فيه، وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان، لينهض بها للطيران، وكسا، كلّه الريش، ليتداخله الهواء فيقله، ولما قدر أن يكون طعمه الحبّ واللّحم يبلعه بلعاً بلا مضغ، نقص من خلقة الإنسان وخلق له منقار صلب جاسي يتناول به طعمه، فلا ينسحج[٢] من لفظ الحب، ولا يتقصف[٣] من نهش اللّحم، ولما عدم الأسنان، وصار يزدرد الحبّ صحيحاً واللّحم غريضاً أُعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ، واعتبر ذلك بأن عجم العنب[٤] وغيره، يخرج من أجواف الإنس صحيحاً، ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر، ثم جعل مما يبيض بيضاً، ولا يلد ولادة، لكيلا يثقل عن الطيران، فإنّه لو كانت الفراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم، لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران، فجعل كل شيء من خلقه مشاكلاً للأمر الذي قدر أن يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعاً وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع، حتى يخرجِ الفرخِ من البيضة، ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء، ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به، فمن كلّفه أن يلقط الطعم والحبّ يستخرجه، بعد أن يستقرّ في حوصلته، ويغذو به فراخه، ولأيّ معنى يحتمل هذه المشقّة، وليس بذي روية ولا تفكّر، ولا يأمل في فراخه ما يؤمل الإنسان في ولده من العزّ والرفد[٥] وبقاء الذكر، فهذا من فعله يشهد أنّه معطوف

---

(١) جؤجؤ: من الطائر والسفينة الصدر.

(٢) ينسحج: أي ينتشر.

(٣) يتقصف: أي ينكسر.

(٤) عجم العنب: ما كان في جوف العنب من النوى الصغير.

(٥) الرفد: المعونة والعطاء.

على فراخه، لعلّه لا يعرفها ولا يفكّر فيها، وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من اللّه تعالى ذكره.

أنظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ، وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطى، بل تنبعث وتنتفخ وتقوى وتمتنع من الطعم، حتى يجمع لها البيض، فتحضنه وتفرخ، فلِمَ كان ذلك منها إلاّ لإقامة النسل، ومن أخذها بإقامة النسل ولا روية لها ولا تفكير، لولا أنّها مجبولة على ذلك.

إعتبر بخلق البيضة، وما فيها من المحّ الأصفر الخاثر والماء الأبيض الرقيق، فبعضه ينشو منه الفرخ، وبعضه ليغتذي به، إلى أن تنقاب عنه البيضة، وما في ذلك من التدبير، فإنّه لو كان نشوء الفرخ في تلك القشرة المستحفظة التي لا مساغ لشيء إليها، جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها، كمن يُحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه، فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

فكّر يا مفضل في حوصلة الطائر، وما قدر له، فإنّ مسلك الطعم إلى القانصة ضيق، لا ينفذ فيه الطعام إلاّ قليلاً قليلاً، فلو كان الطائر لا يلقط حبّة ثانية، حتى تصل الأولى إلى القانصة، لطال عليه، ومتى كان يستوفي طعمه، فإنّما يختلسه اختلاساً، لشدّة الحذر، فجعلت له الحوصلة كالمخلاة[1] المعلّقة أمامه، ليوعى فيها ما أدرك من الطعم بسرعة، ثم تنفذه إلى القانصة علي مهل، وفي الحوصلة أيضاً خلّة أخرى، فإنّ من الطائر ما يحتاج إلى أن يزقّ فراخه فيكون ردّه للطعم من قرب أسهل عليه.

قال المفضل فقلت: إنّ قوماً من المعطلة يزعمون أنّ اختلاف الألوان والأشكال في الطير إنّما يكون من قبل امتزاج الأخلاط، واختلاف مقاديرها المرج والاهمال.

قال: يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج والتّدارج على

---

(١) المخلاة: ما يجعل فيه العلف ويعلّق في عنق الدابة.

استواء ومقابلة، كنحو ما يخطّ بالأقلام، كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف، ولو كان بالإهمال لعدم الاستواء لكان مختلفاً.

تأمّل ريش الطير وكيف هو، فإنّك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك[١] دِقاق، قد أُلّف بعضه إلى بعض، كتأليف الخيط إلى الخيط والشعرة إلى الشعرة، ثم ترى ذلك النسج إذا مددته ينفتح قليلاً ولا ينشق لتداخله الريح، فيقلّ الطائر إذا طار، وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته، وهو القصبة التي في وسط الريشة، وهو مع ذلك أجوف، ليخف على الطائر ولا يعوقه عن الطيران.

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه، فإنّه أكثر ذلك في ضحضاح[٢] من الماء فتراه بساقين طويلين، كأنّه ربيئة[٣] فوق مرقب[٤] وهو يتأمّل ما يدبّ في الماء، فإذا رأىٰ شيئاً مما يتقوّت به، خطا خطوات رقيقاً حتى يتناوله، ولو كان قصير الساقين وكان يخطو نحو الصيد ليأخذه، يصيب بطنه الماء، فيثور ويذعر منه، فيفرق عنه، فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه.

تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر، فإنّك تجد كلّ طائر طويل الساقين طويل العنق، وذلك ليتمكّن من تناول طعمه من الأرض ولو كان طويل الساقين قصير العنق، لما استطاع أن يتناول شيئاً من الأرض وربما أُعين مع العنق بطول المناقير، ليزداد الأمر عليه سهولة وإمكاناً أفلا ترى أنّك لا تفتش شيئاً من الخلقة إلاّ وجدته على غاية الصواب والحكمة.

أنظر إلى العصافير، كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لا تفقده ولا تجده مجموعاً معداً، بل تناله بالحركة والطلب، وكذلك الخلق كلّه فسبحان من قدّر

---

(١) السلوك: الخيط ينظم فيه الخرز ونحوه.
(٢) الضحضاح: الماء اليسير أو القريب القعر.
(٣) الربيئة: العين التي ترقب.
(٤) المرقب: الموضع المرتفع يعلوه الرقيب.

الرّزق كيف فرّقه. فلم يجعل ممّا لا يقدر عليه، إذ جعل بالخلق حاجة إليه، ولم يجعل مبذولاً ينال بالهوينا، إذ كان لا صلاح في ذلك فإنّه لو كان يوجد مجموعاً معدّاً كانت البهائم تنقلب عليه، ولا تنقطع عنه حتى تبشم[١] فتهلك، وكان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر والبطر، حتى يكثر الفساد وتظهر الفواحش.

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلاّ باللّيل، كمثل البوم والهام[٢] والخفّاش.

قلت: لا يا مولاي.

قال: إنّ معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعوض والفراش وأشباه الجراد واليعاسيب[٣]، وذلك أنّ هذه الضروب مبثوثة في الجو لا يخلو منها موضع، واعتبر ذلك بأنّك إذا وضعت سراجاً باللّيل في سطح أو عرصة دار، اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير، فمن أين يأتي ذلك كلّه، إلاّ من القرب، فإن قال قائل: إنّه يأتي من الصحاري والبراري، قيل له: كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد، وكيف يبصر من ذلك البُعد سراجاً في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه، مع أنّ هذه عياناً تتهافت على السراج من قرب، فيدلّ ذلك على أنّها منتشرة في كل موضع من الجو، فهذه الأصناف من الطير تلتمسها إذا خرجت فتتقوت بها.

فانظر كيف وجّه الرّزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلاّ باللّيل من هذه الضروب المنتشرة في الجوّ، واعرف ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة، التي عسى أن يظنّ ظانّ أنّها فضل لا معنى له.

---

(١) تبشم: أي تتخم من الطعام.

(٢) الهام جمع هامة: نوع من البوم الصغير تألف القبور والأماكن الخربة، وتسمّى أيضاً الصدى.

(٣) اليعاسيب جمع يعسوب: ذكر النحل.

خلق الخفّاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الأربع، هو إلى ذوات الأربع أقرب، وذلك أنّه ذو أذنين ناشزتين وأسنان ووبر وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول، ويمشي إذا مشى على أربع، وكل هذا خلاف صفة للطير، ثم هو أيضاً مما يخرج باللّيل، ويتقوّت بما يسري في الجوّ من الفراش وما أشبهه، وقد قال قائلون إنه لا طعم للخفاش وأنّ غذاءه من النسيم وحده، وذلك يفسد ويبطل من جهتين: أحدهما خروج الثفل والبول منه، فإن هذا لا يكون من غير طعم، والأخرى أنّه ذو أسنان، ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للأسنان فيه معنى، وليس في الخلقة شيء لا معنى له، وأمّا المآرب فيه فمعروفة، حتى أن زبله يدخل في بعض الأعمال، ومن أعظم الأرب فيه خلقته العجيبة الدالّة على قدرة الخالق جلّ ثناؤه، وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة.

فأمّا الطائر الصغير الذي يقال له ابن تمرة[١] فقد عشش في بعض الأوقات في بعض الشجر، فنظر إلى حيّة عظيمة قد أقبلت نحو عشّه فاغرة فاها، تبغيه لتبتلعه، فبينما هو يتقلّب ويضطرب في طلب حيلة منها إذ وجد حسكة، فحملها فألقاها في فم الحيّة فلم تزل الحيّة تلتوي وتتقلّب حتى ماتت. أفرأيت لو لم أخبرك بذلك، كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنّه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة، أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة، اعتبر بهذا وكثير من الأشياء يكون فيها منافع لا تعرف بحادث يحدث أو خبر يسمع به.

أنظر إلى النحل واحتشاده في صنعة العسل، وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة، فإنّك إذا تأمّلت العمل رأيته عجيباً لطيفاً، وإذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس، وإذا رجعت إلى الفاعل ألفيته غبياً جاهلاً بنفسه فضلاً عمّا سوى ذلك، ففي هذا أوضح الدلالة على أنّ الصواب والحكمة في هذه الصّنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها، وسخره فيها لمصلحة الناس.

---

(١) ابن تمرة: طائر أصغر من العصفور.

أنظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه، فإنّك إذا تأمّلت خلقه رأيته كأضعف الأشياء وإن دلفت عساكره نحو بلد من بلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه، ألا ترى أنّ ملكاً من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك، أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه، فلا يستطيع دفعه.

أنظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل، فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر، حتى يستر نور الشمس بكثرته، فلو كان هذا ممّا يصنع بالأيدي، متى كان تجتمع منه هذه الكثرة، وفي كم سنة كان يرتفع، فاستدل بذلك على القدرة التي لا يؤدّها شيء، ولا يكثر عليها.

تأمّل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدر أن يكون عليه، فإنّه خلق غير ذي قوائم، لأنّه لا يحتاج إلى المشي، إذ كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رية، لأنّه لا يستطيع أن يتنفس وهو منغمس في اللّجة، وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه، كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة، وكسا جسمه قشوراً متاناً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات، فأعين بفضل حسّ في الشمّ، لأنّ بصره ضعيف، والماء يحجبه، فصار يشمّ الطعم من البُعد البعيد، فينتجعه فيتبعه، وإلاّ فكيف يعلم به وبموضعه، واعلم أنّ من فيه إلى صماخه منافذ، فهو يعبّ الماء بفيه، ويرسله من صماخيه فيتروح إلى ذلك، كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم.

فكّر الآن في كثرة نسله وما خُصّ به من ذلك، فإنّك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة، والعلّة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان، فإنّ أكثرها يأكل السمك، حتّى أنّ السباع أيضاً في حافات الآجام عاكفة على الماء أيضاً كي ترصد السمك، فإذا مرّ بها خطفته، فلمّا كانت السباع تأكل السمك، والطير يأكل السمك، والناس يأكلون السمك، والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة.

فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق، وقصر علم المخلوقين، فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والأصداف والأصناف التي لا تحصى، ولا تعرف منافعها إلاّ الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث، مثل القرمز فإنّه لما عرف الناس صبغه، بأنّ كلبة تجول على شاطىء البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمّى الحلزون، فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنه فاتّخذوه صبغاً، وأشباه هذا مما يقف الناس عليه حالاً بعد حال وزماناً بعد زمان.

قال المفضل: وحان وقت الزوال، فقام مولاي عليه السلام إلى الصلاة وقال: بكّر إليّ غداً إن شاء اللّه تعالى.. فانصرفت وقد تضاعفت سروري بما عرفنيه، مبتهجاً بما منحنيه، حامداً للّه على ما آتانيه، فبت ليلتي مسروراً مبتهجاً[1].

(١) بحار الأنوار.

عجائب خواص الحيوان

ونذكر الخواص العجيبة لبعض الحيوانات، التي لقطّها من تجارب العمر ودفاتر الزمن وهي مرتبة على حروف المعجم، واللّه الموفّق.

الإبل

قيل: إذا وقع بصر الجمل على نجم سهيل مات لوقته، وبر الإبل إذا أحرق وذرّ على الدم السائل قطعه، وإذا ذرّ على الأنف يحبس الرعاف، وإذا ربط قراده وهو ما يسقط من الوبر في كم العاشق زال عشقه، وبوله يغلىٰ حتى ينعقد ويطلى به الناصور يزيله، وشربه يزيل صفرة الوجه، وقال مولانا أبا الحسن موسى عليه السلام: أبوال الإبل خير من ألبانها، ويجعل اللّه الشفاء في ألبانها[1] وإذا شرب السكران بوله أفاق من ساعته، وهو نافع لورم الكبد، والمداومة على أكل كبده يدفع نزول الماء، وشحمه لم يوضع في موضع إلاّ هربت الحيّات منه، سنامه يذاب ويطلى به البواسير يسكن وجعها، عظمه يسحق ويخلط بالزيت ويطلى به رأس المصروع يزول صرعه، لبنها ينفع من السمومات كلّها والتمضمض به ينفع للأسنان المأكولة، مخ ساقه إذا تحملت به المرأة في قطنة أو صوفة بعد الطهر سبعة أيام وجومعت فإنّها تحمل إن كانت عاقراً.

---

(١) وسائل الشيعة.

ابن آوى

وهو من السباع شبيه بالذئب ولكنه أصغر حجماً منه، وسمّي ابن آوى لأنّه يأوي إلى عواء أبناء جنسه، ولا يعوي إلاّ ليلاً، وذلك إذا استوحش وبقي وحده، وصياحه يشبه صياح الصبيان، وهو طويل المخالب والأظفار يعدو، على غيره ويأكل مما يصيد من الطيور وغيرها، وخوف الدجاج منه أشدّ من خوفها من الثعلب.

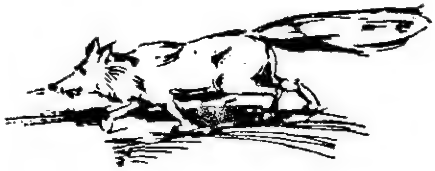

ومن خواصه إذا ترك لسانه في بيت وقعت الخصومة بين أهله، وإذا علقت عينه اليمنى على من يخاف العين أمن ولم تضرّه عين عائن، وقلبه إذا علّق على شخص أمن من سائر السباع، ومخّ عظمه إذا خلط بالبورق ويضمد به البرص يزيله والله أعلم.

ابن عرس

هو حيوان طويل يعادي الفأر يدخل جحره ويخرجه، ويعادي التمساح والحيّة، وإذا مرض يأكل بيض الدجاج فيزول مرضه، ومن خواصه، إذا اكتحل بدماغه يزول ظلمة العين، ولحمه يستعمل ضماداً لوجع المفاصل وإذا طلي بشحمه السن وقع سريعاً، وإن أخذ كفّاه وعلقتا على امرأة لم تحبل مادام عليها، وزبله يجعل على الجراحات ينقطع الدم والله أعلم.

الأرنب

دماغه إذا مرج به أسنان الصبي أسرع نباتها بلا وجع، وإذا طلي بدمه البهق والكلف أزالهما، وشحمه إذا وضع تحت وسادة امرأة تكلمت في نومها بفعلها وضرس الأرنب إذا علّق على من يشتكي ضرسه سكن وجعه، ورجله

تشدّ على من به وجع المفاصل اليمنى على اليمنىٰ واليسرى على اليسرى يزول وجعه، وكعبه كانت تقول العرب بالجاهلية من علّق عليه كعب أرنب لم تصبه عين ولا سحر، وشعره إذا تبخّر به يمنع وجع الرئة، وإذا جعل شيء منه على الموضع الذي يسيل منه الدم ينقطع واللّه أعلم.

الأسد

هو من أهول السباع صورة، وأشدها قوة وهو لا يرى من يكافئه من السباع ولها لا يألف شيئاً منها، ومتى وضع جلده على شيء من جلودها تساقطت شعورها، وللأسد من الصبر على الجوع وقلّة الحاجة إلى الماء ما ليس لغيره من السباع، ومن اعتزاز نفسه أنّه لا يأكل من فريسة غيره ولا يدنو من المرأة الحائض ولو بلغ الجهد بالجوع، وإذا شبع من فريسته تركها ولم يعد إليها وإذا جاع ساءت أخلاقه، وإذا امتلأ من الطعام ارتاض، ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب، وإذا أكل نهش من غير مضغ، وريقه قليل جداً ولذلك يوصف بالبخر، ويوصف بالشجاعة والجبن، فمن جبنه أنّه يفزع من صوت الديك ونقر الطست ومن السنور ويتحيّر عند رؤية النار، وقليل ما تفارقه الحمّة، واللبوة لا تضع إلاّ جرواً واحداً، وهي تضعف عند الولادة لأنّ الولد يخدش رحمها ببرائنه فالليث يأتي بحرباء لتأكلها فتبرأ من مرضها.

ومن خواصه، شحمه إذا طلي به جميع البدن هربت منه السباع ولم ينله مكروه منها، ولم يقربه النمل، وذهب عنه السل والكلف وكلّ عيب يكون في الوجه، وإذا طلي به البواسير والأورام الحارة ينفعها، وإذا جعل في بيت هرب منه العقارب والفأر، وإذا ألقي في ماء لا يشربه شيء من الدواب، وإذا ذوّب شحم جبهته وخلط بدهن ورد ومسح به وجهه يهابه كل من يراه وينقاد إليه، ومرارة الأسد تحلّ المعقود من النساء إذا سقي منها في بيضة في مستهل الشهر، وإذا تداف بالعسل ويجعل منها على الخنازير تزول، وهي تزيل الصرع حملاً وتنفع لداء الثعلب، ودوام الجلوس على جلده يذهب البواسير من المقعد، وإذا نام عليه صاحب حمّى الربع يوم نوبته ويغطى بالثياب حتى يعرق تزول عنه، وإذا

حمل جلد جبهته إنسان تحت عمامته كان مهاباً عند الملوك والسلاطين، ومن علّق عليه قطعة من جلده بشعرها أبرأته من الصرع قبل البلوغ فإن كان الصرع قد أصابه بعده لم تنفعه، وإذا وضع قطعة من جلده في صندوق مع ثياب لم يصبها الدود ولا الأرضة، وإذا أحرق من شعره في مكان هربت منه السباع، وإذا حمل من شعر رأسه ووضعه تحت عمامته هابته الناس كما تهاب الأسد، وسنّه إذا استصحبها إنسان معه أمن وجع الأسنان، وإذا علّق على الصبي تنبت أسنانه دون ألم، وذنبه إذا استصحبه إنسان لا تؤثّر فيه حيلة محتال، ودماغ الأسد يداف بزيت عتيق ويدهن به الاختلاج والارتعاش يذهبهما، والله أعلم.

الأفعى

الأنثى من الحيّات والذكر أفعوان، وهي حيّة قصيرة الذنب دقيقة العنق ومن خواصها دمها إذا اكتحل به يجلو البصر ويحدّه، وإذا علّق ناب الأفعى الأيسر على من يشتكي ضرسه نفعه وإذا علّق على فخذ إمرأة لم تحبل مادام عليها، وقلبها إذا جفف وشدّ على الإنسان فلا يؤثّر فيه السحر ويذهب حمّى الربع، وشحمها ينفع من لسع سائر الهوام دلكاً، وإذا نتف شعر الإبط وطلي بشحمها لا ينبت الشعر ثانياً.

والثعبان وهو الكبير من الحيّات ذكراً كان أو أنثى وقيل إنّ أصغر أصنافها خمسة أذرع، ومن خواصه إذا شدّ جلده على العاشق يزول عشقه ومن استصحب منه شيئاً تسخّر له الحيوانات، وإذا دفن رأسه في موضع فإنّ الخيرات تتوجّه إليه، والله أعلم.

الإيل

وهو المعز الجبلي ومن صفاته إذا خاف، من الصياد يرمي نفسه من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك وهو كثيراً ما يأكل الحيّات وإذا لسعته الحيّة أكل السرطان، ولذلك قيل: إنّ السرطان دواء للدغ الحية، وأيضاً إذا لسعته الحيّة تسيل دموعه إلى نقرتين تحت محاجر عينيه، يدخل الإصبع فيهما فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمس فيتخذ ترياقاً لسمّ الحيّات، وهذا الحيوان عدد سنيّ عمره عدد العُقد التي في

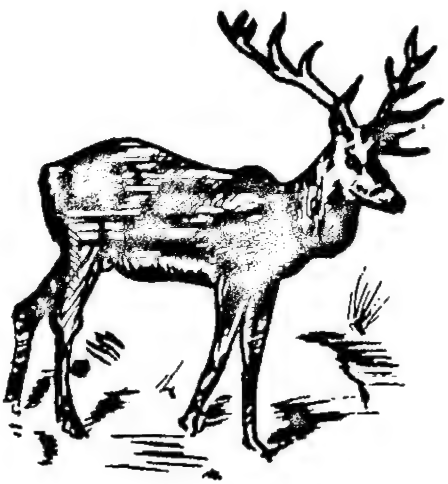

قرنه، ولا تنبت له قرون إلاّ بعد مضي سنتين من عمره، فإذا نبتت قرناه نبتا مستقيمين كالوتدين وفي الثالثة يتشعّبان ولايزال التشعّب في زيادة إلى تمام ست سنين، فحينئذٍ يكونان كالشجرتين في رأسه، ثم بعد ذلك يلقي قرنيه في كلّ سنة مرّة ثم ينبتان، فإذا نبتا تعرض بهما للشمس ليصلبا، وذلك من قدرة اللّه وحكمته لأنّ للناس فيها من المنفعة، منها أنّهم يطردون بقرنه كلّ دابة سوء وييسّر عسر الولادة وينفع الحوامل ويخرج الدود من البطن إذا أحرق منه جزء ولعق بالعسل.

ومن خواصه، إذا سحق قرنه وطلي به البهق والبرص يزيلهما، وإذا بخر قرنه طرد الهوام وكلّ ذي سم، وإذا علّق على صاحبة الطلق تضع في الحال، وإذا شرب المصروع من برادة قرنه وزن مثقال مع مسك في ماء قراح على الريق نفعه، ولحمه إذا دلّك به لسعة العقرب أو الزنبور يسكن ألمها، وجلده يتّخذ منه سفرة لا يقربها فأرة ولا حيّة ولا شيء من الهوام، وإذا أحرق ذنبه مع قرنه ويخلط رمادهما بدهن شحمها ويطلى به أسفل القدم، فإنّه يزداد نشاطاً في السير ولا يجد تعب المسير، وإذا دخّن شعره يهرب من رائحته جميع الهوام وإذا ذرّ بعره على سيلان الدم يحبسه، واللّه أعلم.

الببر

نوع من السباع يشبه النمر، عَدْوه كالريح ولا يقدر أحد على صيده، ومن خواصه، مرارته إذا حملتها المرأة لا تحمل أبداً، وإذا

كانت حاملاً أسقطت، وكعبه يشدّ على الزند فلا يتعب حامله أبداً ولو سار في اليوم والليلة، والله أعلم.

البغل

وهو مركّب من الفرس والحمار ولذلك صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل، وكذلك شحيحه أي صوته، مولد من صهيل الفرس ونهيق الحمار، وهو عقيم لا يولد له، وإذا كان الذكر حماراً يكون شديد الشبه بالفرس، وإذا كان الذكر فرساً يكون شديد الشبه بالحمار، ومن العجب أنّ كل عضو منه يكون بين الفرس والحمار، وكذلك أخلاقه ليس له ذكاء الفرس، ولا بلادة الحَمار، لكنه يوصف بالهداية في كلّ طريق يسلكه مرّة واحدة.

ومن خواصه، إذا جفف قلبه ونحت وسقي من نحاته امرأة لم تحبل أبداً، وكذلك وسخ أذنه إذا تحملت به المرأة لم تحبل أبداً وإذا علّقته في جلد بغل عليها لم تحبل مادام عليها، وإن وضع وسخ أذنه في بندقة من فضة وعلّق على الحبالى منعهن من الولادة مادام عليهن، وشحمة أذنه أيضاً إذا سقيت منه المرأة لا تحبل، وإذا سحق رماد حافره وعجن بدهن الآس وجعل على رأس الأقرع أو الموضع الذي لا ينبت فيه الشعر نبت، وإذا دفن حافر البغل الأسود أو دمه تحت عتبة باب لم يقربه فأر، وإذا بخر البيت بحافر بغل ذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام، وزبله إذا شمّه المزكوم وتفل عليه ورماه على الطريق، فمن تخطّاه انتقل الزكام إليه وبرىء التافل عليه والله أعلم.

البقر

وهو حيوان على كبر حجمه وقوّته خلقه الله ذلولاً للإنسان، ونافعاً له، قال أبي عبد الله عليه السلام: ألبان البقر دواء وسمونها شفاء ولحومها داء[1].

ومن خواصه، إذا أكل شحمه أخرج الداء من البدن، وإذا بخّر به البيت

---

(١) بحار الأنوار.

مع زرنيخ أحمر طرد منه العقارب والحيّات وسائر الهوام، وإذا طلي به إناء اجتمع إليه البراغيث، وإذا أحرق قرناه، ويذاب رمادهما بالخل ثم يطلى به موضع البرص مستقبلاً به الشمس فإنّه يزول، ودمّ الثور يحبس الدم السائل، وإذا طلي به الورم يسكن وجعه، وإذا طلي بمرارة البقر الشجرة فلا يتولّد فيها الدود، ومن استصحب معه شعبة من قرون البقر الوحشي نفرت منه السباع واللّه أعلم.

البوم والبومة

وهي قوية السلطان باللَّيل، لا يحتملها شيء من الطير ولا تنام اللَّيل، فإذا رأها الطير بالنهار قتلها ونتف ريشها للعداوة التي بينهن وبينها، وعن الحسين بن أبي غندر عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سمعته يقول في البومة: قال هل أحدٌ منكم رأها بالنهار قيل له لا تكاد تظهر بالنهار، ولا تظهر إلاّ ليلاً، قال: أمّا أنها لم تزل تأوي العمران أبداً فلمّا أن قتل الحسين عليه السلام آلت على نفسها أن لا تأوي العمران أبداً ولا تأوي إلاّ الخراب، فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتى يجنّها اللَّيل فإذا جنّها اللَّيل فلا تزال ترنّ على الحسين عليه السلام حتى تصبح[1]، وهي تحب الخلوة بنفسها وفي طبعها تبغض الغرباء ولا تأمن نفسها من أحد، وهي القائلة عند قتل الحسين عليه السلام بئس الأمّة أنتم قتلتم ابن بنت نبيكم ولا آمنكم على نفسي[2].

ومن خواص البوم أنّ إحدى عينيه منومة والأخرى مسهرة، فإذا أردت معرفة المنوّمة من المسهرة، فاذبحه فإذا بقيت إحدى عينيه مفتوحة والأخرى مضمومة فالمفتوحة إذا جعلت تحت فص خاتم أسهرت حامله مادام عليه، والأخرى بالعكس، وقيل: إنّ تجعلهما في ماء فالتي تطفو على الماء هي المسهرة والتي ترسب هي المنومة، وقلب البومة إذا جعل على اليد اليسرى من المرأة في حال نومها تكلّمت بكلّ ما فعلته في يومها، وإذا شدّ قلب البومة

---

(١) كامل الزيارات.
(٢) كامل الزيارات.

الكبيرة في جلد ذئب وعلّق على العضد أمن حامله من اللصوص وسائر الهوام ولم يخف أحد من الناس، ومن اكتحل بمذاب شحمها فأيّ مكان دخله ليلاً رآه مضيئاً، ومن خلط عينا البوم بالمسك وحمله فمن شمّ رائحة ذلك أحبّ حامله وهيّج بالشمّ روحانية المحبّة، ومن وضع ريشة البوم على رأسه لم ينم مادام الريش على رأسه، والله أعلم.

التمساح

حيوان مائي في الأصل لكنه يعيش في البرّ وهو من ذوات الأربع، وهو من أغلظ الحيوانات البحرية جلداً، وأنّه يحرّك فكّه الأعلى دون سائر الحيوانات، وهو لا يورث وإنّما يدخل في جوفه طائر فيأكل ما فيه ويخرج فإن وجد فمه مطبقاً نقره بعظمة في رأسه حتى يفتح فاه، ومن خواصه إذا عجن شحمه بشمع وجعل فتيلة وأسرج في نهر لم تصح ضفادعه، وإذا شدّ عينه على صاحب الرمد يسكن وجعه في الحال اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى، وإذا شدّ أوّل سنّ من الجانب الأيسر على صاحب القشعريرة يذهبها، وكبده يبخر به صاحب الصرع يزول صرعه، والله أعلم.

الثعلب

وهو سبع جبان، مستضعف ذو مكر وخديعة، ومن حيلته في طلب الرّزق يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه، حتى يظن أنّه مات، فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده، ومن طبيعة شعره أنه يتساقط كلّ سنة لذلك سمّي تساقط شعر الإنسان بداء الثعلب، ومن خواصّه، رأسه إذا ترك في برج الحمام هربت كلّها، وأسنانه إذا علّقت على الصبي نبتت أسنانه بلا وجع وإذا شدّ نابه على الصبي الذي به ريح الصبيان يذهب عنه ولا يفزع في نومه، وإذا علّق على المصروع برىء، ومرارته إذا نفخت في أنف المصروع لا يصرع أبداً، وإذا طلي بها الذهب يصير لونه لون النحاس، فروه أنفع شيء للمرطوبين لباساً، وذنبه إذا استصحبه إنسان لا يؤثر فيه حيلة محتال، والله أعلم.

الحرباء

لمّا كان الحرباء خلقاً بطيء النهضة وكان لا بدّ له من القوت خلقه اللّه على صورة عجيبة، فخلق عينيه تدور إلى كلّ جهة من الجهات، حتى يدرك صيده من غير حركة في يديه ولا قصد إليه، ويبقىٰ كأنّه جامد أو كأنّه ليس من الحيوان، ثمّ أُعطي من السكون خاصية أخرى وهو يتشكّل بلون الشجرة التي يكون عليها، حتى يكاد يختلط لونه بلونها، ثمّ إذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره، أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق ثم يعود إلى حاله كأنه جزء من الشجرة، وخلق اللّه لسانه بخلاف المعتاد، ليلحق ما يبعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها يصطاد به على هذه المسافة، وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكّل على هيئة يفر منه كل من يريده من الجوارح ويكره بسبب ذلك التلون، وهي تستقبل الشمس وتدور معها كيفما دارت، ومن خواصها، دمها إذا نتف الشعر النابت في أجفان العين وجعل في أصوله لم ينبت أبداً ومرارتها إذا اكتحل بها أزالت غشاوة البصر واللّه أعلم.

الحمار

منه نوع يصلح لحمل الأثقال ونوع ليّن الأعطاف سريع العدو يسبق براذين الخيل، ومن عجيب أمره أنّه إذا شمّ رائحة الأسد رمىٰ نفسه عليه من شدّة الخوف يريد بذلك الفرار منه، ويوصف بالهداية إلى مسالك الطرقات التي مشى فيها ولو مرّة واحدة، ومن خواصه، من نزع شعرة من ذنبه عند نزوه وربطها على فخذه أنعظ وهيج الباه، وإذا أُلقي في النبيذ شيء من شعر ذنبه يقع بين شاربها خصومة، وإذا ربط حجر في ذنبه لم ينهق، وكذا إذا طلا دبره بالشيرج يمنع نهيقه، وإذا اتخذ من حافره خاتم ولبسه المصروع لم يصرع، وإذا علق جلد جبهته على المصروع يزول صرعه وإذا علّق على الصبيان منعهم من الفزع، وسنّه إذا جعل على من به سهر ينام، وبخور شعره يطرد الهوام، واللّه أعلم.

الحمار الوحشي

وهو شديد الغيرة، فلذلك يحمي عانته الدهر كلّه، ومن عجيب أمره أنّ الأنثى من هذا النوع إذا ولدت ذكر كدم الفحل خصيتيه، فالأنثى إذا ضربها الطلق طلبت موضعاً قليل المسلك ووضعت فيه خوفاً من أن يكون الولد ذكراً فيخصيه الفحل، ثم إذا صلب حافره وقدر على العدوّ أتت به إلى الغابة، ومن خواصه قيل: النظر إلى أعين الحمر الوحشية يديم صحة العين ويمنع نزول الماء إليها، وإذا عمل خاتم من حافر الحمار الوحشي اليسار ولبسه المصروع أول الشهر لم يصرع سنة كاملة ويجدد كلّ سنة، واللّه أعلم.

الحمام

وهو طائر معروف وأنواعه كثيرة، من خواصه أنّ في مجاورتها أمان من الخدر والفالج والسكتة والسبات والوحشة والشياطين، فقد شكا رجل إلى النبي ﷺ من الوحشة فأمره باتّخاذ زوج من الحمام[1]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ حفيف أجنحة الحمام ليطرد الشياطين[2]، وإذا سخّن في الماء زبله وجلس فيه من به عسر البول أبرأه، وإذا بخّر بزبله المطلقة أسرع بنزول الولد والمشيمة، وإذا أطعم بيض الحمام للصبيان أسرع في التكلّم، وإذا أحرقت رؤوس الحمام بريشها وسحق رمادها واكتحل به أحدّث البصر، واللّه أعلم.

الخطاف

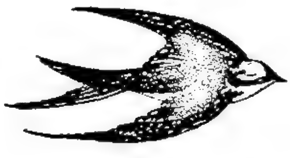

وهو من الطيور القواطع، تقطع البلاد البعيدة تتبع جوّ الربيع، وهذا الطير يعرف بعصفور الجنّة لأنّه زهد بما في أيد الناس من الأقوات إنما يتقوّت بالذباب والبعوض والحشرات، ومن عجيب أمره لا يُرى واقفاً

---

(١) من لا يحضره الفقيه.

(٢) مكارم الأخلاق.

على شيء يأكله ولا مجتمعاً بأنثاه، والخفاش يعاديه فلذلك إذا فرخ يجعل في عشه قضبان السذاب فلا يأذيه، ولا يفرخ في عش عتيق حتى يطيّنه بطين جديد، ولا يلقي في عشه زبلاً بل يلقيه إلى الخارج، وذكر القزويني أنّ عشّ الخطاف يحلّ في الماء ويسقىٰ صاحبة الطلق تضع بسهولة، ومن خواصه أنّ في بطنه حجر ملوّن وآخر غير ملوّن، إذا شدّ الأول في جلد العجل وعلّق منع الصرع، والآخر إذا مسك في خرقة حرير أبيض أورث الجاه والقبول، وقال أرسطو إذا أخذت عين الخطاف وجعلت في خرقة وشدّت على سرير لم ينم من يصعد السرير، وإذا أخذت وجففت وسحقت بدهن الزئبق تسهل الولادة طلاءً، وإذا وضع ريش رأسه تحت وسادة إنسان لا ينام مادام تحت رأسه، ولحمه يحدّ البصر ويورث السهر، وزعموا أنّ بيته إذا هدم وقت صلاة الجمعة واغتسل به منع السحر وأبطل شرّه، واللّه أعلم.

الخفاش

من أسمائه الوطواط، لا يخرج إلاّ في اللّيل لعدم قدرة بصره على مقاومة الشمس ولذا يختفي طول النّهار فلا يأكل شيئاً، وهو طائر أوراكه مغروزة كتركيب الإنسان، وحوصلته مستورة بريش الطير وباقيه باد وأجنحته شعرية دِقاق، وله أذنين وأسنان وخصيتين ومنقار ويحيض ويطهر ويبول كما تبول ذوات الأربع، ومن خواصّه إذا علّق قلبه على إنسان لم ينم، وإذا وضع رأسه في حشو مخدة لم ينم من وضع رأسه عليها، وإذا ذبح في بيت وأخذ قلبه وأحرقه في البيت لم يدخله حيّات ولا عقارب، وإذا طلي بدماغه باطن القدم منع الإنزال، واللّه أعلم.

الخنزير

وهو يشترك فيه صفة بهيمية وسبعية، فالذي فيه من السبع الناب، وأكل الجيف، والذي فيه من البهيمية الظلف وأكل العشب والعلف، والخنزير يوصف بالشبق حتى أن الأنثى منه يركبها الذكر وهي ترتع، فربما قطعت أميالاً وهو على

ظهرها، وإذا كان وقت هيجان الخنازير طأطأت رؤوسها وحرّكت أذنابها وتغيّرت أصواتها، وتكون خصومة شديدة مع الإناث حتى أنّ الذكر يدلّك جسمه بالطين والأشياء اللزجة حتى يصير ظاهر بدنه كالجوشن لا يؤثر فيه ناب الخنازير، والخنازير من أنسل الحيوان لأنّها قد تضع عشرين خنوصاً كلّ ستة أشهر، وهو يأكل الحيّات أكلاً ذريعاً ولا يؤثّر فيه سمومها، وإذا جاع ثلاثة أيام ثم أكل سمن في يومين، ومن عجيب أمره إذا قلعت إحدى عينيه مات سريعاً، وليس له جلد يسلخ ولكن يقطع بما تحته من اللّحم، ومن خواصه، زبل الخنزير البرّي إذا عجن بخلّ وطلي به أصل شجرة الرمّان الحامض أبدله حلواً، واللّه أعلم.

الدب

وهو كبير الحجم غزير الشعر غليظ الجثة شديد القوّة، ولولا كثرة خوفه لقارب الإنسان، والدبّ يحبّ العزلة فلا يخرج في الشتاء حتى يطيب الهواء، وإذا جاع يمتصّ يده ورجليه فيندفع عنه بذلك الجوع، وهو مختلف الطباع لأنّه يأكل ما تأكله السباع وما تأكله البهائم وما يأكله الناس، وهو يابس كثير اللزوجات ولذلك حينما تضع الأنثى ولدها لا تظهر صورته حتى تلحسها أمه.

ومن خواصه، إذا شدّ نابه على العضد الأيسر منع السحر، وإذا وضع في لبن المرضعة وسقي الصبي نبتت أسنانه بسهولة، وشحمه يزيل البرص طلاءً، وإذا طلي بشحمه الكلب جنّ، وعينه اليمنى إذا علّقت على من به حمّى الربع أبرأته، وإذا علّقت على العضد الأيمن منعت العين عن حاملها، ودمه إذا اكتحل به منع طلوع الشعر في الأجفان، واللّه أعلم.

الدرّاج

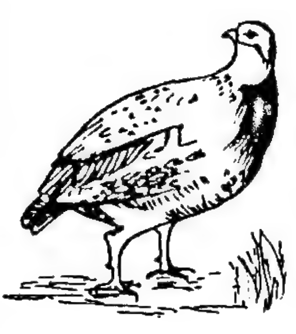

طائر مبارك كثير النتاج مبشّر بالربيع، وتطيب نفسه على الهواء الصافي وهبوب الشمال ويسوء حاله بهبوب الجنوب حتى أنّه لا يقدر على الطيران. ومن خواصه أكل لحمه يفرح

القلب ويذهب بالغمّ ويقلّل غيظ الغضبان، فعن رسول اللّه ﷺ من سرّه أن يقلّ غيظه فليأكل لحم الدرّاج[١]، وعنه ﷺ من اشتكى فؤاده وكثر غمّه فليأكل الدرّاج[٢]، وقال أبو عبد اللّه عليه السلام: إذا وجد أحدكم غمّاً أو كرباً لا يدري ما سببه فليأكل لحم الدرّاج فإنه يسكن عنه[٣].

الديك

من أعجب ما فيه معرفته أوقات اللّيل فيقسط أصواته عليه تقسيطاً معتدلاً سواء طال أو قصر اللّيل، ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده فسبحان من ألهمه ذلك، وقد قال رسول اللّه ﷺ: لا تسبّوا الديك فإنّه يدلّ على مواقيت الصلاة[٤]، ومن صفاته قال الرّضا عليه السلام: في الديك خمس خصال من خصال الأنبياء، معرفته بأوقات الصلاة والغيرة والشجاعة والسخاوة وكثرة الطروقة.

ومن خواصه، اتّخاذه في البيت يطرد الجنّ فعن رسول اللّه ﷺ قال: لا تسبّوا الديك فإنّه صديقي وأنا صديقه، وعدوّه عدوّي، والذي بعثني بالحقّ لو يعلم بنو آدم ما في قترته لاشتروا ريشه ولحمه بالذهب والفضة، وأنّه يطرد مذمومة من الجنّ[٥]، وعنه ﷺ من اتّخذ ديكاً أبيض في منزله يحفظ من شرّ ثلاثة، من الكافر والكاهن والساحر[٦].

وعرف الديك الأبيض إذا بخّر به المصروع نفعه نفعاً عجيباً، وأيضاً الاكتحال بمرارة الديك ينفع المصروع، ومن خلط مرارته بمرق الضأن وأكل على الريق ذهب بالنسيان وتذكّر كل شيء، وإذا طلي دمه أو دماغه مكان لسع الهوام أبرأه، وعرف الديك إذا أحرق وسقي منه من به سلس البول أبرأه

---

(١) وسائل الشيعة.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) بحار الأنوار.
(٤) مكارم الأخلاق.
(٥) مكارم الأخلاق.
(٦) مكارم الأخلاق.

وشافاه، وقيل: إنّ عظم جناح الديك الأيمن يورث القبول حملاً، ومخلبه في اليمنى يظفر بالخصم، وعظم الأسود منه إذا حرق بمثله من حطب الكرم وعجن بوسخ كوارة النحل وحمل أعاد البكارة وهو سرّ خفي، والله أعلم.

الدجاجة

أقلّ الطيور طيراناً، وأجود أنواعه ما قارب النهوض، وكان كثير الدرج طّيب العلف، وأعجب ما في الدجاجة انها إذا تشبهت بالديك في الصياح والمهارشة ينبت لها شوكة كشوكة الديك، تبيض من غير ركوب الديك ولكن لا تفرخ تلك البيضة ويطيب طعمها وإذا حضنت الدجاجة بيضها وسمعت صوت الرعد أفسد بيضها، وكذلك عند هبوب ريح الجنوب، وإذا سمنت الدجاجة لا تبيض.

ومن خواصّها، قانصتها تشوى وتطعم من يبول في الفراش يذهب عنه ذلك، وإذا طلي بشحمها الكلف الأحمر من الوجه يذهبه، وينفع أيضاً لشقوق القدم العارض من البرد، والله أعلم.

الذئب

حيوان كثير الغارات وحيل وصبر على المطاولة وقلّما يخطىء في وثبته، فيه قوّة حاسة الشمّ، ولا تتولّد في شعره الحيوانات المؤذية، ومن عجيب أمره أنه ينام بإحدى مقلتيه والأخرى يقظىٰ حتى تكتفي العين النائمة من النوم فيفتحها وينام بالأخرى ليحترس باليقظة ويستريح بالنائمة، والذئب إذا كدّه الجوع عوى فتجتمع له الذئاب ويقف بعضها إلى بعض، فمن ولّى منها وثب إليه الباقون وأكلوه، وكذلك إذا أصاب أحدهم جراحة أكلته البقية، ولذا إذا مرض انفرد بنفسه عن الذئاب لعلمه بأنّها إن علمت بضعفه أكلته، وأكثر ما يتعرض للغنم وقت طلوع الشمس لأنّه يتوقّع فترة الكلب ونومه لأنّه يعلم أنّ الكلب يظلّ طول اللّيل متيقظاً حارساً.

ومن خواصه، إذا جعل في برج حمام أي جزء منه خصوصاً رأسه لم تقربه حيّة ولا سنور ولا آفة، ومتى ذبح وجد إحدى عينيه مطبوقة وهذه تجلب

النوم تعليقاً وتحت الوسادة والأخرى مفتوحة تفعل بالعكس، وقيل إنّ عينه اليسرى من استصحبها لا يغلبه النوم، وعينه اليمنى من حملها تدفع عنه البله ولا يفزع باللّيل ولم يخف لصاً ولا سبعاً، وإذا علّقت عيناه على صبي لم يصرع، وعين الذئبة إذا علّقت على من يصرع منعته من الصرع، وكعب الذئب الأيمن إذا علّق على رأس رمح ثم اجتمع عليه جماعة لم يصلوا إليه مادام الكعب معلّقاً على رمحه، ومن حمل كعبه يغلب في مخاصمته الرجال ومن استصحب كعبه اليسرىٰ يغلب في مخاصمة النساء، ومن شدّ كعبه على ساق الماشي لا يتعب من السير، وإذا شدّ على صبي سيّىء الخلق حسنت أخلاقه، وإذا علّق على الركبة الوجعة يسكن وجعها، وإذا حمل الإنسان أنيابه وعينه في جلده معه غلب خصمه وكان مهاباً عند الناس، وإذا علّق ذنب الذئب على معلف البقر نفرت، ولو علّق نابه على الفرس سبقت الخيل، وعظم ساقه إذا أحرق يهرب من دخانه الفأر، ومن أدمن الجلوس على جلده أمن من القولنج، وإن اتخذ طبل من جلده وضرب به بين طبول تشققت الطبول كلّها، ومن جعل شيء من شعره خلف أذنه لم يأخذه النوم مادام عليه، وشحمه ينفع داء الثعلب، واللّه أعلم.

الذباب

من عجائب الذباب لم يخلق لها أجفان لصغر حدقتها، ومن شأن الأجفان تصقيل الحدقة من الغبار فخلق سبحانه وتعالى لها يدان يقومان مقام الأجفان، فلهذا ترى الذباب على الدوام يمسح بيديه حدقتيه، وله خرطوم يخرجه إذا أراد المصّ ويدخلها إذا شبع، ولها بطن وفيها يجري الصوت كما يجري في العصب من النفخ، ولا يقدر على المشي إذ ليس له مفصل، وخلق رؤوس أرجلها خشنة لئلا تنزلق إذا وقعت على الأشياء الملسة.

ومن خواصه، قال أبو جعفر عليه السلام قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: في الذباب إذا وقع في إناء أحدكم فليغمسه فيه فإنّ في أحد جناحيه شفاءً وفي الآخر سمّاً، وأنّه يغمس جناحه المسموم في الشراب ولا يغمس الذي فيه الشفاء فاغمسوها لئلاّ

يضرّكم[١]، وقال أبو عبد الله عليه السلام لولا ما يقع من الذباب على طعام الناس ما وجد منهم إلاّ مجذوماً[٢].

ومن خواصه إذا أخذت ذبابة بالحياة وصيّرت في خرقة، بحيث لا يشدّ عليها فتموت، ثم علّقت على عضد الرمدان أو في عنقه سكن ألمه، وإذا أحرق الذباب وسحق ثم يخلط بعسل وطلي من به داء الثعلب نبت الشعر، والله أعلم.

الذراح

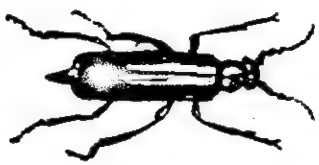

دويبة حمراء منقطة بسواد تطير وهي من السموم، والذراح أنواع، فمنه ما يتولّد من الحنطة ومنه دود الصنوبر ومنه ما في أجنحته خطوط صفر ولونه مختلف، ومن خواصها، تنفع من الجرب والجلد الذي يتقشّر، وإذا طبخت في زيت أبرأ ذلك الزيت داء الثعلب، وزعم القدماء من الأطباء أنّه إذا جعل شيء منها في خرقة حمراء وعلّقت على من به حمّى أبرأته، والله أعلم.

السلحفاة

وهو حيوان برّي بحري، يبيض في البرّ، من خواصه إذا كثر وقوع البرد على الأرض وأضرّ بذلك المكان تؤخذ السلحفاة وتقلب على ظهرها بحيث تبقى قوائمها شائلة نحو السماء فإنّ البرد لا يضرّ ذلك المكان، ومن علّق طرف ذنب الذكر منها وقت هيجانه هيّج الباه، وإذا اتّخذ من ظهرها مكبة وغطى بها رأس القدر لم يغل ما دامت عليه، والله أعلم.

---

(١) بحار الأنوار.
(٢) علل الشرايع.

السرطان

حيوان لا رأس له وعينه على قفاه وفمه على صدره وله ثمانية أرجل، ومن خواصه قيل أنّه إذا وجد سرطان ميّت في حفرة مستلقياً على ظهره في أرض أو قرية تأمن تلك البقعة من الآفات السماوية، وإذا علّق أرجل السرطان على الشجرة تمنع سقوط الثمار ويكثر ثمرها، ورماده إذا وضع على الجراحات أخرج النّصول والشوك وينفع من لسع الحيّات والعقارب، وعينه تشدّ على النائم يرى المنامات الصالحة، واللّه أعلم.

السنّور

س من أسماء الهرّ والقطّ والضيوع والخيدع والخيطل، وهو حيوان أليف يشبه الأسد في صورته يحبّ النظافة، يمسح وجهه بلعابه، وإذا تلطخ شيء من بدنه لا يلبث حتى ينظفه، وعند هيجان شهوته آخر الشتاء ينال ألماً شديداً من لذع مادة النطفة، فلايزال يصيح حتى ينفض تلك المادة، وإذا ولدت الأنثى يغلب عليها الجوع الشديد فإذا لم تجد ما تأكله أكلت إحدى أولادها، وإذا رمت برازها تدفنه حتى لا يشم رائحته الفأر فيهرب ولذلك تشمّه فإن وجدت رائحته ألقت عليه من التراب مرة أخرى، وإذا ظفر بالفأر لعب بها زماناً طويلاً وربّما خلّى سبيلها حتى تمكن في الهرب فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها ويلتذ بتعذيبها ثم يأكلها، وإذا ألف السنور منزلاً منع غيره من السنانير الدخول إلى ذلك المنزل وحاربه أشدّ محاربة لعلمه أنّ سكان المنزل ربما استحسنوه وقدّموه عليه أو شاركوا بينه وبينه في المطعم، وقد جعل اللّه في قلب الفيل الهرب من السنور.

ومن خواصه، قال القزويني مرارة الأسود ومرارة الدجاجة السوداء إذا جففتا وسحقتا واكتحل بهما ظهر له الجن وخدموه، ومن اكتحل بمرارة القط يرى باللّيل مثل ما يرى بالنهار، وإذا شدّ طحاله على المستحاضة انقطع دمها، وعيناه إذا جففتا وتبخّر بهما إنسان لم يطلب حاجة إلاّ قضيت، ومن استصحب نابه لم يفزع باللّيل، واللّه أعلم.

الضأن

هو الغنم، وهو حيوان معروف قد جعل اللّه تعالى البركة فيه، فهي تلد في العام مرّة ويؤكل منها ما شاء اللّه، ويمتلىء منها وجه الأرض بخلاف السّباع فإنّها تلد شتاءً وصيفاً ولا يرى منها إلاّ القليل، ومن عجيب طبعها أنّها ترى الفيل والجاموس فلا تهابها مع عظم أبدانها وترى الذئب فيعتريها خوف عظيم لمعنى خلقه اللّه في طباعها، وقيل: إذا تسافد الغنم عند نزول المطر لا تحمل وإن كان السفاد عند هبوب الشمال تكون الأولاد ذكوراً وإذا كان عند هبوب الجنوب تكون الأولاد إناثاً، وإذا رعت الضأن الزرع رجع، وإذا رعته المعز لم ينبت، وقالت العرب: جز ضائنة وحلق معز.

ومن خواصه، لحم الخصي منها يزيد في الباه، ودمها إذا أخذ وهو حار ساعة الذبح وطلي به الوضع غيّر لونه وضيعه، وكبد التيس إذا أحرقت طريّة ودلّك بها الأسنان بيضها، وقرن الكبش إذا دفن تحت شجرة يكثر حملها، وإذا غطي الإناء بصوف الضأن الأبيض وفيه عسل لم يقربه النمل، وإذا تحملت المرأة بصوف النعجة قطعت الحبل، وإذا أخذ قرن النعجة وقرىء عليه ثلاث مرّات ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾[1] ووضع تحت رأس امرأة نائمة من غير أن تعلم وسئلت عن شيء أخبرت به، ومرارة النعجة إذا أحرقت وخلطت بزيت وطلي بها الحواجب كثرت شعرها وسوّدته، واللّه أعلم.

الضب

وهو حيوان بري معروف طويل العمر يناسب الحيّات والأفاعي، ومن شأنه لا يخرج من جحره في الشتاء ومن خواصه، قيل إذا خرج الضب من بين رجلي إنسان لا يقدر بعد ذلك على مباشرة النساء، وكعبه إذا شدّ على وجه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

الفرس لا يسبقه شيء من الخيل عند المسابقة، وإذا جعل جلده غلاف للسيف يشجع صاحبه، وإن اتّخذ ظرفاً للعسل فمن لعق منه هيّج شهوة الجماع وأورث انعاظاً شديداً، والله أعلم.

الضبع

وهو حيوان قليل العدو قبيح المنظر، مولعة بأكل الجيف وربما زاحمت السباع بأكل فرائسها، ومن عجائب خواص الضبع، جلده إذا أمسكه إنسان لم تنبح عليه الكلاب، وإذا أُخذ شيئاً من جلده وشُدّ فيه شيئاً من ورق الشيح وربط في خرقة حرير، فإنّ حامله يرى المحبة والقبول، ولو دفن جلده في باب بيت لا يدخله الكلب، وإذا اتّخذ من جلده منخل ونخل به البذور وزرعت لا يضرّه الجراد، وعينها اليمنى تقلع وتنقع في الخلِ سبعة أيام ثم تخرج منه وتجعل تحت فصّ خاتم، فمن لبسه لم يخف سحراً ولا عيناً مادام عليه، ومن كان به سحراً فغسل ذلك الخاتم بماء ثم يسقى منه فإنّ السحر يذهب عنه وهو نافع للربط وغيره من أنواع السحر، فرجها وجلد سرّتها إذا شدّ على الإنسان صار محبوباً لدى الجنس الآخر، وأسنان الضبع إذا ربطت على العضد تنفع من النسيان، يده اليمنىٰ من استصحبها تقضى حوائجه عند الملوك، وتشدّ على عضد المرأة أو ساقها تسهل ولادتها، وإذا جعل شيء من جلد الضبع على امرأة حامل لم تسقط وإن كان من عادتها الإسقاط، والله أعلم.

الضفدع

حيوان برّي بحري له عينان بارزتان، ومنها ما ينق وما لا ينق، والذي ينق منها يخرج صوته من قرب أُذنه، وتوصف بحدّة السمع إذا تركت النقيق وكانت خارج الماء.

ومن خواصه، إذا وضع على رأس القدر منعها من الغليان، وإذا جفّ ضفذع في الظل ثم دق وطبخ مع خطمي وطلي به بعد طلي النورة لم ينبت عليه الشعر بعد ذلك، وإذا أخذت المرأة العاقر ضفدعة من الماء وفتحت فاها وبصقت فيه ثم رمتها في الماء ووطئها زوجها عقب ذلك حملت، ومن خواصه العجيبة أنّه إذا شقّ

نصفين من رأسه إلى أسفله وامرأة تنظر إليه غلبت شهوتها، والله أعلم.

الطاووس

أحسن الطيور جمالاً وحسناً وأرقّها ألواناً ولله تعالى حكمته في اختلاف ألوانها فترى في وسط كلّ ريشة دائرة من الذهب مختلطة بالزرقة والخضرة وغيرها من الألوان التي يلائم بعضها بعضاً، فانظر إلى قدرة الصانع كيف خلق في بيضة تلك النقوش العجيبة والألوان الحسنة، وفي طبعه العفة وحبّ الزهو بنفسه والإعجاب بريشه، وعقده لذنبه كالطاق لاسيّما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه، ويسفد الطاووس في أيام الربيع ويلقي ريشه في الخريف كما يلقي الشجر ورقه، فإذا بدأ طلوع الأوراق في الشجر طلع ريشه.

ومن خواصه، مرارته تورث الجنون وريشه المحبة، وزبله إذا طلي به الثأليل قلعها وعظامه إذا أحرقت وسحقت وطلي بها الكلف أبرأته، ومن أخذ معه من عظمه شيء أمن من العيون الحاسدة، وإذا شدّ مخلبه على فخذ صاحبة الطلق تضع في الحال، والله أعلم.

الظبي

وهو الغزال، وقيل إنّ الغزال ولد الظبية إلى أن يشتدّ ويطلع قرناه، وهو من أشدّ الحيوانات نفوراً، وأيضاً يلحق بهذا النوع غزال المسك، ويكون فيها نابين أبيضين خفيفين خارجين من فيه، وحقيقة ذلك المسك دم يجتمع في سرّتها في وقت معلوم من السنة بمنزلة المواد التي تنصب إلى الأعضاء، وهذه السرّة جعلها الله تعالى معدناً للمسك فهي تثمر كلّ سنة كالشجرة التي تؤتى أكلها كلّ حين بإذن ربّها وإذا حصل ذلك الورم مرضت له الظباء إلى أن يتكامل، فيفزع حينئذٍ إلى صخرة حادة فيحتك بها ملتذّاً بذلك فتنفجر المادة حينئذٍ وتسيل على ذلك الحجر كانفجار الخراج والدماميل إذا نضجت فيجد الغزال بخروجها لذّة وراحة، وأجود المسك ما ألقاه الغزال، أمّا إذا صيدت الغزال والمسك في سرّتها قبل نضجه يكون فيه زهومة لأنّ مثله مثل الثمار إذا

قطعت قبل الإدراك فإنّها تكون ناقصة الطعم.

ومن خواصه، لسانه يجفف في الظل ويطعم للمرأة السلطة تزول سلاطتها، وخصي الظبي إذا أخذت وجففت وسحقت بزيت وتحملته المرأة المستحاضة فإنه ينقطع دم الحيض، وجلده يحرق ويسحق ويجعل في طعام الصبي فيأكله فينشأ ذكياً فصيحاً حافظاً، ومسكه يقوّي البصر وينشف الرطوبات ويقوّي القلب والدماغ ويجلو بياض العين وينفع من الخفقان، والله أعلم.

العظاءة

دويبة من الزواحف ذوات الأربع أكبر من الوزغ، وهي ملساء تعدو وتتردد كثيراً، وهي أنواع كثيرة منها الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر وكلها منقطة بالسواد وهذه الألوان بحسب مساكنها فإنّ منها ما يسكن الرمال، ومنها ما يسكن قريباً من الماء والعشب.

ومن خواصها، من علّق عليه يدها اليمنى ورجلها اليسرى جامع ما شاء، وإذا علّقت في خرقة سوداء على من به حمّى الربع المزمنة أبرأته، وإذا طبخت بسمن البقر حتى تتهرى ومسح بها الملسوع أبراه، والله أعلم.

العقاب

طائر معروف، من صغار جوارح الطير، يصيد الطير وصغار الحيوان كالأرنب والثعلب، وهي من أشدّ الجوارح حرارة وأقواها حركة وأيبسها مزاجاً، وهي خفيفة الجناح سريعة الطيران تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن، وإذا أصابها مرض أكلت أكباد الأرانب والثعالب فتبرأ.

ومن خواصه، أنّ العقاب يهرب من الصبر وإذا شمّ رائحته غشي عليه، وريش العقاب إذا دخن به البيت ماتت حياته، ويطلى بمرارته ثدي النساء اللاّتي انعقد اللبن في ثديهن فإن ألمها يسكن في الحال ويكثر لبنها ويدرّ، ومرارته

تنفع من ظلمة العين اكتحالاً، والله أعلم.

العقرب

أخبث الهوام يلدغ كلّ شيء يلقاه، حتى ربما لدغت بعضها بعضاً فيموت العقرب من لدغ العقرب، والعقرب إذا لقىٰ الحيّة لدغتها، والحيّة تسعى في طلبها، لأنّ من طبع العقرب إذا لسعت هربت ولا تقف، فإذا وجدتها الحيّة أكلتها فتبرأ وإن لم تجدها تموت الحيّة، وَوِلْد العقرب يخرج من ظهرها فإذا ولدت ماتت.

ومن خواص العقرب، إذا طبخت العقرب بسمن البقر وطلي به موضع لسعتها سكن من وقته، وإذا وضع العقرب في إناء فخار وسدّ رأسه ثم وضع في تنور إلى أن يصير رماداً وسقي من ذلك الرماد من به الحصى نفعه نفعاً، وإذا غرزت شوكة العقرب في ثوب إنسان لم يزل سقيماً حتى ترفع عنه، وإذا دقت العقارب وألصقت على لسعتها أبرأتها، وإن طرحت قطعة من فجل على قِدر لم يدب عليها عقرب إلاّ ماتت من وقتها، والله أعلم.

العنز

وهي الأنثى من المعز وهو نوع من الغنم خلاف الضأن وهي ذوات الشعور والأذناب القصار، وجلد المعز خلقه الله ثخيناً وشعره رقيق، ونتن التيس يضرب به المثل، ومن خواصه، مرارة العنز إذا خلطت بنوشادر ونتف شعر من البدن وطلي به ذلك الموضع لم ينبت فيه شعر البتة، قال أرسطو مرارة العنز إذا خلطت بكراث وطلي بها مكان الشعر المنتوف لم ينبت فيه الشعر، وأكل مخّه يورث الهمّ والنسيان ويحرّك السوداء، وقرن المعز الأبيض يسحق ويشدّ في خرقة ويجعل تحت رأس النائم فإنّه لا ينتبه ما دام تحت رأسه، وإذا شدّت لحية التيس على صاحب حمّى الربع تزول حمّاه وتشدّ على رأس من به صداع تنفعه، وبعر الماعز إذا احتملته المرأة بصوفة منع سيلان الدم من الرحم، والله أعلم.

العنكبوت

العناكب أصناف كثيرة ولكلّ صنف فعل خاص بها، فبعضها عرف بضعف قوائمها وأنها تعجز عن الصيد فإذا أعدت للصيد مصايد وحبالاً من الخيوط تخرجه من لعابها، وينسجه بشكل هندسي، وإذا اكتمل النسج يقعد في زاوية مترصداً وقوع الصيد فيها، فإذا وقع فيها شيء من الذباب أو البقّ بادر بأخذه، ومنها قصار الأرجل كبار العيون، وإذا أراد صيد الذباب لطأ الأرض وسكن أطرافه وجمع نفسه ثم وثب على الذباب فلا يخطىء، وقال أفلاطون أحرص الأشياء الذباب، وأقنع الأشياء العنكبوت، فجعل اللّه رزق أقنع الأشياء في أحرص الأشياء فسبحان اللطيف الخبير.

ومن خواصه، إذا علّق العنكبوت الذي ينسج في الكنيف على المحموم يبرأ بإذن اللّه، وإذا لفّ في خرقة وعلّق على صاحب حمّى الربع نفعه وأذهبها، ونسيج العنكبوت إذا وضع على الجراحات في ظاهر البدن حفظها بلا ورم ويقطع سيلان الدم، وإذا قطر على نسيج العنكبوت الخل وجعل على الدماميل أوّل ظهورها وترك عليها حتى يجفّ نفعه وجففه ومنعه من الزيادة، وإذا تبخّرت به المرأة نفعها من عسر الولادة، وأي امرأة تبخّرت به وهي حامل أسقطت جنينها من ساعته ونسج العنكبوت المقصود به الأبيض الكثيف، واللّه أعلم.

الفرس

وهو أحسن الحيوانات شكلاً وأرشد الدواب عدواً وذكاءً، ويقال لها الفرس لأنّها تفترس الأرض بسرعة مشيها، ويقال لها الخيل لخيلائها في مشيها وكلّ من يركب عليها يورث الخيلاء ويقال لها الجواد لأنّه يجود بنفسه في عَدْوِه ونجاة صاحبه، وله خصال حميدة في الكرم والشرف وعلوّ الهمّة وقبول التعليم، ومن الخيل ما لا يبول ولا يورث مادام الراكب عليه، ومن الخيل ما يعرف صاحبه ولا يمكن غيره من ركوبه، وقال النبي ﷺ: الخير معقود بنواصي الخيل، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: أوحى اللّه تعالى إلى ريح الجنوب أني

أخلق منك خلقاً أجعله عزاً لأوليائي ومذلّة لأعدائي وجمالاً لأهل طاعتي، فقالت الريح: أخلق يا رب منها قبضة فخلق فرساً ثم أوحىٰ اللّٰه إليه جعلت الخير معقوداً بناصيتك وأيّدتك على غيرك من الدواب وأعطفت عليك صاحبك، وجعلتك تطير بلا جناح، فأنت للطلب وأنت للهرب، ولما خُلق واستوت قوائمه على الأرض صهل فقال اللّٰه عزّ وجلّ، أذلّ بصهيلك المشركين واملأ منه آذانهم وأرعب به قلوبهم وأذلّ به أعناقهم[١].

ومن خواصه، إذا علّق سن الفرس العربي على صبي سهّل طلوع أسنانه بلا ألم، وإذا وضع سنّه تحت رأس من يغط في النوم انقطع غطيطه، وإذا أخذت شعرة من ذنب الفرس وجعلت على باب البيت ممدودة عرضاً لم يدخل ذلك البيت بقّ مادامت الشعرة كذلك، وإذا سقيت امرأة لبن فرس وهي لا تعلم أنّه لبن فرس وجامعها زوجها من ساعتها حملت بإذن اللّٰه، وحافر الفرس الشموس تدفن في الدار تهرب عنها الفأرة، واللّٰه أعلم.

الفيل

حيوان معروف أصله في الهند ويجلب منها، حمله سنة كاملة ويلد كل سبع سنين مرة ومن خواصه، عظمه إذا علّق على موضع فيه عظم مكسور جبره، وإذا علّق على شجرة لم تثمر تلك السنة، وإذا بخر الزرع والشجر بعظمه لم يقرب ذلك المكان دود، وإذا دخن به في البيت مات فيه البق، وإذا علّق على رقاب الصبيان يدفع عنهم الصرع، وإذا سحق وعجن بالعسل وطلي به الكلف يزول، ويقال إنّ جميع عظمه هو العاج والصحيح أنّ العاج هو نابه فقط وهو صاحب فوائد كثيرة منها إذا شربت المرأة العاقر برادة العاج أسبوعاً حبلت بإذن اللّٰه، ويوقف الجذام بماء الفوتنج ويحبس الدم والإسهال المزمن، ويقوّي الفهم والذكاء والحفظ حملاً، وينفع لأوجاع المفاصل والوركين، وإذا أخذ برادة العاج وخلط ببرادة الحديد وسحق وذرّ على البواسير قلعها ونفعها، وإذا

---

(١) بحار الأنوار.

وضع العاج في خرقة سوداء وعلّق منع الوباء حتى عن المواشي، مرارة الفيل إذا طلي بها البرص وترك ثلاثة أيام فإنّه يزول، وإذا رشّ بوله في مكان هرب منه الفأر، وإذا تحملت المرأة من زبله منع الحمل، وجلده إذا شدّ منه قطعة على من به حمّى تزول عنه، وإذا نام عليه صاحب التشنج زال عنه، والله أعلم.

القرد

حيوان معروف، من خواصه إذا جعل شعره تحت رأس النائم رأى أهوالاً تفزعه، وجلده إذا علّق على شجرة دفع عنها ضرر البرد، والله أعلم.

القطا

طائر معروف، تبيض في البراري وتغيب عنها أيام وتعود إليها، ولهذا ورد في الأمثال فلان أهدىٰ من القطا، ومن خواصه إذا أحرق عظام القطا وأخذ من رمادها وأغلي بالزيت الحار وطلي به رأس الأقرع وموضع داء الثعلب أنبت الشعر، وإذا جفف رأس القطا ووضع في خرقة كتان جديدة وعلّق على فخذ إنسان وهو نائم أخبر بجميع ما في نفسه، والله أعلم.

القمرى

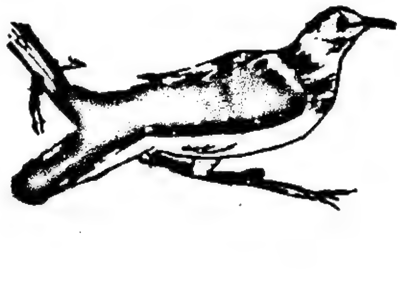

طائر بحجم الفاخت منه أصفر وأبيض، يحب كثير من الناس صوته، لأنّه يجري على لسانه يا كريم كاملة الحروف ومن خواصه، منع السحر والعين، وإذا دهن الطفل بدهنه مشىٰ سريعاً، وإذا شرب بيضه نطق قبل أوانه، والله أعلم.

القنفذ

وهو نوعان صغير كالكورة وريشه كصغار الشوك، يدخل في بعضه إذا

أحسّ بأحد، وهو كبير في حجم الكلاب وريشه نحو شبر يقوم إذا خاف ويرمي به فيجرح خصمه.

ومن خواصه، مرارة البرّي منه إذا طلي بها موضع الشعر المنتوف لا ينبت فيه شعر مرة أخرى، وإذا اكتحل بها أزالت البياض من العين، وعينه اليمنى تغلىٰ بشيرج وتجعل في إناء نحاس، فمن اكتحل به لم يخف عليه شيء في اللّيل، وإذا بخر بشوكه صاحب الحصى تحت إحليله أخرج الحصى كلّها، والله أعلم.

الكركند

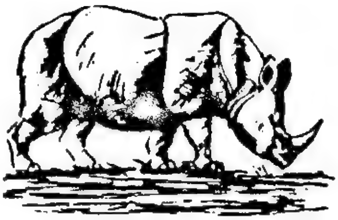

حيوان من ذوات الحافر، عظيم الجثة، كبير البطن قصير القوائم غليظ الجلد، له قرن واحد قائم فوق أنفه ولذلك يقال له وحيد القرن.

وإن لقرنه خواص عجيبة، منها حلّ كلّ معقود، وإذا أخذها صاحب القولنج بيده شفي في الحال، والمرأة التي ضربها الطلق إن أمسكتها بيدها تلد في الحال، وإن سحق منها شيء يسير وسقي المصروع أفاق، وحاملها يأمن من عين السوء ولا يكبو به الفرس، وإذا تركت في الماء الحار عاد بارداً، وعينه اليمنى إذا علّقت على الإنسان تزول عنه الآلام كلّها ولا يقربه الجنّ ولا الحيّات، والله أعلم.

الكلب

حيوان كثير الوفاء والذكاء، دائم السهر يخدم كثيراً ويحرس صاحبه من اللصوص والأعداء فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: طوبى لمن كان عيشه كعيش الكلب ففيه عشر خصال، فينبغي أن تكون كلّها في المؤمن، أوّلها ليس له مقدار بين الخلق وهو حال المساكين، وثانيها أن يكون فقيراً ليس له مال ويكون صفة المجرّدين، وثالثها ليس له مأوى معلوم والأرض كلّها بساط له وهو من آداب المتوكّلين، ورابعها أكثر أوقاته جائعاً وهو من آداب الصالحين، وخامسها إن

ضربه صاحبه لا يترك بابه وهو من علامات المريدين، وسادسها لا ينام من اللّيل إلاّ اليسير وذلك من صفات الخاشعين، وسابعها أن يُطرد ويجفى ثم يدعى فيجيب ولا يحقد وذلك من علامات العاشقين، وثامنها أكثر عمله السكوت وذلك من علامات المرتاضين، وتاسعها يرضى بما يدفع إليه صاحبه وهو حال القانعين، وعاشرها إذا مات لم يبق له شيء من الميراث وهو من مناقب الزاهدين.

وللكلب عداوة متأصّلة مع السباع، وذلك للعلّة التي ذكرها رسول اللّه ﷺ قال: لما أهبط اللّه عزّ وجلّ آدم وحوّاء إلى الأرض، أهبطهما كالفرخين المرتعشين، فعدا إبليس اللعين إلى السباع، وكانوا قبل آدم في الأرض، فقال لهم إنّ طيرين قد وقعا من السماء لم ير الراؤون أعظم منهما، تعالوا فكلوهما، فتعادت السباع معه، وجعل إبليس يحثّهم ويسيح ويعدهم بقرب المسافة، فوقع من فيه من عجلة كلامه بزاق، فخلق اللّه عزّ وجلّ من ذلك البزاق كلبين أحدهما ذكر والآخر أنثى، فقاما حول آدم وحوّاء، الكلبة بجدة والكلب بالهند، فلم يتركوا السباع أن يقربوهما ومن ذلك اليوم الكلب عدوّ السبع والسبع عدوّ الكلب[1].

ومن خواص الكلب، إذا رمى إنسان كلباً بحجر فأخذه الكلب بفمه ثم ألقاه، فذلك الحجر إن ترك في برج الحمام هرب منه، ومن مسك لسان الكلب الأسود في يده لم تنبح عليه الكلاب، وإذا أخذت قرادة من أذن الكلب وأمسكها إنسان خضعت له الكلاب كلّها حتى المأخوذ منه، واللّه أعلم.

اللقلق

طائر من الطيور القواطع، وهو كبير طويل الساقين والعنق والمنقار ومن ذكاء هذا الطائر يتخذ له عشين يسكن في كلّ واحد منهما بعض السنة وإذا أحسّ بتغير الهواء عند حدوث الوباء ترك عشّه وهرب من تلك الديار.

---

(١) علل الشرايع.

ومن خواصه، من حمل عظمه معه زال همّه، وإن كان عاشقاً سلا، ومن حمل حبّة عينه اليمنى لم ينم، ومن حمل حبّة عينه اليسرى نام ولم ينتبه ما لم تحل عنه، ومن حمل عينه ودخل الماء لم يغرق وإن لم يحسن السباحة، والله أعلم.

النسر

من سباع الطيور وأشرفها وأطولها عمراً، تمتاز بحدّة البصر، وقوّة حاسة الشمّ، وهو أقدر الطيور على قطع المسافات، وربّما يطير ما بين المشرق والمغرب في يوم واحد.

ومن خواصه، إذا وضع ريشة من ريشه تحت امرأة قد عسر وضعها أسرعت الولادة، وإذا أخذ عظم كبير من عظامه وحمله من يخدم الملوك والسلاطين أمن غضبهم وكان محبوباً عندهم، وإذا دخن بريشة من ريشه في بيت فيه هوام طردها ولم يبق فيه شيء منها، وإن علّق فكه الأعلى على إنسان في خرقة لم يقربه شيء من الهوام، وإذا أخذت ريشة واحدة من جناحه الأيمن ووضعت بين رجلي المرأة التي تطلق سهل ولادتها، والله أعلم.

النمر

ضرب من السباع فيه شبه من الأسد إلاّ أنّه أصغر منه منقط الجلد نقطاً سوداء، ومنزلته من السباع في الرتبة الثانية بعد الأسد، وهو ضعيف الحزم شديد الحرص يقظان الحركة وفي طبعه عداوة الأسد، ومتى لم يصد لم يأكل شيئاً، ولا يأكل صيد غيره وينزّه نفسه عن أكل الجيف.

ومن خواصه، إذا أدمن الجلوس على جلده صاحب البواسير نفعه، ومن حمل معه شيئاً من جلده يصير مهاباً عند الناس، وإذا دفنت يده وبراثنه في موضع لا يعيش فيه فأر، وشعره إذا بخّر به البيت هربت العقارب منه، والله أعلم.

النمل

حيوان معروف، وهو حريص في طلب الرزق، ولغاية حرصه يحمل ما يكون أثقل منه وزناً، ويعاون بعضها بعضاً على حمل الغذاء، ومن طبعه يحتكر قوته من زمن الصيف إلى زمن الشتاء، ويجمع ما يكفيه سنين لو عاش، ومع العلم أنّ عمره لا يكون أكثر من سنة، ومن عجائبه اتّخاذ القرية تحت الأرض وفيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات ومنعطفات يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء، وهو على خفة وزنه يعتبر من أقوى الحيوانات شمّاً يقصد الأشياء من بُعد، فما يقع شيء على الأرض إلاّ وترى النمل يقبل كالخيط الأسود الممدود إلى ذلك الشيء، ويكون عدد النمل الآتي بقوّة يستطيع بها حمل الشيء، ومن عجائب قدرة اللَّه، أودع في هذه المخلوقات الصغيرة الفطنة، أن إذا أخذت الحب في بيتها خافت أن تنبت فتقطع الحبّة قطعتين لتذهب عنها قوّة النبت، وتقطع حبّة الكزبرة أربع قطع لأنّ نصفها ينبت، وإذا كان عدساً أو شعيراً أو باقلا تقشرها ولا تكسرها فإنّ بالتقشير يذهب عنها قوة النبت، ثم تأتي بقطعها وتبسطها في الشمس حتى تزول عنها النداوة فلا يتعفن، وإذا أحسّت بالغيم ردّتها إلى مكانها خوفاً من المطر، وإذا ابتلّ شيء منها بالمطر تنشرها يوم الصحو لتزول عنه النداوة، فسبحان من أوضع هذه الدراية في أضعف مخلوق، ومن عجائبه أنه لا يتعرّض لجعل ولا جراد ولا صرصر ولا شيء من هوام الأرض ما لم يكن به قطع يد أو رجل أو جرح، فإن أصابها شيء من ذلك وثب عليه وهو حيّ ولا يفارقه حتى يقتله.

ومن خواصه، إذا وضع الإنسان شيء ولم يتنفس حال وضعه لم يقربه النمل ما لم تمسه يد أخرى، واللَّه أعلم.

الهدهد

طير معروف، وهو يوصف بحبّ الاستطلاع، ويذكر عنه أنّه يرى الماء في باطن الأرض كما يراه الإنسان في باطن الزجاجة، وإذا مرض الهدهد يأكل العقارب

الجبلية يزول مرضه، ومن خواصه، إذا حمل الإنسان ريشه غلب خصمه وقضىٰ حاجته، وإذا بخر البيت بريشة طرد الهوام من البيت، وأطول ريشة من جناحه الأيسر تجلب القبول حملاً، وإذا علّق صاحب النسيان عينه ذكر ما نسيه، وإذا علّق عينه اليمنى في خرقة جديدة وشدّت على العضد الأيمن فإنّها تورث القبول والمحبة، وإذا جعلت عينه تحت رأس إنسان يغلب عليه السهر مادامت عليه، ومن أخذ لسانه معه لا يظفر به عدوّ البتة مادام اللِّسان معه، ومن أخذ عش الهدهد وتركه في سجن خرج من فيه، ومصران الهدهد إذا علّق على من به نزيف قطعه، ومن أراد سواد الشّعر فخذ مصران الهدهد وجففه ثم اسحقه بدهن سمسم وادهن به رأس من تريد أو لحيته ثلاثة أيام فإنّ الشعر يسود، واللَّه أعلم.

وهذا آخر الكلام عن عجائب الحيوان وخواصه ونسأل اللَّه العفو والغفران وهو الموفّق.

عجائب خلق النبات

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كلّ شيءٍ فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حبّاً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانية وجنّات من أعناب والزيتون والرمان مُشتبهاً وغيره متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾[1].

إنّ أفهام العقلاء قاصرة متحيّرة في أمر النباتات بما فيها من عجائب خواصها وفوائدها ومضارها، وكيف لا وأنت تشاهد اختلاف أشكالها وتباين ألوانها وتنوّع صورها وأوراقها وروائح أزهارها، وهي في تربة ومكان واحد، ثم عجائب روائحها ومخالفة بعضها بعضاً مع اشتراك الكلّ في طيب الرائحة، وعجائب أشكال ثمارها وحبوبها وأوراقها دليل على وحدانية اللّه سبحانه وتعالى، ولكلّ لون وريح وطعم وورق وثمر وزهر وحبّ خاصيّة لا تشبه الأخرى، ولا يعلم حقيقة الحكمة فيها إلاّ اللّه تعالى والذي تعلّمه الإنسان من ذلك كقطرة من بحر.

ونذكر حديث الإمام الصادق عليه السلام مع المفضل بن عمر الجعفي لنتعرّف على عظمة قدرة اللّه في النبات، واللّه الموفّق للصواب.

فكّر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب، فالثمار للغذاء، والأتبان للعلف، والحطب للوقود، والخشب لكلّ شيء من أنواع التجارة

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

وغيرها، واللحاء[1] والورق والأصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع. أرأيت لو كنّا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الأرض، ولم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها، كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا، وإن كان الغذاء موجوداً فإنّ المنافع بالخشب والحطب والأتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم قدرها، جليل موقعها، هذا مع ما في النبات من التلذّذ بحسن منظره، ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه.

فكّر يا مفضل في هذا الريع الذي جعل في الزرع، فصارت الحبّة الواحدة تخلف مائة حبّة وأكثر وأقل، وكان يجوز للحبّة أن تأتي بمثلها فلم صارت تريع هذا الريع إلاّ ليكون في الغلة متسع، لما يرد في الأرض من البذر، وما يتقوت الزراع إلى إدراك زرعها المستقبل، ألا ترى أن المُلك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في أرضهم وما يقوتهم إلى إدراك زرعهم.

فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم، فصار الزرع يريع هذا الريع ليفي بما يحتاج إليه للقوت والزراعة، وكذلك الشجر والنبت والنخل يريع الريع الكثير، فإنّك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمراً عظيماً، فلِمَ كان كذلك إلاّ ليكون فيه ما يقطعه الناس، ويستعملونه في مآربهم، وما برد فيغرس في الأرض، ولو كان الأصل منه يبقى منفرداً لا يفرخ ولا يريع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس، ثم كان إن أصابته آفة انقطع أصله، فلم يكن منه خلف.

تأمّل نبات هذه الحبوب من العدس والماش والباقلاء وما أشبه ذلك فإنّها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الآفات إلى أن تشتد وتستحكم، كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه وأما البرُّ[2] وما أشبهه فإنّه يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها أمثال الأسنّة من السنبل

---

(١) اللحاء: قشر العود أو الشجر.

(٢) البرّ: القمح.

ليمنع الطير منه ليتوفّر على الزرّاع فإن قال قائل: أو ليس قد ينال الطير من البرّ والحبوب؟ قيل له: بلى على هذا قدر الأمر فيها، لأنّ الطير خلْق من خلق اللّه تعالى وقد جعل اللّه تبارك وتعالى له في ما تخرج الأرض حظاً ولكن حصّنت الحبوب بهذه الحجب لئلاً يتمكن الطير منها كلّ التمكّن فيعبث بها ويفسد الفساد الفاحش. فإنّ الطير لو صادف الحبّ بارزاً ليس عليه شيء يحول دونه لأكبّ عليه حتى ينسفه أصلاً، فكان يعرض من ذلك أن يبشم[1] الطير فيموت، ويخرج الزراع من زرعه صفراً، فجعلت عليه هذه الوقايات لتصونه، فينال الطائر منه شيئاً يسيراً يتقوّت به، ويبقى أكثره للإنسان، فإنّه أولى به، إذ كان هو الذي كدح فيه وشقي به، وكان الذي يحتاج إليه أكثر ممّا يحتاج إليه الطير.

تأمّل الحكمة في خلق الشجر وأصناف النبات، فإنّها لمّا كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان، ولم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء، جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتنزع منها الغذاء فتؤديه إلى الأغصان وما عليها من الورق والثمر فصارت الأرض كالأم المربية لها، وصارت أصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض لتنزع منها الغذاء، كما ترضع أصناف الحيوان أمهاتها، ألم تر إلى عمد الفساطيط[2] والخيم كيف تمد بالاطناب[3] من كلّ جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كلّه له عروق منتشرة في الأرض ممتدة إلى كلّ جانب لتمسكه وتقيمه، ولولا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف؟.

فانظر إلى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط والخيم، متقدّمة في خلق الشجر، لأنّ خلق الشجر قبل صنعة الفساطيط والخيم، ألا ترى عمدها وعيدانها من الشجر، فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

---

(١) يبشم: أي يتخم من الطعام.
(٢) الفساطيط: جمع فسطاط وهو بيت من الشعر.
(٣) الأطناب: الأحبال.

تأمّل يا مفضل خلق الورق فإنّك ترى في الورقة شبه العروق مبثوثة فيها أجمع، فمنها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها، ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً، لو كان مما يصنع بالأيدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل، ولاحتيج إلى آلات وحركة وعلاج وكلام، فصار يأتي منه في أيام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الأرض كلّها بلا حركة ولا كلام، إلاّ بالإرادة النافذة في كلّ شيء والأمر المطاع. . وأعرف مع ذلك العلّة في تلك العروق الدقاق، فإنّها جعلت تتخلل الورقة بأسرها، لتسقيها وتوصل الماء إليها، بمنزلة العروق المبثوثة في البدن، لتوصل الغذاء إلى كلّ جزء منه، وفي الغلاظ منها معنى آخر، فإنّها تمسك الورقة بصلابتها ومتانتها، لئلاّ تنهتك وتتمزّق، فترى الورقة شبيهاً بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فلا تضطرب، فالصناعة تحكي الخلقة وإن كانت لا تدركها على الحقيقة.

فكّر في هذا العجم والنوى والعلّة فيه، فإنّه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق، كما يحرز الشيء النفيس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع أخر، فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر، ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها، ولولا ذلك لتشدخت[1] وتفسخت، وأسرع إليها الفساد وبعضه يؤكل ويستخرج دهنه، فيستعمل منه ضروب من المصالح، وقد تبيّن لك موضع الأرب في العجم والنوى.

فكّر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة، وفوق العجم من العنبة، فما العلّة فيه؟ ولماذا يخرج في هذه الهيئة؟ وقد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السدر والدُلب[2] وما أشبه ذلك.

---

(١) تشدخت: تكسّرت.

(٢) الدُلب: شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر.

فلِمَ صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللّذيذة، إلاّ ليستمتع بها الإنسان؟.

فكِّر في ضروب من التدبير في الشجر، فإنّك تراه يموت في كلّ سنة موتة، فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده، ويتولّد فيه مواد الثمار ثم يحيى وينتشر، فيأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع، كما تعد نوع، كما تقدّم إليك أنواع الأطبخة التي تعالج بالأيدي واحداً بعد واحد، فترى الأغصان في الشجر تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولكها عن يد، وترى الرياحين تتلقاك في فنانها[1] كأنها تجئك بأنفسها، فلمن هذا التقدير إلاّ لمقدّر حكيم وما العلّة فيه إلاّ تفكيه الإنسان بهذه الثمار والأنوار؟. والعجب من أُناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها.

واعتبر بخلق الرمّانة وما ترى فيها من أثر العمد والتدبير، فإنّك ترى فيها كأمثال التلال، من شحم مركوم في نواحيها، وحبّ مرصوف صفّاً كنحو ما ينضد بالأيدي، وترى الحبّ مقسوماً أقساماً، وكلّ قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج وألطفه وقشره يضم ذلك كلّه.

فمن التدبير في هذه الصنعة أنّه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمّانة من الحبّ وحده، وذلك أنّ الحبّ لا يمدّ بعضه بعضاً، فجعل ذلك الشحم خلال الحبّ ليمدّه بالغذاء، ألا ترى أنّ أصول الحبّ مركوزة في ذلك الشحم، ثم لفّ بتلك اللفائف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب، وغشي فوق ذلك بالقشرة المستحصفة لتصونه وتحصنه من الآفات، فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة، وفيه أكثر من هذا لمن أراد الأطناب، والتذرّع في الكلام، ولكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة والاعتبار.

فكِّر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة، فإنّه حين قدر أن يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطاً على الأرض، ولو كان ينتصب قائماً كما ينتصب

---

(١) الأفنان: جمع فنن وهو الغصن المستقيم.

الزرع والشجر، لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة، ولتقصف قبل إدراكها وانتهائها إلى غاياتها، فانظر كيف صار يمتد على وجه الأرض ليلقي عليها ثماره فتحملها عنه فترى الأصل من القرع والبطيخ مفترشاً للأرض، وثماره مبثوثة عليها وحواليه كأنه هرة ممتدة، وقد اكتنفتها جراؤها لترضع منها.

وانظر كيف صارت الأصناف توافي في الوقت المشاكل لها، من حمّارة[١] الصيف ووقدة الحرّ فتلقاها النفوس بانشراح وتشوّق إليها، ولو كانت توافي الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها واقشعراراً منها مع ما يكون فيها من المضرّة للأبدان، ألا ترى أنّه ربما أدرك شيء من الخيار في الشتاء، فيمتنع الناس من أكله إلاّ الشّره الذي لا يمتنع من أكل ما يضرّه ويسقم معدته.

فكّر يا مفضل في النخل، فإنّه لمّا صار فيه إناث تحتاج إلى التلقيح جعلت فيه ذكورة اللّقاح من غير غراس، فصار الذّكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الإناث لتحمل وهو لا يحمل، تأمّل خلقة الجذع كيف هو؟ فإنّك تراه كالمنسوج نسجاً من خيوط ممدودة كالسدى وأخرى معه معترضة كاللّحمة كنحو ما ينسج بالأيدي، وذلك ليشتدّ ويصلب ولا يتقصف من حمل القنوات الثقيلة وهزّ الرياح العواصف إذا صار نخلة وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعاً.

وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنّك ترى بعضه مداخلاً بعضه بعضاً طولاً وعرضاً كتداخل أجزاء اللّحم، وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذه منه من الآلات فإنه لو كان مستحصفاً كالحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك. ومن جسيم المصالح في الخشب أنّه يطفو على الماء، فكلّ الناس يعرف هذا منه، وليس كلّهم يعرف جلالة الأمر فيه، فلولا هذه الخلّة كيف كانت هذه السفن والأظراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة، وأنّى كان ينال الناس هذا

---

(١) الحمّارة: شدّة الحرّ.

الرفق وخفّة المؤنة في حمل التجارات من بلد إلى بلد، وكانت تعظم المؤنة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقوداً أصلاً أو عسر وجوده.

فكّر في هذه العقاقير وما خصّ بها كلّ واحد منها من العمل في بعض الأدواء، فهذا يغور في المفاصل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف المرّة السوداء مثل الأفتيمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الأورام، وأشباه هذا من أفعالها، فمن جعل هذه القوى فيها إلاّ من خلقها للمنفعة؟ ومن فطن الناس لها إلاّ من جعل هذا فيها؟ ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتّفاق كما قال القائلون؟ وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه، فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحه إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ، وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم، وأشباه هذا كثير، ولعلّك تشكّك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا أنس ولا أنيس، فتظن أنّه فضل لا حاجة إليه، وليس كذلك، بل هو طعم لهذه الوحوش، وحبّه علف للطير، وعوده وأفنانه حطب، فيستعمله الناس، وفيه بعد أشياء تعالج بها الأبدان، وأخرى تدبغ بها الجلود، وأخرى تصبغ الأمتعة، وأشباه هذا من المصالح. ألست تعلم أنّ من أخسّ النبات وأحقره هذا البردي وما أشبهها، ففيها مع هذا من ضروب المنافع، فقد يتّخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسوقة، والحصر التي يستعملها كلّ صنف من الناس، ويعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني، ويجعل حشواً بين الظروف وفي الاسفاط، لكيلا تعيب وتنكسر، وأشباه هذا من المنافع.

فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة وما لا قيمة له، وأخسّ من هذا وأحقره الزبل، والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معاً، وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع الموقع الذي لا يعدله شيء، حتى أنّ كلّ شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلاّ بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس، ويكرهون الدنوّ منه.

واعلم أنّه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته، بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين، وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيساً في سوق العلم، فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته، فلو فطن طالبوا الكيمياء لما في العذرة، لاشتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها.

عجائب خواص النبات

لقد أسهبت كتب الطب القديمة والحديثة في فوائد ومنافع النبات، والتقطنا هنا ثمرة فوائدها وخواصّها وما بها من عجائب وهي مرتبة على حروف المعجم، واللّه الموفّق.

الأترج

هو ثمر شجر لا ينبت إلاّ في البلاد الحارّة، ناعم الورق والحطب، وأجوده الأملس الطوال الكبار الناضج وأردؤه ما مال إلى الاستدارة، قشر الأترج حارّ يابس ولحمه رطب، وحماضه بارد يابس، وبزره حار رطب، وأكله يفرح القلب ويزيل الخفقان والسدد ويحلل الرياح الغليظة ويقوّي المعدة، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: **كلوا الأترج قبل الطعام وبعده فإنّ آل محمّد يفعلون ذلك**[1]، وقشره يطيّب نكهة الفم إمساكاً، وعصارة قشره تنفع من لسع الأفاعي شرباً، ورماد قشره جيّد للبرص طلاءً، وشحمه رديء للمعدة، وحماضه يجلو العين اكتحالاً، وإذا سحق حبّه ووضع على لسع العقرب يسكن وجعه، وإذا شدّ في صرّة على عضد المرأة لا تحبل، وبزره ترياق السموم بالشراب خصوصاً العقرب، ورائحته تجلب الزكام، واللّه أعلم.

---

(١) بحار الأنوار.

الأراك

ويسمّى السواك، يقرب من شجر الرمّان إلاّ أنّ ورقه عريض، لا ينتثر شتاء، وهو حارّ يابس، وهو أفضل ما استيك به فقد قال النبي ﷺ: **في السواك اثنتا عشرة خصلة، هو مطهرة للفم ومرضاة للربّ، يبيّض الأسنان ويذهب بالحفر، ويقلّ البلغم، ويشهّي الطعام، ويضاعف الحسنات، ويصاب به السنّة، ويحضره الملائكة، ويشدّ اللثة وهو يمرّ بطريقة القرآن، وركعتين بسواك أحبّ إلى اللّه عزّ وجلّ من سبعين ركعة بغير سواك**[1].

وهو محلّل مقطع يفتح السدد ويقطع البلغم والرطوبات اللزجة والرياح الغليظة، وإذا غلى في الزيت سكّن الأوجاع طلاءً وحلّل الأورام العالقة في الرحم والبواسير، وإذا علّق عود الأراك على الصبيان نفعهم من الصرع، وإذا شرب طبيخه أدرّ البول ونقّى المثانة، واللّه أعلم.

الأنيسون

وهو نبات دقيق أطول من ذراع دقيق الورق عطري بلا ثقل يتولّد بزره بعد زهره إلى البياض في غلاف لطيف، وأجوده الحديث الرزين الضارب إلى الصفرة، ولا ينمو إلاّ بكثرة الماء، وهو حارّ يابس، شرابه يسكّن وجع الجوف ويحلّل النفخ ويدرّ الحيض واللّبن والمني، ويدفع ضرر السموم، والحصا وضعف الكلى والطحال وحمّى البلغم، والاكتحال بمائه يجلو البصر، ولذلك تقصد الحيّات نبته في أوائل الربيع فتكتحل بها لأنّ في الشتاء يضعف بصرها، وبخوره يسقط الأجنّة والمشيمة، ويسكّن الزكام، ومضغه يذهب خفقان القلب، واللّه أعلم.

الباذنجان

وهو غذاء مألوف لغالب الطباع، فعن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال:

---

(١) روضة الواعظين.

استكثروا لنا من الباذنجان فإنّه حارّ في وقت الحرارة بارد في وقت البرودة معتدل في الأوقات كلّها جيّد في كلّ حال[1]، فإنّ طبيعة الباذنجان تتغير بتغيّر الوقت، فإذا كان الوقت بارداً يكون حارّاً يابساً، وإذا كان وقت الحرّ يميل إلى البرودة وهذا ما يلائم الإنسان في وقته، وإذا أكله صاحب طبيعة ملائمة لطبيعته فإنّه يورث أخلاطاً رديئة وخيالات فاسدة ويولّد الصداع، وللباذنجان منافع كثيرة منها أنّه يطيّب رائحة العرق ويذهب بالصنان والسدد، ويشدّ المعدة ويدرّ البول، ويقطع الحارّ بالخاصية ويجفف الرطوبات، ومتى طبخ حتى تزول صورته وغلي بمائه زيت حتى يبقى الزيت وطليت البثور والحبوب التي في الجسم ذهبت، والله أعلم.

الباقلا

وهو الفول، بارد يابس، ينفع للأرق والسعال ويجلب النوم، وهو يصلح للأمزاج الحارّة اليابسة، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **أكل الباقلا يمخخ الساقين ويزيد في الدماغ، ويولّد الدم الطري**[2]، وإنّ كثرة أكله خصوصاً أصحاب المزاج البادر يورث بلادة الحواس والنسيان والكسل ويرى أحلاماً رديئة، والباقلا يجلو البهق من الوجه إذا طلي بمائه، وإذا أدمنت المرأة أكله أربعين يوماً على الريق لم تحبل، وإذا طعم منه الدجاج قطع البيض، وقشره يفعل ذلك، والله أعلم.

البصل

حارّ يابس، فيه رطوبة فضيلة، يقطع الأخلاط اللزجة ويفتح السدد ويقوّي الشهوتين خصوصاً المطبوخ، وقد قال أبو عبد الله عليه السلام: **كلوا البصل فإنّ فيه ثلاث خصال، يطيّب النكهة، ويشدُّ اللثة ويزيد في الماء والجماع، يقصد**

---

(١) وسائل الشيعة.
(٢) وسائل الشيعة.

الإمام عليه السلام بطيب النكهة، طيب نكهة الطعام إذا جعل معه مطبوخاً، ومن فوائده أيضاً يذهب اليرقان والطحال ويدرّ البول والحيض ويفتت الحصى وماؤه ينقي الدماغ سعوطاً ويقطع الدمعة والحكّة والجرب كحلاً، وإذا دلّك به البدن حسّن اللون وحمّره وأذهب أوساخه، وبزره يكتحل به لبياض العين، والله أعلم.

البطيخ

وهو حارّ رطب، رديء ثقيل بطيء الانهضام، يفسد ما يدخل عليه من الأغذية ويطفو على رأس القلب على الطعام ولكنه يطفىء الحرارة التي في الجوف، وعن الرضا عليه السلام قال: البطيخ على الريق يورث الفالج نعوذ بالله منه، وقال أبو الحسن الثالث: أكل البطيخ يورث الجذام[1]، والبطيخ بأسره مدرّ مفتت للحصى مصلح للكلى والحرقان والقروح الداخلة ويجلو البشرة من نحو الكلف طلاء، وإذا أكل البطيخ الحلو مع العسل والزنجبيل يقطع البلغم، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كلوا البطيخ فإنّ فيه عشر خصال مجتمعة، هو شحمة الأرض لا داء فيه ولا غائلة وهو طعام وشراب وهو فاكهة وهو ريحان وهو أشنان، وهو إدام ويزيد في الباه ويغسل المثانة ويدرّ البول ـ وفي حديث آخر ـ ويذيب الحصى في المثانة، فهو نافع لأصحاب الأمزجة الحارة، أما أصحاب الطبيعة البلغمية فيضرّهم كما تقدّم في الأحاديث، وقشر البطيخ إذا ضمّد به الجبهة منع انصباب المواد والرطوبات إلى العين، وبزر البطيخ الأصفر يدرّ اللبن، والله أعلم.

البندق

حارّ مع يبوسة، وإذا خطّ على العقرب دائرة بعود البندق لا يقدر أن يخرج منها، وهو يزيد في الباه وشهوة الجماع مع السكر مدقوقاً، وينفع من

---

(١) بحار الأنوار.

نهش الهوام خصوصاً مع التين أكلاً وضماداً، وإذا طلي مدقوقاً على يافوخ الطفل الأزرق العينين ردّهما سوداوين، واللّه أعلم.

التفاح

يطول شجره إلى ثلاثة أذرع، ورقه سبط إلى الاستدارة وعوده عقد، وعصارة ورقها تسقى لمن سقي السم أو نهشته حيّة أو لدغته عقرب، مع حليب ماعز فلا يؤثّر فيه السمّ، وشمّ زهر التفاح يقوّي الدماغ، وعن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: **التفاح ينفع من خصال، من السّحر والسمّ، واللمم يعرض من أهل الأرض والبلغم الغالب، وليس شيء أسرع منفعة منه**[1]، والتفاح الحامض بارد غليظ مضرّ للمعدة ويورث النسيان، والحلو منه معتدل الحرارة والبرودة، وشمّه وأكله يقوّي القلب، ويقوّي ضعف المعدة، وكلّ التفاح يذهب عسر النفس والخفقان المزمن ويقوّي الكبد ويصلح الدم، واللّه أعلم.

التوت

وهو أعزّ الأشجار لأنّ دود القزّ لا يأكل إلاّ منه، وهو أنواع الأسود منه بارد يابس، إذا وضع على لسع العقرب سكّنه في الحال، والأبيض منه حار رطب رديء مفسد للمعدة لكنه يدرّ البول، واللّه أعلم.

التين

حارّ رطب، أجوده المائل إلى البياض ثمّ الأصفر ثمّ الأسود، وهو أغذى من سائر الفواكه وأسرع نفوذاً، وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: **كلو التين الرطب واليابس فإنّه يزيد في الجماع ويقطع البواسير وينفع من النقرش والأبردة**[2]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: **أكل التين يلين السدد وهو نافع لرياح القولنج فأكثروا منه بالنهار وكلوه باللّيل ولا تكثروا منه.**

---

(١) وسائل الشيعة.

(٢) بحار الأنوار.

وهو يصلح اللون الفاسد، ويسكّن العطش الذي من البلغم المالح، وينفع من لسع الحيّة والعقرب، وإذا لطخ بلبنه الدماميل وعلى الثآليل قطعها، والإكثار من أكله بالخبز يورث القمل في البدن، ودخان التين يهرب منه البق والبعوض، والله أعلم.

الثوم

شفاء للناس من السموم وهو حارّ يابس، يسخّن المعدة ظاهراً، وينفع أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة، يقوم في جميع الأوجاع الباردة مقام الترياق الأكبر، وله منافع كثيرة، إذا أكل مع العسل على الريق قطع البلغم والرطوبات الفاسدة في الجوف، ويقوّي المعدة ويقتل الدود المتولّد من العفونة، ويصفّي الحلق من البحّة ويحفظ صحة البدن، ومن أكل الثوم سبعة أيام على الريق فتت الحصى، ولا يضرّه سم، وأكله ينفع من تغيّر المياه ويدرّ الطمث ويخرج المشيمة، وكثرته يصدع أصحاب الأمزجة الحارّة ويضرّ البصر، والله أعلم.

الجزر

حارّ رطب، عن أبي الحسن عليه السلام قال: **أكل الجزر يسخّن الكليتين ويقيم الذكر**، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **الجزر أمان من القولنج والبواسير ويعين على الجماع**[1].

الجوز

لا يكون إلاّ في البلاد الباردة، وهو حارّ يابس بطيء الهضم إلاّ أنّه يصلح مع التين، ودهنه ينفع من الحمرة، وقشره يحبس نزف الدم ويضمد به الكلب، وكثرة أكله تورث ثقل اللسان، وأكثر ما ينفع أكله في الشتاء فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: **أكل الجوز في شدّة الحرّ يهيج الحرّ في الجوف ويهيج**

---

(١) وسائل الشيعة.

القروح على الجسد، وأكله في الشتاء يسخّن الكليتين ويدفع البرد[١].

الحرمل

نبت يرتفع ثلث ذراع ويفرع كثيراً، وله ورق كورق الصفصاف، ومنه مستدير وزهره أبيض يخلف ظروفاً مستديرة مثلثة داخلها بزر أسود كالخردل سريع التفرك ثقيل الرائحة، وهو حارّ يابس، صالح لأوجاع المفاصل، وإذا طبخ بالعصير أو الشراب وشرب منه ثلاثين يوماً أبرأ من الصداع والصرع المزمن، وإذا شرب اثنى عشر يوماً متوالية قطع عرق النسا، وإذا خلط مع البزر وعجن بالعسل ولوزم استعماله أذهب ضيق النفس، وإذا طبخ بالخلّ وطليت به الأعضاء قوّاها وسوّد الشعر وأزال الخدر، وبخور بزره يطرد الشياطين وعين السوء، ومن وضعه في خرقة زرقاء وعلّقه في البيت منع السحر والنظرة، والله أعلم.

الحلبة

نبت دون ذراع، لها زهر أصفر يخلف ظروفاً دقيقة حداد الرؤوس تنفتح عن بزر مستطيل، وهي حارّة يابسة، لها لعابية ورطوبة فضيلة تليّن وتحلل سائر الصلابات والأورام، وقد قال رسول الله ﷺ: **عليكم بالحلبة، لو يعلم أمتي ما لها في الحلبة لتداووا بها، ولو بوزنها ذهباً**[٢]، وإذا طبخت بالتمر والتين والزبيب وعقد ماؤها بالعسل أذهبت أوجاع الصدر المزمنة والسعال والربو وضيق النفس، ومتى طبخت مفردة وشربت مع العسل حللت الرياح والمغص وبقايا الدم المتخلف من النفاس والحيض وأخرجت الأخلاط المتبقية، وإذا سحقت الحلبة وعجنت بالماء ثم طلي بها ثدي المرأة انقطع اللبن عنها، والله أعلم.

---

(١) وسائل الشيعة.

(٢) بحار الأنوار.

الحناء

بارد يابس، فيه تحَليل وقبض وتخفيف، وينفع الأورام البلغمية والسوداوية وينبت الشعر ويقوّيه، ويحسّنه ويقوّي الرأس، وينفع للحروق إذا صبّ على الموضع، وإذا عجن بالسمن وضمّد به على الجرب المتقرّح المزمن أبرأه، وإذا خضّبت رِجلاً عند خروج الجدري فإنّه يأمن في أن يخرج في عينه، واللَّه أعلم.

الحمص

حارّ رطب، يدرّ البول، ويجلو النمش ويحسّن اللون أكلاً وطلاءً، وينفع من الأورام الحارّة الصلبة ومن وجع الظهر ويصفّي اللون والصوت أي البحوحة، وإذا طبخ الحمص في الماء مع الكمون والدارصيني والشبث سخن البدن البارد ويقطع الأخلاط الغليظة ويفتت الحصى في الكلى والحصى في المثانة، واللَّه أعلم.

الخس

بارد رطب، ينفع من ضرر اليبوسة وأمراضها كالبثور والحكّة والجذام، وهو يفتح السدد ويدرّ ويمنع الحرقة، ويجلب النوم ويدفع العطش، ويقطع شهوة الباه، ولهذا يأكله الأقوياء العزّل عن النساء، وتأكله النساء اللاّتي غاب عنهن أزواجهن بالخل ليقطع عنهن شهوة الوقاع، والإدمان على أكله يورث ظلمة البصر لكنه يكثر اللبن ويمنع من السكر، واللَّه أعلم.

الخيار

بارد رطب، ينفع من الحميات الحارّة، ويدرّ البول، إلاّ أنه يحدث العطش، وشمّه ينفع المغشي عليه من الحرارة، ويحدث وجعاً في المعدة والخاصرة، واللَّه أعلم.

الرمّان

بارد يابس، وله كثير من المنافع نذكر ما جاءت به بعض الأخبار، قال أمير المؤمنين عليه السلام كان النبي صلى الله عليه وآله إذا أكل الرمّانة لا يشركه فيها أحد، ويقول في كلّ رمّانة حبّة من حبّات الجنّة، وعنه صلى الله عليه وآله: كلوا الرمّان بشحمه فإنّه دباغ للمعدة[١].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: الفاكهة عشرون ومائة لون سيدها الرمّان[٢].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: ممّا أوصى به آدم هبة اللّه: عليك بالرمّان فإن أكلته وأنت جائع أجزأك، وإن أكلته وأنت شبعان أمرأك[٣].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: من أكل حبّة من رمّان أمرضت شيطان الوسوسة أربعين صباحاً، وعن النبي صلى الله عليه وآله: من أكل رمّانة أنارت قلبه ورفعت عنه الوسوسة أربعين صباحاً[٤]، وعن الرضا عليه السلام قال: أكل الرمّان يزيد في ماء الرجل ويحسن الولد[٥].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: عليكم بالرمّان الحلو فكلوه، فإنّه ليس من حبّة تقع في معدة مؤمن إلاّ أبادت داء وأذهبت شيطان الوسوسة[٦].

مرفوعاً إلى صعصعة أنّه دخل على أمير المؤمنين عليه السلام وبين يديه نصف رمّانة، فكسر له وناوله بعضه، وقال: كله مع قشره، يريد مع شحمه، فإنّه يذهب بالحفر وبالبخر ويطيب النفس.

---

(١) وسائل الشيعة.
(٢) الكافي.
(٣) الكافي.
(٤) المحاسن.
(٥) وسائل الشيعة.
(٦) الكافي.

وعن الحارث بن المغيرة قال: شكوت إلى أبي عبد اللّه عليه السلام ثقلاً أجده في فؤادي وكثرة التخمة من طعامي، فقال: **تناول من هذا الرمّان الحلو، وكله بشحمه فإنّه يدبغ المعدة دبغاً، ويشفي التخمة، ويهضم الطعام، ويسبح في الجوف**(١).

الزبيب

حارّ رطب، وحبّه يابس، والزبيب تحبّه المعدة والكبد، وهو نافع لوجع الأمعاء وينفع الكلى والمثانة، وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: **من أكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء على الريق لم يجد في جسده شيئاً يكرهه**(٢).

وعنه صلى الله عليه وآله قال: **عليكم بالزبيب فإنّه يكشف المرّة، ويذهب بالبلغم، ويشدّ العصب ويذهب بالإعياء، ويحسّن الخلق، ويطيّب النفس ويذهب بالغمّ**(٣).

الزعفران

حارّ يابس، يصلح العفونة ويقوّي الأعضاء والأحشاء والمعدة والكبد ويهيج الباه، ويدرّ البول ويفتح السدد ويجلو البصر وجميع النوازل إليه، ويقوّي القلب ويفرّح ويورث الضحك، ويحسّن اللون، ويجوّد الحفظ، ويسهّل الجنين، وهو يقلّل من شهوة الطعام، أمّا الباه فقد تقدّم أنّه يهيج الباه، ومن داوم عليه لم يشك صداعاً أبداً وينفع من جميع العلل ويزيل الهمّ، وإذا طبخ بالماء وصبّ ماؤه على الرأس أمن من السهر وجلب النوم والرقاد وهو جالب للنوم شمّاً ووضعاً تحت الوسادة وإذا تحملته المرأة نفع من أوجاع الأرحام، واللّه أعلم.

---

(١) وسائل الشيعة.
(٢) عيون أخبار الرضا.
(٣) عيون أخبار الرضا.

الزيتون

شجرة مباركة كثيرة النفع، قد أقسم اللّه بها في القرآن لعموم نفعها، ومن خواص هذه الشجرة أنّها تصبر على الماء طويلاً كالنخل، ولا دخان لخشبها، وإذا دققت حولها أوتاداً من شجر البلوط قويت وكثرت ثمرتها، والزيتون بارد يابس، جميع أجزائه قابضة، إذا مضغ ورقه أذهب فساد اللثة والقلاع وأورام الحلق، وإذا أخذ ورقه ودقّ وعصر ماؤه على اللدغة منع سريان السمّ، وكذلك من سقي السمّ وبادر إلى شرب عصارة ورقها لم يؤثّر فيه السم، وإذا طبخ ورقها الأخضر طبخاً جيداً ورش في البيت هرب منه الذباب والهوام، ونوى الزيتون إن بخّر به قطع الربو والسعال، ولبّ النوى إذا ضمدت به الأظفار البرصة قطع برصها وأصلحها إصلاحاً قوياً، ومن خواصه، إن حمل عود منه يورث القبول وقضاء الحوائج، وجعله في البيت يورث البركة.

والزيت المعتصر من الزيتون له منافع كثيرة منها الأدهان به كل يوم يمنع الشيب ويصلح الشعر ويمنع سقوطه، ويقطع العفن ويشدّ الأعضاء، والاكتحال به يقلع البياض ويحدّ البصر، وينفع من الجرب والسلاق والمنافع المذكورة تقوى فيه كلما عتق، وعن رسول اللّه ﷺ قال: **الزيت دهن الأبرار وإدام الأخيار، بورك فيه مقبلاً وبورك فيه مدبراً، إنغمس في القدس مرتين**[1].

وفي وصيته لعلي عليهم الصلاة والسلام قال: **يا علي كل الزيت وادهن به فإنّه من أكل الزيت وأدهن به لم يقربه الشيطان أربعين يوماً**[2].

السفرجل

بارد يابس، من عجيب أمره أنّه إذا قطع بالسكين نشف ماؤه وإذا كسر كان رطباً مائياً، وهو يسرّ النفس ويدرّ البول ويمنع من القيء والحمّى ويسكّن العطش ويقوّي المعدة ويحبس نزف الدم، وإذا داومت على أكله الحامل لاسيّما

---

(١) الكافي.

(٢) الكافي.

في شهرها الثالث كان ولدها حسن الوجه زكي الفهم، وشمّ رائحته تقوّي الدماغ والقلب، وقال أبي عبد اللَّه عليه السلام: **من أكل سفرجلة على الريق طاب ماؤه وحسن ولده**[١]، وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: **السفرجل يذهب بهمّ الحزين كما تذهب اليد بعرق الجبين**[٢]، وعن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: **عليكم بالسفرجل فكلوه فإنّه يزيد في العقل والمروة**[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخلت على رسول اللَّه صلى الله عليه وآله يوماً وفي يده سفرجلة فجعل يأكل ويطعمني ويقول: **كل يا علي فإنّها هدية الجبّار إليّ وإليك قال: فوجدت فيها كلّ لذة، فقال لي: يا علي من أكل السفرجل ثلاثة أيام على الريق صفا ذهنه، وامتلأ جوفه حلماً وعلماً، ووقى من كيد إبليس وجنوده**[٤].

السلق

بارد رطب، ولا يعيش إلاّ في الماء، ويكثر في الخريف وغالب الشتاء، وعن أبي الحسن عليه السلام قال: **أطعموا مرضاكم السلق، يعني ورقه فإنّ فيه شفاء ولا داء معه ولا غائلة له، ويهدىء نوم المريض، واجتنبوا أصله فإنّه يهيّج السوداء**، وفي حديث آخر قال: **ينبت اللحم ويغلظ العظم، ولولا أن تمسه أيدي الخاطئين لكانت الورقة منه تستر رجالاً، ويشدّ العقل ويصفّي الدم**[٥].

السمسم

حارّ رطب مغذّ ملين محلّل ينفع السوداويين ووجع الصدر، والخشونة في الحلق ويزيد في المني.

---

(١) وسائل الشيعة.
(٢) وسائل الشيعة.
(٣) وسائل الشيعة.
(٤) وسائل الشيعة.
(٥) وسائل الشيعة.

شجرة مريم

أصله كاللفت مستدير إلى الغبرة يقوم عنه فروع مشتبكة في بعضها، وهو حارّ يابس، يقلع البياض من عيون الحيوان، ويزيل البواسير طلاءً وكذا البهق والبرص، والبلغم شرباً، ويفتح السدد وإن طلي به الوجه حمّره وحسّن لونه، وإذا نقع بالماء امتدّ وطال فإن شربت منه المطلقة وضعت سريعاً وألقت المشيمة، والله أعلم.

الشلجم

هو اللّفت، وأجوده المستدير الطري الكبار، وهو حارّ يابس، يدرّ الفضلات كلّها خصوصاً البول، ويفتح السدد، وينفع من الاستسقاء واليرقان والحصى، وأوجاع الظهر، ويحدّ البصر، وينفع من السعال، وبزره أبلغ فيما ذكرناه خصوصاً في تهيج الباه، وتفتيت الحصى، وعروق اللّفت إذا هرست وجعلت على الورم حللته وعصارته تجلو الكلف ودهن بزره المعروف بدهن الشلجم يطرد الرياح الغليظة، والله أعلم.

الشيح

حارّ يابس، أفضله ما كان إلى البياض، يخرج الدود إذا شرب، ويدرّ البول والطمث وإذا تبخرت به المرأة أخرج الجنين، ودخانه يطرد الهوام، وإذا ضمد به على لسعة الحنش والعقرب نفع، وإذا نقع في الدهن وطيّب به اللحية التي لم تنبت أسرع نباتها.

العنب

حارّ يابس، وهو أشهى الفواكه وأجودها غذاء، يسمّن سمناً عظيماً، ويصلح هزال الكلى ويصفّي الدم، ويعدّل الأمزجة الغليظة، وقشره يولّد الأخلاط الغليظة وكذا بزره، وهو نافع في إصلاح النفس فعن أبي

عبد الله عليه السلام قال: **شكا نبيٌّ من الأنبياء إلى الله عزّ وجلّ الغمّ فأمره عزّ وجلّ بأكل العنب**[١].

الفجل

حارّ رطب، أكله بعد الثوم يقطع رائحة الثوم، وإذا أكلته النفساء زاد في لبنها، وإن أكله الرجال زاد في قوّة فهمهم لكنه يفسد الصوت، وإذا وضع شرخة منه على عقرب مات، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **الفجل أصوله تقطع البلغم، ولبّه يهضم، وورقه يحدر البول حدراً**[٢].

وبزر الفجل حارّ يابس، ينفع من نهش ذوات السموم وينفع من وجع المفاصل، والله أعلم.

الفستق

حارّ يابس، يفتح سدد الكبد ويقوّي فم المعدة، ويمنع من الغثيان، ومن نهش الهوام والسعال، ولدغ العقارب ويزيد في الباه.

الفلفل

حارّ يابس، خفيف يقطع البلغم، ويذهب الرطوبات الفاسدة، ويلطّف الأغذية ويشهّي الطعام، ويدرّ البول وينفع ظلمة البصر، والله أعلم.

الكرفس

حارّ يابس، وهو بقلة الأنبياء كما قال النبي صلى الله عليه وآله، ومن منافعه يحلل النفخ، ويفتح السدد ويسكّن الأوجاع، ويطيّب النّكهة، وينفع من ضيق النفس ويدرّ البول، ويفتّت الحصى، ويهيّج شهوة الجماع من الرجال والنساء، والله أعلم.

---

(١) الكافي.

(٢) وسائل الشيعة.

الكمأة

بارد يابس، تكثر في سنة المطر والرعد تنبت من الأرض بلا ورق ولا زهر، ماؤها يجلو البياض كحلاً، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **الكماة من المـن، والمن من الجنّة، وماؤها شفاء للعين**(١).

الكمون

حارّ يابس، يقتل الدود، ويطرد الريح، وإذا غسل الوجه بمائه صفّاه، وكذلك أكله بقدر يسير، ويدمل الجراحات ويحلّل الأورام، والنفخ في المعدة ويدرّ البول، ويقطع الرعاف مسحوقاً مع الخل، وإذا بخّر به البيت لم يقربه شيطان، ومن عجائبه أنّ الحمام يحبّه، فإذا أردت أن تألف مسكنها فاطرح شيئاً من الكمون قبل أن تخرج لطلب العلف، فإنّها تزداد حبّاً لمسكنها، والنمل يهرب من رائحته، والله أعلم.

اللـوز

أجوده الطري الكثير الدهن، وهو معتدل الحرارة والرطوبة، يغذّي غذاء حسناً ويسمّن وينفع الصدر والسعال ونفث الدم، ويليّن البطن خصوصاً إذا كان مع التين، والمرّ منه حارّ يابس، دهنه ينفع من وجع الأذن ويمنع صداع الرأس، وأكله قبل السُّكر يمنع السكر، وهو يقوّي البصر ويفتح سدد الكبد والطحال والكلى، والله أعلم.

النخـل

هي أول شجرة استقرّت على وجه الأرض، وهي شجرة مباركة لا توجد إلاّ في الأماكن الحارّة، قال أبي عبد الله عليه السلام: **استوصوا بعمتكم النخلة خيراً فإنّها خلقت من طينة آدم ألا ترون أنّه ليس شيء من الشجرة يلقح غيرها**(٢).

---

(١) وسائل الشيعة.

(٢) المحاسن.

وهي تشبه الإنسان من حيث استقامة قدّها وطولها، وامتياز ذكرها من بين الإناث، واختصاصها باللقاح، ورائحة طلعها كرائحة المني، ولطلعها غلاف كالمشيمة التي يكون الولد فيها، ولو قطع رأسها ماتت، ولو أصاب جمارها آفة هلكت، والجمار من النخلة كالمخ من الإنسان، وعليها الليف كالشعر في الإنسان، وإذا تقاربت ذكورها وإناثها حملت حملاً كثيراً لأنّها تستأنس بالمجاورة، وإذا كانت ذكورها بين إناثها ألقحتها بالريح، وربما قطع الفها من الذكور فلا تحمل لفراقه، وإذا دام شربها للماء العذب تغيّرت، وإذا سقيت الماء المالح أو طرح الملح في أصولها حسن ثمرها.

ويعرض لها أمراض مثل أمراض الإنسان: منها الغمّ، وعلاجه أن يقطع من أسفلها قدر ذراعين ثم تخلل بالحديد.

والعشق وهو أن تميل شجرة إلى أخرى فيخفّ حملها وتهزل، وعلاجها أن يشدّ بينها وبين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلّق عليها سعفة منه، أو يجعل فيها من طلعه.

ومن أمراضها منع الحمل، وعلاجه أن تأخذ فأساً وتدنو منها وتقول لرجل معك: أنا أريد أن أقطع هذه النخلة لأنّها منعت الحمل، فيقول الرجل لك: لا تفعل فإنّها تحمل في هذه السنة فتقول: لا بدّ من قطعها، وتضربها ثلاث ضربات بظهر الفأس، فيمسكها الرجل الذي معك ويقول: باللّه لا تفعل فإنّها تثمر في هذه السنة فاصبر عليها ولا تعجل، وإن لم تثمر فاقطعها، فتثمر في تلك السنة وتحمل حملاً طائلاً.

ومن أمراضها سقوط الثمرة بعد الحمل، وعلاجه أن يتخذ لها منطقة من الأسرب وهو الرصاص فتطوق به فلا تسقط بعدها، أو يتخذ لها أوتاداً من خشب البلوط ويدفنها حولها في الأرض. ومن عجيب أمرها أنّك إذا أخذت نوى تمر من نخلة واحدة، وزرعت منها ألف نخلة، جاءت كلّ نخلة منها لا تشبه الأخرى.

ومن مراتب ثمره التمر وهو حارّ يابس يقطع السعال المزمن وأوجاع الصدر، ويستأصل شأفة البلغم خصوصاً إذا أكل على الريق، ويغذي كثيراً ويولّد الدم القوي ويصلح أوجاع الظهر وإذا أكل على الريق قتل الدود الذي في المعدة، ويقوّي الكلى المهزولة، والله أعلم.

النرجس

حارّ يابس اشتمامه يفتح سداد الدماغ وينفع الصرع، وأكله يهيّج القيء، وروي عن النبي ﷺ: **عليكم بشمّ النرجس فإنّ في القلب حبّة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلاّ هو**[1].

وهذا آخر الكلام في خواص وعجائب النبات، والله الموفّق.

(١) وسائل الشيعة.

عجائب خواص المعادن والأحجار

إنّ من بدائع وعجائب صنع اللّه الأحجار، وذلك لكمون الخواص والمنافع التي خفي معظمها على عقل الإنسان وهي في أدنى مراتب الوجود.

فالحجر له إحساس وشعور وحياة وممات، وهذا الإحساس يكون في رتبة الجمادات وقد أثبتنا ذلك بموضوع تسبيح المخلوقات. وإنّ من أسباب تولّد الأحجار هي الأبخرة والأدخنة التي تنتج في باطن الأرض بقوة الحرارة العالية، ثم تصلّب هذه المواد، ومن ثم تجف، وعلى حسب نوعية المواد وتفاعلها واتحادها ينتج حجر أو معدن تام التركيب، ومن الأحجار ما يتولّد من النبات كالكهربا والسندروس وما أشبه، ومنها ما يتولّد في داخل الحيوان أو فعل خارجي يقوم به الحيوان يتولّد منه الحجر، ومن الأحجار ما يتولّد من الجن أو كان أصله جن، كما نقل أنّ نبي اللّه سليمان بن داود عليه السلام قيّد بعض الجن في الأحجار، وأنّ هناك نوعاً من الجن يخاف الذئب، فإذا رآه قريباً منه تحول حجراً لخوفه منه، ومن الأحجار ما ينزل من السماء كما في الحجر الأسود.

وأمّا منافع الأحجار الباطنة فلها عدّة أسباب، منها كرامة من اللّه تعالى للحجر لسبقه بالإقرار على غيره للّه، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: **تختموا بالعقيق، فإنّه أوّل جبل أقرّ للّه عزّ وجلّ بالربوبية، ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة، ولعلي عليه السلام بالوصية**[1]، وثم تأتي منافع الأحجار على حسب ترتيبها بالإقرار.

---

(١) مكارم الأخلاق.

وتختلف خواص الأحجار باختلاف البقعة التي يتولّد منها والكواكب المشرقة عليها حين تولّدها، وأيضاً تختلف باختلاف طبيعتها، فالحجر يكون أكثر تأثيراً وفائدة إذا كانت طبيعته توافق طبيعة حامله.

وفي بعض الأحجار لها توكيل لخادم يخدمها، إنس كان أو جن أو شيطان وذلك على حسب رتبة الحجر، فمن هذه الأحجار حجر يسمّي بحجر مراد وهذا الحجر تتبع الشياطين حامله يعلمونه بما أراد، ولهذه العلّة تعدم الفائدة في بعض الأحجار أو ربما تنعكس الفائدة على حامله في الأيام الأولى من حمله وذلك لعدم قبول الخادم حاملها، وهكذا إلى أن يتماشى الخادم ويتوافق مع حامل الحجر ومن ثم تظهر فوائد خواص الحجر، وهذه الصفة أغلب ما تكون في الأحجار السلمانية والسلطانية.

ولنذكر من ذلك كلّه ما كان سهل الوجود عجيب الخواص واللّه الموفّق.

حجر إثمد

هو الكحل المعروف، بارد يابس يقطع نزف الدم مطلقاً، ويحفظ صحة العين ويجلوها، ويشدّ الأعصاب، وينبت الأهداب ويحسّن العيون، ويحبّب إلى القلوب وقد قال النبي ﷺ: **عليكم بالإثمد فإنّه ينبت الشعر ويحدّ البصر**، وإذا جعل معه شيء من المسك تكون غايته في حدّة البصر، وهو ينقّي القروح من العين الوسخة، وينفع من حرق النار إذا طلي به عليها مع شحم قديم، وإذا شربته المرأة التي معها نزف الدم قطعه، ويدمل القروح الخفيفة ويذهب باللّحم الزائد فيها، ويجففها.

الحجر الأسود

أصل الحجر الأسود ملك عظيم، وهو يجدّد الميثاق الذي أخذه في عالم الذرّ لمن يسلم عليه ويقبّله، فعن نكير بن أعين قال: قال لي أبو عبد اللّه عليه السلام: **هل تدري ما كان الحجر، قال قلت: لا، قال: كان ملكاً عظيماً من عظماء الملائكة عند اللّه عزّ وجلّ، فلمّا أخذ اللّه من الملائكة الميثاق**

كان أوّل من آمن به، وأقرّ ذلك الملك، فاتّخذه اللَّه أميناً على جميع خلقه فألقمه الميثاق، وأودعه عنده، واستبعد الخلق أن يجدّدوا عنده في كلّ سنة الإقرار بالميثاق، والعهد الذي أخذه اللَّه عليهم، ثم جعله اللَّه مع آدم في الجنّة يذكر الميثاق ويجدّد عنده الإقرار في كلّ سنة، فلمّا عصىٰ آدم، فأخرج من الجنّة، أنساه اللَّه العهد والميثاق الذي أخذه اللَّه عليه، وعلى ولده لمحمد ووصيّه، وجعله باهتاً حيراناً، فلمّا تاب على آدم حول ذلك الملك في صورة درّة بيضاء، فرماه من الجنّة إلى آدم، وهو بأرض السند ـ الهند ـ فلمّا رآه آنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة، فأنطقه اللَّه عزّ وجلّ، فقال: يا آدم أتعرفني قال: لا قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربّك، وتحوّل إلى الصورة التي كان بها في الجنّة مع آدم، فقال لآدم: أين العهد والميثاق، فوثب إليه آدم، وذكر الميثاق، وبكى وخضع له وقبّله وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق، ثم حول اللَّه عزّ وجلّ إلى جوهر الحجر إلى درّة بيضاء صافية تضيء فحمله آدم على عاتقه إجلالاً وتعظيماً فكان إذا أعيىٰ حمله عنه جبرئيل حتى وافى به مكة، فمازال يأنس به بمكة ويجدّد الإقرار له كلّ يوم وليلة ثم إنّ اللَّه عزّ وجلّ لمّا أهبط جبرئيل إلى أرضه وبنى الكعبة هبط إلى ذلك المكان بين الركن والباب وفي ذلك الموضع تراءى لآدم حين أخذ الميثاق، وفي ذلك الموضع ألقم الملك الميثاق، فلتلك العلّة وضع في الركن ونحى آدم من مكان البيت إلى الصفا، وحوّاء إلى المروة، وجعل الحجر في الركن، فكبّر اللَّه وهلّله ومجّده فلذلك جرت السّنة بالتكبير في استقبال الركن الذي فيه الحجر، وأنّ اللَّه عزّ وجلّ أودعه العهد والميثاق وألقمه إيّاه دون غيره من الملائكة، لأنّ اللَّه عزّ وجلّ لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمّد بالنبوّة ولعليّ بالوصيّة اصطكت فرائص الملائكة، وأوّل من أسرع إلى الإقرار بذلك الملك، ولم يكن فيهم أشدّ حبّاً لمحمّد وآل محمّد منه فلذلك اختاره اللَّه عزّ وجلّ من بينهم وألقمه الميثاق فهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة ليشهد لكلّ من وافاه إلى ذلك المكان وحفظ الميثاق[1].

---

(١) عوالم العلوم.

وعن أبي سعيد الخدري، قال حجّ عمر بن الخطاب في إمرته، فلمّا افتتح الطواف حاذى الحجر الأسود فاستلمه وقبّله، وقال أقبلك وإني لأعلم أنّك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولكن كان رسول الله ﷺ بك حفيًا، ولولا أنّي رأيته يقبلك ما قبلتك، قال: وكان في القوم الحجيج علي بن أبي طالب عليه السلام قال: بلى والله إنّه ليضرّ وينفع، قال: وبم ذلك يا أبا الحسن؟ قال: بكتاب الله تعالى، قال أشهد أنّك لذو علم بكتاب الله، فأين ذلك من الكتاب؟ قال: قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلىٰ شهدنا﴾، وأخبرك أنّ الله سبحانه لمّا خلق آدم مسح ظهره، فاستخرج ذريّة من صلبه سيّما في هيئة الذرّ، فألزمهم العقل وقرّ ربّهم أنّه الرب، وأنهم العبد، فأقروا له بالربوبية وشهدوا على أنفسهم بالعبودية والله عزّ وجلّ يعلم أنّهم في ذلك منازل مختلفة، فكتب أسماء عبيده في رقّ، وكان لهذا الحجر يومئذٍ عينان ولسانان وشفتان، فقال له إفتح فاك قال: ففتح فاه فألقمه ذلك الرقّ، ثم قال له: اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، فلمّا أهبط آدم عليه السلام هبط والحجر معه فجعله في موضعه من هذا الركن وكانت الملائكة تحجّ إلى هذا البيت من قبل أن يخلق الله آدم، ثم حجّه آدم ثم نوح من بعده، ثم تهدم ودرست قواعده فاستودع الحجر من أبي قبيس[١]، فلمّا أعاد إبراهيم واسماعيل بناء البيت، وبناء قواعده واستخرجا الحجر من أبي قبيس بوحيٍ من الله عزّ وجلّ، فجعلاه بحيث هذا اليوم من هذا الركن وهو من حجارة الجنّة، وكان لمّا أنزل في مثل لون الدرّ وبياضه، وصفاء الياقوت وضيائه، فسوّدته أيدي الكفّار، ومن كان يمسّه من أهل الشرك بتعايرهم، قال فقال عمر: لا عشت في أمّة لست فيها أبا الحسن[٢].

وعن النبي ﷺ قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها من يشاء من خلقه[٣].

---

(١) أبي قبيس هو جبل مطلّ على مكة.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.
(٣) وسائل الشيعة.

حجر الباكزهر

كلمة فارسية معناه ذو الخاصيّة والترياقية وتحذف كافه عند العرب وقد تعوض دالاً، وهو معدني ونباتي المعدني يكون بأقصىٰ الفرس والصين وأواخر الهند مما يلي سرنديب، يتولّد من زئبق وكبريت غلبت عليهما الرطوبة وعقدهما الحرّ، والحيواناتي، قيل: إنه يتولّد في قلوب بعض الحيوانات كالإيل، وأنّ النمر حين يعالجه الهرم يقصد هذه الحيوانات فيقتلها ليأخذ الحجر فيأكله لتعود قوّته، وقيل: يتولّد في قرون الحيوان فإذا بلغ سقط، أو في سرّته كالمسك ويسقط بالحكّ، وأجوده المتشطب الزيتوني الضارب إلى الصفرة أو ما كان طبقات مختلفة الألوان، ثم الأبيض الخفيف، ومتى خرج في الحجر قطعة خشب فهو الغاية التي لا تدرك لأنّ هذه الخشبة هي المجربة في قطع السموم، وإذا أردت أن تمتحن الحجر فألصقه على النهوش فإن لزمها وامتصّ السمّ حتى امتلأ وسقط، فيوضع في الماء فيستفرغ السم، ويعاد إلى موضع النهش، وهكذا حتى لا يلصق وهي علامة البرء، فهو الحجر وإلاّ فلا، ومن علامته إذا حمله الإنسان وجلس على طعام مسموم يعرق عرقاً شديداً، ومن خواصه يزيل الرمد، والحمّىٰ والخفقان والإعياء وضيق النفس والربو واليرقان ويهيّج الباه تهيجاً عظيماً، وينعش القوى والحواس والأعضاء الرئيسية، وإذا نقش عليه صورة السبع أورث الشجاعة والهيبة ويكون النقش والقمر في برج العقرب، والله أعلم.

حجر باهت

ذكر القزويني أنّه أبيض في لون المرقشيثا البيضاء يتلألأ حسناً، إذا وقعت عليه عين إنسان يغلبه الضحك، وقيل إنّه مغناطيس الإنسان، ولقد ظفرت به فوجدته مفرح محبّب لقلوب الناس، والله أعلم.

حجر البحر

يوجد هذا الحجر على ساحل البحر، يتولّد من لطيف أجزاء الأرض

وبخار البحر، وهو حجر أسود خشن الحسّ مثل الرحا، إلاّ أنّه خفيف لا يغوص في الماء، وخاصيته، أنّ الإنسان إذا استصحبه وركب البحر أمن من الغرق، وإذا ألقي في القدر لم يغل، واللَّه أعلم.

حجر البرادى

وهو حجر خفيف أصفر، إذا حكّ ضربت سحالته إلى البياض، نقي اللون، أكثر ما يتكوّن ببلاد العراق، يشارك الكهربا والسندروس في جذب التبن، ومن خاصيته يمنع نزف الدم حيث كان، والخفقان شرباً وطلاءً، ويدمل الجراح ويذهب وجع الطحال، والتختم به أمان من الغرق، ومن لفّه في خرقة وجعله تحت رأسه رأى ما يكون في الغد، واللَّه أعلم.

حجر البلور

هو حجر معدني صافي كالزجاج إلاّ أنّه أصلب، وهو مجتمع الجسم إذا انكسر بخلاف الزجاج فإنّه يتفرّق، والبلور يصبغ بألوان الياقوت، فيشبه الياقوت فيتخذونه في الأواني والخواتيم العقود والثريّات، ومن خواصه إذا علّق البلور على النائم لم ير أحلاماً مفزعة، واللَّه أعلم.

حجر جالب النوم

قال أرسطو: هو حجر شديد الحمرة، صافي اللون يرى بالنّهار كأنّه يخرج من شبه بخار، وباللّيل يسطع ضوؤه حتى يضيء به ما كان حوله، من خواصه، إذا علّق منه على إنسان ولو وزن درهمين أورثه نوماً ثقيلاً، وإن جعلته تحت رأس إنسان نائم لا يستيقظ حتى يدور رأسه، وإذا طلي به موضع الحمرة أبرأها، واللَّه أعلم.

حجر الجزع

وهو كثير الألوان فيه الأسود وفيه الأحمر وفيه من يميل إلى الصفرة،

يتولّد في اليمن، من خواصه، إذا علّق في شعر المطلقة يسهّل ولادتها، وتعليقه يذهب بمردة الشياطين والتوابع وأمّ الصبيان، وما قيل إنّ حمله يورث الهمّ والغمّ ذلك لأصحاب الطبائع الحارّة اليابسة لأنّها مشابهة لطبيعة الحجر، فمتى تلائمه الطبائع رفع المحذور منه، أو أنّ الهم والغمّ والأحلام المفزعة لا تكون من الحجر وإنّما من الجن والشياطين ليدفعوا بذلك لبسه لأنّهم يتأذّون منه، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **تختّموا بالجزع اليماني فإنّه يردّ كيد مردة الشياطين**[١]، وقد ثبت في الأخبار أنّ لبسه مستحبّ، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **إنّ الصلاة بالجزع تعدل سبعين صلاة، وأنّه يسبح ويستغفر وأجره لصاحبه**[٢].

حجر الجمشت

حجر أبيض وأحمر وهو شفاف يتولّد من زئبق قليل رديء وكبريت كثير، وأكثر ما يتكوّن بأرض الحجاز، وهو حارّ يابس يحلّل الأورام طلاءً، وإذا تختم به أورث القبول وقضاء الحوائج، وإنّ أكل أو شرب فيه منع الخفقان والغثي والسكر، وإذا جعل تحت رأس النائم يجلب الأحلام الرديئة، والله أعلم.

الحديد

المعدن المعروف وهو من أكثر الفلزات فائدة ولذلك قال تعالى: ﴿**وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**﴾، فأغلب الصناعات تجد الحديد فيها، ومن خواصه العجيبة، برادته تجذب السمّ إليها إذا طرحت في طعام المسموم وتمنع الغطيط تعليقاً، وإذا حمى الحديد وطفىء في ماء نفع ذلك من ورم الطحال وضعف المعدة واسترخائها، ووسخ الحديد هو الزنجار إذا دقّ ناعماً، وتحملت به المرأة قطع نزف الدم، وقال بعضهم: إنّه يقطع نزف الدم المزمن، وهو ينفع للبواسير حملاً، والله أعلم.

---

(١) وسائل الشيعة.
(٢) وسائل الشيعة.

حجر الخطاطيف

حجمه قدر الأنملة رخو لونه يميل إلى الصفرة والبياض، ويسمّى حجر اليرقان، والخطاطيف حينما يعتري فروخها اليرقان وتصفر، تذهب وتأتيها به، فلا يوجد هذا الحجر منه إلاّ ما يرى في بيوت الخطاطيف، ويحتالون في جلبه بأن تطلى فروخ الخطاف بالزعفران، فتظن اليرقان نزل بها فتأتيها به، وهو حارّ يابس نافع لليرقان شرباً وطلاءً ويفتت الحصى ويزيل الخفقان حملاً، والله أعلم.

حجر الدرّ

هو حجر يكون في الزكوات البيض وبعضه يكون عند الأنهار والسواحل، يوجد منه الكبار والصغار وعليه كدورة، فإذا جلى صار كالبلور في الشفافية والبياض، وأجوده الصافي ما جلب من الغري، وهو نافع من الخفقان والغثيان، والتختم به يورث الوجاهة والقبول ومنع السحر والنظرة، ويطوّل الشعر، وإذا وضع تحت الوسادة يمنع الأحلام الرديئة، وفي منزل المتباغضين من غير علمهما يؤلفهما، والله أعلم.

حجر الديك

حجر يتولّد في قانصة الدجاج وقيل في بعض الديكة، وهو أبيض رخو حارّ يابس إذا حكّ وشرب فتت الحصىٰ وأزال الوسواس والهمّ، وإذا شدّ على المصروع يزول عنه الصرع ويزيد في قوة الباه، وإذا علّق على الإنسان يدفع عنه عين السوء، وإذا وضع تحت رأس الصبي لا يفزع في نومه، والله أعلم.

الذهب

أفضل المعادن المطلوبة، وقيل: إنّه حارّ رطب باطنه كظاهره، أجوده الخالص بلا غش وهو موافق للأجساد لا يبليه الثرى ولا يصدأ بالندى، ولا تنقصه الأرض ولا تأكله النار، وهو نافع من خفقان القلب وحديث النفس

ووجع القلب والحزن والغمّ والفزع، وإذا أمسك بالفم أفرح القلب وقوّاه وذهب بالبخر، وإذا اتّخذ من الذهب ميلاً وأديم التكحل به، وإدخاله في العين جلا العين وحسّن النظر وقوّاه، وإن ثقبت الأذن بإبرة من الذهب لم تلتحم، ومن علّق عليه قطعة من ذهب لم يفزع في نومه، وهذه الخواص تكون في الذهب الخالص، والله أعلم.

حجر الرخام

حجر معروف، يتلوّن بحسب ما يغلب عليه من مادة المعادن، وأكثره الأبيض ثم الأصفر ثم الأسود، وأقلّه الأزرق والأحمر، ومن خواصه إذا سحق بالخلّ وطلي به حلّل الأورام وأزال الترهل والاستسقاء، وإن سحق وعجن بالصمغ والنوشادر ولطخ على البهق والبرص والآثار السوداوية أزالها، وهو يصدع ويقطع شهوة الباه سواء شرب به أو جلس عليه، والنوم عليه من غير حائل يوقع في النقرس ووجع المفاصل، وإذا نشرت برادته على البواسير قلعها، والله أعلم.

الرصاص

معدن معروف من خواصه قيل: إنّ من اتّخذ منه طوقاً وطوّق به شجرة عند أصلها من الأرض لم يسقط من ثمرها شيء ويزيد فيها، وإذا صنعت منه صفيحة ووضع عليها شحماً ودلكته حتى يسود ولطخت به الحاجب قوي شعره وكثره ومنع من انتشاره، وإذا وضعت منه قطعة أو صحيفة على العانة والظهر قطعت الاحتلام وبردت التبريد الشديد، والله أعلم.

حجر الزبرجد

قيل: إنّه والزمرد سواء لا فرق بينها إلاّ تلوّن الزبرجد، وللزبرجد ألوان كثيرة المشهور منه الأخضر والأصفر وهو الجيد وأرداه الأحمر الهندي، إذا حلّ قلع البرص والبهق طلاءً، ويزيل عسر البول ويفتت الحصى شرباً، وإن علّق

على المرأة المطلقة أسهل ولادتها، وإذا نقشت عليه صورة مركب والقمر في بطن الحوت ولبس في بنصر اليسار أذهب الهمّ وفرّح القلب، وإن حملته المرأة على رأسها أورثها القبول، وإن نقشت عليه صورة سمكة في طالع السرطان، ولفّ في الرصاص ورمي في شبكة الصياد أقبل إليه السمك من مكان بعيد في البحر، والله أعلم.

حجر الزمرد

حجر شريف أفضله الصافي في الخضرة، ومن خواصه يمنع عن حامله الذباب، مفرح مذهب للهمّ والحزن والكسل والصرع كيفما استعمل ولو حملاً، ويمنع الصرع إذا لبس قبل وقوعه، ويزيل الخفقان، وهو يفتت الحصى ويدرّ البول ويزيل اليرقان تعليقاً، ولابسه لا يتنكّد أبداً وأنّ النظر إليه يحدّ البصر ويجلو الظلمة من العين، وإن قرّب من طعام مسموم عرق، وإذا أُدني من عين الأفعى جذبها، وإذا علقته المرأة في شعرها سهّل أمرها في الزواج ويبطل السحر، وإذا ركّب مثقال منه في مثقالين ذهباً وفضة بالسواء في طالع الميزان والشمس في برج هوائي أورث الجاه والقبول والهيبة ولم يمض حامله في حاجة إلاّ قضيت، والله أعلم.

حجر السبج

وهو جبلي أجوده الصقيل الأسود البرّاق الخفيف، ومن خواصه يدفع العين، وأنّ إدامة النظر إليه تقوّي البصر وتمنع نزول الماء، والله أعلم.

حجر السلوان

حجر أبيض لمّاع يشبه لون اللبن، من خواصه إذا جعل في اللبن وشرب أزال العشق، وقيل: إذا وضع في ماء وسقي العاشق وهو لا يعلم سلا عن العشق، وهو نافع لحرارة المعدة ونزف الدم، والله أعلم.

حجر السندروس

يتولّد من صمغ شجرة يشبه الكهربا في جذب التبن، والفرق بينهما أنّ السندروس يلقط القش من غير حكّ في صوف، والسندروس ثلاثة أنواع، أصفر يضرب باطنه إلى الحمرة رزين برّاق، ومنه أزرق هشّ، وأسود خفيف صلب، وأجوده الأول، والسندروس من الأدوية الجليلة القدر تبقىٰ قوّته إلى عشرين سنة، فمن منافعه يجفف نزلات الدماغ، ويذهب الربو وعسر النفس وأوجاع الصدر، ويدرّ الفضلات خصوصاً الحيض، وإذا تبخّر به مع السّكر قطع الزكام والنزلة في وقته، وهو يجلو الآثار، ويصلح أورام المقعدة والنواصير الغائرة والجرب العتيق، وحمله يورث المحبّة، واللّه أعلم.

حجر الشب

هو ملح معدني بلّوري التركيب، وأنواع الشب كثيرة ينقسم بحسب اللون والطعم، وأجودها الشفّاف الأبيض الصلب ويسمّى باليماني وفي طعمه حموضة، من منافعه يقطع الرعاف استنشاقاً، والنزف حملاً، ويدمل الجروح، ويزيل الرائحة الكريهة والعرق في الإبط وغيره، وهو يقتل الأفاعي إذا رشّ عليها أو بخرت به، ويمنع القيء والغثيان ويشدّ المعدة أكلاً، وإذا وضع تحت الوسادة للنائم لم يفزع في نومه، وإذا حملته المرأة قبل الجماع لم تحبل، وإذا بخّر به من أصيب بالعين، وصار فيه ثقب على صورة العين، فيؤخذ ويجعل في قبلة المكان فلا تصاب أهله بالعين أبداً، واللّه أعلم.

حجر العقيق

وهو من أشرف الأحجار وأفضلها عند اللّه، لأنّه سبق الأحجار كلّها بالإقرار بالوحدانية للّه تعالى، والنبوّة لمحمّد ﷺ والولاية لعلي بن أبي طالب عليه السلام، ولهذا فضّله اللّه تعالى بكثير من الخواص على غيره من الأحجار، والعقيق أنواع كثيرة، أفضله ما جلب من اليمن ويكون لونه شديد الحمرة أو صافي الصفرة، والأبيض الصدفي، وغير هذه الألوان لا يلحقها

بالخواص وإن كان لابسه ينال الثواب العظيم، فمن خواصه يكون المتختم به مستجاب الدعوة عند اللّه ومقضي الحاجة عند الناس، وركعتين بخاتم عقيق تعدل ألف ركعة، وهو ينفي الفقر عن لابسه ويحرسه من كلّ سوء، ويجلب البركة والفرح، وإذا كان لونه لون عسالة اللّحم الطري إن تختم به أو تقلّد به قطع نزف الدم من أي موضع كان في البدن وخاصة النساء اللاّتي يطول عليهن حيضهن، وإن كان لونه أصفر صافي وكتب عليه، ما شاء اللّه لا قوّة إلاّ باللّه استغفر اللّه، بثلاثة أسطر، وعلى الوجه الآخر، محمّد وعلي، ومن تختم به كان في أمان اللّه من الأعداء ومن كلّ سلاح، ومن نقش على فصّ عقيق أحمر أسماء المعصومين وجُعل معه في القبر أمن من ضغطة القبر، جعلنا اللّه وإياكم من الآمنين منها بمحمّد وآله الطاهرين.

الفضة

أقرب المعادن إلى الذهب، من خواصها تقطيع الرطوبات إذا خلطت سحالتها بالأدوية المشروبة، وتنفع من البخر إذا أمسكت في الفم، وهي نافعة للهمّ والحزن وضعف القلب، لأنّ خاصيتها اجتذاب الأخلاط الفاسدة المتولّدة في القلب، واللّه أعلم.

حجر الفيروزج

يتركّب من خضرة وزرقة، وأجوده الأزرق الصافي الذي يجلب من خراسان وبالتحديد جبال نيشابور، ومن خواصه أنّ صاحبه لا يموت غرقاً ولا بالصاعقة، ولبسه وحمله يقوّي القلب ويمنع الخوف، ويدفع عين السوء عن حامله، وهو من أسرع الأحجار فساداً بالأعراق والأدهان والأراييح الطيبة، والاكتحال به يقطع الدمعة ويحدّ البصر، وقال أبي عبد اللّه عليه السلام: **ما افتقرت يد تختمت بفيروزج**.

حجر الكهربا

وهو حجر أصفر مائل إلى البياض أو إلى الحمرة، وأصله صمغ يخرج

من شجر قيل: إنّه شجر الجوز، من خواصه إذا علّق على إنسان نفعه من الأورام والخفقان ويحبس القيء ويمنع نزف الدم، وإذا علّق على صاحب اليرقان نفعه وأزال صفرته، لاسيما إن أخذ منه درهم، وشرب بسكر نبات، وإذا علّق على الحامل حفظ جنينها، وتعليقه على المعدة يمنع التخم، والله أعلم.

حجر اللازورد

حجر معروف أجوده الصافي الرزين الشفّاف الضارب زرقته إلى خضرة ما وحمرة، ومن خواصه إذا تختم به نبل في أعين الناس، ويزيل الهمّ وفساد العقل، وهو يدرّ الطمث إدراراً صالحاً إذا حملته المرأة، وإذا أمسك في اليد سكن وجع المفاصل، والله أعلم.

حجر اللؤلؤ

حجر معروف كباره يسمّى درّ، والفريدة في صدفتها تسمّى يتيمة، وأصل اللؤلؤ، إذا أمطرت السماء على ماء البحر خرجت الأصداف من البحر فاتحة فاها للمطر حتى إذا سقطت نقطة منه انطبقت وغاصت في قعر البحر، وثم تصير لها عروق كعروق الشجر، فهو حيوان في الدور الأول ونبات في الدور الثاني، ومعدن في الدور الثالث، وهكذا يبقى ملقى في أسفل البحر، وأجوده الكبير الأبيض المتدحرج، واللؤلؤ تضرّه الأدهان والأعراق والروائح الكريهة، وهو يعادل الذهب في التفريح بل هو أعظم، وحمله يقوّي القلب، ويحلّل بياض العين ويرفع الغشاوة كحلاً، وإذا حملته الحامل منع الإسقاط، وهو نافع لأمراض القلب وضعف الكلى وحرقة البول والسدد واليرقان خصوصاً طلاءً، والله أعلم.

حجر الماس

وهو من نفيس الأحجار، يثقب كل معدن، ولهذا يجعلونه الصناع في طرف المثقب يثقبون به الأحجار الصلبة، وأجوده الزيتي فالنوشادري ويعرف

بالماقدوني فالبلوري ويعرف بالقربص، ومن خواصه يقوّي القلب تعليقاً ويؤمن الخائف، وقيل: إنّه يمنع الصرع، ومن نقش عليه صورة رجل في يديه سلاح وزحل في الميزان أو في بيته متصلاً بالسّعود، فمن مسكه أورث الشجاعة والهيبة وعظم قدره، والله أعلم.

حجر المرجان

يقال له بالمعجم بسذ، وهو حجر جامع بين النبات والحجر، أجوده الأحمر الألمس الوهّاج وأردؤه الأبيض وبينهما الأسود، وهو من أصبر الأحجار على الاستعمال، وتصلحه الأدهان ولا يفسده إلاّ الخل، من خواصه، يفرح القلب ويزيل الوسواس والخفقان تعليقاً، وإذا علّق المرجان في عنق صبي حتى يحاذي معدته قوّاها، والله أعلم.

حجر المغناطيس

حجر معروف طبيعي يجذب الحديد، من خواصه أن تعليقه في الحرير الأبيض يورث الجاه والهيبة إذا وقف على يسار الشخص، وإذا أمسكته المطلقة بيدها اليسرى، ولدت سريعاً، وهذه الخاصية تبطل إذا مسّته الحائض، والله أعلم.

حجر المها

حجر زجاجي شديد البياض وإن حكّ وليس هناك فرق بينه وبين البلّور إلاّ الصلابة، ومن خواصه يزيل ثقل اللسان ويفتت الحصى ويطلق البول شرباً، وإذا علّق على الفخذ الأيمن للمرأة المتعسرة الولادة سهلت ولادتها وولدت سريعاً، وتعليقه على الثدي يدرّ اللّبن، وفي اليد اليمنى يسهّل قضاء الحوائج وهو يزيل الرعشة تعليقاً، والله أعلم.

النحاس

وهو الصّفر، وأجوده الذهبي فالأحمر فالأصفر وغيرها رديء، ولا ينبغي

أن يؤكل في آنية النحاس لأنه يولّد أمراضاً كثيرة كوجع الكبد والطحال، ومن منافعه إذا سحق وطلي به البدن شدّ الاسترخاء ومنع الإعياء والحكّة والجرب والأورام، والله أعلم.

حجر النورة

وهو من الأحجار المعروفة لإزالة الشعر، ذكروا إذا فرشت النورة في موضع لم تقربه البراغيث، وإذا وضعت على موضع نزف الدم قطعته، والله أعلم.

حجر الياقوت

وهو من أشرف أنواع الأحجار، وهو من أصلب الأحجار وأيبسها ولا تعمل فيه المبارد لصلابته، وهو مختلف الألوان أحمر وأصفر وأخضر وأزرق، وأجود الكلّ ما سلم من الشقوق وكان أصبر على النار وأقواها صلابة، وكان شفافاً صافياً، ومن خواصه التختم به وتعليقه يدفع الفقر، والطاعون والوسواس والصرع والخفقان، والصاعقة ويجلب الهيبة وقضاء الحوائج، ووضعه في الفم يقطع العطش ويقوّي القلب ويفرحه، والله أعلم.

حجر اليشم

وهو حجر قريب من الزبرجد لكنه أكثر شفافية وصفاءً وأجوده الزيتي فالأخضر فالأبيض، من خواصه، يقطع نزف الدم وحرقة البول شرباً، والخفقان وضعف المعدة تعليقاً في العنق، وعسر الولادة على الفخذ، والتختم به يدفع العين والنظرة والسحر والصاعقة، ومن استصحبه لا يغلبه في الحرب أحد ولا يحجه أحد، والله أعلم.

خواص الأحجار ذات المحك

إنّ بعض الأحجار تعرف خاصيتها في محكّها، ذلك لكمون طبيعتها في

باطنها، فمتى خالف لون المحكّ لون الحجر، عرفت أنّ الحجر سريع الأثر بخاصيته لسرعة ظهور طبيعته الباطنة، ولهذا قيل: الفضة ذهب في الباطن، وهناك الكثير من الأحجار وربما يتداول بعضها بين الناس ولكن ليس لها اسم ثابت لاختلاف تسميتها بين البلدان من العصور السالفة إلى يومنا هذا، فمحكّ الحجر هي وسيلة لمعرفة نوع الحجر، فالأحجار تعرف بأشكالها وألوانها ومحكّها، ونذكر ما استسقيناه من سفت التجارب والكتب، والله الموفّق.

الحجر الأبيض

إذا كان الحجر أبيضاً وكان محكّه أصفراً، فمن علّقه عليه يرى في المنام ما يكون في الغد ويكون صاحب فراسة صحيحة.

وإن خرج محكّه أحمر يورث حامله البركة في العمل والسّعة في الرّزق.

وإن خرج محكّه أغبر كلون الغبار، فحامله يكون مقضي الحاجة عند الناس.

وإن خرج محكّه بنفسجياً يكون صاحبه طيّب النفس، مرتاح القلب يأنس به الناس.

وإن خرج محكّه أخضر فهو يعمل لسرعة الحصاد وزيادة ثمار الأشجار تعليقاً في البستان.

وإن خرج محكّه أسود فهو نافع للسمّ سواء شرب من محكّه أو تعليقاً عليه، والله أعلم.

الحجر الأحمر

إذا كان الحجر أحمراً وخرج محكّه أبيض، فإنّ حامله يكون مبروك العمل مقضي الحاجة.

وإن خرج محكّه أسود يكون حامله عالي الهمّة منصوراً أمام كل من يقابله.

وإن خرج محكّه أصفر، فمن ربطه على عضده أحبّه الناس.

وإن خرج محكّه أخضر فلا يؤثر في حامله السلاح، واللّه أعلم.

الحجر الأخضر

إذا كان الحجر أخضراً وخرج محكّه أبيضاً، فهو نافع لغرس الزرع إذا جعل في خرقة ودفن في الزرع فإنّه ينبت أحسن نبات بإذن اللّه تعالى.

وإن خرج محكّه أسود، فإنّ حامله تجلب له الأرزاق وتكثر البركة في ماله.

وإن خرج محكّه أصفر، فهو نافع لكلّ داء.

وإن خرج محكّه أحمر، يكون حامله مرزوقاً بالمال والعطاء والإنس.

وإن خرج محكّه كلون التراب، فهو نافع لعلاج الأمراض، واللّه أعلم.

الحجر الأسود

إذا كان الحجر أسوداً وخرج محكّه أبيض، فهو نافع للمسموم إذا وضع على موضع اللدغ يخرج السمّ كله.

وإن خرج محكّه أصفر، فحامله يورث القوّة والنشاط، وإذا علّق في بيت أمن أهله من كل داء وعين.

وإن خرج محكّه أخضر، يأمن حامله من لدغ الهوام، واللّه أعلم.

الحجر الأصفر

إذا كان الحجر أصفراً وخرج محكّه أبيض، فيورث لحامله الهيبة والوجاهة ويكون مسموع الكلمة.

وإن خرج محكّه أخضر، فمتى وضع الحجر على شيء يكون كثير البركة.

وإن خرج محكّه أحمر، فإن وضع تحت الوسادة، يأتيه آتٍ ويجيبه عن كلّ سؤال يسأل في المنام.

وإن خرج محكّه أسود، فهو جالب للهمّ والغمّ والفرقة، فلا فائدة فيه، والله أعلم.

الحجر البنفسجي

إذا كان الحجر بنفسجياً وكان محكّه أبيض، فيكون حامله فرحاً مسروراً غير حزين مادام معلّقاً عليه.

وإن خرج محكّه أسود، فلا ينجح في أي عمل يقدم عليه مادام الحجر عنده.

وإن خرج محكّه أصفر، فهو نافع لكلّ عمل، وإذا وضع عند ماء جار توقف وانقطع.

وإن خرج محكّه أحمر، يرى حامله كل خير ويحبّه كل من رآه.

وإن خرج محكّه أخضر، فيكون نافع للزرع ويزكو سريعاً.

الحجر الرمادي

إذا كان الحجر رمادياً لونه لون التراب وخرج محكّه أبيض، فهو نافع لقضاء الحوائج وحامله تشفق عليه قلوب الناس.

وإذا خرج محكّه أسود، فإذا اكتحل بحكاكته يكرمه الناس، وإن اكتحلت به النساء أحبهنّ أزواجهن.

وإن خرج محكّه أصفر، يثني على حامله كلّ من رآه.

وإن خرج محكّه أحمر، فحامله يحبّه كل من رآه ويكون مرزوقاً في معاشه ومقضي الحاجة.

وإن خرج محكّه أخضر، أكرم حامله كل من جالسه، والله أعلم.

خلق الملائكة

إنّ الاعتقاد بوجود الملائكة من الأصول الثابتة في العقيدة الإسلامية، وهي بمنزلة الاعتقاد بالرسل والكتب السماوية، قال تعالى: ﴿آمنَ الرسولُ بما أُنزل إليه من ربِّه والمؤمنون كلٌّ آمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله﴾[1] وقال تعالى: ﴿ومن يكفر باللَّه وملائكته وكتبِهِ ورسلِهِ واليوم الآخر فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً﴾[2] وغيرها من الآيات التي تقرن الإيمان بالملائكة مع الإيمان باللَّه ورسله وكتبه واليوم الآخر.

والملائكة عليهم السلام تمثّل وتصوّر قوّة اللَّه تعالى، ولهذا لا أحد يستطيع تقدير قوة الملائكة أو حتّى حصر عددهم ﴿وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو﴾[3]، غير أنّ العقل اهتدىٰ إلى بعضهم عن طريق أخبار صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وأوصيائه المعصومين عليهم السلام، حتى قالوا: ما من ذرّة من ذرّات العالم إلاّ وقد وكّل بها ملك أو ملائكة، وما من قطرة إلاّ ومعها ملك ينزل بها من السحاب ويدعها في المكان الذي قدّره اللَّه تعالى لها، فهذا حال الذرّات والقطرات فما ظنّك بالأفلاك والكواكب والهواء والغيوم والرياح والأمطار والجبال والقفار والبحار والعيون والأنهار والمعادن والنبات والحيوان والإنسان وغيرها من

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(٢) سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٣) سورة المدثر: الآية ٣١.

المخلوقات، فالملائكة جند اللّه الذي بهم تدبير وصلاح حركة الموجودات تحت قدرة العزيز العليم.

ونبدأ بأخبار خلق الملائكة واللّه الموفّق.

في أنّ الملائكة خلقوا من نور ولم تضمّهم الأرحام، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال في حديث: إنّ اللّه عزّ وجلّ خلق الملائكة من نور.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماواتك إلى أن قال لم يسكنوا الأصلاب ولم تضمّهم الأرحام، ولم تخلقهم من ماء مهين أنشأتهم إنشاءً، فأسكنتهم سماواتك وأكرمتهم بجودك وإئتمنتهم على وحيك وجنبتهم الآفات(١).

وعنه عليه السلام في حديث مع كعب الأحبار بعد ذكر خلق السموات، قال: وجعل في كلّ سماء ساكناً من الملائكة خلقتهم معصومين من نور من بحور عذبة، وهي بحر الرحمة، وجعل طعامهم التسبيح والتهليل والتقديس(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: خلق اللّه من نور وجه علي بن أبي طالب عليه السلام سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبّيه إلى يوم القيامة(٣).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اللّه خلق إسرافيل وجبرئيل وميكائيل من سبحة واحدة وجعل لهم السمع والبصر وموجود العقل وسرعة الفهم(٤).

كثرة الملائكة

﴿وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو﴾(٥).

سُئل أبي عبد اللّه عليه السلام عن الملائكة أكثر أم بنو آدم فقال عليه السلام: والذي

---

(١) بحار الأنوار.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.
(٤) بحار الأنوار.
(٥) سورة المدثر: الآية ٣١.

نفسي بيده لعدد الملائكة في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلاّ وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه، ولا في الأرض شجرة ولا مدرة إلاّ وفيها ملك موكل بها يأتي اللّه كلّ يوم بعملها، واللّه أعلم بها، وما منهم أحد إلاّ ويتقرّب كلّ يوم إلى اللّه بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا، ويلعن أعداءنا، ويسأل اللّه أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً(١).

وعن النبي ﷺ قال: إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، ان السماء أطّت، وحقّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وملك واضع جبهته ساجداً للّه.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: ليس خلق أكثر من الملائكة، وإنّه لينزل كلّ يوم سبعون ألف ملك، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به، نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي ﷺ، فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلّموا عليه، ثم عرجوا، وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة(٢).

أكل وشرب ونوم الملائكة

سُئل أبي عبد اللّه عليه السلام عن نوم الملائكة فقال: ما من حيّ إلاّ وينام ما خلا اللّه وحده عزّ وجلّ والملائكة ينامون، فقال السائل: يقول اللّه عزّ وجلّ يسبّحون اللّه اللّيل والنّهار لا يفترون قال عليه السلام أنفاسهم تسبيح(٣).

وعنه عليه السلام قال: إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وإنّما يتعايشون بنسيم العرش، وإنّ للّه ملائكة ركّعاً إلى يوم القيامة، وإنّ للّه ملائكة سجّداً إلى يوم القيامة(٤).

---

(١) تفسير القمي.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.
(٤) بحار الأنوار.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سمواتك، فليس فيهم فترة ولا عندهم غفلة ولا فيهم معصية، هم أعلم خلقك بك، وأخوف خلقك منك، وأقرب خلقك منك، وأعملهم بطاعتك فلا يغشاهم نوم العيون ولا سهو الغفول، ولا فترة الأبدان[1] إلى آخر الخطبة.

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال في جواب عبد الله بن سلام في صفة جبرئيل، قال: فأخبرني ما طعامه قال: طعامه التسبيح وشرابه التهليل، قال صدقت.

وسُئل أبو عبد الله عليه السلام عن الملائكة يأكلون ويشربون وينكحون فقال: لا انهم يعيشون بنسيم العرش، فقيل له ما العلّة في نومهم، فقال: فرقاً بينهم وبين الله عزّ وجلّ، لأنّ الذي لا تأخذه سِنة ولا نوم هو الله[2].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله تعالى خلق في السماء الرابعة مائة ألف ملك وفي السماء الخامسة ثلاثمائة ألف ملك، وفي السماء السابعة ملكاً رأسه تحت العرش ورجلاه تحت الثرىٰ، وملائكة أكثر من ربيعة ومضر، ليس لهم طعام ولا شراب إلاّ الصلاة على أمير المؤمنين[3].

جبرائيل عليه السلام

هو الملك الموكل بركن الخلق والإيجاد وهو الروح الأمين وأمين الوحي، له جهة وأجنحة عقلانية يطير بها في الجهات العقلية، ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، وله جهة وأجنحة نفسانية يطير بها في الجهات النفسانية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، وله جهة وأجنحة جسمانية يطير بها في الجهات الجسمانية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، فهذه ثلاثة أركان لجبرئيل عليه السلام، يتصرّف بها كما أمره الله

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) عوالم العلوم.

في العوالم الثلاثة عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك، وهذه العوالم الثلاثة هي مجموع عالم الخلق.

وجبرائيل عليه السلام من الروحانيين الذين لا يدرك وصفهم إلاّ الله تعالى، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال عن جبرائيل: **فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم ولا صفتهم إلاّ الله ربّ العالمين**[١]، وهو من أقرب الملائكة إلى الله، ففي خبر المعراج قال جبرائيل عليه السلام: **أقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل**.

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: **إنّ الله تبارك وتعالى اختار من كلّ شيء أربعة، اختار من الملائكة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت**.

وأمّا ما جاء في صفة جبرائيل وقوّته وعظمته، ففي حديث عبد الله بن سلام، قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: **فأخبرني عن جبرئيل في ذي ـ زي ـ الإناث أم في ذي ـ زي ـ الذكور؟ قال: في ذي ـ زي ـ الذكور ليس في ذي ـ زي ـ الإناث، قال فأخبرني ما طعامه وشرابه؟ قال: طعامه التسبيح وشرابه التهليل، قال صدقت يا محمد، قال فأخبرني ما طول جبرئيل؟ قال: إنه على قدر بين الملائكة ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني، له ثمانون ذؤابة وقصّة جعدة، وهلال بين عينيه، أغرّ، أدعج يخجل ضوؤه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة اللّيل، له أربعة وعشرون جناحاً خضراء مشبكة بالدرّ والياقوت، مختمة باللؤلؤ، وعليه وشاح بطانته الرحمة، ازاره الكرامة ظهارته الوقار، ريشه الزعفران ـ وفي نسخة ورأسه الزعفران ـ واضح الجبين أقنى الأنف، سايل الخدين مدور اللحيين، حسن القامة، لا يأكل ولا يشرب، ولا يمل ولا يسهو، قائم بوحي الله إلى يوم القيامة، قال: صدقت يا محمّد**[٢].

وعن ابن عباس قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قال لجبرئيل: **أحب أن أراك في الصورة التي تكون فيها بالسماء، قال: إنّك لا تقوىٰ على ذلك**،

---

(١) الاحتجاج.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.

قال: لا بدّ لي من ذلك، فقسم عليه بخاتم النبوّة، فقال جبرئيل: أين تريد ذلك؟ قال بالأبطح، قال: لا يسعني، قال بمنىٰ، قال: لا يسعني، قال بعرفات قال: لا يسعني، ولكن سر بنا إليه، فمضى رسول اللّه ﷺ إلى عرفات، وإذا هو جبرئيل بعرفات بخشخشة وكلكلة قد ملأ ما بين المشرق والمغرب، رأسه في السماء ورجلاه في الأرض السابعة، فخرّ مغشياً عليه، فتحوّل جبرئيل بصورته الأولى، وضمّه إلى صدره، وقال: يا محمّد لا تخف أنا أخوك جبرئيل، فقال: يا أخي ما ظننت أنّ اللّه خلق خلقاً في السماء يشبهك، قال: يا محمّد لو رأيت إسرافيل الذي رأسه تحت العرش ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة، واللوح المحفوظ بين حاجبيه، وأنّه إذا ذكر اسم اللّه يبقى كالعصفور(١).

ولما نزل على النبي ﷺ ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوّة﴾ سأله النبي ﷺ جبرئيل عن قوّته فقال: لما أمرني ربّي أن أدمّر مدائن لوط، حملت المدائن من الأرضين السابعة السفلى إلى السماء حتى سمع أهل السماء صياح ديكتهم، بريشة واحدة من جناحي، أنتظر أمر ربي إلى الصبح.

وسأل حمزة النبي ﷺ يوماً، أرني جبرئيل؟ فقال: اسكت، فألحّ عليه، وإذا بجبرئيل قد نزل إلى النبي ﷺ في تلك الساعة، فقال: اللّهمّ اكشف عن بصر حمزة، فقال أنظر فنظر، وإذا قدماه كالزبرجد، فخرّ مغشيّاً عليه فعرج جبرئيل، بعد أن بلغ، فقال: يا حمزة وما رأيت؟ فقال: هيهات يا سيدي أن أتعاهد هذا الفعل(٢).

في عدد أجنحته وصفاتها وخواصها وما كتب فيها:

ففي قصص الأنبياء في صفة جبرئيل عليه السلام قال كعب: إنّه أفضل الملائكة وهو الروح الأمين له شبه أجنحة في كل جناح مائة جناح، وله من وراء ذلك جناحان أخضران لا ينشرهما إلاّ في ليلة القدر، وله جناحان لا يفرشهما إلاّ عند

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.

هلاك القرى، والأجنحة كلّها من أنواع الجواهر.

وسُئل أبي عبد اللَّه عليه السلام عن قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ولقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾ قال: رأى جبرئيل على ساقه الدرّ مثل القطر على البقل له ستمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض(١).

وسُئل عبد اللَّه بن مسعود ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: رأيت جبرئيل عند سدرة المنتهىٰ له ستمائة جناح يتناثر من ريشه أكابر الدرّ والياقوت(٢).

ورُوي أنّ جبرئيل نزل على محمّد صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد تريد أن أريك بعض حظك ومنزلتك من الجنّة؟ فقال: بلىٰ يعني نعم، فكشف له عن جناح بين أجنحته وإذا هو أخضر عليه نهر عليه ألف قصر من ذهب(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل وقد نشر جناحه، فإذا فيها مكتوب، لا إله إلاّ اللَّه محمّد النبي، ومكتوب على الآخر لا إله إلاّ اللَّه عليّ الوصيّ(٤).

ومن الكرامات التي خصّ اللَّه تعالى بها جبرئيل عليه السلام، سُئل جعفر بن محمّد عليه السلام ما معنى قول اللَّه تعالى ﴿ص﴾؟ قال: ص، عين تنبع من تحت العرش، وهي التي توضىٰ منها النبي صلى الله عليه وآله لما عرج به، ويدخلها جبرئيل عليه السلام كلّ يوم دخلة، فينغمس فيها ثم يخرج منها فينفض أجنحته، فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلاّ خلق اللَّه تبارك وتعالى منها ملكاً يسبّح اللَّه ويقدّسه ويكبّره ويحمده إلى يوم القيامة(٥).

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.
(٤) عوالم العلوم.
(٥) البرهان في تفسير القرآن.

وعن عبد اللَّه بن عباس، قال: إنّ رسول اللَّه ﷺ لما أُسري به إلى السماء انتهى به إلى نهر، يقال له النور، وهو قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿جعل الظلمات والنور﴾ فلمّا انتهى به إلى ذلك النهر، قال: له جبرئيل يا محمّد اعبر على بركة اللَّه، قد نوّر اللَّه لك بصرك، ومدّ لك أمامك، فإنّ هذا نهر لم يعبره أحد، لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل، غير أنّ لي في كلّ يوم اغتماسة فيه ثم أخرج منه، فأنفض أجنحتي فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلاّ خلق اللَّه تبارك وتعالى منها ملكاً مقرّباً، له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان يلفظ كلّ لسان بلغة لا يفقهها اللّسان الآخر[١].

ورُوي أنّ جبرئيل عليه السلام، واقف بين يدي اللَّه ترعد فرائصه يخلق اللَّه من كلّ رعدة مائة ألف ملك[٢].

ومن أفضل الكرامات التي حظي بها جبرئيل عليه السلام أنّه صار من أهل البيت عليهم السلام فعن الحسن العسكري عليه السلام في حديث قال: فإنّ جبرئيل هو الذي لما حضر رسول اللَّه ﷺ، وهو قد اشتمل بعبايته القطوانية على نفسه وعلى عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقال: اللّهمّ هؤلاء أهلي، إلى أن قال وجاء جبرئيل مدّثراً وقال يا رسول اللَّه اجعلني منكم، قال: أنت منّا، قال: فأرفع العباء وأدخل معكم قال: بلى، فدخل في العباء ثم خرج وصعد إلى السماء إلى الملكوت الأعلى، وقد تضاعف حُسنه وبهاؤه، فقالت الملائكة: قد رجعت بجمال خلاف ما ذهبت به من عندنا، قال: فكيف لا أكون كذلك وقد شرّفت بأن جُعلت من آل محمّد وأهل بيته، قالت الأملاك في ملكوت السماوات والحجب والكرسي والعرش حقّ لك هذا الشرف أن تكون كما قلت[٣].

وهو عليه السلام أوّل من يبايع القائم عليه السلام عند خروجه، فعن أبي

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) روضة الواعظين.
(٣) عوالم العلوم.

عبد الله عليه السلام قال: إنّ أوّل من يبايع القائم جبرئيل ينزل عليه في صورة طير أبيض، فيبايعه، ثم يضع رجلاً على البيت الحرام ورجلاً على البيت المقدس، ثم ينادي بصوت رفيع يُسمع الخلائق أتىٰ أمر الله فلا تستعجلوه[١].

ومن نوادر جبرئيل عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل أنت مع قوّتك هل أعييت قط؟ يعني أصابك تعب ومشقّة، قال: نعم يا محمّد، ثلاث مرّات يوم ألقي إبراهيم في النّار، أوحى الله إليّ أن أدركه، فوعزّتي وجلالي لئن سبقك إلى النار لأمحونّ اسمك من ديوان الملائكة، فنزلت إليه بسرعة وأدركته بين النار والهواء، فقلت يا إبراهيم هل لك حاجة؟ قال إلى الله فنعم، وأما إليك فلا، والثانية حين أمر إبراهيم بذبح ولده اسماعيل أوحي الله إليّ أن أدركه فوعزّتي وجلالي لئن سبقك السكين إلى حلقه لأمحونّ اسمك من ديوان الملائكة، فنزلت بسرعة حتى حولت السكين وقلبتها في يده وأتيته بالفداء، والثالثة حين رُمي يوسف في الجبّ فأوحىٰ الله تعالى إليّ يا جبرئيل أدركه فوعزّتي وجلالي إن سبقك إلى قعر الجبّ لأمحونّ اسمك من ديوان الملائكة، فنزلت إليه بسرعة وأدركته إلى الفضاء ورفعته إلى الصخرة التي كانت في قعر الجب وأنزلته عليها سالماً، فعييت وكان الجبّ مأوىٰ الحيّات والأفاعي فلمّا أحسّت به قالت كلّ واحدة لصاحبتها إيّاك أن تتحرّكي فإنّ نبياً كريماً أنزل بنا وحلّ بساحتنا، فلم تخرج واحدة من وكرها، إلاّ الأفاعي فإنّها خرجت وأرادت لدغه فصحت بهنّ صيحة صمّت آذانهن إلى يوم القيامة[٢].

إسرافيل عليه السلام

هو حاجب الربّ ونافخ الأرواح في الأجساد والمبلّغ لأوامر اللّه لجبرئيل عليه السلام وهو الملك الموكل بركن الحياة، وله جهة وأجنحة عقلانية يطير بها في الجهات العقلية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، وله جهة

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.

وأجنحة نفسانية يطير بها في الجهات النفسية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، وله جهة وأجنحة جسمانية يطير بها في الجهات الجسمية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، فهذه ثلاثة أركان لإسرافيل عليه السلام يتصرّف بها كما أمره اللّه تعالى في العوالم الثلاثة: عالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الملك.

وفي صفته وعظمة قوّته، فعن ابن عباس: ان إسرافيل عليه السلام سأل اللّه أن يعطيه قوّة سبع سماوات فأعطاه اللّه، وقوّة سبع أرضين فأعطاه اللّه قوّة الجبال، وقوّة الرياح فأعطاه اللّه قوّة الثقلين، وأعطاه اللّه من لدن رأسه إلى قدميه بشعور وأفواه وألسنة مغطاة بأجنحة يسبّح اللّه بكلّ لسان ألف ألف لغة، فيصير من كلّ نفس ملك، يسبّحون اللّه إلى يوم القيامة وهم المقرّبون وحملة العرش وكرام الكاتبين، وهم على صفة إسرافيل، وينظر إسرافيل في كلّ يوم وليلة ثلاث مرّات إلى جهنّم فيذوب إسرافيل ويصير كوتر القوس، ويبكي، ولو انسكب دمعه من السماء ليطبق ما بين السماء إلى الأرض حتى يغلب على الدنيا، ولو صبّت جميع البحور والأنهار على رأس إسرافيل ما وقعت قطرة على الأرض، ولولا أنّ اللّه منع بكائه ودموعه لامتلأت الأرض بدموعه، فصار طوفان نوح، ومن عظمة إسرافيل، أنّ جبرئيل طار ثلاثمائة عام ما بين شفة إسرافيل وأنفه فلم يبلغ إلى آخره(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: بينا رسول اللّه صلى الله عليه وآله جالس وعنده جبرئيل، إذ نظر جبرئيل نحو السماء فامتقع لونه حتى صار كأنّه الكركمة، ثم لاذ برسول اللّه صلى الله عليه وآله فنظر رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى حيث نظر جبرئيل فإذا شيء قد ملأ ما بين الخافقين مقبلاً حتى كان كقاب من الأرض، ثم قال: يا محمّد عليه الصلاة والسلام، إنّي رسول اللّه إليك أخبرك أن تكون ملكاً رسولاً أحبّ إليك أو تكون عبداً رسولاً، فالتفت رسول اللّه صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل وقد رجع إليه لونه

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

فقال جبرئيل: بل كن عبداً رسولاً، ـ فقال رسول اللّه ﷺ بل أكن عبداً رسولاً ـ فرفع الملك رجله اليمنىٰ فوضعها في كبد سماء الدنيا، ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية، ثم رفع اليمنىٰ فوضعها في الثالثة، ثم انتهىٰ إلى السماء السابعة، يعد كلّ سماء خطوة وكلّما ارتفع صغر حتى صار آخر ذلك مثل الصر، فالتفت رسول اللّه ﷺ إلى جبرئيل وقال: لقد رأيتك ذعراً وما رأيته شيئاً كان أذعرني، من تغيير لونك؟ فقال: يا نبي اللّه لا تلمني أتدري من هذا، قال: لا، قال إسرافيل حاجب الربّ فلم يزل من مكانه منذ خلق اللّه السموات والأرض فلمّا رأيته منحطاً ظننت أنّه جاء بقيام الساعة، فكان الذي رأيت من تغيير لوني لذلك، فلمّا رأيت ما اصطفاك اللّه به رجع إليّ لوني ونفسي، أو ما رأيته كلّما ارتفع صغر إذ ليس شيء يدنو من الربّ إلاّ يصغر لعظمته، إن هذا حاجب الربّ وأقرب خلق اللّه منه، واللّوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، إذا تكلّم الربّ تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللّوح جبينه فنظر فيه ثم ألقاه إلينا فنسعىٰ به في السموات والأرض[1].

وهو المخبر لجبرئيل عن أوامر اللّه تعالى، ففي مسائل عبد اللّه بن سلام للنبي ﷺ قال: من أخبرك قال جبرئيل قال عمّن قال: عن إسرافيل، قال: عمّن قال: عن اللّوح المحفوظ، قال: عمّن قال: القلم، قال: عمّن قال: عن ربّ العالمين[2].

وفي قصص الأنبياء قال كعب: إسرافيل ملك عظيم الشأن له أربعة أجنحة، جناح قد سدّ به المشرق، وآخر قد سدّ به المغرب والثالث قد سدّ به من السماء إلى الأرض، والرابع قد التقم به دون عظمة اللّه تعالى، قدماه تحت الأرضين السابعة السفلىٰ ورأسه قد انتهى إلى قوائم وأركان العرش، وبين عينيه لوح جوهر، فإذا أراد اللّه عزّ وجلّ أن يحدث في عباده أمراً، أمر القلم حتى

---

(١) تفسير القمي.
(٢) بحار الأنوار.

يخطّ في اللّوح ثم أدلى اللّوح إلى إسرافيل فيكون بين عينيه، ثم ينتهي اللّوح إلى جبرئيل عليه السلام.

وهو نافخ الصور يوم الموت الأكبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن، وأصغى بالأذن حتى يؤمر فينفخ، والقرن هو الصور، وهو واضع فاه على القرن كهيئة البوق، ودائرة رأس البوق كعرض السماوات والأرض، وهو شاخص ببصره نحو العرشِ ينظر متى يؤمر فينفخ، فإذا نفخ صعق من في السموات والأرض إلاّ من شاء الله تعالى.

وعن علي بن الحسين عليه السلام: انّ اللّه يأمر إسرافيل بالنفخ فيهبط إلى الأرض ومعه الصور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرف كلّ رأس ما بين السماء والأرض، فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الأرض ومعه الصور قالت: أذن اللّه في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة، فإذا رأوه أهل الأرض قالوا: قد أذن اللّه في موت أهل الأرض، قال: فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقىٰ في الأرض ذو روح إلاّ صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء فلا يبقىٰ ذو روح في السموات إلاّ صعق ومات(١) إلى آخر الحديث.

وفي ما كتب على جبهة إسرافيل عليه السلام قال الصادق عليه السلام في حديث: ولما خلق اللّه عزّ وجلّ إسرافيل كتب على جبهته: لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه عليّ أمير المؤمنين، ولمّا خلق اللّه عزّ وجلّ جبرئيل كتب على جناحيه لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه عليّ أمير المؤمنين(٢).

ميكائيل عليه السلام

وهو الملك الموكّل بركن الرّزق، له جهة وأجنحة عقلانية يطير بها في

---

(١) تفسير القمي.
(٢) عوالم العلوم.

الجهات العقلية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، وله جهة وأجنحة نفسانية يطير بها في الجهات النفسية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، وله جهة وأجنحة جسمانية يطير بها في الجهات الجسمية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، فهذه ثلاثة أركان لميكائيل عليه السلام يتصرّف بها كما أمره اللَّه تعالى في العوالم الثلاثة: عالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الملك.

وفي خبر ابن عباس: ميكائيل خلقه اللَّه بعد إسرافيل بخمسمائة عام من رأسه إلى قدمه شعوره من الزعفران، وأجنحته من زبرجد أخضر على كلّ شعرة ألف ألف وجه في كلّ وجه ألف ألف فم، وفي كلّ فم ألف ألف لسان، وعلى كلّ لسان ألف ألف عين تبكي رحمة على المذنبين من المؤمنين، فيقطر من كلّ عين سبعون ألف ألف قطرة فيصير ملكاً على صورة ميكائيل وأسماؤهم الكروبيون، وهم أعوان لميكائيل موكلون على القطر والنبات والأوراق والثمار، فما من قطرة في البحار ولا ثمرة على الأشجار إلاّ وعليها ملك موكل[1].

وفي حديث كعب قال: ميكائيل عليه السلام لا يعرف أحد صفته ولا صفة ريشه ولا عدد أجنحته ولا يقدر أحد على وصف تسبيحه إلاّ اللَّه تعالى، ولو أنّ هذا الملك يفرغ فاه لم تكن السماوات والأرضون في فيه إلاّ كالخردلة في البحر الأعظم، ولو أنّ هذا الملك أشرف على أهل السماوات الأرض لاحترقوا من نوره.

ملك الموت عزرائيل عليه السلام

وهو الملك الموكل بركن الممات، له جهة وأجنحة عقلانية يطير بها في الجهات العقلية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، وله جهة وأجنحة نفسانية يطير بها في الجهات النفسية ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، وله جهة وأجنحة جسمانية يطير بها في الجهات الجسمية

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

ويتبعه في تلك الجهات أعوانه المجانسون لها، فهذه ثلاثة أركان لعزرائيل عليه السلام يتصرّف بها كما أمره اللّه تعالى في العوالم الثلاثة: عالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الملك.

ووجهه عليه السلام مقابل اللّوح المحفوظ، له أعوان بعدد من يموت، والخلق كلّهم بين عينيه، لا يقبض روح مخلوق إلاّ بعد أن يستوفي رزقه وينقضي أجله.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي إلى السماء رأيت في السماء الثالثة رجلاً، رِجل له في المشرق ورِجل له في المغرب، وبيده لوح ينظر فيه ويحرّك رأسه، قلت: يا جبرئيل من هذا قال: ملك الموت[1].

وعنه صلى الله عليه وآله قال: يا أبا ذر لمّا أُسري بي إلى السماء مررت بملك جالس على سرير من نور على رأسه تاج من نور، وإحدى رجليه في المشرق والأخرى بالمغرب بين يديه لوح ينظر فيه، والدنيا كلّها بين عينيه، والخلق بين ركبتيه، ويده تبلغ المشرق والمغرب فقلت: يا جبرئيل من هذا، فما رأيت من ملائكة ربّي جلّ جلاله أعظم خلقاً منه؟ فقال: عزرائيل ملك الموت، أدن فسلّم عليه، فدنوت منه فقلت سلام عليك حبيبي ملك الموت فقال: وعليك السلام يا أحمد، وما فعل ابن عمّك علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت: وهل تعرف ابن عمّي؟ قال: وكيف لا أعرفه، فإنّ اللّه جلّ جلاله وكلني بقبض الأرواح ما خلا روحك وروح عليّ بن أبي طالب، فإنّ اللّه يتوفّاهما بمشيته[2].

وفي بعض صفات عمل ملك الموت عليه السلام، قال أبو عبد اللّه عليه السلام: ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلاّ وملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات[3].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) من آل أبي طالب.
(٣) الكافي.

وعنه عليه السلام قال: إنّ الميّت إذا حضره ملك الموت أوثقه ملك الموت ولولا ذلك ما استعر[١].

وفي بعض الأخبار: انّ اللّه خلق شجرة فرعها تحت العرش مكتوب على كلّ ورقة من ورقها اسم عبد من عبيده، فإذا جاء أجل عبد سقطت تلك الورقة التي فيها اسمه في حجر ملك الموت فأخذ روحه في الوقت[٢].

وسُئل أبي عبد اللّه عليه السلام جُعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟ قال: لا إنّما هي صكاك تنزل من السماء إقبض نفس فلان بن فلان[٣].

وفي بعض الأخبار انّ الدنيا كلّها بين يدي ملك الموت كالمائدة بين يدي الرجل يمدّ يده إلى ما شاء منها، فيتناوله ويأكل ملأ الدنيا مشرقها ومغربها برّها وبحرها، وكلّ ناحية منها أقرب إلى ملك الموت من الرجل على مائدته، وأنّ معه أعواناً اللّه أعلم بعدّتهم، ليس منهم ملك إلاّ لو أذن له أن يلتقم سبع السموات والأرضين السبع في لقمة واحدة لفعل، وأنّ غصّة من غصص الموت أشدّ من ألف ضربة بالسيف، وكلّ ما خلق اللّه عزّ وجلّ يتركه إلى الأجل، فإنّه موقت لوفاء العدّة وانقضاء المدة[٤].

وفي كيفية قبضه لروح المؤمن، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حضر رسول اللّه صلى الله عليه وآله رجلاً من الأنصار وكانت له حالة حسنة عند رسول اللّه صلى الله عليه وآله فحضره عند موته، فنظر إلى ملك الموت عند رأسه، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: إرفق بصاحبي فإنّه مؤمن، فقال له ملك الموت: يا محمّد طب نفساً وقرّ عيناً فإنّي بكلّ مؤمن رفيق شفيق، واعلم يا محمّد إني لأحضر ابن آدم عند قبض روحه، فإذا قبضته صرخ صارخ من أهله، عند ذلك فأتنحىٰ في جانب الدار

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الكافي.
(٤) البرهان في تفسير القرآن.

ومعي روحه، فأقول لهم واللّه ما ظلمناه ولا سبقنا به أجله ولا استعجلنا به قدره، وما كان لنا في قبض روحه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع اللّه وتصبروا تؤجروا وتحمدوا، وإن تجزعوا وتسخطوا تأثموا وتؤزروا، وما لكم عندنا من عتبىٰ، وان لنا عندكم أيضاً لبقية وعودة فالحذر الحذر، فما من أهل بيت مدر ولا شعر في برّ ولا بحر إلاّ وأنا أتصفحهم في كلّ يوم خمس مرّات عند مواقيت الصلاة، حتى أنا لأعلم منهم بأنفسهم، ولو أني يا محمّد أردت قبض نفس بعوضة ما قدرت على قبضها حتى يكون اللّه هو الآمر بقبضها، وإني لملقن المؤمن عند موته شهادة أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّد رسول اللّه ﷺ[(١)].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول اللّه ﷺ: إذا أراد اللّه تبارك وتعالى قبض روح عبده المؤمن، قال: يا ملك الموت انطلق أنت وأعوانك إلى عبدي، فطالما نصب نفسه من أجلي، فأتني بروحه لأريحه عندي، فيأتيه ملك الموت بوجه حسن، وثياب طاهرة، وريح طيبة، فيقوم بالباب، فلا يستأذن بواباً، ولا يهتك حجاباً ولا يكسر باباً، معه خمسمائة ملك أعوان، معهم طنان الريحان، والحرير الأبيض، والمسك الأزفر، فيقولون: السلام عليك يا وليّ اللّه، أبشر فإنّ الربّ يقرؤك السلام، أما أنّه عنك راضٍ غير غضبان، وأبشر بروْح وريحان وجنّة نعيم، قال: أما الروْح فراحة من الدنيا وبلواها، وأمّا الريحان من كل طيب في الجنّة، فيوضع على ذقنه فيصل ريحه إلى روحه، فلا يزال في راحة حتى يخرج نفسه، ثم يأتيه رضوان خازن الجنّة، فيسقيه شربة من الجنّة لا يعطش في قبره، ولا في القيامة حتى يدخل الجنّة ريّاناً، فيقول يا ملك الموت ردّ روحي حتى تثني روحي على جسدي، وجسدي على روحي، قال: فيقول ملك الموت: ليثن كلّ واحد منكما على صاحبه، فتقول الروح جزاك اللّه من جسد خير الجزاء لقد كنت في طاعة اللّه مسرعاً وعن معاصيه مبطئاً فجزاك اللّه عنّي من جسد خير الجزاء، فعليك السلام إلى يوم القيامة، ويقول الجسد للروح مثل ذلك، فيصيح ملك الموت أيتها الروح الطيبة اخرجي من الدنيا مؤمنة

---

(١) الكافي.

مرحومة مغتبطة، قال: فرقّت به الملائكة وفرّجت عنه الشدائد وسهّلت له الموارد، وصار لحيوان الخلد، قال: فبعث اللّه له صنفين من الملائكة غير القابضين لروحه فيقومون سماطين ما بين منزله إلى قبره، يستغفرون له ويشفعون له، قال: فيعلّله ملك الموت، ويمنّيه ويبشّره عن اللّه بالكرامة والخير كما يخادع الصّبي أمّه تمرخه بالدهن والريحان وبقاء النفس، وتفديه بالنفس والوالدين، قال: فإذا بلغت الحلقوم، قال الحافظان اللذان معه يا ملك الموت إرأف بصاحبنا وأرفق، فنعم الأخ كان ونعم الجليس، لم يملِ إلينا ما يسخط اللّه قط، فإذا خرجت روحه خرجت كالنخلة بيضاء وضعت في مسكة بيضاء، ومن كلّ ريحان في الجنّة، فأدرجت إدراجاً، وعرج بها القابضون إلى السماء الدنيا، قال: فيفتح له أبواب السماء ويقول لها البوابون: حيّاها اللّه من جسد كانت فيه، لقد كان يمرّ له علينا عمل صالح، ونسمع حلاوة صوته بالقرآن، قال: فيبكي له أبواب السماء والبوابون لفقدها، فتقول: يا ربّ قد كان لعبدك هذا عمل صالح وكنّا نسمع حلاوة صوته بالذكر للقرآن، ويقولون: اللّهمّ ابعث لنا مكانه عبداً صالحاً يسمعنا ما كان يسمعنا ويصنع اللّه ما يشاء، فيصعد به إلى عيش رحب، به ملائكة السماء كلّهم أجمعون، ويشفعون له ويستغفرون له، ويقول اللّه تبارك وتعالى: رحمتي عليه من روح، وتلقاه أرواح المؤمنين كما يلتقي الغائب غائبه، فيقول بعضهم لبعض: ذروا هذه الروح حتى تفيق فقد خرجت من كرب عظيم، وإذا هو استراح أقبلوا عليه يسألونه ويقولون ما فعل فلان بن فلان ـ وفي نسخة فلان وفلان ـ وإن كان قد مات بكوا واسترجعوا ويقولون ذهبت به أم الهاوية فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، قال: فيقول اللّه ردّوها على قبره فمنها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى[(١)].

وفي كيفية قبضه لروح الكافر، فعن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أراد اللّه قبض روح الكافر قال: يا ملك الموت انطلق أنت وأعوانك إلى عدوّي، فإني قد أبليته فأحسنت البلاء، ودعوته إلى دار السلام فأبىٰ إلاّ أن يشتمني وكفر بي

(١) الاختصاص.

وبنعمتي وشتمني على عرشي، فاقبض روحه حتى نكبّه إلى النار، قال: فيجيئه ملك الموت بوجه كالح، عيناه كالبرق الخاطف، وصوته كالرعد القاصف، لونه كقطع اللّيلِ المظلم، نَفَسه كلهب النار، رأسه في السماء الدنيا، ورجلاً في المشرق ورجلاً في المغرب، وقدماه في الهواء، معه سفود كثير الشعب معه خمسمائة ملك أعواناً، معهم سياط من لهب جهنّم، ومعهم مسح أسود وجمرة من جمر جهنّم، ثم يدخل عليه ملك من خزّان جهنّم يقال له سحفطائيل فيسقيه شربة من نار، لايزال منها عطشاناً حتى يدخل النار، فإذا نظر إلى ملك الموت شخص بصره وطار عقله، فقال: يا ملك الموت ارجعوني، قال: فيقول ملك الموت: ﴿كلاً إنّها كلمة هو قائلها﴾ قال، فيقول: يا ملك الموت فإلى من أدع مالي وأهلي وولدي وعشيرتي وما كنت فيه من الدنيا؟ فيقول: دعهم لغيرك، واخرج إلى النّار، قال: فيضربه بالسفود ضربة فلا يبقى منه شعبة إلاّ أثبتها في كلّ عرق ومفصل، ثم يجذبه جذبة فيسلّ روحه من قدميه نشطاناً، فإذا بلغت الركبتين أمر أعوانه فأكبّوا عليه بالسياط ضرباً ثمّ يرفعه عنه فيذيقه سكراته وغمراته قبل خروجها، كأنها ضرب بألف سيف فلو كان له قوّة الجن والإنس لاشتكى كلّ عرق منه على حياله بمنزلة سفود كثير الشعب ألقي على صوف مبتل ثمّ يطوقه فلم يأت على شيء إلاّ انتزعه، كذلك خروج نفس الكافر من عرق ومفصل وشعره، فإذا بلغت الحلقوم ضربت الملائكة وجهه ودبره وقيل: ﴿اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على اللّه غير الحقّ وكنتم عن آياته تستكبرون﴾(١) وذلك قوله: ﴿يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذٍ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً﴾(٢) فيقولون حراماً عليكم الجنّة محرماً، وقال: يخرج روحه فيضعها ملك الموت بين مطرقة وسندان فيفضخ أطرف أنامله، وآخر ما يشدخ منه العينان، فيسطع له ريح منتن يتأذى منه أهل السماء كلّهم أجمعون فيقولون: لعنة اللّه عليها من روح كافرة منتنة خرجت من الدنيا،

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٣.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٢.

فيلعنه اللّه ويلعنه اللاعنون، فإذا بروحه إلى السماء الدنيا، أغلقت عنه أبواب السماء وذلك قوله: ﴿لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾(١) يقول اللّه ردّوها عليه، فمنها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى(٢).

روح القدس

﴿تنزّل الملائكة والروح فيها﴾(٣).

روح القدس هو خلق أعظم من جبرئيل وإسرافيل وميكائيل والملائكة، قد جاء في وصفه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: هو ملك له سبعون ألف وجه ولكلّ وجه سبعون ألف لسان لكلّ لسان سبعون ألف لغة يسبّح اللّه تعالى بتلك اللّغات كلّها، ويخلق اللّه تعالى من كلّ تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة، ولم يخلق اللّه خلقاً أعظم من الروح غير العرش ولو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل(٤).

ووظيفة روح القدس التسديد والتأييد لرسول اللّه صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده عليهم السلام، ونذكر ما جاء بالأخبار بهذا الصدد.

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾ قال: خلق من خلق اللّه عزّ وجلّ أعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول اللّه صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده(٥).

وعن أبي بصير قال: كنت مع أبي عبد اللّه عليه السلام فذكر شيئاً من أمر

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٠.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.
(٣) سورة القدر: الآية ٤.
(٤) بحار الأنوار.
(٥) الكافي.

الإمام إذا ولد، فقال استوجب زيارة الروح في ليلة القدر، فقلت له: جُعلت فداك أليس الروح جبرئيل، فقال: جبرئيل من الملائكة والروح أعظم من الملائكة أليس أن اللّٰه عزّ وجلّ يقول: ﴿تنزّل الملائكة والروح فيها﴾[١].

وسُئل عليه السلام عن قول اللّٰه عزّ وجلّ: ﴿يسألونك عن الروح﴾ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممّن مضىٰ غير محمّد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يسددهم، وليس كلّ ما طلب وجد[٢].

وعن جعيد الهمداني قال قلت: للحسين عليه السلام جُعلت فداك بأي شيء تحكمون قال: يا جعيد نحكم بحكم آل داوود فإذا عيينا عن شيء تلقانا به روح القدس[٣].

وعن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: إنّ اللّٰه تبارك وتعالى خلق روح القدس، ولم يخلق خلقاً أقرب إليه منها، وليست بأكرم خلقه عليه، فإذا أراد أمراً ألقاه إليها، فألقاه إلى النجوم فجرت به.

وعنه عليه السلام قال في قوله: ﴿والسماء والطارق﴾ السماء في هذا الموضع أمير المؤمنين عليه السلام، والطارق الذي يطرق الأئمة من عند ربّهم ممّا يحدث باللّيل والنّهار، وهو الروح الذي مع الأئمة يسددهم.

الكرام الكاتبين

هما الملكان الموكلان بالإنسان، يكتبان ما يلفظ ويعمل وينوي، فعن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: ما من أحد إلاّ ومعه ملكان يكتبان ما يلفظه، ثم يرفعان ذلك إلى ملكين فيثبتان ما كان من خير أو شرّ، ويلقيان ما سوىٰ ذلك[٤].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) عوالم العلوم.

(٤) البرهان في تفسير القرآن.

والكرام الكاتبين هم الذين يحفظون ابن آدم من الآفات ومردة الشياطين وهوام الأرض، وذلك للمؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿كلاً بل تكذبون بالدين * وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين﴾[1] وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله يحفظونه من أمر الله، ثم قال: ما من عبد إلاّ ومعه ملكان يحفظانه، فإذا جاء الأمر من عند الله خليا بينه وبين أمر الله[2].

وسُئل عليه السلام ما علّة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم، والله عالم السرّ وما هو أخفىٰ، قال: استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة وعن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبد يهمّ بمعصية فذكر مكانها فارعوى وكف، فيقول ربّي يراني وحفظتي على ذلك تشهد، وأنّ الله برأفته ولطفه أيضاً وكلّهم بعباده يذبّون عنهم مردة الشياطين وهوام الأرض وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله عزّ وجلّ.

مقعد الملكين ومدادهما وقلمهما:

في مسائل ابن سلام إلى أن قال النبي صلى الله عليه وآله: مع كلّ عبد ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات، قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني عن مقعد الملكين من العبد وما قلمهما وما دواتهما وما لوحهما وما مدادهما، قال: يابن سلام مقعدهما على كتفيه، وقلمهما لسانه، ودواتهما فمه، ومدادهما ريقه، ولوحهما فؤاده يكتبان أعماله إلى مماته قال: صدقت.

وسأل الصادق عليه السلام أبا حنيفة أين مقعد الكاتبين قال: لا أدري قال: مقعدهما على الناجدين، والفم الدواة واللّسان القلم، والريق المداد[3].

---

(١) سورة الانفطار: الآية ١١.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) المصدر السابق.

وفي بعض صفات عمل الكرام الكاتبين:

قال رسول اللّه ﷺ: أربع من كنّ فيه لم يهلك على اللّه بعدهنّ إلاّ هالك، يهمّ العبد بالحسنة فيعملها، فإن هو لم يعملها كتب اللّه له حسنة بحسن نيته، وإن هو عملها كتب اللّه له عشراً، أو يهمّ بالسيئة أن يعملها، فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء، وإن هو عملها أجّل سبع ساعات، وقال: صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو صاحب الشمال، لا تعجل على أن يتبعها بحسنة تمحوها، فإنّ اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿إنّ الحسنات يذهبن السيئات﴾ أو استغفر، فإن قال أستغفر اللّه الذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم الغفور الرحيم ذي الجلال والإكرام وأتوب إليه، لم يكتب عليه شيء، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة ولا استغفار، قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات أكتب على الشقي المحروم على أنّه الشقي المحروم[١].

وعن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ المؤمنين إذا قعدا يحدّثان، قالت الحفظة بعضها لبعض اعتزلوا بنا فلعلّ لهما سراً وقد ستر اللّه عليهما، فقلت أليس اللّه عزّ وجلّ يقول: ﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾ فقال: يا إسحاق، إن كانت الحفظة لا تسمع فإنّ عالم السرّ يسمع ويرى[٢].

وسُمع أبو إبراهيم عليه السلام يقول: إذا مرض المؤمن أوحى اللّه عزّ وجلّ إلى صاحب الشمال لا تكتب على عبدي مادام في حبسي ووثاقي ذنباً، ويوحي إلى صاحب اليمين أن اكتب لعبدي ما كنت تكتب له في صحته من الحسنات[٣].

وعن النبي ﷺ قال: إنّ اللّه ينهاكم من التعرّي فاستحيوا من ملائكة اللّه

---

(١) الكافي.
(٢) عوالم العلوم.
(٣) بحار الأنوار.

الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلاّ عند إحدى ثلاث حاجات، الغائط والجنابة والغسل(١).

ونختم هذا الباب بهذه البشارة عن النبي ﷺ قال: ما من حافظين يرفعان إلى اللّه تعالى ما حفظا، في أول الصحيفة خيراً وفي آخرها خيراً إلاّ قال لملائكته اشهدوا أني غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة(٢).

حملة العرش

﴿ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾(٣)، ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربّنا وسِعْتَ كلّ شيءٍ رحمةً وعلماً فاغفر للّذين تابوا واتّبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾(٤).

عن العسكري عليه السلام قال: قال رسول اللّه ﷺ: إنّ اللّه لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستين ألف ركن، وخلق عند كلّ ركن ثلاثمائة ألف وستين ألف ملك لو أذن اللّه تعالى لأصغرهم فالتقم السموات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلاّ كالرملة في المفازة الفضفاضة، فقال لهم اللّه يا عبادي احتملوا عرشي هذا فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه، فخلق اللّه عزّ وجلّ مع كلّ واحد منهم واحداً، فلم يقدروا أن يزعزعوه، فخلق اللّه مع كلّ واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحركوه، فخلق اللّه بعدد كلّ واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحركوه، فقال اللّه عزّ وجلّ لجميعهم خلّوه عليّ أمسكه بقدرتي، فخلّوه فأمسكه اللّه عزّ وجلّ بقدرته، ثم قال لثمانية منهم احملوه أنتم، فقالوا: يا ربّنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجمّ الغفير فكيف نطيقه الآن

---

(١) عوالم العلوم.
(٢) روضة الواعظين.
(٣) سورة الحاقة: الآية ١٧.
(٤) سورة غافر: الآية ٧.

دونهم، فقال اللّه عزّ وجلّ: لأنّي أنا اللّه المقرّب للبعيد والمذلل للعبيد والمخفف للشديد والمسهّل للعسير، أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد، أعلمكم كلمات تقولونها يخفف بها عليكم، قالوا: وما هي قال: تقولون بسم اللّه الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العليّ العظيم وصلّى اللّه على محمّد وآله الطيبين، فقالوها فحملوه وخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوي، فقال اللّه عزّ وجلّ لسائر تلك الأملاك: خلّوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه وطوفوا أنتم حوله وسبّحوني ومجّدوني وقدّسوني، فأنا اللّه القادر على ما رأيتم وعلى كل شيء قدير[1].

وعن أبي عبد اللّه قال: إنّ حملة العرش ثمانية كلّ واحد منهم له ثمانية أعين كلّ عين طباق الدنيا[2].

هاروت وماروت

﴿وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنّما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلّمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارّين به من أحد إلاّ بإذن اللّه﴾[3].

هاروت وماروت من جنس ملائكة اللّه المنزّهة والمطهّرة عن الشرك والمعصية، وذلك لأنّ الملائكة جبلت على الطاعة والعصمة من الذنوب بنصّ القرآن، وما رُوي أنّ هاروت وماروت نزلت بهما الشهوة وعملا الحرام، فهذه روايات الخلط والدسّ التي يدفعها القرآن الكريم، وإنما نزلوا إلى الأرض فتنة للناس وامتحان، بتعليم فكّ السحر بالسحر، وما كانا يعلمان أحد إلاّ ويقولان له إنما نحن فتنة فلا تكفر باستعمال ما تعلّمته من إبطال السحر على استعمال السحر.

قيل للحسن أبي القائم عليه السلام: فإنّ قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت

---

(١) بحار الأنوار.

(٢) البرهان في تفسير القرآن.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم، وأنزلهما اللّه مع ثالث لهما إلى الدنيا، وأنّهما افتتنا بالزهرة وأرادا الزنا بها وشربا الخمر وقتلا النفس المحترمة، وأنّ اللّه تعالى يعذّبهما ببابل، وأنّ السحرة منهما يتعلّمون السحر، وأنّ اللّه مسخ تلك المرأة وهذا الكوكب الذي هو الزهرة، فقال الإمام عليه السلام: معاذ اللّه من ذلك، انّ ملائكة اللّه معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف اللّه، قال اللّه عزّ وجلّ فيهم: ﴿لا يعصون اللّه ما أمرهم﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿وله ما في السماوات والأرض من عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾ وقال عزّ وجلّ في الملائكة أيضاً: ﴿بل عباد مكرّمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾(١)، ثم قال عليه السلام: لو كان كما يقولون كان اللّه قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء على الأرض وكانوا الأنبياء في الدنيا أو كالأئمة، فيكون من الأنبياء والأئمة قتل النفس والزنى، ثم قال عليه السلام أولست تعلم أنّ اللّه عزّ وجلّ لم يخل الدنيا قط من نبي أو إمام من البشر، أوليس اللّه عزّ وجلّ يقول: وما أرسلنا قبلك، يعني الخلق إلاّ رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى، فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكّاماً، وإنّما أرسلوا إلى أنبياء اللّه.

وعن الصادق عليه السلام قال: وكان بعد نوح عليه السلام، قد كثرت السحرة والمموّهون، فبعث اللّه تعالى ملكين إلى نبي ذلك الزمان، بذكر ما يسحر به السحرة، وذكر ما يبطل به سحرهم ويرد به كيدهم، فتلقاه النبي عليه السلام عن الملكين وأدّاه إلى عباد اللّه بأمر اللّه، وأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس، وهذا كما يدلّ على السم ما هو، وعلى ما يدفع به غائلة السمّ، ثم يقال لمتعلّم ذلك هذا السمّ فمن رأيته سمّ فادفع عنه غائلته بكذا، وإيّاك أن تقتل بالسمّ أحداً، ثم قال: ﴿وما يعلّمان من أحد﴾ وهو أنّ النبي أمر الملكين أن يظهرا للناس بصورة بشرين ويعلّماهم ما علّمهما اللّه من

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

ذلك، ويعظاهم فقال اللّٰه تعالى: ﴿وما يعلّمان من أحد﴾ ذلك السحر وإبطاله حتي يقولا للمتعلّم: ﴿إنّما نحن فتنة﴾ امتحان للعباد ليطيعوا اللّٰه تعالى فيما يتعلّمون من هذا ويبطلون به كيد السحرة، ولا يسحروهم، وقوله: ﴿فلا تكفر﴾ باستعمال هذا وطلب الإضرار به، ودعاء الناس إلى أن يعتقدوا بك تحيي وتميت وتفعل ما لا تقدر عليه إلاّ اللّٰه تعالى، فإنّ ذلك كفر، قال تعالى: ﴿فيتعلمون﴾ يعني طالبي السحر ﴿منهما﴾ يعني مما كتبت الشياطين على ملك سليمان من النيرنجات(١) إلى آخر تفسير الآية.

الكروبيين

وهم صنف من ملائكة اللّٰه العظام الذين لا يدرك ذواتهم إلاّ اللّٰه تعالى.

عن أبي عبد اللّٰه عليه السلام قال: إنّ الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول، جعلهم اللّٰه خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا سأل ربّه ما سأل، أمر واحداً من الكروبيين تجلّى للجبل فجعله دكّاً(٢).

ملك السّجل

عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ في الهواء ملكاً يقال له اسماعيل، على ثلاثة ألف ملك كلّ واحد منهم على مائة ألف، يحصون أعمال العباد، فإذا كان رأس السنة بعث اللّٰه إليهم ملكاً يقال له السّجل، فانتسخ ذلك منهم، وهو قول اللّٰه تبارك وتعالى: ﴿يوم نطوي السماء كطيّ السّجل للكتب﴾(٣).

وفي تفسير القمي قال: قال السّجل الملك الذي يطوي الكتب، ومعنى نطويها أي نفنيها فتتحوّل دخاناً والأرض نيراناً.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) بصائر الدرجات.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.

الملك فطرس

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ اللّه عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فقبلها الملائكة وأباها ملك يقال له فطرس، فكسر اللّه جناحه فلمّا ولد الحسين بن عليّ عليه السلام بعث اللّه جبرئيل في سبعين ألف ملك إلى آل محمّد عليهم السلام، يهنّئهم بولادته، فمرّ بفطرس، فقال له فطرس يا جبرئيل إلى أين تذهب، قال: بعثني اللّه إلى محمّد صلى الله عليه وآله أهنئهم بمولود ولد في هذه اللّيلة، فقال له فطرس: احملني معك، وسل محمداً يدعو لي فقال له جبرئيل: إركب جناحي فركب جناحه، فأتى محمّداً صلى الله عليه وآله فدخل عليه وهنّاه، فقال له: يا رسول اللّه إنّ فطرس بيني وبينه أخوّة، وسألني أن أسألك أن تدعو اللّه له أن يردّ عليه جناحه، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لفطرس أتفعل قال: نعم، فعرض عليه رسول اللّه صلى الله عليه وآله ولاية أمير المؤمنين فقبلها[1]، فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله شأنك بالمهد فتمسّح به، وتمرّغ فيه، قال فمضى فطرس إلى مهد الحسين بن علي ورسول اللّه يدعو له، قال قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: فنظرت إلى ريشه وأنّه ليطلع ويجري منه الدم ويطول حتى لحق بجناحه الآخر، وعرج مع جبرئيل إلى السماء فصار إلى موضعه ـ وهو يقول من مثلي وأنا عتيق الحسين، وآلا على نفسه أن يوصل سلام كلّ من يسلم على الحسين بن علي إلى قبره، فما من أحد يسلّم على الحسين عليه السلام إلاّ وسلامه يصل إلى قبر الحسين بواسطة الملك فطرس ـ[2].

---

(١) أقول واللّه أعلم إنّ الولاية من الأمور الصعبة المستصعبة لا يدرك كمال حقيقتها إلاّ من هو في سنخها، والقابل يأخذ منها بقدر رتبته، فكلّما كان القابل ذو رتبة رفيعة ودرجة عالية كان قبوله لحقائق وأسرار الولاية أكثر، ففي الحديث أمرنا صعب مستصعب لا يتحمّله إلاّ ملك مقرّب، فالملك غير المقرّب لا يتحمّل بعض أسرار الولاية ويأباها، فالولاية التي عرضت على فطرس عليه السلام كانت فوق رتبته فلم يتحمّلها ولهذا أباها في البدء، وبعد استيعابه لها بالعبادة والتصفية قبلها، وهناك أسباب حكمية لكسر جناحه ولكن نكتفي بهذا القدر لكي لا نخرج عن الموضوع فيما نحن بصدده.

(٢) عوالم العلوم.

بعض أصناف الملائكة

﴿جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن اللّه على كلّ شيء قدير﴾[١].

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق ملكاً في صورة ديك أبحّ أشهب، براثنه في الأرضين السابعة السفلىٰ، وعرفه مثني تحت العرش، له جناحان، جناح في المشرق وجناح في المغرب واحد من نار، والآخر من ثلج، فإذا حضر وقت الصلاة قام على براثنه ثم رفع عنقه من تحت العرش، ثم صفق بجناحيه كما تصفق الديوك في منازلكم، فلا الذي من النار يذيب الثلج، ولا الذي من الثلج يطفىء النار، فينادي أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عبده وسيّد النبيين، وأنّ وصيّه سيد الوصيّين، وأنّ اللّه سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، قال فتخفق الديكة بأجنحتها في منازلكم[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ للّه تبارك وتعالى ديكاً رجلاه في تخوم الأرض السابعة، ورأسه عند العرش، ثاني عنقه تحت العرش، ولذلك الديك جناحان إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فإذا كان في آخر اللّيل نشر جناحيه، وخفق بهما وصرخ بالتسبيح، يقول سبحان الملك القدّوس الكبير المتعال القدّوس لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ، فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكتت الديكة في الأرض فإذا كان في بعض السّحر نشر جناحيه فجاوز المشرق والمغرب، وخفق بهما وصرخ بالتسبيح، سبحان اللّه العظيم سبحان اللّه العزيز القهّار، سبحان اللّه ذي العرش المجيد، سبحان اللّه ربّ العرش الرفيع، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض، فإذا هاج هاجت الديكة في الأرض تجاوبه بالتسبيح

---

(١) سورة فاطر: الآية ١.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.

والتقديس للّه عزّ وجلّ، ولذلك الديك ريش أبيض كأشد بياض، رأيته قطّ فما زلت مشتاقاً إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الديك[١].

وعنه ﷺ قال: إنّ للّه تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة، نصف جسده الأعلى نار، ونصفه الأسفل ثلج، فلا النار يذيب الثلج، ولا الثلج يطفىء النار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع، سبحان الذي كفّ حرّ هذه النار فلا تذيب الثلج، وكفّ برد هذا الثلج فلا يطفىء النار، اللّهمّ يا مؤلفاً بين الثلج والنّار، ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك[٢].

وسُئل أبو عبد اللّه عليه السلام هل في السماء بحار؟ قال: نعم أخبرني أبي، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال قال رسول اللّه ﷺ: إنّ في السماوات السبع بحاراً عمق أحدهما مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم اللّه عز وجلّ، والماء إلى ركبتهم، ليس فيهم ملك إلاّ وله ألف وأربعمائة جناح، في كلّ جناح أربعة وجوه، في كلّ وجه أربعة ألسن، ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلاّ وهو يسبّح اللّه عزّ وجلّ بتسبيح لا يشبه منه نوع صاحبه[٣].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ للّه تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلفت الجن والإنس أن يصفوه ما وصفوه لبُعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكة، من سبعمائة عام ما بين منكبيه إلى شحمة أُذنه، ومنهم من يسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السماوات إلى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو ألقي في نقرة أبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك اللّه أحسن الخالقين[٤].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ للّه تبارك وتعالى ملكاً ما بين شحمة أذنه إلى عنقه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير(١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: لمّا كانت ليلة المعراج نظرت تحت العرش أمامي، فإذا أنا بعلي بن أبي طالب عليه السلام قائم أمامي تحت العرش يسبّح اللّه ويقدّسه، قلت يا جبرئيل سبقني علي بن أبي طالب، قال: لا، لكنّي أخبرك يا محمّد أنّ اللّه عزّ وجلّ يكثر من الثّناء والصلاة على عليّ بن أبي طالب فوق عرشه، فاشتاق العرش إلى رؤية علي بن أبي طالب عليه السلام فخلق اللّه هذا الملك على صورة علي بن أبي طالب تحت عرشه لينظر إليه العرش، وسكّن شوقه، وجعل تسبيح هذا الملك وتقديسه وتحميده ثواباً لشيعة أهل بيتك يا محمّد(٢).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ للّه تبارك وتعالى ملكاً يقال له دردائيل، كان له ستة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء، والهواء كما بين السماء والأرض، فجعل يوماً يقول في نفسه أفوق ربّنا جلّ جلاله شيء، فعلم اللّه تبارك وتعالى ما قال، فزاده أجنحة مثلها، فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح ثم أوحى إليه أيّها الملك عدّ إلى مكانك فأنا عظيم فوق كل عظيم وليس فوقي شيء(٣).

وعنه صلى الله عليه وآله قال: إنّ للّه تبارك وتعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلاّ وهو يسبّح اللّه تعالى ويحمده من ناحيته، بأصوات مختلفة، لا يرفعون رؤوسهم إلى السماء ولا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية للّه عزّ وجلّ(٤).

وعن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله: كان في بيت أم سلمة، إذ هبط عليه ملك له عشرون رأساً في كلّ

---

(١) المصدر السابق.
(٢) مناقب آل أبي طالب.
(٣) بحار الأنوار.
(٤) المصدر السابق.

رأس له ألف لسان، يسبّح اللّه ويقدّسه بلغة لا تشبه الأخرى، راحته أوسع من سبع سموات وسبع أرضين، حسب النبي ﷺ أنّه جبرائيل، فقال: يا جبرائيل لم تأتني في مثل هذه الصورة قطّ، قال: ما أنا بجبرائيل أنا صرصائيل بعثني اللّه إليك لتزوّج النور من النور، قال النبي ﷺ مَن ممن؟ قال: ابنتك فاطمة من علي بن أبي طالب، قال: فزوّج النبي فاطمة من علي بشهادة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وصرصائيل، قال: فنظر النبي ﷺ إذا بين كتفي صرصائيل مكتوب لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه نبي الرحمة عليّ بن أبي طالب مقيم الحجّة، فقال النبي ﷺ: يا صرصائيل منذ كم كتب هذا بين كتفيك؟ قال: من قبل أن يخلق الدنيا باثنتي عشر ألف سنة[1].

ورُوي أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذباب وأصغر من الزنبور.

ومن دعاء علي بن الحسين عليه السلام: اللّهمّ وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسأمون من تقديسك ولا تستحسرون عن عبادتك، ولا يؤثرون التقصير على الجدّ في أمرك، ولا يغفلون عن الوله إليك، وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن وحلول الأمر، فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور، وميكائيل ذو الجاه عندك والمكان الرفيع من طاعتك، وجبرئيل الأمين على وحيك، المطاع في أهل سماواتك، المكين لديك، المقرّب عندك، والروح الذي هو على ملائكة الحجب، والروح الذي هو من أمرك، اللّهمّ فصلّ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم من سكّان سماواتك وأهل الأمانة على رسالاتك، والذين لا يدخلهم سامة من دؤب ولا إعياء من لغوب ولا فتور، ولا يشغلهم عن تسبيحك الشهوات ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات، الخشّع الأبصار، فلا يرمون النظر إليك، النواكس الأعناق الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك، المستهترون بذكر آلائك والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنّم تزفر على أهل معصيتك سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك، فصلّ عليهم وعلى الروحانيين من ملائكتك، وأهل الزلفة عندك،

---

(١) مدينة المعاجز.

وحملة الغيب إلى رسلك والمؤتمنين على وحيك، وقبايل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك وأغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك، وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك والذين هم على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك، وخزّان المطر وزواجر السحاب، والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود، وإذا سبحت به حفيفة السحاب التمعت صواعق البروق، ومشيعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، والقوّام على خزائن الرياح، والموكلين بالجبال فلا تزول، عرّفتهم مثاقيل المياه، وكيْل ما تحويه لواعج الأمطار وعوالجها، ورسلك من الملائكة إلى الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء، والسفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه ومنكر ونكير، ومبشر وبشير ورومان فتان القبور، والطائفين بالبيت المعمور، ومالك، والخزنة، ورضوان، وسدنة الجنان، والذين لا يعصون اللّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والذين يقولون سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبىٰ الدار، والزبانية الذين إذا قيل لهم خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ابتدروه سراعاً، ولم ينظروه، ومن أوهمنا ذكره ولم نعلم مكانه منك وبأي أمر وكلته، وسكان الهواء والأرض والماء، ومن منهم على الخلق، فصلِّ عليهم يوم تأتي كلّ نفس معها سائق وشهيد، وصلِّ عليهم صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم وطهارة على طهارتهم، اللَّهمَّ وإذا صلَّيت على ملائكتك ورسلك وبلّغتهم صلواتنا عليهم فصلِّ علينا بما فتحت لنا من حسن القول فيهم إنّك جواد كريم[١].

بعض أعمال الملائكة

فيما جاء في خدمة الملائكة لأهل البيت عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ينزّل الملائكة بالروحِ من أمره على من يشاء من عباده﴾[٢]، ﴿إنّ الذين قالوا ربُّنا اللّه ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة﴾[٣].

---

(١) عوالم العلوم.
(٢) سورة النحل: الآية ٢.
(٣) سورة فصلت: الآية ٣٠.

عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: وإنّ الملائكة تنزّل علينا في رحالنا وتتقلّب على فرشنا وتشهد طعامنا وتحضر موتانا، وتأتينا بأخبار ما يحدث قبل أن يكون، وتصلّي معنا، وتدعوا لنا، وتلقي علينا أجنحتها، وتتقلّب على أجنحتها صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا ممّا في الأرضين من كلّ نبات في زمانه، وتسقينا من ماء كلّ أرض، نجد ذلك في آنيتنا، وما من يوم ولا ساعة ولا وقت صلاة إلاّ وهي تنبهنا لها، وما من ليلة تأتي علينا إلاّ وأخبار كلّ أرض عندنا وما يحدث فيها، وأخبار الجنّ وأخبار أهل الهواء من الملائكة، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره مقامه إلاّ أُتينا بخبره وكيف سيرته في الذين قبله، وما من أرض من ستّة أرضين إلى الأرض السابعة إلاّ ونحن نؤتى بخبرها[١].

وعن مسمع كردين قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني اعتللت فكنت إذا أكلت عند الرجل تأذيت به، وإني أكلت من طعامك ولم أتأذ به، قال: إنّك لتأكل طعام قوم تصافحهم الملائكة على فرشهم، قال قلت: يظهرون لكم، قال: هم ألطف بصبياننا منّا[٢].

ومن أعمال الملائكة الاستغفار للمؤمنين، فعن الرّضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أفضل مني، ولا أكرم عليه منّي، قال علي عليه السلام فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل فقال صلى الله عليه وآله: يا علي إنّ الله تبارك وتعالى فضّل الأنبياء المرسلين على الملائكة المقرّبين، وفضّلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك، وأنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا، يا علي الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم، ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا[٣].

---

(١) مدينة المعاجز.

(٢) عوالم العلوم.

(٣) عوالم العلوم.

وعن سليم بن قيس الهلالي قال قلت لأبي ذرّ: رحمك اللّه حدّثني بأعجب ما سمعته من رسول اللّه ﷺ يقول في عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إنّ حول العرش لتسعين ملك ليس لهم تسبيح ولا عبادة إلاّ الطاعة لعلي بن أبي طالب والبراءة من أعدائه والاستغفار لشيعته، قلت: فغير هذا رحمك اللّه قال: سمعته يقول: إنّ اللّه خصّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل بطاعة علي عليه السلام والبراءة من أعدائه، والاستغفار لشيعته(١).

وعن أبي بصير قال قال أبو عبد اللّه عليه السلام: يا أبا محمّد إنّ للّه ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الريح الورق في أوان سقوطه، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للّذين آمنوا﴾ واللّه ما أراد غيركم(٢).

ومن الملائكة ما يبكون على الحسين بن علي إلى يوم القيامة عند قبره، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ أربعة آلاف ملك هبطوا يريدون القتال مع الحسين بن علي عليه السلام، فلم يؤذن لهم في القتال فرجعوا في الاستيذان فهبطوا وقد قتل الحسين عليه السلام فهم عند قبره شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له منصور(٣).

وعن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: وكّل اللّه بالحسين عليه السلام سبعين ألف ملك يصلّون عليه كلّ يوم، شعثاء غبراء منذ يوم قتل إلى ما شاء اللّه يعني بذلك قيام القائم عجّل اللّه فرجه(٤).

ومن الملائكة ما يحفظون الأرض هيجانها لقتل الحسين بن علي عليه السلام، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام في حديث لأبي بصير، إلى أن قال: إنّ فاطمة عليها السلام

---

(١) المصدر السابق.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.
(٣) كامل الزيارات.
(٤) مدينة المعاجز.

لتبكيه وتشهق - يعني الحسين بن علي - فتزفر جهنم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكائها، وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض، فيحفظونها ما دامت باكية، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنّ البحار تكاد أن تنفتق فيدخل بعضها على بعض وما منها قطرة إلاّ بها ملك موكّل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكونه لبكائها، ويدعون اللّه ويتضرّعون إليه، ويتضرّع أهل العرش ومن حوله وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس للّه مخافة على أهلِ الأرض، ولو أنّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها، قلت جُعلت فداك ان هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه[1].

ومن الملائكة ما يشيّعون المؤمن إلى قبره، والزبانية يشيّعون الكافر إلى قبره، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا حلّ في قبره، أتاه منكر ونكير فيقصدانه، ويقولان من ربّك وما دينك ومن نبيّك؟ فيقول: ربّي اللّه ومحمّد نبيّي والإسلام ديني فيفسحان له في قبره مدّ بصره، ويأتيانه بالطعام من الجنّة ويدخلان عليه الرّوح والريحان، وذلك قوله تعالى: ﴿فأما إن كان من المقرّبين فروح وريحان﴾، يعني في قبره. ثمّ قال عليه السلام: إذا مات الكافر شيّعه سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وأنّه ليناشد حامليه بصوت يسمعه كلّ شيء إلاّ الثقلان الجن والإنس، ويقول: لو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين ويقول ربّ ارجعوني لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت، فتجيبه الزبانية كلاّ إنّها كلمة هو قائلها ويناديهم ملك ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه فإذا دخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة، فيقيمانه ثم يقولان له: من ربّك وما دينك وما نبيّك فيتلجلج لسانه ولا يقدر على الجواب فيضربانه

(١) كامل الزيارات.

ضربة من عذاب أليم يذعر لها كلّ شيء ثم يقولان: من ربّك وما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقولان: لا دريت ولا هديت ولا أفلحت، ثمّ يفتحان باباً إلى النار وينزلان إليه الحميم من جهنّم[(١)].

وهناك ملائكة سياحون من أعمالهم إبلاغ النبي السلام لمن يسلّم عليه، فعن النبي ﷺ قال: إنّ للّه ملائكة سياحون في الأرض يبلّغوني عن أمّتي السلام[(٢)].

الملائكة الموكلون بالإنسان

سُئل النبي ﷺ أخبرني عن العبد كم معه من ملك، قال عليه الصلاة والسلام: ملك على يمينك على حسناتك وواحد على شمالك، فإذا عملت حسنة كتب عشراً، وإذا عملت سيئة، قال الذي على الشمال للّذي على اليمين أكتب، قال: لا لعلّه يستغفر اللّه ويتوب، فإذا قال ثلاثاً، قال: نعم أكتب أراحنا اللّه منه، فبئس الصديق ما أقلّ مراقبته للّه عزّ وجلّ وأقلّ استحياءه منّا، يقول اللّه عزّ وجلّ ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد، وملكان بين يديه ومن خلفه، وملك قابض على ناصيتك فإذا تواضعت للّه عزّ وجلّ رفعك، وإذا تجبّرت على اللّه وضعك اللّه وفضحك، وملكان على شفتيك ليس يحفظان عليك إلاّ الصلاة على محمّد وآله، وملك على فيك لا يدع أن يدأب ـ تدخل ـ الحيّة في فيك، وملكان على عينيك، فهؤلاء عشرة أملاك على كلّ آدمي، يعدان ملائكة اللّيل على ملائكة النّهار لأنّ ملائكة اللّيل سوى ملائكة النّهار فهؤلاء عشرون ملائكة على كل آدمي[(٣)].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام عن آبائه عن رسول اللّه ﷺ قال: إذا وضعت المائدة حفظها أربعة أملاك، فإذا قال العبد بسم اللّه قالت الملائكة: بارك اللّه

---

(١) روضة الواعظين.
(٢) المصدر السابق.
(٣) دار السلام.

لكم في طعامكم ثم يقولون للشيطان: أخرج يا فاسق لا سلطان لك عليهم فإذا فرغوا، قالوا: الحمد للّه ربّ العالمين، قالت الملائكة: قوم أنعم اللّه عليهم فأدّوا شكر ربّهم، فإذا لم يسمّ قالت الملائكة للشيطان: أدن يا فاسق فكل معهم، وإذا رفعت المائدة ولم يذكر اللّه، قالت الملائكة: قوم أنعم اللّه عليهم فنسوا ربّهم[١].

وعنه ﷺ قال: من أكل الحلال قام على رأسه ملك يستغفر له حتى يفرغ من أكله.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث: وأن اللّه برأفته ولطفه أيضاً وكّلهم أي الملائكة بعباده يذبّون عنهم مردة الشياطين وهوام الأرض وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن اللّه تعالى، إلى أن يجيء أمر اللّه عزّ وجلّ[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام في تفسير، له معقبّات من بين يديه إلى آخر الآية، قال يحفظونه بأمر اللّه من أن يقع في ركى، أو يقع عليه حائط أو يصيبه شيء، حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبين المقادير، وهما ملكان يحفظانه باللّيل وملكان يحفظانه بالنهار يتعاقبانه[٣].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: ما من مؤمن إلاّ ولقلبه أذنان في جوفه، أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس، وأذن ينفث فيها ملك، فيؤيد اللّه المؤمن بالملك، فذلك قوله: ﴿وأيدهم بروح منه﴾[٤].

وعنه عليه السلام قال: إذا أحبّ اللّه عبداً بعث إليه ملكاً فيقول اسقمه وشدّد البلاء، فإذا برىء من شيء فابتله لما هو أشدّ منه وقوّى عليه حتى يذكرني، فإني أشتهي أن أسمع كلامه، فإذا أبغض عبداً وكّل به ملكاً فقال صحّحه وأعطه كيلا يذكرني فإني لا أشتهي أن أسمع صوته.

---

(١) المحاسن.
(٢) الاحتجاج.
(٣) تفسير القمي.
(٤) الكافي.

وعنه عليه السلام قال: إنّ للّه عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور، وفتح مسامع قلبه، ووكّل به ملكاً يسدده، وإذا أراد بعبد سوء نكت في قلبه نكتة سوداء، وسدّ مسامع قلبه، ووكّل به شيطاناً يضلّه، ثم تلا هذه الآية: ﴿فمن يرد اللّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيّقاً حرجاً كأنّما يصّعد في السماء﴾(١).

وعنه عليه السلام قال في حديث: إنّ وليّنا ليضع رأسه فيرقد، فإذا كان وقت الصلاة وكّل به ملكان خُلقا في الأرض لم يصعدا إلى السماء، ولم يريا ملكوتهما فيصلّيان عنده حتى ينتبه فيكتب صلواتهما له، والركعة من صلواتهما تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين، وإنّ وليّنا ليقبضه اللّه إليه فيصعد ملكاه إلى السماء فيقولان يا ربّنا عبدك فلان بن فلان انقطع واستوفى أجله، ولأنت أعلم منّا بذلك، فأذن لنا نعبدك في آفاق سمائك وأطراف أرضك، قال: فيوحي اللّه إليهما أنّ في سمائي لمن يعبدني، وما لي في عبادته من حاجة بل هو أحوج إليها، وأنّ في أرضي لمن يعبدني حقّ عبادتي، وما خلقت خلقاً أحبّ إليَّ منه فيقولان: يا ربّنا من هذا الذي يسعد بحبّك إياه؟ قال: فيوحي اللّه إليهما ذلك من أخذ ميثاقه محمّد عبدي ووصيّه وذريّتهما بالولاية، اهبطا إلى قبر وليّي فلان بن فلان فصلّيا عنده إلى أن أبعثه في القيامة، قال: فيهبطان الملكان فيصلّيان عند القبر إلى أن يبعثه اللّه، فيكتب ثواب صلاتهما له، والركعة من صلواتهما له تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين(٢).

وسُئل عليه السلام إني ربّما حزنت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، وربما فرحت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، فقال: إنّه ليس من أحد إلاّ ومعه ملك وشيطان، فإذا كان فرحه كان من دنوّ الملك منه، وإذا كان حزنه كان من دنوّ الشيطان منه، وذلك قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر

---

(١) الكافي.
(٢) البرهان في تفسير القرآن.

ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم[١].

وسُئل عليه السلام، إذا دخل الإنسان الخلاء، وصار على تلك الحال لا يصبر حتى ينظر إلى ما يخرج منه قال: لا انه ليس في الأرض آدمي إلاّ ومعه ملكان موكلان به، فإذا كان على تلك الحال ثنيا برقبته، ثم قالا: يا ابن آدم انظر إلى ما كنت تكدح له في الدنيا إلى ما هو صاير[٢].

الملائكة الموكلون بالأعمال

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا قام العبد المؤمن إلى صلاته نظر الله إليه حتى ينصرف، وأظلت الرحمة رأسه إلى أفق السماء، والملائكة تحفّه من حوله إلى أفق السماء، ووكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه، يقول: أيّها المصلّي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي ما التفتّ ولا زلت من موضعك أبداً[٣].

وعنه صلى الله عليه وآله قال: من جلس في مصلاه ثانياً رجله يذكر الله، وكّل الله به ملكاً فقال له: ازدد شرفاً تزداد لك الحسنات، وتمحىٰ عنك السيئات، وتبنى لك الدرجات حتى تنصرف[٤].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: للمصلّي ثلاث خصال ملائكة حافّين من قدميه إلى عنان السماء.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصلاة وكّل الله بها ملكاً ليس له عمل غيرها، فإذا فرغ منها قبضها، ثم صعد بها، فإن كانت مما تقبل قبلت، وإن كانت ممّا لا تقبل قيل له ردّها على عبدي فينزل بها حتى يضرب بها وجهه ثم يقول: أفٍّ لك لايزال لك عمل يعييني.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إذا توضّأ الرجل وسوّك ثم قام فصلّى،

---

(١) تفسير العياشي.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) دار السلام.
(٤) المصدر السابق.

وضع الملك فاه على فيه، فلم يلفظ شيئاً إلاّ التقمه، وزاد فيه بعضهم، فإن لم يستك قام الملك جانباً يستمع إلى قراءته.

عن النبي ﷺ قال: إنّ اللّه اختار لي ولأهل بيتي سبعين ألف ملك من الملائكة الكروبيين يطوفون بقبري وقبر أهل بيتي ويعرجون إلى السماء بأعمال زوّارنا ويصلّون علينا وعلى زوّارنا[١].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقّه غير متجبر ولا متكبّر، كتب اللّه له أجر مائة ألف شهيد إلى أن قال: واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيّعوه إلى منزله، فإن مرض عادوه، وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره[٢].

وعن السجّاد عليه السلام في خبر عن رسول اللّه ﷺ إلى أن قال: ويتحفه أي الحسين عليه السلام ملائكة من السماء مائة ألف ملك، في كلّ يوم وليلة يصلّون عليه، ويسبّحون اللّه عنده، ويستغفرون اللّه لزوّاره، ويكتبون أسماء من يأتيه زائراً متقرّباً إلى اللّه وإلى رسوله، وأسماء آبائهم وعشايرهم وبلدانهم، ويوسمون في وجوههم بميسم من نور عرش اللّه، هذا زاير قبر خير الشهداء وابن خير الأنبياء.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إنّ الرجل إذا خرج من منزله يريد زيارة الحسين عليه السلام شيّعه سبعمائة ملك من فوق رأسه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى يبلّغوه مأمنه، فإذا زار الحسين عليه السلام ناداه منادٍ قد غفر لك فاستأنف العمل، ثمّ يرجعون معه مشيّعين له إلى منزله، فإذا صاروا إلى منزله قالوا نستودعك اللّه، فلا يزالون يزورونه إلى يوم مماته، ثمّ يزورون قبر الحسين عليه السلام في كلّ يوم وثواب ذلك للرجل[٣].

---

(١) دار السلام.
(٢) المصدر السابق.
(٣) كامل الزيارات.

وعن أبي إبراهيم عليه السلام قال: من خرج من بيته يريد زيارة قبر أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام وكّل اللّه به ملكاً يضع اصبعه في قفاه، فلم يزل يكتب ما يخرج من فيه حتى يرد الحاير، فإذا دخل باب الحاير، وضع كفّه وسط ظهره ثمّ قال له: أمّا ما مضىٰ فقد غفر لك فاستأنف العمل[١].

رُوي: أن اللّه يخلق من عرق زوّار الحسين عليه السلام من كلّ عرقة سبعين ألف ملك يسبّحون اللّه ويهلّلونه ويستغفرون لزوّار الحسين إلى أن تقوم الساعة[٢].

عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: إذا كانت عشية الخميس ليلة الجمعة نزلت الملائكة من السماء معها أقلام الذهب وصحف الفضة، لا يكتبون عشيّة الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة إلى أن تغيب الشمس إلاّ الصلاة على محمّد وآل محمّد.

وفي خبر اليهودي أنّه قال للنبي صلى الله عليه وآله فأخبرني ما جزاء من اغتسل من الحلال، فقال: إنّ المؤمن إذا جامع أهله بسط عليه سبعون ألف ملك جناحه، وتنزل بالرحمة، فإذا اغتسل بنىٰ اللّه له بكل قطرة بيتاً في الجنة، وهو سرّ بين اللّه وبين خلقه[٣].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: من صام للّه عزّ وجلّ يوماً شديد الحرّ فأصابه ظمأ، وكّل به ألف ملك، يمسحون وجهه ويبشّرونه.

وعنه عليه السلام قال: إنّ الحاج حملانه وضمانه على اللّه، فإذا دخل المسجد الحرام وكّل به ملكان يحفظان عليه طوافه وسعيه ضربا على منكبه الأيمن، ثم يقولان: أمّا ما مضىٰ فقد كفيته فانظر كيف تكون فيما تستقبل.

وعنه عليه السلام قال: من كسىٰ أحداً من فقراء المسلمين ثوباً من عري أو أعانه بشيء ممّا يقوته من معيشته، وكّل اللّه عزّ وجلّ به سبعة آلاف ملك من

---

(١) كامل الزيارات.
(٢) جامع الأخبار.
(٣) دار السلام.

الملائكة يستغفرون لكلّ ذنب عمله إلى أن ينفخ في الصور.

وعنه عليه السلام قال: إذا وقع بين رجلين منازعة، نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت أنت أهل لما قلت، ستجزىٰ بما قلت، ويقولان للحليم منهما: صبرت وظلمت سيغفر اللّه لك إن أتممت ذلك، فإن ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان.

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله إلى سلمان: المؤمن إذا قرأ القرآن فتح اللّه عليه باب الرحمة وخلق اللّه بكلّ حرف يخرج من فمه ملكاً يسبّح له إلى يوم القيامة[١].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: من شيّع جنازة مؤمن حتى يدفن في قبره، وكّل اللّه عزّ وجلّ به سبعين ألف ملك من المشيعين يشيعونه ويستغفرون له حتى إذا خرج من قبره[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: ما من قوم اجتمعوا يذكرون فضل محمّد وعلي بن أبي طالب وأهل بيته إلاّ هبطت ملائكة من السماء يحفّون بهم، فإذا تفرّقوا عرجت الملائكة إلى السماء، فيقول الملائكة: انا نشم منكم رائحة ما شممناها، ولا رائحة أطيب منها، فيقولون إنّا كنّا قعوداً عند قوم يذكرون فضل محمّد وآل محمّد فعبق بنا من ريحهم، فيقولون: اهبطوا بنا إلى المكان الذي كانوا فيه فيقولون: إنّهم تفرّقوا[٣].

---

(١) جامع الأخبار.
(٢) روضة الواعظين.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.

خلق الجن

﴿والجانّ خلقناه من قبل من نار السّموم﴾(١).

سُئل الصادق عليه السلام عن خلق آدم كيف خلقه اللّه تعالى؟ قال: إنّ اللّه تعالى لمّا خلق السّموم وهي نار لا حرّ لها ولا دخان، فخلق منها الجان، فذلك معنى قوله: ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السّموم﴾، سمّاه مارجاً، وخلق منه زوجة سمّاها مارجة، فواقعها فولدت الجان، ولذا سمّاه الجن ومنه تفرّعت قبايل الجن، ومنهم إبليس اللّعين، وكان يولد للجان الذكر والأنثى ويولد الجن كذلك توأمين، فصاروا تسعين ألفاً ذكراً وأنثى وازدادوا حتى بلغوا عدّة الرمال، وتزوج إبليس بامرأة من الجان يقال لها لهالهيا بنت روحا ابن سلساسل فولدت منه بيلقيس وطونه في بطن واحد، ثم فقطس وفقطسة في واحد فكثروا أولاد إبليس حتى صاروا لا يحصون(٢).

فالمادة التي خلق اللّه تعالى منها الجان وهو أبو الجن، هي مارج من نار أي لا حرّ لها والخالصة من الدخان، سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم أب الجن فقال: شومان وهو الذي خلق من مارج من نار.

وهذه النار التي ذكرها اللّه تعالى، انها من الشجر الأخضر، كما قال

---

(١) سورة الحجر: الآية ٢٧.

(٢) البرهان في تفسير القرآن.

الصادق عليه السلام: **كذب إبليس ما خلقه الله إلاّ من طين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ قد خلقه الله من تلك النار ومن تلك الشجرة والشجرة أصلها من طين.**

فالشجر الأخضر خلق من فاضل التراب الذي خلق منه الإنسان، يعني بعد أن صفّى التراب سبعين مرّة جمع ثفله بعد سبعين نخلة فخلق من تلك النخالة الشجر الأخضر، فالجن خُلق من فاضل فضلة الإنس، ولهذا كان الإنس أفضل وأعلى مرتبة وأكمل، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **إنّ إبليس قاس نفسه بآدم، فقال خلقتني من نار وخلقته من طين، فلو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم، بالنار كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار.**

ودخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: يا أبا حنيفة قد بلغني أنّك تقيس فقال: نعم، فقال عليه السلام: **لا تقس فإنّ أوّل من قاس إبليس لعنه الله، حين قال: خلقتني من نار وخلقته من طين، فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورانية آدم بنورانية النّار، عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الآخر**[1].

وبعدما خلق الله الجان واسمه شومان، خلق من سنخه زوجة، فواقعها فولدت الجن، وكان منهم إبليس، وكانت له زوجة صلماء كالحيّة فواقعها، فوضعت في مشرق الأرض وفي وسط الأرض وغربها أجناس الجن والشياطين كالغيلان والعفاريت والغطارفة وأسماء مختلفة.

أصناف الجن

إن سماع أصوات الجن ومقالاتهم، وكذا مشاهدتهم في بعض الأوقات، بأمور خاصة ترفع الحجاب عنهم وعليهم، ممّا لا شكّ في إمكانه، وهو من الأمور القطعية المستفادة من الأخبار المتظافرة الخارجة عن حدّ الإحصاء، أي

---

(١) الاحتجاج.

الأخبار المتضمنة لجملة من معجزات النبي ﷺ وأمير المؤمنين وسائر الأئمة عليهم السلام، مضافاً إلى الروايات والحكايات المنقولة بالإثبات والثقات، وكما ذكرنا فإنّ للجن والشياطين في حالة خاصة لها القدرة على أن تظهر بصورها للإنسان، من غير فرق بين صورتهم الأصلية وبين ما يتشكلون به من صور، ونذكرها ما استقصيناه من الأخبار والروايات المخبرة عن بعض أصناف الجن والشياطين وصورها وما تتشكّل فيه.

رُوي: أنّ اللّه تعالى لما سخّر الجن لسليمان عليه السلام نادى جبرئيل، أيتها الجن والشياطين أجيبوا بإذن اللّه تعالى لنبيّه سليمان بن داود، فخرجت الجن والشياطين من المفازات ومن الجبال والآكام والأودية والفلوات والآجام، وهي تقول: لبيك لبيك، تسوقها الملائكة سوق الراعي غنمه، حتى حشرت لسليمان طائعة ذليلة، وهي يومئذٍ أربعمائة وعشرون فرقة، فوقفوا بين يدي سليمان فجعل ينظر إلى خلقها وعجائب صورها، وهم بيض وسود وصفر وشقر وبلق، على صورة الخيل والبغال والسباع، ولها خراطيم وأذناب، وحوافر وقرون، فسجد سليمان للّه تعالى، وقال: اللّهمَّ ألبسني من القوّة والهيبة ما أستطيع النظر إليهم، فأتاه جبرئيل وقال: إنّ اللّه تعالى قوّاك عليهم قم من مكانك فقام والخاتم في إصبعه فخرّت الجن والشياطين ساجدة، ثم رفعت رؤوسها وقالت: يابن داود إنّا قد حشرنا إليك، وأمرنا لك بالطاعة، فجعل سليمان عليه السلام، يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم وهم يجيبونه، فقال لهم: ما لكم صوركم مختلفة وأبوكم الجان واحد؟ فقالوا: إنّ اختلاف صورنا لاختلاف معاصينا، وطاعتنا لإبليس واختلاطه بنا ومناكحتنا مع ذريّته.

ولمّا ردّ اللّه تعالى على سليمان عليه السلام ملكه أمر الريح الصرصر، حتى حشرت إليه شياطين الدنيا، فرآهم سليمان عليه السلام على صورة عجيبة، منهم من كانت وجوههم إلى أقفيتهم ويخرج النار من فيه، ومنهم من كان يمشي على أربع، ومنهم من كان له رأسان، ومنهم من كانت رؤوسهم رؤوس الأسد وأبدانهم أبدان الفيلة.

فرأى سليمان عليه السلام شيطاناً نصفه صورة الكلب ونصفه صورة السنّور وله خرطوم طويل، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا مهر بن هفان بن فيلان، فقال سليمان: ما عندك من الأعمال؟ فقال: عندي عمل الغناء، وعصر الخمر وشربه، وأزيّن الشرب والغناء لبني آدم، فأمر بتصفيده. ثم مرّ به آخر قبيح الشكل، أسود له سمج[1] الكلاب، والدم يقطر من كلّ شعرة على بدنه وهو قبيح الشكل جداً، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الهلهال بن المحول، فقال له: ما عملك؟ فقال: سفك الدماء، فأمر بتصفيده، فقال: يا نبيّ اللّه لا تقيدني فإني أحشر إليك جبابرة الأرض، وأعطيك العهد والميثاق أن لا أفسد في مملكتك، فأخذ عليه الميثاق وختم على عنقه وأطلقه.

ومرّ به آخر في صورة قرد له أظافر كالمناجل وهو قابض على بربط[2]، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا مرّة بن الحارث، فقال له: ما عملك؟ فقال: أنا أول من وضع هذا البربط وحرّكها، فلا يجد أحد لذّة الملاهي إلاّ بي، فأمر بتصفيده.

وذكر أنّ لإبليس خمسة من ولده قد جعل كلّ واحد منهم على شيء من أمره، ثم سمّاهم ثبر، والأعور، ومسوط، وداسم، وزلنبور، فأمّا ثبر فهو صاحب المصيبات الذي يأمر بالثبور، وأمّا الأعور فهو صاحب الزنا الذي يأمر به ويزيّنه، وأمّا مسوط فهو صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: لقد رأيت رجلاً أعرف وجهه، وما أدري ما اسمه حدّثني بكذا وكذا، وأمّا داسم فهو الذي يدخل مع الرجل إلى أهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم، وأمّا زلنبور فهو صاحب السوق الذي تركز رايته في السوق.

وعن النبي ﷺ قال: خلق اللّه الجن خمسة أصناف صنف حيّات

---

(١) سمج أي قبح.
(٢) بربط نوع من الآلات الموسيقية.

وصنف عقارب وصنف حشرات الأرض وصنف يطيرون في الهواء، وصنف كبني آدم.

وكثيراً ما تميل الجن إلى التشكّل بصورة الكلب، وذلك لأنّ مادة الكلب وصورته تشابه علّة وجوده وهو إبليس اللّعين، فحين سُئل النبي ﷺ ممّا خلق اللّه تعالى الكلب؟ قال: خلقه من بزاق إبليس(١) ولهذا تميل الجن إلى التشكّل بصورته، فعن النبي ﷺ أنّه قال: الكلاب من ضعفة الجن، فإذا أكل أحدكم طعاماً، وشيء منها بين يديه فليطعمه أو ليطرده فإنّ لها أنفس سوء(٢).

وعنه ﷺ قال: لولا أنّ الكلاب أمة لأمرت بقتلها ولكن خفت أن أبيد أمة فاقتلوا منها كلّ أسود بهيم.

وعن أبي حمزة قال: كنت مع أبي عبد اللّه عليه السلام بين مكة والمدينة، إذا التفت عن يساره، فإذا كلب أسود، فقال: مالك قبّحك اللّه ما أشدّ مسارعتك، وإذا هو شبيه بالطائر، فقلت: ما هذا جعلت فداك فقال: هذا عثم بريد الجن مات هشام الساعة، فهو يطير ينعاه في كل بلد(٣).

وسُئل عليه السلام عن الكلاب فقال: كلّ أسود بهيم وكلّ أحمر بهيم، وكلّ أبيض بهيم، فلذلك خلق الكلاب من الجن. وقال عليه السلام: الكلاب السود البهم من الجن.

وقد يتشكّل الجن بصورة القطّ الأسود، وقد تصوّر الشيطان بصورة القط الأسود للفراعنة فعبدوه لأنّ السواد فيه قوّة الحرارة وأجمع للقوى الشيطانية.

وفي حديث الأكراد أنهم حيّ من الجن، سأل الربيع الشامي أبي عبد اللّه عليه السلام أنّ عندنا أقواماً من الأكراد يجيئونا بالبيع، ونبايعهم، فقال: يا ربيع لا تخالطهم فإنّ الأكراد حيّ من الجن كشف اللّه عنهم الغطاء فلا

---

(١) علل الشرايع.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) مدينة المعاجز.

تخالطهم[1]، أقول إنّه لما تزوّج ابن آدم هبة اللّه بالجنية وجاؤوا بالأولاد، فمنهم من غلبت عليهم صفة الجن ثم سكنوا الجبال، وسموا أكراداً أي الذين فيهم طباع الجن أكثر من طباع الإنس وهم سكنة الجبال، واللّه أعلم.

الغول

الغول في لغة العرب هو الجان إذا تبدّى باللّيل، فهو أكثر ما يتراءى في اللّيل لمن يسافر وحده وأوقات الخلوات، ويكون الإنسان مقابل جثته كالطفل الرضيع عند أمه، ومن أعماله، يصد المسافر عن الطريق، ويفزع، وربما يأذي ويسحر، لأنّه من الجن الذين لهم القدرة على سحر الإنسان، فقد سُئل رسول اللّه ﷺ عن الغيلان قال: **هم سحرة الجن.**

ويحضر في بالي ثلاثة من الأصحاب ذكروا أنّهم رأوا الغول، وكانوا يسموته باللغة الدارجة عندهم طنطل، وبعضهم من تمعّط شعره ولم يبق منه شيء حين مسك رأسه.

وللأمن من الغيلان قال رسول اللّه ﷺ: **إذا تولّعت بكم الغيلان فأذّنوا.**

السعلاة

مسكنها القفار والصحراء، وأكثر ما تتراءى على هيئة امرأة، وإذا ظفرت بإنسان تقتله خنقاً، ثم تلعب به كما تلعب الهرة بالفأر وبعدها تأكل شيئاً من جسده.

والعجيب أنّ هذا النوع من الجن يخاف الذئب، فإذا رآها الذئب افترسها وقتلها، وهذه من عجائب خلق اللّه الذي أودع في الذئب خاصية الافتراس لبعض أنواع الجن، وهذا ما يحدّ فساد الجن وتعرضهم للإنس.

الدلهاب

هذا النوع من الجن يوجد في البحار، ويتراءى على صورة إنسان جلده

---

(١) علل الشرايع.

كصخر البحر الذي تجمع عليه الطحالب، وهو يتعرّض للمراكب القريبة منه ويقذف أهله في البحر.

أم الصبيان

وهي تأخذ على ثلاثمائة ضرب، منها عقد اليدين والرجلين والرأس والمفاصل والضروس وثقل اللسان، وتشويه الجسد وتنحيله وتهزيله، وتأخذ في أرحام النساء فتدق عظم أولادهن وتأكل لحمهم وتشرب دمهم، وتبرك على المرأة عند الحيض فتعقرها، وتأخذ الصبيان والعجائز والشيوخ بالحمية والرمد واللطمة والوجع، والدواب تثبت فيها ولا تطلقها، وتنقص البركة من المال وتهلك الحرث، وتأتي على أصناف الصنائع كلّها بالذي لا دواء له.

وغالباً ما تتصرّف بهذه الضروب لأصحاب برج الثور والميزان والمولود بساعة الزهرة، حبّاً فيها له، وذلك إن لم يكن متحصناً بذكر اللّه تعالى، وهناك الكثير من الأدعية والأحجبة والأذكار التي تحصّن الإنسان منها ومن كافة الجن، وقد تمّ ذكر بعضها في كتاب إكسير الدعوات.

الشق

وهو جنس من الشياطين، صورته على نصف صورة الإنسان والنصف الآخر حيوان، يعرض للمسافر إذا كان وحده وربما أهلكه.

العفريت

وهو الذي له من القوّة والقدرة ما ليس لغيره من الجن، كالعلوم الصّعبة وجلب الأخبار، والبناء والسرقة وحمل ما يعجز الإنسان حمله، وله سلطنة وحكم وخدّام من الجن يخضعون لأوامره، وكلّما كبر العفريت كانت سلطته أكبر وخدّامه أكثر، والمؤمن من العفاريت يحثّ في سلطته لمن دونه إلى الخير والعمل الصالح، والكافر يأمر في سلطته من دونه للشرّ والفساد والعمل الطالح.

القرين

لكلّ إنسان قرين من الجن يولد معه، وهو على صورته، قال رسول الله ﷺ: **ما من أحد منكم إلاّ وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة.**

وغالباً ما يحبب القرين المعصية والأفعال الحيوانية إلى الإنسان، وفي مقابل هذا القرين ملك يحفظ الإنسان من تجرؤ الشيطان عليه، قيل لأبي عبد الله عليه السلام: **إني ربما حزنت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، وربما فرحت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، فقال: إنّه ليس من أحد إلاّ ومعه ملك وشيطان، فإذا كان فرحه كان دنوّ الملك منه وإذا كان حزنه كان دنوّ الشيطان منه**[1].

وذلك لأنّ كلّ شرّ مبدأه الظلمة، وهي الظلمة التي خلق منها إبليس والشياطين، كما أنّ الخير مبدأه النور الذي خلق منه الملائكة، فإذا دنى الشيطان للإنسان، حاول أن يغمسه في تلك الظلمة ويبعده عن النور أي إيقاعه في الخطيئة وإبعاده عن الطاعة.

والقرين ملازم للإنسان الموكّل به أين ما كان، ويعلم كلّ ما يعلم ويجهل ما يجهله، لأنّه لا يجهد نفسه في معرفة ما ليس عنده إلاّ بالصورة التي أمامه، وإذا أراد معرفة شيء فيعرفه بأخبار قرين آخر له، وهذا ما يستفيد منه بعض المسخرين في جلب الأخبار، ذكر أنّ الحجاج بن يوسف أتى برجل رمي بالسحر، فقال: أساحر أنت قال: لا، فأخذ الحجّاج كفّاً من حصاً فعدّه، ثم قال له: كم في يدي من الحصا، قال: كذا وكذا، فطرح الحجّاج الحصا، ثم أخذ كفّاً آخر ولم يعدّه ثم قال: كم في يدي؟ قال: لا أدري، فقال الحجاج: كيف دريت الأول ولم تدر الثاني؟ قال: إن ذلك عرفته أنت فعرفه قرينك،

---

(١) بحار الأنوار.

فأخبر قرينك قريني، وهذا لم تعرفه فلم يعرفه قرينك فلم يخبر قريني فلم أعرفه.

الوسواس الخنّاس

وهو صاحب الإلقاء الخفي في النفس، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: **ما من مؤمن إلاّ ولقلبه أذنان في جوفه، أذن ينفث فيها الوسواس الخنّاس وأذن ينفث فيها الملك، فيؤيد اللّه المؤمن بالملك**[1].

والوسواس الخنّاس من أدهىٰ وأخبث الشياطين في نصب حبال المعصية للّه تعالى، يدبّ في نفس الإنسان في خفاء بوسوسة الوعيد والتمنّي والتشكيك وتزيين المعصية، وحبّ المال، وإثارة الشهوات، وينسي ذكر اللّه، ويثقل الجسد على العبادة، فعن أبي عبد اللّه عليه السلام **لما نزلت هذه الآية ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا اللّه فاستغفروا لذنوبهم﴾ صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقال: نزلت هذه الآية فمن لها، فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، فقال: لست لها، فقدم آخر فقال مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة.**

وسمّي بالخنّاس، لأنّه يخنس من الوسواس إذا ذكر اللّه.

عمّار المكان

إعلم وفقني اللّه وإيّاك للخير ودفع الشرّ، إنّ عمّار المكان هم الجن الساكنون في المكان والمستوطنون عليه، وفي الحديث أنّ عدد الجن عشرة أضعاف عدد الإنس، ابتداءً من أبينا آدم إلى يومنا هذا، وذلك لطول أعمارهم وقلّة من يموت منهم، فما تجد بقعة في الأرض إلاّ وعامر يسكنها، وتختلف

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

العمّار بأحجامها وأديانها وقوّتها ومنافعها ومضارها، باختلاف المكان الساكنة فيه. فالعفاريت وكبار الجن يسكنون الأماكن الخربة الغير مسكونة بالإنس، وذلك لكي لا يحدّ من تصرفاتها أحد، ومتى زاحمها إنسان أو جن دخيل عليهم حاربته بكلّ ما تملك من قدرة في التصرّف، وإن لم تستطع إخراجه تركت المكان وذهبت إلى غيره.

وملوك الجن تسكن الأماكن البعيدة غير المأهولة بالإنس كالجبال والوديان والقفار والصحراء، لكي تأخذ أوسع المكان لما يكفي لأفراد مملكة حاكمهم.

وأمّا البيوت والدور التي سكنها الإنسان والأماكن التي يقطنها ويتردد عليها كثيراً فغالباً ما يكون عمّارها متأقلم مع الإنسان، محجوب بالحجب المانعة من ضرر الإنسان، والتصرّف في أفعاله، إلاّ إذا خرق الإنسان هذه الحجب بالمعصية، أو التعدّي عليهم بفعل ما، فعندها تكن عندهم القدرة في التصرّف في ضرر الإنسان، ولهذا ورد استحباب التسمية بالبيت أو الدار والتسليم عند الدخول وكراهة كنس البيت ورمي الماء ليلاً، وورد أيضاً للأمان من شرّها وضع الشيء الداجن، فعن أبي جعفر عن أبيه عليه السلام قال: **كانوا يحبّون أن يكون في البيت الشيء الداجن مثل الحمام والدجاج أو العناق، ليعبث به صبيان الجن ولا يعبثون بصبيانهم.**

وشكا إليه عليه السلام رجل قال: **أخرجتنا الجن من منازلنا، يعني عمّار منازلهم، فقال: اجعلوا سقوف بيوتكم سبعة أذرع واجعلوا الحمام في أكناف الدار، قال الرجل ففعلنا ذلك فما رأينا شيئاً نكرهه.**

وعادة ما يكون دين ومذهب عامر المكان موافق مذهب ودين الإنسان الذي يسكن المكان، فإذا كان المكان مكان عبادة ويقرأ فيه القرآن فيكون عمّاره مؤمنون، وهكذا إذا كان المكان مكان معصية وفجور.

وقد علم بالتجارب والحوادث الصحيحة، أنّ العامر إذا كان مؤمن قد ينفع من يدلي له بخدمة إذا كان صاحب إيمان وروح مرتاضة، فعن أبي

جعفر عليه السلام قال: خرج أبو محمّد علي بن الحسين عليه السلام إلى مكة في جماعة من مواليه، وناس من سواهم، فلمّا بلغ عسفان، ضرب مواليه فسطاطه في موضع منها، فلمّا دنا علي بن الحسين عليه السلام من ذلك الموضع، قال لمواليه: كيف ضربتم في هذا الموضع، وهذا موضع قوم من الجن هم لنا أولياء ولنا شيعة، وذلك مضربهم، ومضيّق عليهم، فقالوا: ما علمنا ذلك، وعملوا على قطع الفسطاط، وإذا بهاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول: يابن رسول الله لا تحوّل فسطاطك من موضعه، فإنّا نحتمل ذلك لك، وهذا الطبق قد أهديناه إليك نحبّ أن تنال منه لنشرّف بذلك، فنظرنا فإذا بجانب الفسطاط طبق عظيم وأطباق معه فيها عنب ورمان وفاكهة كثيرة، فدعىٰ أبو محمّد عليه السلام من كان معه فأكل وأكلوا معه من تلك الفاكهة[1].

والعامر لا يأنس ولا يرضىٰ بوجود جن غريب دخيل عليه في مسكنه حتى لا يزاحمه في مكانه، وهذا كما في الإنسان، فإنّ الإنسان لا يرضىٰ بدخول غيره في بيته ومسكنه، ولهذا صار إخلاء المكان من العمّار والاستئذان منهم من الشروط المهمة للأعمال المرتبطة بجلب الجان، وإلاّ أفسدت العمّار العمل أو تقوم بضرر صاحب العمل نفسه، وقد وضع الروحانيون أذكار وعزائم تصرف العمّار لحين إتمام العمل، ثم من الواجب إرجاعهم لكي لا ينصبون لصاحب العمل كمائن الضرر.

ومن العزائم والأذكار التي تصرف العمّار، مع شروط الصرف من البخور والخلوة، قراءة سورة الزلزلة، إلى أشتاتاً وتكررها سبع مرّات، ثم تقول: أعزم عليكم يا معاشر الأرواح والأعوان أن تنزلوا على عمار هذا المكان بالسلاسل والأغلال، والهيبة والوقار، بطردهم وإبطال حركاتهم حتى ينتهي عملي بحق، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز، هيّا أسرعوا بالرحيل في وقتي هذا الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة بارك الله فيكم وعليكم، وهو يقرأ

(١) مدينة المعاجز.

ثلاث مرّات، وأيضاً من العزائم المشهورة والمجرّبة لصرف عمّار المكان هذه الأبيات من الشعر:

أو ليس بالزجر الشديد قواطع ... قالوا بلى قد لاح كالنيران
فأجبتهم ماذا أقول وأبتدي ... قالوا بذكر مكوّن الأكوان
بأيارش بهيارش وهيارش ... جلّ المهيمن منزل القرآن
جبريل فأهبط للثريا عاجلاً ... نادي هيوط الحبر نوران
نادي سيوط مع طبوط قد بدت ... أنواره العظما في كل مكان
فباسمه هيا الرحيل لعندما ... أقضي مرامي وارجعوا بأمان
الحرق من يعصاه منكم ارحلوا ... وبنور ديعوج طلقت عنان
طهشا شقون لم تزل أنواره ... تبدو على التالي بكل أمان
أقسمت إقساما بعزة بطهش ... وبطهشلان ذكره يرقان
هو أشمخ هو ربنا العالي على ... كلّ براخ جوده أعنان
جبريل فاهبط عاجلاً لعزيمتي ... رحيل ذي العمار والسكان
بجلال مولانا العظيم ومن له ... جود على التالي مع الاحسان
الماجد الجبار فرد لم يزل ... متعاليا ومنزهاً عن شان
وبحرمة النور الذي ناديته ... وعليه حقاً أنزل القرآن
الهاشمي الأبطحي محمد ... هو أشرف العربان والعجمان
يا عامر هيا الرحيل بإذن من ... أنشاك يا هذا من النيران
هو خالق هو بارىء ومصور ... هو منعم بالعفو والغفران
تا للَّه إن خالفتني يا عامراً ... جبريل قد وافاك بالنيران
ثم الصلاة على النبي وآله ... أهل الهدى والفضل والإحسان
فبحقهم وبحبهم أن ترحل ... يا عامراً بالمصطفى العدنان

وإذا انتهى من العمل وقضى حاجته، وأراد عودتهم فليقل، بحق الأسماء التي انصرفتم بها يا عمّار هذا المكان، عودوا إلى ما كنتم عليه وبحق **﴿اللَّه لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم﴾** إلى آخر آية الكرسي ثلاث مرّات.

طعام الجن

رُوي أنّ وفد الجان جاؤوا إلى رسول اللّه ﷺ، فقالوا يا رسول اللّه متّعنا، فأعطاهم الرّوث والعظم.

وأنّه ﷺ نهىٰ أن يستنجىٰ بالعظم والروث وقال: إنّه زاد إخوانكم من الجن.

ورُوي لا يأكلنّ أحد منكم بشماله ولا يشربن بها، فإنّ الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها.

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال في وصف الجن: هم خلق رقيق غذاؤهم التنسم.

فالجن تتغذّى على الطعام تشمم وتنسم واسترواح لا مضغ وبلع وأكل، وهي تتغذّى بالغذاء الملائم لطبيعتها ودينها، فعن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: ما من أهل بيت من المسلمين إلاّ وفي سقف بيتهم من الجن المسلمين، إذا وضع غداءهم نزلوا فتغدّوا معهم، وإذا وضع عشاءهم نزلوا فتعشّوا معهم، يدفع اللّه بهم عنهم، هذا إذا كان الجن مسلماً وأمّا إذا كان من الشياطين غير المسلمة، فيفضّل الطعام النجس، وما لم يذكر عليه اسم اللّه عند الذبح، خصوصاً العظم، ولهذا في بعض أنواع السحر تضع السحرة العظام والروث النجس في مكان المعمول له، ويختمونه باسم الشيطان المسخّر للعمل لكي يلازمه ولا يفتر في العمل، وهو إهداء الساحر للشيطان مقابل ما يقوم به من عمل والعياذ باللّه.

واعلم أنّ الجن لها أنفس سوء تنظر إلى ما في أيدي الإنس من طعام أو لباس أو فراش وحتى نكاح وغير ذلك بعين استيلاء وحسد، فعن علي بن الحسين عليه السلام قال: لا تنهكوا العظام فإنّ للجن فيه نصيباً، فإن فعلتم ذهب من البيت ما هو خير من ذلك.

الجن يسترقون السمع ويجلبون الأخبار

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان إبليس يخترق السموات السبع، فلمّا ولد عيسى حجب عن ثلاث سماوات، وكان يخترق أربع سماوات، فلمّا ولد رسول الله صلى الله عليه وآله حجب عن السبع كلّها، ورميت الشياطين بالنجوم[١].

وعن الرضا عليه السلام قال: إنّ الجن كانوا يسترقون السمع قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله فمنعت في أوان رسالته بالرجوم وانقضاض النجوم وبطلان الكهنة والسحرة[٢].

قيل لأبي عبد الله عليه السلام في حديث فمن أين يصل الكهانة، ومن أين يخبر الناس بما يحدث، قال: إنّ الكهانة كانت في الجاهلية، في كلّ حين فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه، فيما يشتبه عليهم من الأمور فيخبروهم بأشياء تحدث وذلك في وجوه شتّى من فراسة العين وذكاء القلب ووسوسة النفس وفطنة الروح، مع قذف في قلبه لأنّ ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة فذلك يعلم الشيطان ويؤديه إلى الكاهن، ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف، وأمّا أخبار السماء فإنّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع، وهي لا تحجب ولا ترجم بالنجوم، وإنما منعت من استراق السمع لئلاً يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء، ويلبس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله لإثبات الحجّة ونفي الشُبه، وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبط بها إلى الأرض، فيقذفها إلى الكاهن، فإذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحق بالباطل فما أصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به فهو ما أدّاه إليه شيطانه مما سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة، واليوم إنّما تؤدّي الشياطين إلى كهّانها

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) بحار الأنوار.

أخبار الناس مما يتحدّثون به وما يحدّثونه، والشياطين تؤدّي إلى الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث من سارق سرق ومن قاتل قتل ومن غايب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضاً صدوق وكذوب.

وعن أبي عبد الله عليه السلام انّ لنا أعداء من الجن يخرجون حديثنا إلى أعدائنا من الناس، وأن الحيطان لها آذان كآذان الناس.

إعلم أنّ الجن تتفاوت سرعتها في جلب الأخبار، وذلك على حسب قدرتها وقوّتها وخاصيتها، فمنهم من يجول شرق الأرض وغربها في طرفة عين، فتحصل له الصورة التي هي العلم والمعرفة بالشيء فيخبر بها الكاهن أو المسخّر له، ومنهم من لا يستطيع ذلك لضعف قوّته وعدم قدرته من وصول المكان الذي يريد أن يخبر عنه، لوجود شيطان أو جني أعلى منه منزلة وقوّة أو ملك يحجبه عن ذلك.

فالجن تسرق الأخبار لا تعلم الغيب، وهذه الأخبار هي أخبار الأرض تسرقها من الإنسان أما أخبار السماء فهي محجوبة عنها منذ ولادة النبي صلى الله عليه وآله، لأنّ نوره أشرق السموات، والشياطين خلقوا من الظلمة، والظلمة تضمحل عند النور، فلا يقدرون أن يصلوا إلى السموات لأجل ذلك، وإنّما يصلون إلى تحت كرة النار، فيستمعون وأكثرهم يتقوّلون منهم لا سماع، ومنهم من سمع شيئاً وأضاف إليه من نفسه أشياء، فلذا قال النبي صلى الله عليه وآله: وأكثرهم كاذبون، والنور إذا تجلّى في مكان لذكر الله أو غيره من أسباب إشراقه، فلا يستطيع الجن أيضاً الوصول إليه وإلاّ احترق، وإن كان قريباً منه، كما كانت كبار الجن والشياطين قريبة من نبي الله سليمان بن داود عليه السلام وتعمل بين يديه ليلاً ونهاراً وهي تنظر إليه سنة كاملة ولا تعلم أنّه ميت، إلى أن أكلت الأرضة عصاه وسقط، ففهم ذلك جعلنا الله وإيّاك من المتبصرين.

مؤمنو الجن

إنّ الجن كالإنسان الناطق، لها عقول وأفهام واختيار، وقد أنزل الله

عليهم التكليف منذ أن خلقهم، وكانت تكاليفهم على شريعة النبي المعاصر لهم، فإذا مسخت رسالة النبي كلفوا بشريعة النبي الذي يأتي بعده، إلى أن جاء دين الإسلام فألزموا بالشريعة الإسلامية فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

وإن سبب نزول آية ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾[1] إلى قوله ﴿أولئك في ضلال مبين﴾، إنّ رسول الله ﷺ خرج من مكة إلى سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة يدعو الناس إلى الإسلام، فلم يجبه أحد، ولم يجد من يقبله، ثم رجع إلى مكة فلمّا بلغ موضع وادي مجنة، تهجّد بالقرآن في جوف الليل، فمرّ به نفرٌ من الجن، فلمّا سمعوا قراءة رسول الله، استمعوا له، فلمّا سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: انصتوا يعني اسكتوا، فلمّا قضى أي فرغ، ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا: يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به، إلى قوله، أولئك في ضلال مبين، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ، وأسلموا وآمنوا، وعلّمهم شرايع الإسلام، فأنزل على نبيّه ﴿قل أوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجن﴾ السورة كلّها، فحكى قولهم وولّى عليهم رسول الله ﷺ، وكانوا يعودون إلى رسول الله في كلّ وقت، فأمر رسول الله ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلّمهم ويفقههم، فمنهم مؤمنون وكافرون وناصبون ويهود ونصارى ومجوس وهم ولد الجان[2].

ومن أخبار مؤمنين الجن، عن أمير المؤمنين عليه السلام، قد سأله يهودي قائلاً هذا سليمان سخّرت له الشياطين، يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد أعطي محمد ﷺ أفضل من هذا، إنّ الشياطين سخّرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، وسخّرت لنبوّة محمّد ﷺ الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه من الجن تسعة من أشرافهم، واحد من جن نصيبين، والثمان من بني عمرو بن عامر من الأحجر، منهم شضاة

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٩.

(٢) البرهان في تفسير القرآن.

ومضأة والمهساكان والمرزبان والمزمان ويضاه وهاضب وعمر وهم الذين يقول اللَّه تبارك وتعالى اسمه فيهم: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾ وهم التسعة، فأقبل إليه الجن والنبي ﷺ ببطن النخل فاعتذروا بأنهم ﴿ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث اللَّه أحداً﴾ ولقد أقبل إليه أحد وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد، ونصح المسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على اللَّه شططاً، وهذا أفضل ممّا أُعطي سليمان، سبحان من سخّرها لنبوّة محمّد ﷺ بعد أن كانت تتمرّد وتزعم أنّ للَّه ولداً، ولقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى(١).

وعن سعد الأسكاف قال: أتيت أبا جعفر عليه السلام في بعض ما أتيته فجعل يقول: لا تعجل، حتى حميت الشمس عليَّ وجعلت أتتبع الأفياء فما لبثت أن خرج عليَّ قوم كأنهم الجراد الصفر عليهم البتوت قد انتهكتهم العبادة، قال فواللَّه لا أنساني ما كنت فيه من حسن هيئة القوم، فلمّا دخلت عليه، قال: أراني قد أشفقت عليك، قلت: أجل واللَّه لقد أنساني ما كنت فيه قوم مرّوا بي لم أر قوماً أحسن هيئة منهم في زي رجل واحد كأن ألوانهم الجراد الصفر، قد انتهكتهم العبادة، فقال: يا سعد رأيتهم؟ قلت: نعم، قال: أولئك اخوانكم من الجن، فقلت: يأتونك؟ قال: نعم يأتونا ليسألونا عن معالم دينهم وحلالهم وحرامهم(٢).

ورُوي أنّ الحسين بن علي عليه السلام، لمّا كان في موقف كربلاء أتته أفواج من الجن الطيّارة وقالوا له: يا حسين نحن أنصارك فمرنا بما تشاء، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ لكم لفعلنا فجزاهم خيراً، فقال لهم الحسين عليه السلام فيما قال: شاء اللَّه أن يراني مقتولاً(٣).

وعن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: إنّ امرأة من الجن يقال لها عفراء، كانت

---

(١) الاحتجاج.
(٢) مدينة المعاجز.
(٣) المصدر السابق.

تنتاب النبي ﷺ، وتسمع من كلامه، فتأتي صالحي الجن فيُسلّمون على يديها، وفقدها النبي ﷺ فسأل عنها جبرائيل فقال: إنّها زارت أختاً لها تحبّها في اللّه، فقال ﷺ: طوبىٰ للمتحابّين في اللّه، إنّ اللّه تبارك وتعالى خلق في الجنّة عموداً من ياقوتة حمراء عليها سبعون ألف قصر في كلّ قصر سبعون ألف غرفة، خلقها اللّه تعالى للمتحابّين في اللّه، وجاءت عفراء، فقال لها النبي ﷺ: يا عفراء أين كنت؟ فقالت: زرت أختاً لي، فقال: طوبىٰ للمتحابّين في اللّه والمتزاورين[١].

وسمع أبو جعفر عليه السلام يقول: إنّ نفراً من المسلمين خرجوا في سفر لهم، فضلّوا الطريق، فأصابهم عطش شديد، فتكفنوا ولزموا أصول الشجر، فجاءهم شيخ وعليه ثياب بياض، فقال: قوموا فلا بأس عليكم فهذا الماء، فقاموا فشربوا وارتووا، فقالوا: من أنت يرحمك اللّه، فقال: أنا من الجن الذين بايعوا رسول اللّه ﷺ، وإني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، فلم تكونوا تضيعوا ـ تهلكوا ـ بحضرتي[٢].

ورُوي بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر يوم الجمعة، إذ أقبل أفعىٰ من باب الفيل رأسه أعظم من رأس البعير، يهوي إلى المنبر، فتفرّق الناس فرقتين، وجاء حتى صعد على المنبر ثم تطاول إلى أذن أمير المؤمنين، فأصغىٰ إليه بأذنه، فأقبل إليه مليّاً ثم مضىٰ، فلمّا بلغ باب الفيل انقطع أثره، فلم يبق مؤمن إلاّ قال: هذا من عجائب أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبق منافق إلاّ قال: هذا من سحره، فقال: صلوات اللّه عليه: أيّها الناس إنّ هذا الذي رأيتم وصيّ محمّد ﷺ على الجن، وقد وقعت بينهم ملحمة تهادرت فيها الدماء لم يدر ما المخرج منها فأتاني في ذلك، وتمثّل في هذا المثال يريكم فضلي، ولهو أعلم بفضلي عليكم منكم[٣].

---

(١) مدينة المعاجز.
(٢) عوالم العلوم.
(٣) مدينة المعاجز.

وسنروي هنا القصة الكاملة للهام بن الهيم بن لاقيس بن إبليس، وهو أحد مؤمنين الجن، وهو من معمّري الجن، قد امتدّ عمره من عصر هابيل وقابيل إلى عهد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وهذه الرواية، فقد رُوي بالاسناد عن الحسين عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بينما أنا ذات يوم في المسجد إذ دخل علينا رجل طويل كأنه النخلة فلمّا قلع رجله من الأخرى فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله: أمّا أنّ هذا ليس من ولد آدم، قالوا: يا رسول الله وهل يكون أحد من غير ولد آدم؟ قال: نعم هذا أحدهم، فدنا الرجل فسلّم على النبي صلى الله عليه وآله فقال: وعليك السلام من تكون ومن أنت؟ قال: أنا الهام بن الهيم بن لاقيس بن إبليس، قال النبي صلى الله عليه وآله: بينك وبين إبليس أبوان! قال: نعم يا رسول الله قال: وكم تعد من النبيين؟ قال: لما قتل قابيل هابيل كنت غلاماً بين الأعوام أفهم الكلام وأدور الآجام وآمر بقطيعة الأرحام، قال النبي صلى الله عليه وآله: بئس السيرة تذكر إن بقيت عليه، قال: كلا يا رسول الله إني لمؤمن تائب قال صلى الله عليه وآله: وعلى يد من تبت وجرى إيمانك؟ قال: على يد نوح وقد عاتبته على ما كان من دعائه على قومه قال: وأنا على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لقد لاقيت بعده هوداً عليه السلام فكنت أصلي بصلاته وأقرأ من الصحف التي علمني ما أنزل على جدّه إدريس وكنت معه إلى أن بعث الله الريح العقيم على قومه فنجّاه ونجّاني معه وصحبت صالحاً بعده فلم أزل عنده حتى بعث الله على قومه الرجفة فنجّاه ونجّاني معه، ولقيت من بعده أباك إبراهيم فصحبته وسألته أن يعلمني من الصحف التي أنزلت عليه فعلّمني وكنت أصلي بصلاته فلمّا كادوه قومه وألقوه في النار جعلها الله عليه برداً وسلاماً فكنت له مؤنساً ولم أزل معه حتى توفي، فصحبت ولده اسماعيل وإسحاق من بعده ويعقوب ولقد كنت مع أخيك يوسف في الجب مؤنساً وجليساً حتى أخرجه الله وولّاه مصراً وردّ الله عليه أبويه، ولقيت أخاك موسى وسألته أن يعلّمني من التوراة التي أُنزلت عليه فعلّمني فلمّا توفي صحبت وصيّه يوشع بن نون فلم أزل معه حتى توفي ولم أزل من نبي إلى نبي إلى أخيك داوود عليه السلام وأعنته على قتل الطاغية جالوت وسألته أن يعلمني من الزبور الذي أنزل الله عليه فعلمت منه وصحبت من بعده سليمان

وصحبت من بعده أصغب بن رخيا بن سمعيا، ولقيت نبياً بعد نبي فكلّ يبشرني بك ويسألني أن أقرأ عليك السلام حتى صحبت عيسى وأنا أقرأك يا رسول الله عمّن لقيت من الأنبياء السلام ومن عيسى خاصة أكثر سلام اللَّه وأتمه، فقال رسول اللَّه ﷺ: على جميع أنبياء اللَّه ورسله وعلى أخي عيسى مني السلام ورحمة اللَّه وبركاته مادامت السموات والأرض وعليك يا هام السلام فلقد حفظت الوصية وأدّيت الأمانة فسل حاجتك؟ قال: يا رسول اللَّه حاجتي أن تأمر أمتك أن لا يخالفوا أمر الوصي من بعدك فإني رأيت الأمم الماضية الغابرة هلكت بتركها أمر الأوصياء فقال النبي ﷺ وهل تعرف وصيي يا هام؟ قال: إذا نظرت إليه عرفته بصفته واسمه الذي قرأته في الكتب، قال: انظر هل تراه فيمن حضرنا؟ فالتفت يميناً وشمالاً فقال: ليس هو فيهم يا رسول اللَّه، قال: يا هام من كان وصي آدم؟ قال: شيث عليه السلام قال: فمن وصي شيث؟ قال: أنوش قال: فمن وصي أنوش؟ قال: قينان قال: فمن وصي قينان؟ قال: مهلائيل قال: فمن وصي مهلائيل؟ قال: إدّ قال: فمن وصي إدّ؟ قال: النبي المرسل إدريس قال: فمن وصي إدريس؟ قال: متوشلح قال: فمن وصي متوشلح؟ قال: لمك قال: فمن وصي لمك؟ قال: أطول الأنبياء عمراً وأكثرهم لربّي شكراً وأعظمهم أجراً ذاك أبوك نوح قال: فمن وصي نوح؟ قال: سام، قال: فمن وصي سام؟ قال: أرفخشد، قال: فمن وصي أرفخشد؟ قال: غابر، قال: فمن وصي غابر؟ قال: سالخ، قال: فمن وصي سالخ؟ قال: قالع، قال: فمن وصي قالع؟ قال: أشروع، قال: فمن وصي أشروع قال: أرغو، قال: فمن وصي أرغو؟ قال: تاخور قال: فمن وصي تاخور؟ قال: تارخ قال: فمن وصي تارخ؟ قال: لم يكن له وصي بل أخرج اللَّه من صلبه إبراهيم خليل اللَّه قال: صدقت يا هام، قال: فمن وصي إبراهيم؟ قال اسماعيل قال: فمن وصي إسماعيل؟ قال: قيدار قال: فمن وصي قيدار؟ قال: تبت قال: فمن وصي تبت؟ قال: حمل قال: فمن وصي حمل قال: لم يكن له وصي حتى أخرج اللَّه من إسحاق يعقوب قال: صدقت يا هام لقد سبقت الأنبياء والأوصياء، قال: فوصي يعقوب يوسف ووصي يوسف موسى ووصي موسى يوشع بن نون ووصي يوشع داوود ووصي

داوود سليمان ووصي سليمان آصف بن برخيا ووصي عيسى شمعون الصفا، قال النبي ﷺ: هل وجدت صفة وصيّي وذكره في شيء من الكتب؟ قال: نعم والذي بعثك بالحقّ نبياً اني أجد أنّ اسمك في التوراة وميذوميذ واسم وصيك إليا واسمك في الإنجيل حمياطا واسم وصيّك فيها هيدار واسمك في الزبور ماح ماح واسم وصيّك فيها فارقليطا فقال النبي ﷺ فما معنى اسمي ميذ ميذ قال: طيب طيب قال: فما معنى اسمي حمياطا قال: مصطفى قال: فما معنى ماح ماح قال: مُحي بك كل كفر وشكّ قال: فما معنى اسم وصيّي في التوراة إليا؟ قال: إنه الولي من بعدك قال: فما معنى اسمه في الإنجيل هيدار؟ قال: الصدّيق الأكبر والفاروق الأعظم قال: فما معنى اسمه في الزبور فارقليطا؟ قال: حبيب ربّه، قال: يا هام إن رأيته تعرفه قال: نعم يا رسول اللّه فهو رجل مدور الهامة معتدل القامة بعيد من الدمامة عريض الصدر ضرغامه كبير العينين ألف الفخذين أخمص الساقين عظيم البطن سويّ المنكبين فقال ﷺ: يا سلمان ادع لنا علياً فجاء علي عليه السلام حتى دخل المسجد فالتفت إليه هام فقال: هذا هو يا رسول اللّه بأبي هذا وأمي هذا واللّه وصيّك يا رسول اللّه فأمر أمتك لا يخالفونه من بعدك فإن خالفوه هلكوا كما هلكت الأمم بمخالفتها الأوصياء، قال: قد فعلنا ذلك يا هام فهل من حاجة فإني أحبّ قضاءها لك، قال: نعم يا رسول اللّه أحبّ أن تعلّمني من هذا القرآن الذي أنزل عليك وتشرح لي سنتك وشرائعك لأصلّي بصلواتك قال النبي ﷺ: يا أبا الحسن ضمه إليك وعلّمه قال علي عليه السلام: فعلّمته فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو اللّه أحد وآية الكرسي وآيات من آل عمران والأعراف والأنعام والأنفال وثلثين من سورة من الأنفال ثم أنّه غاب فلم نره إلاّ يوم صفين فلمّا كان ليلة الهرير نادى: يا أمير المؤمنين اكشف عن رأسك فإنّي أجده في الكتاب أصلع فقال: أنا ذلك ثم كشف عن كريمته عليه السلام ثم قال: أيها الهاتف إظهر لنا يرحمك اللّه قال فظهر له فإذا هو الهام بن الهيم قال: من تكون؟ قال له: أنا الذي منّ اللّه عليّ بك وعلّمتني كتاب اللّه وآمنت بمحمّد ﷺ قال: فعند ذلك سلّم عليه وجعل يحادثه ويسأله ثم قاتل بين يديه إلى الصبح ثم غاب وقال الأصبغ بن نباتة: فسألت أمير المؤمنين

بعد ذلك عنه قال: قتل الهام بن الهيم رحمة الله عليه[١].

وفي خبر عطرفة الجني ذكر السيد المرتضى في عيون المعجزات قال: ومن دلائل أمير المؤمنين ومعجزاته خبره مع عطرفة الجني وهو خبر معروف عند علماء الشيعة وقد وجدت الخبر في كتاب الأنوار وحدّث أحمد بن محمّد بن عبد ربه قال: حدثني سليمان بن علي الدمشقي عن أبي هاشم الزياتي عن زادان عن سلمان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ ذات يوم جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه وهو مقبل علينا بالحديث، إذ نظر إلى زوبعة وقد ارتفعت فأثارت الغبار ومازالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقعت بحذاء النبي ﷺ ثم برز منها شخص كان فيهم ثم قال: يا رسول الله إني وافد قومي وقد استجرنا بك فأجرنا وابعث معي من قبلك من يَشْرف على قومنا فإن بعضهم قد بغىٰ علينا، ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه، وخذ عليَّ العهود والمواثيق المؤكدة أن أردّه إليك سالماً في غداة غد إلاّ أن تحدث عليَّ حادثة من عند الله، فقال له النبي ﷺ: من أنت ومن قومك؟ قال: أنا عطرفة بن شمراخ أحد بني نجاح وأنا وجماعة من أهلي كنّا نسترق السمع، فلمّا مُنعنا من ذلك آمنّا ولما بُعثت نبياً آمنّا بك على ما علّمته وقد صدّقناك وقد خالفنا بعض القوم وقاموا على ما كانوا عليه فوقع بيننا وبينهم الخلاف وهم أكثر عدداً وقوّة وقد غلبوا على الماء والمراعي وأضرّوا بنا وبدوابنا فابعث معي من يحكم بيننا بالحق، فقال له النبي ﷺ: فاكشف لنا عن وجهك حتى نراك على هيئتك التي أنت عليها، قال فكشف لنا عن صورته فنظرنا فإذا شخص عليه شعر كثير فإذا رأسه طويل العينين عيناه في طول رأسه صغير الحدقتين وله أسنان كأنّها أسنان من السباع، ثم إنّ النبي ﷺ أخذ عليه العهد والميثاق على أن يردّه عليه في غد من يبعث به معه، فلمّا فرغ من ذلك التفت إلى أبي بكر فقال له: سر مع أخينا عطرفة وانظر إلى ما هم عليه واحكم بينهم بالحق، فقال: يا رسول الله وأين هم؟ قال: هم تحت الأرض فقال أبو بكر: وكيف أطيق النزول تحت الأرض وكيف أحكم بينهم ولا

---

(١) المصدر السابق.

أحسن كلامهم، ثم التفت إلى عمر بن الخطاب فقال له مثل قوله لأبي بكر فأجاب مثل جواب أبي بكر، ثم أقبل على عثمان وقال له مثل قوله لهما فأجابه كجوابهم، ثم استدعى علي عليه السلام وقال له: يا علي سرّ مع أخينا عطرفة وتشرِف على قومه وتنظر إلى ما هم عليه وتحكم بينهم بالحق، فقام أمير المؤمنين عليه السلام مع عطرفة وقد تقلّد سيفه، قال سلمان رضي اللّه عنه: فتبعتهما إلى أن صار إلى الوادي فلمّا توسطاه نظر إليَّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: قد شكر اللّه تعالى سعيك يا أبا عبد اللّه فارجع، فوقفت أنظر إليهما فانشقت الأرض ودخلا فيها، وعدتُ إلى ما كنت ورجعت وتداخلني من الحسرة ما اللّه أعلم به، كلّ ذلك إشفاقاً على أمير المؤمنين عليه السلام وأصبح النبي صلى الله عليه وآله وصلّى بالناس الغداة، وجاء وجلس على الصفا وحفّ به أصحابه، وتأخر أمير المؤمنين عليه السلام وارتفع النهار وأكثر الناس الكلام إلى أن زالت الشمس وقالوا: إنّ الجن اختال على النبي صلى الله عليه وآله وقد أراحنا اللّه من أبي تراب وذهب افتخاره بابن عمّه علينا وأكثروا الكلام إلى أن صلّى النبي صلى الله عليه وآله صلاة الأولى وعاد إلى مكانه وجلس على الصفا ومازال أصحابه بالحديث إلى أن وجبت صلاة العصر وأكثروا القوم الكلام وأظهروا اليأس من أمير المؤمنين عليه السلام فصلّى النبي صلى الله عليه وآله العصر وجاء وجلس على الصفا وأظهروا الكفر في أمير المؤمنين عليه السلام وظهرت شماتة المنافقين بأمير المؤمنين وكادت الشمس تغرب فتيقن القوم أنّه قد هلك، وإذا قد انشقّ الصفا وطلع أمير المؤمنين عليه السلام منه وسيفه يقطر دماً ومعه عطرفة فقام النبي صلى الله عليه وآله وقبّل بين عينيه وجبينه وقال: ما الذي حبسك عني إلى هذا الوقت؟ فقال عليه السلام: صرت إلى جن كثير قد بغوا على عطرفة وقومه من المنافقين فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا عليَّ، وذلك أنّي دعوتهم إلى الإيمان باللّه تعالى والإقرار بنبوتك ورسالتك فأبوا فدعوتهم إلى أداء الجزية فأبوا فسألتهم أن يصالحوا عطرفة وقومه فيكون بعض المرعى لعطرفة وقومه وكذلك الماء فأبوا ذلك كلّه فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم أكثر من ثمانين ألفاً فلمّا نظروا إلى ما حلّ بهم طلبوا الأمان والصلح ثم آمنوا وصاروا إلى الإيمان وزال الخلاف ومازلت معهم إلى الساعة فقال عطرفة: يا رسول اللّه جزاك اللّه وأمير المؤمنين خيراً.

نوح الجن على الحسين بن علي عليه السلام

قال ابن نما في مثير الأحزان: ناحت عليه الجن، وذكر صاحب الذخيرة عن عكرمة أنّه سمع ليلة قتله منادياً يسمعونه ولا يرون شخصه: .

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... أبشروا بالعذاب والتنكيل
كلّ أهل السماء يدعوا عليكم ... من نبيّ وملاك وقتيل
قد لعنتم على لسان بن داود ... وموسى وصاحب الإنجيل[1]

وفي رواية أم سلمة قالت: ما سمعت نوح الجن منذ قبض النبي ﷺ، إلاّ اللَّيلة ولا أراني إلاّ وقد أصبت بابني، قالت: وجاءت الجنية منهم تقول:

الا عين فانهملي بجهدي ... فمن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا ... إلى متجبّر في ملك عبد[2]

وعن الميثمي قال: خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصر الحسين بن علي عليه السلام في ممر سوء فعرّسوا بقرية يقال لها شاما، إذ أقبل عليهم رجلان شيخ وشاب فسلّما عليهم، قال فقال الشيخ: أنا رجل من الجن، وهذا ابن أخي، أردنا نصر هذا المظلوم، قال فقال الشيخ الجني لهم: قد رأيت رأياً فقال الفتية: ألا تبيّن لنا ما هذا الرّأي الذي رأيت؟ قال: رأيت أن أطير فآتيكم بخبر القوم فتذهبوا على بصيرة، فقال له: نِعم ما رأيت، قال: فغاب عنهم يوماً وليلة، فلمّا كان من الغد، فإذا هم بصوت يسمعونه ولا يرون الشخص وهو يقول:

واللَّه ما جئتكم حتى بصرت به ... بالطف منعفر الخدين منحورا
وحوله فتية تدمىٰ نحورهم ... مثل المصابيح يكسون الدجىٰ نورا
وقد حثثت قلوصي[3] كي أصادفهم ... من قبل ما أن يلاقوا الخرد[4] الحورا

---

(١) أسرار الشهادة.
(٢) المصدر السابق.
(٣) القولص: الناقة البكر.
(٤) الخرد: البكر.

كان الحسين سراجاً يستضاء به اللّه يعلم أني لم أقل زورا
مجاوراً لرسول اللّه في غرف وللبتول وللطيّار مسرورا[١]

واعلم أنّ مؤمني الجن يعقدون مجالس العزاء على الحسين عليه السلام ومصائب أهل البيت عليهم السلام ويحضرون مجالس الإنس ويبكون وينوحون، وربما يتأثرون بالمصيبة أكثر من الإنس، وقد سمعت مرّة بكاء أحدهم على الحسين عليه السلام وأنا أقرأ له المصيبة، فسمعت منه البكاء ما لم أسمعه في حياتي من أحد، فتوقفت لخوفي أن يموت بكاءً وجزعاً، فسلام اللّه عليك يا مولاي وابن مولاي وجعلنا اللّه من البكّائين لمصابك والطالبين بثأرك ورحمة اللّه وبركاته.

تسخير الجن

قال تعالى: ﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنّا لهم حافظين﴾[٢]، ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾[٣] ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربّه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السّعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً﴾[٤].

وغيرها من الآيات التي تبيّن قدرة الجن بقيام الكثير من الأعمال في خدمة الإنسان، والتي ربما يعجز عن صناعتها الإنسان، فقد ذكر أنّ نبي اللّه سليمان عليه السلام لمّا نظر إلى المردة يهيمون بالفساد، والملائكة يحولون بينهم وبين ذلك بالأعمدة، فصفد المردة وفرّقهم في الأعمال المختلفة من عمل الحديد والنحاس وقطع الأحجار والصخور والأشجار وأبنية الحصون، وأمر

---

(١) مدينة المعاجز.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٢.
(٣) سورة النمل: الآية ١٧.
(٤) سورة سبأ: الآيتان ١٢ ـ ١٣.

نساءهم بغزل القزّ والإبريسم والقطن ونسج البسط والنمارق، وأمر بعضهم بعمل المحاريب والتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات، فاتخذوا له قدوراً من الأحجار كلّ قدر تأكل منها ألف نسمة، واشتغلت طائفة بالطحن وطائفة بالخبز وأخرى بالذبح والسلخ، وطائفة بالغوص في البحار لاستخراج الجواهر واللآلىء، وطائفة لحفر الآبار والقنىٰ وشقّ الأنهار، وطائفة لاستخراج الكنوز من تحت الأرض، وطائفة بالمعدنيات، واستخراجها من المعادن، وطائفة برياضة الخيل الصعاب، فأشغل كلّ طائفة منهم بأمر صعب ليقلّ فسادهم ويكون قوّة ملكه.

وقد أمر سليمان أحد العفاريت والظاهر أنّه صخر الجني بصناعة أواني من القوارير، حتى لا يمتنع عند الشرب من رؤية الشياطين، ثمّ أمره أن يتخذ له مدينة من القوارير لا تحجب سقوفها وحيطانها شيئاً، فبنى مدينة على طول عسكر سليمان عليه السلام وعرضه، وجعل لكلّ سبط من الأسباط فيها قطراً في طول ألف ذراع وعرض مثله، وفي كلّ قصر دور ومجالس وبيوت وغرف للرجال والنساء، ثم بنىٰ مجلساً في طول ألف ذراع وعرضه كذلك ليجلس فيه العلماء والقضاة، ثم بنىٰ لسليمان عليه السلام قصراً رفيعاً عجيباً في طول خمسة آلاف ذراع وعرضه مثله، وزخرفه بأنواع القوارير ورصّعه بأنواع الجواهر، وكان سليمان عليه السلام إذا ركب الريح على بساطه على هذه المدينة يرى كلّ شيء خارج المدينة لصفاء القوارير حتى الطباخين والخبّازين وجميع من ركب بساطه، والكلّ بمرأى من سليمان عليه السلام.

ويستفاد من الأخبار الكثيرة ان بعض الجن أيضاً كانت في خدمة النبي وآله المعصومين عليهم الصلاة والسلام فمنها في حديث قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لنا خدّاماً من الجن فإذا أردنا السرعة بعثناهم، ولكن الفرق بين خدمة الجن للنبي سليمان وفي غيره من الأنبياء والمعصومين عليهم السلام، أنّ الجن والشياطين كانت مأخوذة بالغلبة والجور والإجبار للنبي سليمان عليه السلام، وذلك من السرّ الذي أودعه الله في الخاتم الذي كان يلبسه، وهو المعجزة التي تفرّد بها وأعطته

المُلك والسلطنة ما لم يعط لأحد غيره، قال الإمام الصادق عليه السلام: **جعل اللّه عزّ وجلّ، مُلك سليمان في خاتمه، فكان إذا لبسه حضرته الجن والإنس والشياطين وجميع الطير والوحوش فأطاعوه**[1].

أما غيره من الأنبياء والمعصومين عليهم السلام فكانت طاعة الجن لهم باختيارهم وإيمانهم ويدعون الجن إلى اللّه بالّتي هي أحسن في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأنّهم مخيّرون في الإيمان أو الكفر والطاعة أو العصيان كالإنس تماماً.

والأنبياء والمعصومون عليهم السلام ليس بينهم وبين الجن حجاب وساتر، وذلك لعدّة من الأسرار النورانية أودعها اللّه في أجسادهم وأرواحهم الطاهرة، منها أنّهم حجّة اللّه على الجن لوجوب التكليف عليهم، فمن الحكمة أن لا يكون حجاب بين الحجّة والمرسل إليه، وإلاّ كيف يبلغون ويعلّمون شرايع الدين، والروايات لا حصر لها في كلام النبي والإمام مع الجن والجن معهم عياناً دون حجاب وتكلّف بذكر أو غير، فاللّه جلّ جلاله أوصل كامل الشريعة لهم مشاهدة ومشافهة ومساءلة لكي لا يكون لهم حجّة يوم القيامة، وللّه الحجّة البالغة.

أمّا خدمة الجن للإنس فهي قائمة على قواعد الرياضة الروحية والتسخير والتحضير والجلب والمندل وغيرها من الطرق الجالبة للجن، وهذه القواعد قائمة على عزائم وأقسام ونذورات وأبخرة تجلب الجن، وتقيّده في خدمة المسخّر، ولكن قلّ من يتقن هذه الأمور، وذلك لأنّ الجن خصوصاً كبارها من العفاريت والمردة والملوك لا ترضى بالخدمة بالإجبار لأحد من الإنس فتجدها تضع كلّ السّبل المانعة من تقيّدها وتسخيرها، وقد رأيت عدّة أشخاص أخرجوهم الجن بحيلهم عن إكمال الطريقة، فضربوهم بعاهة مستديمة عجز الأطباء عن شفائها، وعن حكيمة بنت موسى قالت: رأيت الرضا عليه السلام واقفاً

---

(١) النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين.

على باب بيت الحطب وهو يناجي، ولست أرى أحداً، فقلت: سيدي لمن تناجي؟ فقال: هذا عامر الزهرائي أتاني يسألني ويشكو إليَّ فقلت: يا سيدي أحب أن أسمع كلامه، فقال لي: إنّك إن سمعت كلامه حممت سنة، فقلت: يا سيدي أحبّ أن أسمعه فقال لي: اسمعي فاستمعت، فسمعت شبه الصفير، وركبتني الحماء، فحممت سنة(١).

فمن أسباب ركوب الحمّة في حكيمة أنّها كانت مخلّة بشروط المكاشفة مع الجن، وذلك لأنّ المكاشفة مع الجن والدخول في عالم الروحانيات يأتي من مسببات وشروط عديدة يحصل منها على قوّة نفسانية وروحانية يقدر بسببها على تسخير وتقييد الجن، والإتيان بالخوارق منها، وهذه الشروط تنقسم إلى قسمين فطرية ومكتسبة.

أما الفطرية: فهي التي تحصل للإنسان من غير اكتساب ولا نظر إلى الطالع، بل لخصوص هيئته، هذا إذا قلنا: إنّ النفوس جواهر قائمة بالجسم مختلفة بالماهية لأنّه يجوز أن يودع اللَّه تعالى في ماهية مخصوصة قدرة على الإتيان بالخوارق بقوّة وهمية وتخيّل، غير موجودة في غيرها من النفوس، هذا إذا كانت النفوس مختلفة بالماهية كما هو الحق، وأمّا إن قلنا: إنّها متحدة بالماهية فلا شكّ أنّها مع ذلك الاتحاد في الماهية مختلفة بسبب الآلات البدنية، وبسبب الأعراض النفسانية، فلا يبعد أيضاً أن يخصّ اللَّه بعض الأنفس بمزاج خاص يكون آله لنفسه في القدرة على المكاشفة وتسخير الجن، أو يخصّها بعرض مخصوص يكون آله لنفسه ومعدّاً لها على التمكّن من ذلك.

فلا يبعد أيضاً أن يحصل للنفس تلك القوّة المذكورة لأنّ الأمزجة مختلفة جداً من جهة القرب إلى الاعتدال الحقيقي، والبُعد عنه، فيجوز أن يخص اللَّه بعض الناس بمزاج غريب على نهج عجيب قلّ أن يتّفق لأحد من الناس فيقوى بسبب ذلك المزاج المخصوص على الإتيان بمَا يعجز عنه غيره.

---

(١) مدينة المعاجز.

فثبت أنّه على أي احتمال من الاحتمالات المذكورة في النفس يجوز أن تكون قوة التسخير في بعض النفوس فطرية لا دخل لها للطالع ولا للاكتساب.

وأمّا المكتسبة: فهي على قسمين أحدهما المكتسبة القريبة من الفطرية وهي التي دلّ عليها طالع الإنسان، أي وقت انفصال النطفة من الأب واستقرارها في رحم الأم، أو طالع تحويله، أي الكوكب الطالع عند خروج المولود من بطن أمه من الدنيا، أو برج انتهائه أي البرج الطالع عند شروع الإنسان في العلم والعمل، وشاهد هذا الكلام ما ينقل عن ذي القرنين وهو الإسكندر في قصص الأنبياء: أنّ أباه كان أعلم أهل الأرض بعلم النجوم، ولم يراقب أحد الفلك ما راقبه، وكان قد مدّ اللّه له في الأجل، فقال ذات ليلة لزوجته: قد قتلني السهر، فدعيني أرقد ساعة وانظري في السماء، فإذا رأيت قد طلع في هذا المكان نجم وأشار إلى موضع طلوعه، فأنبهيني حتى أطأك فتعلقين بولد يعيش إلى آخر الدهر، وكانت أختها تسمع كلامه ثم نام أبو الإسكندر فجعلت أخت زوجته تراقب النجم فلمّا طلع أعلمت زوجها بالقصّة فوطأها فعلقت منه بالخضر ابن خالة الإسكندر، فلمّا استيقظ أبو الإسكندر رأىٰ النجم قد نزل في غير البرج الذي كان يرقبه، فقال لزوجته: هلاّ انتبهتيني، فقالت: استحييت واللّه، فقال لها: أما تعلمين أنّي أراقب هذا النجم منذ أربعين سنة، واللّه لقد ضيّعت عمري في غير شيء، ولكن الساعة يطلع نجم في إثره، فأطأك فتعلقين بولد يملك قرني الشمس، فما لبث أن طلع، فوطأها أبو الإسكندر، وولد الإسكندر وابن خالته الخضر في ليلة واحدة[١].

فطالع الإنسان بوقت خروج نطفته وعند خروجه من بطن أمه ووقت نضوجه بالعلم كلّها إمّا تدل بجميعها على حصول تلك القوّة، أو تدلّ كلّها على التعويق، أو يدلّ بعضها على حصولها ويدلّ البعض الآخر على التعويق، فإن دلّت كلّها على حصول القوّة المذكورة فقد حصلت الغاية القصوى للمطلوب من

---

(١) مجمع البحرين.

غير معالجة كثيرة بل بأدنىٰ التفات وعناية، وإذا عاقت كلّها فيصعب الأمر جداً، فلا تحصل قوّة في التسخير إلاّ بعد ارتكاب مشقات فادحة ورياضات شاقة، ومن هذا تعرف السر في أنّ شخصاً لا يتعب نفسه في تحصيل قوانين هذا العلم ورعاية شرائطه فيحصل له المطلوب المقصود ولا يخطىء فيه أصلاً، ومنهم من يتعب نفسه في تحصيل تلك القوانين ومراعاة شروطها ثمّ لا يحصّل من المنافع إلاّ شيء قليل جدّاً، ومنهم من يكون متوسط الحال.

وأمّا القسم الثاني وهي المكتسبة الصرفة، وهذا الاكتساب يحصل بمراعاة خمسة عشر شرطاً.

الأول: أنّ من رفض الملاذ الدنيوية وترك الالتفات إلى طلبها بالكلية زالت عن قلبه همومها واشتغالها من الفرح بوجدان شيء، أو الحزن بفقدانه، ويصفو قلبه وتقوى صحته ويخلو سرّه من كلّ ما سوىٰ هذا المطلوب فحينئذٍ يقدر على التفكير فيما يريده، ويصل إلى جميع مقاصده.

الثاني: تنقية قلبه من فضول الأفكار الرديئة، ويجب عليه حينئذٍ تنقية بدنه عن فضول الأخلاط الرديئة، لأنّ تنقية القلب عن الأفكار الرديئة المذكورة متوقفة على الأخلاط، لأنّ من استولى عليه أحد الأخلاط الأربعة كانت تخيّلاته وتفكراته مناسبة لذلك الخلط المستولي الغالب عليه وذلك مخلّ بالغرض المطلوب.

الثالث: مراعاة الغذاء كميّة وكيفية، فأمّا وجه مراعاته كميّة، فبأن يقلّل في ذلك، لأنّ تصرّف الطبيعة في الغذاء شغل عظيم مانع للنفس عن تمام الاشتغال، بما عداه من الأفعال بدليل أنّ الإنسان قلّ ما يقوى على الحسّ والحركة بعد استكثاره من الغذاء، فضلاً عن التفكّر والذكر، وما ذلك إلاّ لأنّ النفس لا يمكنها الجمع بين تدبير الغذاء وتدبير الحسّ والحركة فلذلك تعرض النفس عن تدبير الحسّ والحركة مع شدّة إلف النفس بهما فما ظنّك بالفكر والاستغراق في عالم الغيب مع قلّة إلفها بذلك.

ومن آفات كثرة الأكل فساد الدماغ، لأنّ من أكل كثيراً شرب كثيراً وإذا

شرب كثيراً صعدت الأبخرة الرديّة إلى الدماغ فيثقل الدماغ عن الفكر والتركيز ورُوي عنهم عليهم السلام **إذا إمتلأت البطون نامت العقول.**

وأمّا وجه مراعاة حال الطعام كيفية، فذلك بأن لا يأكل ذي روح ولا ما يخرج منه بل يكون طعامه من النبات فقط، ويحترز أيضاً عن أكل كلّ ما له رائحة كريهة من المطعوم كالثوم والبصل، بل يقتصر على أكل الخبز مع الملح أو نبات الأرض، فإن داوم الإنسان على هذا الحال مع الصوم أربعين صباحاً، صارت نفسه صافية وروحه نقية، فعندها يكون قادراً على التسخير ويصعب على الجن أذيّته أو عصيان أوامره.

الرابع: البعد عن الشواغل الخارجية والتجرّد عنها وذلك لفائدتين:

الأولى: ان إلف النفس للماديات منصبة إلى جانبها مقبلة عليها، وكثرة المداولة لشيء سبب لحدوث الملكات، فلذلك لا تجد نفساً إلاّ وقد حصل لها ملكة الاشتغال بالماديات والانجذاب إلى جانبها، ولما كان الاشتغال بالروحانيات لا يأتي إلاّ بالإعراض عن الماديات لأنّ بمقدار إلف الإنسان للماديات والإلتذاذ بها يكون نفوره عن الروحانيات وكراهته لها، ولهذا يستحيل الأمر مع حضور الماديات الإقبال على الروحانيات، ولهذا من أراد أن تحصل له العلاقة بين نفسه وبين الروحانيات في أول الأمر يجب أن يفر عن جميع الشواغل الخارجة غاية وسعة وطاقة.

الفائدة الثانية: قد تقرر عند جميع العقلاء أنّ القوة الواحدة إذا استعملت بتمامها في جانب واحد، تكون أقوى مما إذا وزعتها وفرّقتها على أمور كثيرة، ألا ترى أنّه ليس حال كل امرىء بتمامه في القوّة كحال كل جزء من أجزائه منفرداً، فإذا عرفت هاتين الفائدتين فاعلم أنّ الله خلق النفس الناطقة مشغولة دائماً بحيث لا تتعطل عن الفعل البتة، لأنّها دائماً إمّا تتفكّر في شيء أو تتخيل فيه إمّا بالتركيب وإمّا بالتحليل، هذا بالنسبة إلى قوّتها النظرية، وأمّا بالنسبة إلى قوتها العملية، فلأنّ الإنسان قلّما يمكنه أن يصبر مدة مديدة من غير أن يأتي بفعل أو يباشر حركة حتى أنّه إن لم يجد فعلاً مهماً يشتغل به تراه يعبث بلحيته

أو يحرك عضواً من أعضائه، كلّ ذلك لأنّه لا يمكنه أن يبقىٰ معطلاً عن العمل ولهذا قيل: إنّ الإنسان فعّال بالطبع، فإذا كان الأمر كذلك فمتى أمكنه صرف نفسه إلى جهة واحدة وفعل واحد أتى بذلك الفعل على أكمل الوجوه وأحسنها.

الخامس: تقوية العلاقة مع الجني المسخّر له وعلى الأمر الذي يريد حصوله، بأن يعلق فكره وهمه بروح ذلك الجن المعني الذي يستعين به على فعل من الأفعال، بحيث يصير ذلك مِلكةً مستقرة عنده كما يحصل للإنسان ملكة الكتابة والتجارة بحيث يصيران كالجبلّة والفطرة.

السادس: الجزم والعزم وهو القطع بنتائج العمل لأنّ من عمل عملاً من هذه الأعمال ثم شكّ فيه لم ينفعه ذلك العمل، وذلك لأنّ القوة النفسانية أحد الأركان القوية في هذا الباب فهي عند الشكّ لا تبقىٰ البتة.

السابع: الكتمان وذلك لأمرين أحدها أن المنهمكين في الشهوات والتابعين لهواء أنفسهم إذا عرفوا هذا العلم استعملوه فيما يغمسهم في الشهوات الرديئة المميتة للنفس الحيّة، وثانيها أنّ أرواح العالم الأعلى يكرهون أن يقف البشر على أسرارها، لأنّ من عرفها طغى وتجبّر وخرج عن حدّ المعبودية إلى حدّ الربوبية والألوهية فيطغىٰ في الأرض لأنّ من عرف الروحانية بأسمائها وحقائقها وأفعالها لم يتعذّر عليه ما يريد من الصلاح والإفساد. وقد ذكر الحكماء أنّ أهل هذا الفن اتفقوا على أنّه متى اجتمع أكثر من أربعة على سرّ من الأسرار منع العنصر الكلّ من صحة العمل.

الثامن: التقوى ويدخل في التقوى أكل الحلال وترك إذاية الناس، واحتمال الأذى، وترك الكذب والغيبة والنميمة وملازمة الصدق والنصيحة لعامّة الخلق وخاصتهم، والنظر إليهم بعين الرأفة والرحمة والشفقة، وكلّما كان صاحب هذا العلم مقبلاً على الخير كلّما كانت أعماله أنجح، لأنّ من خاف اللّه تعالى سخّر له كلّ شيء وأطاعه.

التاسع: الدوام على الخدمة وعدم الملل والسآمة، حيث يجب أن يكون سبيل طالب هذا العلم سبيل العاشق إذا لم يسامحه معشوقه فإنّه إن جلس عن

طلبه لم يدركه البتة، وإن تمادىٰ على الطلب وجد فيه ولو بعد حين فإنّه يدركه.

العاشر: أن لا يراجع الخدّام مرّة بعد أخرى بحيث يجعلها مثل كلبة المعلم أو بازة المعلم فيرصده لجميع ما يراه سائحاً أو بارحاً من الصيد فإنّه يهلك نفسه أو يقطع نفعه، والسرّ في ذلك أن الإجابة إنّما تسرع عند شدّة الحاجة وانسداد جميع الطرق والتعلّقات، عند ذلك يتم التوجّه والعزم، ومتى كان الإنسان متعلّقاً بشيء من الأسباب العادية فلا يتمّ له هذا الأمر.

الحادي عشر: أن لا يستعملها في الأشياء المحقّرة التي يمكن تحصيلها بدونها، لأنّ ذلك كالإهانة لهم والتنقيص لحقّهم حيث استعملهم في المحقرات، بل يجب أن يستعملهم في الأمور العظيمة المهمة، بحسب ما يليق بكل روحاني، ولا تظن أنّ الروحانية خاصة بالأعمال التسخيرية، بل لكلّ عمل روحاني به ينجح المطلوب، فلكل آية واسم وحرف وعشب وجزء من أجزاء الحيوان روحانية موكلة به، ولذلك صار لذلك الشيء خاصية ونفع خاص أو ضرر.

الثاني عشر: أن يحترز وقت العمل من السهو والغلط، وأن لا يشتغل بالعمل حال اشتغال باله بأهل أو مال أو فرح أو حزن أو خوف بل يجب الخلوّ عن جميع ذلك.

الثالث عشر: يجب أن يحفظ القسم الذي يعزم به على الروحانية حفظاً صحيحاً متقناً لا تلعثم فيه، ولا يكفي قراءته بالنظر في كتابة أو ورقة أو لوح، لأنّ ذلك يشغل القلب ويذهب بالخشوع المذكور المطلوب ويقطع النفس عن التوجّه التام الذي هو من أعظم الأركان.

الرابع عشر: الإجازة العامة وهي تعرف وتحصل بالأخذ والتلقي عن من هو أعلم منه في هذا الفن وممن وصل من حيث يبدأ الطالب، وذلك لأمرين الأول: لكي يضمن صحة الطريقة المستخدمة في التسخير، وذلك لندرة وجود الأقسام والعزائم الصحيحة وطرق استخدامها بالوجه الصحيح بالكتب، وإن وجدت فغالباً ما تكون ناقصة أو خاطئة، وذلك لوجوب الكتمان فيها كما ذكرنا

سالفاً، وإنما تحصل بالإلهام أو المنامات الصادقة، ومن ثمّ تنتقل من صدر إلى صدر ولهذا قالوا إنّه مما تناقلته الصدور، فالعمل من غير إجازة ومعلم كالولد من غير والد ينتسب إليه.

والأمر الثاني لكي يأخذ الأمان إن وقع في خطأ الطريقة المستخدمة، وذلك لأنّ الأرواح ترقب الخطأ ونقطة ضعف المسخّر، لكي تمنعه بتاتاً من تسخيرها، فتضربه ضربة لا قوام لها بمرض أو مسٍّ أو جنون وغيرها، ولهذا وجب قبل البدء في العمل وجود معلم عالم بالطريقة المستخدمة وعارف بطرق المعالجة، يراقبه أو أقلاً يعلم به، وذلك إذا وقع الطالب في الخطأ تداركه المعلم بالتصحيح أو علاجه بسهولة لمعرفته سبب المرض وهو نصف العلاج.

الخامس عشر: الرصد، وهو الرصودات الفلكية والاتصالات الكوكبية والمناسبات النجومية فلهذا يتعين لطالب هذه العلوم اتّقان جملة كافية من عالم النجوم، ويندرج في هذا الشرط أمور كثيرة، وكلّها ترجع بالإجمال إلى ثلاثة أمور، الأول: معرفة الرصد، الثاني: مراعاة القوة والفرح للكوكب المنسوب إليه ساعة العمل، الثالث: مراعاة الموافقات ومجانبة المخالفات أيضاً المقابلة لتلك الموافقات، هنا وقد تمت الشروط.

واعلم أنّ شروط الكمال في كلّ نوع من الشروط المذكورة ليست منحصرة فيما ذكر، ولا مطمع لأحد في حصرها ولا في إيراد أكثرها، إذ هي تجلو وتظهر لأولي الكمال من الرجال، ويتفاوت ظهورها لهم بتفاوت المقامات والأحوال، وفيما ذكرناه كفاية وهداية وحصناً منيعاً للدخول في عالم الجن واللّه الموفق.

والطرق الموصلة إلى التسخير محصورة في ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الاستخدام، وهو أعلاها وأقواها نفعاً، وأصعبها جهداً وأقلّها نجاحاً، وتقع الإجابة فيه بعد مدة، وتختلف مددها باختلاف جهة الاستخدام.

النوع الثاني: الاستنزال وهو يلي الاستخدام في الرتبة والإجابة فيه، إنما تكون على الفور إلاّ أن الانتفاع به إنما هو لأمور خاصة ككشف أمور السرقة أو تهمة أو سحر وغيرها كعلاج المصاب بالجان أو نحو ذلك.

النوع الثالث: الاستحضار وهو أدنى المراتب، وهو لا يتعدّى نفعه في كشف الأمور الغائبة كالإخبار بالسرقة، والإخبار بالسحر ولكن لا يستطيع جلبه أو إبطاله إلاّ نادراً، وذلك بتلبيس الجن ببدن متفعل كالصبي أو المرأة، ويتشخص المتهوم وترسم صورته في المرآة، أو يحصل للصبي حالة تشبه حالة النوم، بحيث يغيب عن حواسه وينطق في تلك الحالة باسم المتهوم. والاستحضار يكون إما باليقظة وهو ما ذكرناه أو في المنام، بأن يخبر المسخر ما يريد سؤاله في المنام.

وكل هذا يندرج تحت العزائم وهي أقسام عظيمة يقسم بها على ملوك موكلة على الجن تقهرهم وتسخّرهم في طاعة الطالب، ولكلّ عزيمة طريقة وأصول يجب معرفتها قبل البدء في قراءتها، فمن الأصول العامة معرفة اصراف عمّار المكان ومعرفة اصراف الجن والروحانيين المسخّرين بعد قضاء حاجته منهم، وأن يتبع العزيمة بزجر لكي تكون سريعة الإجابة، وذلك بأن يخاطب الملوك باللين والأعوان والعمّار والقرائن بالشدّة والزجر والقهر والتهديد حتى يكون مهاباً نافذ الكلمة مطاعاً في أمره.

ونذكر هنا جملة من العزائم الصحيحة المجربة عند العلماء المتقدمين في هذا الفن، وما خفي منها مدفون في الصدور، لأن ليس كل ما يعلم يقال ولا كلٍ ما يقال حضر وقته لكي يقال ولا كلّ ما حضر وقته حضر أهله لكي يقال، والله الموفّق.

العزيمة البرهتية

وتسمّى بالعهد القديم، وهو قسم عظيم لا يتخلف عنه ملك ولا يعصيه جني لا عفريت ولا مارد ولا شيطان، وهي كثيرة البركة تغني عن كثير من

العزائم، وتتصرف في جميع الأعمال من استنزال أو استحضار وخدمة وجلب وغير ذلك.

أمّا كيفية العمل بها أن تقرأ بصيام مع الشروط المذكورة خمسة وأربعين مرّة بعد كلّ صلاة لمدّة سبعة أيام، مع البخور المناسب لليوم، ومنهم من قال تقرأ الدعوة في اليوم الأول خلف كلّ صلاة سبعة مرّات وفي اليوم الثاني يتلوها خلف كلّ صلاة أربعة عشر مرة، وفي اليوم الثالث يتلوها خلف كلّ صلاة إحدى وعشرين مرة، وهكذا تضاعف العدد كلّ يوم سبع مرّات إلى تمام اليوم السابع، فيكون عددها خلف كلّ صلاة تسعة وأربعين مرّة.

وهي تحتوي على ثمان وعشرين اسم من أسماء اللّه بلغة يعرفها الملائكة والجن، فيجيبون داعيها بالطاعة والانقياد، وهي: برهتيةٍ برهتيةٍ، كريرٍ كريرٍ، تتليةٍ تتليةٍ، طورانٍ طورانٍ، مزجلٍ مزجلٍ، بزجلٍ بزجلٍ، ترقبٍ ترقبٍ، برهشٍ برهشٍ، غلمشٍ غلمشٍ، خوطيرٍ خوطيرٍ، قلنهودٍ قلنهودٍ، برشانٍ برشانٍ، كظهيرٍ كظهيرٍ، نموشلخٍ نموشلخٍ، برهيلا برهيولا، بشكيلخٍ بشكيلخٍ، قزمزٍ قزمزٍ، انغلليطٍ انغلليطٍ، قبراتٍ قبراتٍ، غياها غياها، كيد هولاءٍ كيد هولاءٍ، شمخاهرٍ شمخاهرٍ، شمخاهيرٍ شمخاهيرٍ، شمهاهيرٍ شمهاهيرٍ، بكهطهونيةٍ بكهطهونيةٍ، بشارشٍ بشارشٍ، طونشٍ طونشٍ، شمخاباروخٍ شمخاباروخٍ تمت الدعوة.

وقد اختلف العلماء في زجرها وذلك اعتماداً على علمهم بالأقسام، والأسماء المتوارثة عن تجربة ورياضات الروح، فمنها أن يقال بعد الدعوة: **بسم اللّه الملك المحيط الدائم القديم الذي ملأ ساطع نور وجهه الأكوان وأمدّها بقوة هيبة سلطانه، على كلّ ملك وجني وإنسي وشيطان وسلطان، فخافته جميع مخلوقاته وأذعنت وتواضعت الكروبيون من أعلى مقاماتها وأجابت دعوة اسمه العظيم الأعظم لمن تكلّم به وأسرعت بالإجابة والبرهان المحكم المكتوب في ألواح قلوب المتصرفين، بدوح أجهزط عليكم أيتها الأرواح الروحانية العلوية والسفلية وخدّام هذا العهد الكبير أن تجيبوا دعوتي وتقضوا حاجتي، بحق هذا العهد المأخوذ عليكم يا خدّام هذه الأسماء إلاّ ما أسرعتم الانقياد فيما تؤمرون**

به، بعزّة المعتز في عِزِّ عِزِّه، واوفوا بعهد اللّه إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم اللّه عليكم كفيلا، وبحقّ الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، احضروا واسمعوا وأطيعوا، وكونوا عوناً لي على ما أمرتكم به بحقّ الاسم الذي أوله آل وآخره آل، يا آل شلع ويا آل جل زريال، إحترق من عصىٰ أسماء اللّه، أقسمت وعزمت عليكم بعالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، وبحق الاسم الذي تعاهدتم به عند باب الهيكل الكبير وهو، بعلشاقش، مهراقش، اقشامقش شقهونهش، ومن يعرض عن ذكر ربّه يسلكه عذاباً صعدا وبحقّ آهيا شراهيا أدوناي أصباؤت آل شداي، وإنه قسم لو تعلمون عظيم، الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة بارك اللّه فيكم وعليك.

ومن زجرها أيضاً يقال بعد الدعوة: أيتها الملائكة الطيبة المباركة النارية والترابية والهوائية والمائية والعلوية والسفلية، ومن كان منكم يسترق السمع من السماء إلى الأرض، ومن يوافق الكواكب والأمور الخفيات والجليات، ومن يسير منكم بسير النجوم، ومن يستضيء منكم بضوء الشمس والقمر ومن هو مجاور تحتهم ومن يطير في الهوى ومن يهوى لملأ الأشجار والبراري والقفار والصحاري والمروج والآكام والجبال والمغارات، والسهل والوعر، والأماكن المتقطعة والطرق الصعبة والمواضع الضيقة، ومن خلقه اللّه من نار السموم وهو سامع مطيع لأسماء اللّه وكلماته التامات، وأقسمت عليكم بالبعث والنشور وبالملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون طعامهن التسبيح وشرابهم التقديس، وبحق آهيا شراهيا آدوناي اصباوت آل شداي، وأقسمت عليكم بالحي القيوم خالق الأرض والسماء، وبالذي قال للسموات والأرض إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وأقسمت عليكم بجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والملائكة أجمعين إلاّ ما أجبتم دعوتي وحضرتم مجلسي هذا وقضيتم حاجتي في الوقت فإن فعلتم ذلك فلكم السّلامة، وإن أبيتم فعليكم من اللّه وملائكته ﴿يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران﴾ تم الزجر.

ويذكر للدعوة هذا الزجر أيضاً: أقسمت عليكم وأدعوكم معاشر الأرواح

الروحانية بالاسم الذي تكلّم به ملك الأرواح فتساقط منه رؤوس الملائكة الروحانيين والكروبيين والصافين سجداً تحت عرش ربّ العالمين وهو يا نكير يا نكير هورين هورين هورش هورش يا روخ أبراخ أبداخ وبحق أشمخ شماخ العالي على كل برخ وبحق طشطيش يا نطيطيوين يا نطيطوه وبحق شلشليش باكورا آل قدوس علي قوي عزيز.

العزيمة الثانية

وتسمى بالدعوة اللاهوتية، ورياضتها أن تتلى خمسين مرة كل يوم لمدة سبعة أيام في خلوة وصيام مع مراعاة الشروط المذكورة، وهي: بسم اللّه الرحمن الرحيم، ظهرت القدرة المؤيدة بثناء المبرور وارتعاد النور العلي الرفيع المحيط الذي لا يطيق إليه نظر الكروبيين، من النور الذي تحترق من هيبته جميع الروحانيين، العظيم الذي سبّحت له جميع الملائكة الصافين والمسبحين، العليم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور الفرد الذي أنزل في كتابه العزيز: ﴿ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾ اللّهمّ إني أسألك بالنّظرة التي نظرت بها إلى جبل طور سيناء فانهد خوفاً وتفرّق واستفرق وصاح وجرى كما يجري الماء خيفةً منك وتعظيماً لعظمة عظمتك، يا هو أنت اللّه يا من يعلم ما هو إلاّ هو أنت هو اللّه لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم، اللّه لا إله إلاّ هو ليجمعنّكم إلى يوم القيامة، أنت اللّه الذي أشرق وأبرق ولمع ضياء بهائك وجمالك ونور ذاتك على طور سيناء فاخترق ألف ألف وثلاثمائة وستين حجاباً، فاخترقت الحجب واهتز العرش، وناديت بلسان القدرة أنا اللّه العظيم لا عظيم غيري، أنا اللّه ألف لام ميم، أنا اللّه أنا اللّه أنا اللّه ياه ياه أنا اللّه آهيا شرياهيا أدوناي أصباؤت آل شداي، أنا اللّه الأحد، أنا اللّه الصمد، العزّة ردائي والعظمة دثاري، ومن يخالفني أحرقته بناري، وأنا عليه جبّار يوم القيامة أنا اللّه، قضيت أربعة عشر أرضاً وسماء كيف تخالفون أمري أم كيف تنكرون ولا إله غيري، أهبطوا أيتها الأرواح أينما كنتم في ملكوت اللّه تعالى، علويا وسفليا ترابيا وناريا مائياً، ورياحياً سحابياً، وغمامياً برّياً وبحرياً، أجيبوا بحق

ما أقسمت به عليكم من قبل أن تنزل عليكم ملائكة الحجب المطيعة لقسمي هذا فيهتكون الأسرار، ويخربون الدّيار، وينشرون النور نشراً، وعجلوا من قبل أن يغضب اللَّه عليكم فيسلّط عليكم الزعازع والقواذف والرعود القواصف والبروق الخواطف، والزلازل الرّواجف، والرياح العواصف، والغيم المتكاثف والعذاب الواصب المترادف، والشواظ الحارق، ولا خلاص لكم ولا مفرّ لكم من قيودي، فإني أقسمت عليكم بالحروف النورانية والأقسام السريانية والأسماء العبرانية، بشهتوفٍ بشهتوفٍ يا مديتاشٍ تلوتيةٍ بنوكوشٍ مشدشٍ اشوهٍ دناهوهٍ مَجيهٍ قليونوشٍ وخهٍ وخهٍ يعيوشٍ برموظٍ يا بهلنودٍ تشوتٍ تشتوتٍ يا عَمْلونٍ طلطلورشٍ مهفركوشٍ مرتويلٍ وعزبرشٍ سههٍ شهرنوهٍ بههٍ فتور توخ يالوخ أفقٍ أفقٍ أروكهٍ أرفكهٍ مردوهٍ أشوهٍ عزّ وجل وسلّ وعزّ وهلّ بهلنٍ مهلوٍ توهٍ ديدهٍ أشيهٍ أخوصٍ يا مصطلوتٍ سالٍ داكٍ داكٍ أوكهٍ روسيتوصٍ عمليلٍ جميليلٍ ملوكوهٍ دملوكوسٍ آساةٍ يا هدةٍ يا هرةٍ يا خلوشٍ، أجيبوا يا أهل الحجب السبعة سرابيلهم من قطران وتغشىٰ وجوههم النار، ليجزي اللَّه كل نفس ما كسبت، إن اللَّه سريع الحساب تمت الدعوة.

العزيمة الثالثة

تتلا عقب كل صلاة عشر مرّات، لمدة أسبوع، فإنّها تتصرّف في الجن بالطاعة والانقياد، ومتى قرأها ثلاث مرّات وقصد حرق مارد أو شيطان احترق في الحال وهي: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، أقسمت عليكم أيّها الملوك السبعة المقدّسون بين يدي ربّ العالمين بآهيا شراهيا أدوناي أصباؤت آل شداي، أن تنزلوا أيّها الأرواح العلوية الموكلة بخدمة السبعة الفوقانية، انزلوا على السبعة ملوك العلوية، والعلوية على الفلكية، والفلكية على الهوائية والهوائية على الرياحية، والرياحية على الغمامية، والغمامية على السّحابية، والسّحابية على النارية، والنارية على السّحرية، والسّحرية على الترابية، والترابية على الأرضية، والأرضية على المائية، والمائية على القرارية والقرارية على الغواصة، والغواصة على من عصىٰ وتمرّد وطغىٰ من جنود إبليس أجمعين، تأخذوا بنواصيهم

وبأفواههم مسرعين طائعين، باللّه الذي لا إله إلاّ هو، نور على نور، عزيمتي هذه على كلّ مارد عنيد وشيطان مريد من ملوك الجن والشياطين، والأبالسة أجمعين ﴿أن لا تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين﴾ مسرعين ﴿ومن يعرض عن ذكر ربّه يسلكه عذاباً صعداً﴾ ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السّعير﴾ ﴿ولقد علمت الجنّة انهم لمحضرون﴾ ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا﴾ ﴿أين ما تكونوا يأت بكم اللّه جميعاً إنّ اللّه على كلّ شيء قدير﴾، أين ميمون أبانوخ، وأنت يا مذهّب، وأنت يا أبيض، وأنت يا أحمر أبا محرز، وأنت يا برقان صاحب العجائب، وأنت يا أبا الوليد شمهورش، وأنت يا أبا الحارث أبو مرة، وأنت يا ميمون صاحب ربع الدنيا، وأنت يا دنهش صاحب الوسواس، وأنت يا زوبعة، أجيبوا واحضروا وعجلوا لطاعة اللّه العليّ الكبير الأول الآخر الظاهر الباطن الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر الخالق البارىء المصوّر المبدىء المعيد الأحد الصمد الصادق الدائم الباقي القادر، نور النور، ونور الأنوار، وخاتم الأسرار، ومكوّر اللّيل على النّهار ومكوّر النهار على اللّيل، ومدبّر الفلك الدّوار والعالم بالسرّ والإجهار، الذي له الحمد والنعمة والعظمة والكبرياء لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم، أين ميكائيل أين إسرافيل أين دردائيل أين روقيائيل أين عزرائيل أين ميططرون، أين الموكلون بأرواح الجن والشياطين، أين من إذا تليت عليهم الأسماء خرّوا لربّهم سجداً، أقسمت عليكم بحقّ من على العرش استوى وعلى الملك احتوى، أجيبوا، وافعلوا ما تؤمرون به أنتم وأعوانكم وبنيكم ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت، وكان أمر اللّه مفعولا﴾ ﴿يا قومنا أجيبوا داعي اللّه وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجرّكم من عذاب أليم، ومن لا يجب داعي اللّه فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين﴾ دملاخ دملاخ براخولا براخولا هيلا هيلا شلا شلا، تسرعون، أجيبوا بحق من ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ ﴿اللّه لا إله إلاّ هو ليجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، ومن أصدق من اللّه حديثا﴾ تمّت الدعوة.

العزيمة الرابعة

من لازم ذكرها أربعاً وخمسين مرّة صباحاً ومساءً، مع مراعاة الشروط والخلوة والصيام، صار من أرباب التصريف، وأُعطي الهيبة ونفوذ الكلمة عن جميع الروحانيين، وهي العزيمة الجامعة لجميع الأسرار الروحانية، ولا يستغني عنها أحد من طلاّب هذا العلم، لأنّ سرّها عظيم وفضلها جسيم وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم اللّه وباللّه ومن اللّه وإلى اللّه وعلى اللّه وفي اللّه، ولا إله إلاّ اللّه، وما النصر إلاّ من عند اللّه، ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم، وأقسمت عليكم يا معشر الأرواح الروحانية والملوك الطاهرة الزكية والأشخاص الجوهرية، والأرواح النورانية، بحق حقّ اللّه، وبقدرة قدرة اللّه، وبعظمة عظمة اللّه، وبسلطان سلطان اللّه، وبعزّ عزّ اللّه، وبنور وجه اللّه، وبما جرىٰ به القلم من عند اللّه إلى خير خلق اللّه سيدنا محمّد صلّى اللّه عليه وآله ابن عبد اللّه ورسول اللّه تبارك اسم اللّه، وجلّ ثناء اللّه، ولا إله غير اللّه حيّ قيّوم مالك الملك بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام عزيز جبّار متكبر قهّار قوي متين قادر مقتدر شديد البطش، شديد العقاب سريع الحساب، لا يغلبه غالب ولا ينجو منه هارب، بحول اللّه وقوّته وعظمة أسمائه، وآياته، أقسمت عليكم يا ملائكة ربّ العالمين، بحقّ الأسماء التي تكلّم بها ربّنا على السموات فارتفعت، وعلى الأرض فسطحت، وعلى الجبال فنصبت وعلى العيون فتفجّرت، وعلى الأنهار فجرت، وعلى البحار فزخرت، وعلى النجوم فأزهرت وعلى الشمس فأضاءت، وعلى القمر فاستنار، وعلى اللّيل فأظلم، وعلى النهار فأضاء، وبحقّ الأسماء التي يحيي اللّه بها الموتى ويميت بها الأحياء، وبحقّ الأسماء المكتوبة على سرادق العرش، وبحقّ ما في اللّوح المحفوظ من الأسماء والنقش، وبحقّ من رفع السماء بغير عمد، وبسط الأرضين على ماء جمد، وبقدرة اللّه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وبحق من اتّخذ إبراهيم خليلاً، وكلّم موسى تكليماً، وخلق عيسى من روح القدس وبعث محمّد صلّى اللّه عليه وآله بالحق

بشيراً، سبحان من انشقّ من نوره السموات والأرض، وأنارت به الشمس وأضاء به القمر، وخضع كلّ شيء بقدرته، ويسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، إلاّ ما حضرتم في حضرتي، وأجبتم دعوتي، وقضيتم حاجتي أيها الملوك الفلكية السبعة روقيائيل وجبرائيل وسمسمائيل وميكائيل وصرفيائيل وعنيائيل وكيفيائيل، بحقّ حملة العرش العظيم والكرسي الجسيم، والملائكة المقرّبين جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، والأنبياء المرسلين والشهداء والصالحين وبحقّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم، وما فيها من الآيات والذكر الحكيم، فإني أقسم عليكم ﴿وانه لقسم لو تعلمون عظيم، انه لقرآن كريم في كتاب مكنون، لا يمسّه إلاّ المطهرون، تنزيل من ربّ العالمين﴾ ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم﴾ إلى عليم بذات الصدور الآية رقم ٦ من سورة الحديد ـ ﴿هو اللّه الذي لا إله إلاّ هو عالم الغيب والشهادة﴾ ـ إلى آخر سورة الحشر ـ أقبلوا سامعين طائعين بخيلكم ورجالكم، ذكوركم وإناثكم صغيركم وكبيركم حتي لا يتخلف عني أحد منكم إن كنتم طائعين لأسماء اللّه ربّ العالمين، بحقّ من شقّ سمعكم وأبصاركم وخلقكم من نار السّموم، أجب يا أبا ديباج ويا بني عفيف ويا بني طريف ويا أبا طارش ملك العمّار، ويا أبا محمّد الغواص، ويا أبا الزمازم، ويا أم الزمازم وافعلوا ما آمركم به، وما أمرتكم كذا وكذا، بحقّ هذه الأسماء وطاعتها لديكم، أجيبوا أيها الملوك السبعة الفلكية، وأمروا الملوك المذكورة بطاعتي وقضاء حاجتي الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة، بارك اللّه فيكم وعليكم تمت الدعوة.

العزيمة الخامسة

وتسمّىٰ بالقسم السليماني، لا يتخلّف عنه جنيّ ولو تخلّف أو تباطأ إحترق في الحال، وتلاوته كلّ يوم إحدىٰ وعشرين مرة وهو: بسم اللّه الحي القيّوم الرحمن الرحيم، ربّ جبرئيل وميكائيل آه آه آه آه آهيا شراهيا آهيا، هاهيا، نماهيا أدوناي أصباؤت آل شداي، شلعجص شليقوش، طظكليوش، مهلوشخ بهمش، هميوش، يشهيث، شناهش، مرططكيوش، نافهلم، نافغلا،

ثاوثٍ، ما أعظم هذا الكلام، ما أعظم سلطان اللّه، احترق من عصى أسماء اللّه بالنّار الموقدة، اصعقوا بهم الرجيف والفزع الشديد واروع العظيم والعذاب الأليم، أجيبوا بحقّ اللّه الكبير، إن كانت إلاّ صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون، أجيبوا واسمعوا وأطيعوا وأسرعوا، بحقّ ما أقسمت به عليكم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم، الوحا الوحا، العجل العجل، الساعة الساعة، بارك اللّه فيكم وعليكم تمت الدعوة.

العزيمة السادسة

وتسمّى بقسم العوالم الأرضية، تقرأ إحدى وعشرين مرة، مع مراعاة الشروط، والبخور كندر، وهي: بسم اللّه الرحمن الرحيم، بسم اللّه الذي له اسم لا ينسى ونور لا يطفى، وملك لا يزول، وعرش لا يتحوّل، وكرسي لا يتحرّك، وبه أقسمت عليك أيّها السيد ميططرون، يا ملك الأرواح الروحانية الأبرار الساكنين تحت عرش الملك الجبّار الساجدين للّه الواحد القهّار، الجارين بجريهم المتصرفين في جميع أفعالهم، بالذي وكّلك على الملائكة الكرام وأيّدك بالجنود والأملاك، وأعطاك هذه القوة واصطفاك، وخلق لك الملائكة، إلاّ ما أمرت خدّامك وأعوانك دعيائيل وبهيائيل، أن ينزلوا بعزّة ربّهم، وأن يعينوني بقوّة من عندهم بعزّة شمخٍ شمخٍ هلخٍ هلخٍ أطوفٍ أطوفٍ أضمنٍ أضمنٍ أطفإٍ أطفإٍ أصباؤت أصباؤت بالاسم الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمّد صلّى اللّه عليه وآله، إلاّ ما أجبتم وأسرعتم ونزلتم بقوة منكم، هشمةٍ هشمةٍ كموشٍ كموشٍ أيكموشٍ أيكموش برمةٍ برمةٍ مقيل مقيلٍ كيماخٍ كيماخٍ، أينك يا تمّام عفريت السّحاب، أينك يا أحمر، أينك يا شمردل الطيار، أينك يا أبا نوخ، أينك يا سيدوك، أينك يا نجاح أينك يا فلاح، أينك يا شماق، أينك يا أبا نوخ الأسود، أينك يا برقان، أينك يا درديائيل، أينك يا رقيائيل، أينك يا جبرائيل، أينك يا سمسمائيل، أينك يا ميكائيل، أينك يا صرفيائيل، أينك يا عينائيل، أينك ياكسفيائيل، أينك يا هشفكل، أينك كا كطاشيل، أينك يا ناطوش، أينك يا زوبعة، أينكم يا دناهشة، أينكم يا قشاقشة، أينكم يا

غيلان، أينكم يا سكان الجبال، أينكم يا سكان القفار، أينكم يا سكان الحمامات، أينكم يا سكان المزابل، أينكم يا سكان الطرقات، أحضروا بارك اللّه فيكم وعليكم، وافعلوا، كذا وكذا، فإني جلبتكم وحكمت عليكم بالعهود والمواثيق التي أخذها عليكم سليمان بن داود عليهما السلام، وبالاسم الذي ألقي إلى مريم فتمثّل لها بشراً سوياً، أقسمت عليكم بقهشل وقهشول وعلشقوم، وبالاسم الذي أنزل على الصخرة الصماء فانشقت وعلى الأرض فانبسطت وعلى الجبال فرست، وعلى اللّيل فأظلم وعلى النهار فأضاء، وبالاسم الذي نادى به ربّنا الجبل فتمايل الجبل فرقاً، ورشح العرش عرقاً، وماجت الأرض قلقاً، وخرّ موسى صعقاً، بعلشاقش بعلشاقش مهراقش مهراقش أقشامقاش أقشامقاش، ملقشا ملقشا، شقمونهش شقمونهش ركشار ركشار، ركشالخ ركشالخ، هوش هوش نوش نوش، مارش مارش، توكلوا يا خدّام هذه الأسماء، وافعلوا كذا وكذا، بقوّة الذي تقلقلت من هيبته صم الصخور الصلاب، وخضعت الجبابرة لعزّته، لا إله إلاّ هو الكبير المتعال، مخرج الأشياء من العدم إلى الوجود، الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة بارك اللّه فيكم وعليكم، ﴿إن كان إلاّ صيحة واحدةً فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ تمت الدعوة.

العزيمة السابعة

وتسمّى بالدعوة الجامعة، وتستخدم للاستنزال والاستحضار والتوكيل في الأعمال، وإخراج الدفين، وغير ذلك ممّا يتعلّق بعلم الروحانية، وتقرأ سبعة مرّات، أو تسعة، أو تسعة وأربعون، بحسب أهمية الغرض، وبخورها كلّ ذي رائحة ذكية وهذه هي الدعوة: بسم اللّه الرحمن الرحيم، المنعوت بالجلال والكبرياء المتقدّس، عن الشبه بمخلوقاته، بسم اللّه ربّ الآخرة والأولى، ربّ العباد المنزّه عن الأضداد والأنداد والصاحبة والأولاد، خالق الأشباح والأرواح، بسم اللّه ذي البطش الشديد ذي القوّة المتين، الذي قامت بأمره السموات والأرض يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته باختلاف اللّغات والأصوات، بسم اللّه الذي خلق السموات بقدرته ودحا الأرض بإرادته ومشيئته، وأدار

النجوم في الأفلاك بحكمته، وفجّر البحار وسخّرها لبريته، واستوىٰ على جميع ما كوّنه من الأشياء بقهره وقدرته، أزلي قديم لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته، كان وجوده قبل الأزمان الغابرة والدهور الداهرة، القدّوس الطاهر العليّ المتعال، القاهر، تعاليت يا محيط واحتجبت بقدس الأنوار اللاهوتية والعظمة الأزلية، الخفيّة عن إدراك فهم البرية النائية النامية عن عقول ذوي الأذهان الصافية، يا بارىء تعالى مجدك، وتقدّست أسماؤك، وعظم آلائك وكبريائك، فلا قادر غيرك ولا قاهر سواك أسألك باسمك وأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وكلماتك التي قلت بها لجميع ما في الأكوان كوني فكانت كما تشاء، التي لا يثبت لبلاغها خلق أرض ولا سماء، وأسألك بما أودعته من سطوات قهرك وغلبة سلطانك، وعِزّة تأييدك أن تسخّر لي ملائكتك وجميع الروحانيين الطاهرين المؤمنين المطيعين لأسماء ربّ العالمين، من الملائكة والروحانيين الآخذين بنواصي الجنّ والشياطين بما أقسم اللّٰه به على السموات والأرض فأتيا طائعين لأسمائه بقدرته، بالكلمات التّامات العظمىٰ، وبالآيات الكبرى، وبصفات اللّٰه العليا وهو ربّ الآخرة والأولى، وأدعوكم بما نزل به جبريل على آدم وإدريس وسليمان وكافّة المرسلين بآه آه آه أهياشراهيا، أدوناي أصباوت آل شداي، ما أعظم أسماء اللّٰه، واغوثاه واغوثاه، نور التوراة به تلألأ بهنو آه آه آه ياهو ياهو، شليم شوليم نموه نموه، هياه هياه، صهصها صهصها، هجهجا هجهجا، آه آه يه يه يا نوخ نموه، وبالاسم الذي أخذ به ربنا العهد على كلّ شيء فخضع وذلّ لهيبة الربوبية، وعظمة الألوهية، وبالاسم الأعظم المخزون المكنون، زهزال شلع يعويوبيه يه بتكه بتكفال، باشمخ، شماخ بميخا، بالذي ترعدون من مخافته، وتخرّون صعّقاً لهيبة جلاله العظيم، وأدعوكم باللّٰه الحيّ القيوم، لابس المهابة المتجلّي بالكبرياء والنور الذي أظهر بارقة من إشراق بهاء نوره الكريم، على جبل طور سيناء فانهد وتدكدك وخرّ موسى صعقاً، وخرّت الملائكة سجّداً في السموات وتحت العرش وفي الهواء خائفين مرعوبين من عزّة قهرك الجليل، طائعين لأسمائك الحسنى وكلماتك العظمىٰ، وأدعوكم بالاسم الذي إذا تكلّم به ملك الأرواح تساقطت منه رؤوس

الملائكة الروحانيين والكروبيين والصافين والمسبّحين، بحقّ يا نكيره، هورين، باروخ يا شمخ شماخ نماخ نماخ العالي على كل براخ طثطنيش غلش شبلش اكراكر اله قدّوس عزيز قوي قدوس باق ذو عزّة باهرة بعالم طيموثا منيعا شديد الإرعاد، طيثا ياطوثا منيعا يا عالم طيموثا، بعزّتك يا بخ يا ها بورا، يا شمخ، قيوما رحيما، مايوشا مايوشا، هولاين، هلهليشا، اللّه الواحد القهّار، هوهوهو هوغان كبارا وجبارا مايوت مايوت، جلّ ثناؤه وعزّ سلطانه شيموث بهورش بهورش، صص صص صمدي، هو موميص طهميص، هو ميصصاهو، بحق ملك الأرض والسماء وإله الخلق أجمعين، أجيبوا بحق يه يه يه، بيه بيه بيه، وريال برخيال هوريال شوريال، رخشيال، هدريال، بهقيال، أجبني يا ميططرون، برقيال، نوريال عشيال عذريال شرحيال، أين ما كنتم من ملكوت اللّه عزّ وجلّ، اهبطوا وافعلوا ما أمرتكم به، بحق برنيوش ممیال آه آه هوأه هو هو، هو ربّ النور الأعلى العجل يا ملائكة ربّكم الذي ألجم الجن بكلماته، عجلوا بحق كاف من كافي، وصاد من صادق، وعين من عالم، وحاء من حافظ، وميم من ملك، وسين من سلام، وقاف من قوي، بكهيعص، حمعسق، آلَمَ، آلمص، آلمر، آلر، طَه، طَسَم، طَسَ، يس، ص، حَمَ، ق، ن، بالربّ الجليل، مقدّر الأجل في الأزل، خالق كلّ شيء، وإله كلّ شيء، وهو على كلّ شيء قدير، مشطاط، طاط يوه شمشوش، هيوط هيوط آه آه، كيكياش، أسرعوا يا ملائكة ربي أنتم ومن تحت أيديكم، ومن تحت أيديهم من أصناف الجن بحقّ ربّ السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، هيوط هيوط، مرنياش مرنياش، نوش نوش ليخا ليخا، بسمسطوس، ططهو، سيورشر بهرديوش، طشهشخطلفوس، أيل طهاي، وإنّه لقسم لو تعلمون عظيم، حضور حضور آمين تمّت الدعوة.

العزيمة الثامنة

وتسمّى بالعزيمة الدهروشية، تتلا أربعين صباحاً، كلّ صباح أربعين مرّة، وعندها لا يتخلف عنها عارض أو جني أو شيطان أين ما كان وهي: بسم اللّه

شراهيا، دهمونا عالي، متعال في علوّه، أين الأجناد القوية أين الشمهاهرية، أين كردم ودردم، أين عصاب، أين صاحب جبل الدخان، أين الراكب على الفيل المتعمم بالثعبان، أجيبوا بحقّ الأسماء العبرانية برهوثا وشيموثا، أجيبوا طائعين للّه ربّ العالمين، بحقّ قلْ أوحيَ إليَّ أنّه استمع نفر من الجن إلى شططاً من سورة الجن، تمّت بعون الله.

العزيمة التاسعة

وبها يتصرّف الطالب في كلّ أمر من جلب خير أو دفع شرّ وضرّ، باستجلاب خدّام الدعوة وهي: بسم اللّه الرحمن الرحيم، بسم اللّه الحيّ القيّوم الدائم القاهر الذي خلق الأشياء كلها، كيف شاء بقدرته، وخلق آدم بعظمته، ونفخ فيه من روحه فسجدت له ملائكة السموات والأرض، وأمرها بإرادته فاستمسكت بجلاله، فسبحانه لا إله إلاّ هو الملك المعبود، مخرج الأشياء من العدم إلى الوجود، أعزم عليكم أيتها الأرواح الروحانية، الأبرار الساكنون تحت عرش الملك الجبّار بالذلّة والوقار، لا إله إلاّ هو الواحد القهّار، الجائلون في فلك القمر السيّار، السائرون بسيرانه المتصرفون في أفعاله، أقسمت عليكم باللّه وعظمته والعرش ورفعته والكرسي وسعته، وجبريل ووجهته، وميكائيل وأمانته، وإسرافيل ونفخته، وعزرائيل وقبضته، وباسم اللّه العظيم الأعظم الدائم القائم على كلّ نفس بما كسبت والشاهد عليها بما عملت، فبحقّه عليكم أدعوكم معاشر الأرواح الروحانية الظاهرون، أجيبوا دعوتي واقضوا حاجتي، واحضروا مقامي وشمّوا دخنتي، بحقّ ما أقسمت به عليكم الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة، بحقّ لياخيم ليالغو ليافور لياروث لياروغ لياروش لياشلش، أجب يا روقيائيل وأنت يا مذهب بحقّ لياخيم أجب يا جبريل، وأنت يا مرة، بحقّ ليالغو، أجب يا سمسمائيل وأنت يا أحمر، بحق ليافور أجب يا ميكائيل، وأنت يا برقان بحق لياروث، أجب يا صرفيائيل وأنت يا عبد الرحمن بحق لياروغ أجب يا عنيائيل وأنت يا زوبعة بحق لياروش أجب كسفيائيل وأنت يا ميمون بحق لياشلش، وبحق نور الأنوار وسرّ الأسرار ومالك الملك ذي الجلال

والإكرام، لا إله إلاّ هو القادر المقتدر، أجيبوا بحقّ الواحد الأحد، يمهمهوب مهمهوب، ذي اللّطف الخفي، بصعصع صعصع ذي النور والبهاء والكمال والجمال، يا اللّه بسهسهوب سهسهوب ذي العزّ الشامخ الذي له العظمة والكبرياء، يا اللّه يا اللّه يا اللّه يمهلهوب مهلهوب هيبروش هيبروش الاركياظ الذي له نور فوق كل نور، أجيبوا بحقّ معملخش قَوْدمٍ، قدوس الذي سخّر البحر البحر لموسى بن عمران ذي النور، عالم الأسرار وماً في ظلمات البحار، توكّلوا بحق ما أقسمت به عليكم، توكّل يا برقان وانفذ بروحانيتك في كذا وكذا، توكّلوا يا معاشر الأملاك العلوية والسفلية فيما أمرتكم به بحق ما أقسمت به عليكم باللّه العظيم الأعظم الذي حكمه نافذ فيكم، ولا يعصيه منكم أحد، بارك اللّه فيكم وعليكم، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته تمت الدعوة.

واعلم أنّ مما يجب على الطالب، متى أراد البدء في رياضة العزيمة، مراعاة الشروط المذكورة في أول الموضوع، وقبل قراءة الدعوة يجب التحجّب بالآيات والأدعية المانعة والحاجبة عن تصرّف الجن في ضرره، لأنّ هذه الدعوات لا يتخلّف عنها أحد من الجن وملوكهم والعفاريت والمردة والغيلان والقرائن والعمّار والتوابع وغيرهم من أصناف الجن، وفي كتاب إكسير الدعوات من الحجب ما يليق بهذه العزائم لهذا المؤمن.

وعلى الطالب أيضاً إصراف عمّار المكان، وقد ذكرنا ذلك في بدء المطلب، وأيضاً خلوة المكان من غيره وطهارته، وطهارة الثياب والبدن، وإشعال البخور المناسب للدعوة، أي ما يستأنس به خدّام وملوك الدعوة، وذلك اعتماداً على تصريف الدعوة ونية عمل المسخّر، فإذا كانت الدعوة للشرّ فيكون البخور، ذو رائحة نتنة وكريهة، كالحلتيت والتنكار والزفت والمرّ والصبر ولاذن وقشر البيض والبصل، وغيرها على حسب مطلوب الدعوة، وإذا كانت الدعوة لعمل الخير كجلب السحر وإبطاله، أو حرق جنّي متمرّد على إنسان، وغيرها من الأمور الجائزة في الشرع وهو الفاصل بين الخير والشرّ، فدعوتها تحتاج البخور الطيب كالعود والجاوي واللبان، وغيرها من الروائح التي لا تعدها نفس الإنسان كريهة.

واعلم أيها الأخ الناظر في هذه الكلمات، إنّ العزائم والدعوات المذكورة كلّها محصورة في عمل الخير، ولا يمكنني إرخاء عنان القلم لما يستلزم كشف ما لا يجوز استخدامه، وإني سمحت بما لم يسمح به أحد قبلي في شروط تسخير الجن وعزائمها وزجرها، وبينت السبيل وأوضحت المطلب، وأستغفر اللّه من طغيان القلم، واستخدامها في دفع موجبات الألم، وحسبي اللّه ونعم الوكيل.

أعمال الشياطين وما يتعلق بها

عن الرّضا عن آبائه، قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: **إنّ لإبليس كحلاً وسفوفاً ولعوقاً، فأمّا كحله فالنوم، وأمّا سفوفه فالغضب، وأمّا لعوقه فالكذب** وفي رواية بدل السفوف السعوط، وقال سعوطه الكبر.

ورُوي: **لمّا هبط إبليس قال: يا ربّ قد لعنته فما عمله؟ قال: السحر، قال: فما قراءته؟ قال: الشعر، قال: فما كتابته؟ قال: الوشم، قال: فما طعامه؟ قال: كلّ ميتة وما لم يذكر اسم اللّه عليه، قال: فما شرابه؟ قال: كل مسكر، قال: فأين مسكنه؟ قال: الحمام، قال: فأين مجلسه؟ قال: الأسواق، قال: فما مؤذنه؟ قال: المزمار، قال: فما مصائده؟ قال النساء.**

ومما جاء في ابتلاء المؤمن بالشيطان، سمع أبو جعفر عليه السلام يقول: **إذا مات المؤمن خلا على جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضر، كانوا مشتغلين به**[(١)].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال: **والذي بعث بالحقّ محمّداً، العفاريت والأبالسة على المؤمنين أكثر من الزنابير على اللّحم، والمؤمن أشدّ من الجبل، الجبل تدنو منه بالفأس فتنحت منه، والمؤمن لا يستقل عن دينه**[(٢)].

---

(١) عوالم العلوم.
(٢) تفسير العياشي.

وعن النبي ﷺ في حديث إلى أن قال: نصر اللّه تعالى اليهود على المشركين بذكرهم لمحمّد وآل محمّد، ألا فاذكروا يا أمّة محمّد، محمّداً وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصر اللّه به ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم، فإنّ كلّ واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته وملك عن يساره يكتب سيئاته، ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه، فإذا وسوسا في قلبه، وذكر اللّه وقال لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم، وصلّى اللّه على محمّد وآله الطيبين، خنس الشيطانان ثم صارا إلى إبليس وشكواه، وقالا له: قد أعيانا على أمره، فامددنا بالمردة، فلا يزال يمدّهما، حتى يمدّهما بألف مارد، فيأتونه، فكلّما راموه ذكر اللّه وصلّى على محمّد وآله الطيبين، لم يجدوا عليه طريقاً ولا منفذاً، قالوا لإبليس: ليس له غيرك تباشره بجنودك فتغلبه وتغويه فيقصده إبليس بجنوده فيقول اللّه تعالى للملائكة: هذا إبليس قد قصد عبدي فلاناً أو أمتي فلانة بجنوده ألا فقاتلوهم فيقاتلهم بإزاء كلّ شيطان رجيم منهم مائة ألف ملك وهم على أفراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار، وقسي ونشاشيب وسكاكين وأسلحتهم من نار فلا يزالون يخرجونهم ويقتلونهم بها، ويأسرون إبليس فيضعون عليه تلك الأسلحة، فيقول: يا ربّ وعدك وعدك، قد أجّلتني إلى يوم الوقت المعلوم، فيقول اللّه تعالى للملائكة: وعدته أن لا أميته ولم أعده أن لا أسلّط عليه السلاح والعذاب والآلام، استبقوا منها ضرباً بأسلحتكم، فإني لا أميته فيثخنونه بالجراحات ثم يدعونه فلا يزال سخين العين على نفسه وأولاده المقتلين، ولا يندمل شيء من جراحاته إلاّ بسماعه أصوات المشركين بكفرهم، فإن بقي هذا المؤمن على طاعة اللّه وذكره، والصلاة على محمّد وآله بقي على إبليس تلك الجراحات، فإن زال العبد عن ذلك وانهم في مخالفة اللّه عزّ وجلّ ومعاصيه، اندملت جراحات إبليس ثم قوّى على ذلك العبد حتى يلجمه، ويسرج على ظهره ويركبه ثم ينزل عنه ويكرب ظهره شيطاناً من شياطينه، ويقول لأصحابه أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا، ذلّ وانقاد لنا الآن حتى صار نركبه، هذا ثمّ قال رسول اللّه ﷺ، فإن أردتم أن تديموا على إبليس سخينة عينه وألم جراحاته، فدوموا على طاعة اللّه وذكره،

والصلاة على محمّداً وآله، وإن زلتم عن ذلك كنتم أسراء إبليس فيركب أقفيتكم بعض مردته[١].

وسمع أبو عبد اللّه عليه السلام يقول: إنّ اللّه إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة بيضاء، وفتح مسامع قلبه، ووكّل به ملكاً يسدده، وإذا أراد بعبد سوء نكت في قلبه نكتة سوداء، وسدّ عليه مسامع قلبه، ووكّل به شيطاناً يضلّه، ثم تلا هذه الآية ﴿فمن يرد اللّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ الآية.

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ إبليس لعنه اللّه يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأعظمهم فتنة أدناهم منه مجلساً، فيجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئاً، ثمّ يجيء أحدهم فيقول: فرّقت بينه وبين أهله، فيقول: نعم أنت ابني فيدنيه منه.

عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام قوله تعالى: ﴿لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم، ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾، قال فقال أبو جعفر عليه السلام: يا زرارة أنّه إنما صمد لك ولأصحابك، فأما الآخرون فقد فرغ منهم[٢].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال إبليس: خمسة أشياء ليس لي فيهن حيلة وسائر الناس في قبضتي، من اعتصم باللّه عن نيّة صادقة، واتّكل عليه في جميع أموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم اللّه له ولم يهتم لرزقه.

ومن أعمال الشياطين عند ولادة الإنسان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من مولود ولد إلاّ وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم اللّه أنّه من شيعتنا حجبه عن ذلك الشيطان، وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان باصبعه السبابة

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) الوافي.

في دبره، فكان مأبوناً، وذلك أن الذكر يخرج للوجه، فإن كان إمرأة أثبت في فرجها وكانت فاجرة، فعند ذلك يبكي الصبي بكاءً شديداً، إذا خرج من بطن أمّه، واللَّه بعد ذلك يمحو ما يشاء ويثبّت وعنده أمّ الكتاب(١).

ومن أعمال الشياطين يأتون أولياء اللَّه عند الموت ليصدّوهم عمّا هم عليه، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: إنّ الشيطان ليأتي الرجل من أوليائنا عند موته، يأتيه عن يمينه وعن يساره ليصدّه عمّا هو عليه، فيأبى اللَّه له ذلك، وكذلك قال اللَّه: يثّبت اللَّه الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة(٢). ولهذا يستحبّ قراءة دعاء العديلة والأدعية التي يقرّ بها بالإيمان والأصول الخمسة بصدق وخلوص، حتى يمنح المرء أماناً من خطر وسوسة الشيطان والعدول عن الإيمان عند الموت.

ومن أعمال الشياطين، شيطان يقال له هزع يأتي الناس بالمنام، عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: إنّ لإبليس شيطاناً يقال له: هزع يملأ ما بين المشرق والمغرب، كلّ ليلة يأتي الناس في المنام، وهو الذي يأتي بالأحلام المفزعة والكوابيس، ويجثو على النائم فيثقله عن القيام للصلاة، أو يقطع دخول النوم، فيقع ما يعرف بالأرق والسهر، ولتجنّب هذه الأمور يستحب قراءة الآيات والأدعية المخصوصة عند النوم المذكورة في كتب الأدعية.

ومن أعمال الجنّ أنّها تلبس الثياب التي لم يسمّ عليها عند خلعها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وآله: إذا خلع أحدكم ثيابه، فليسمّ لئلاً تلبسها الجن، فإنّه إن لم يسمّ عليها لبستها الجن حتى تصبح، أقول: إنّ هذا ليس مخصوصاً باللّباس، بل كلّ ما لم يسمّ عليه، سواءً كان طعام أو شراب أو لباس أو فراش وحتى جماع، فللشيطان فيه التصرّف واستعماله إمّا بإتلاف عين أو مع بقاء عينه وقد قدمنا من الأحاديث ما يدلّ على ذلك، فعن أبي

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.
(٢) عوالم العلوم.

عبد الله عليه السلام قال: إذا توضأ أحدكم ولم يسمِّ كان الشيطان في وضوئه شرك، وإن أكل أو شرب أو لبس لباساً ينبغي أن يسمّى عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك.

ومن أعمال الشياطين أنّها تنظر إلى عورة الإنسان إذا انكشف ولم يسمِّ، قال أبو جعفر عليه السلام: إذا انكشف أحدكم لبول أو لغير ذلك، فليقل بسم الله، فإنّ الشيطان يغضّ بصره عنه حتى يفرغ.

ومن أعمال الشيطان أنّه يشارك الإنسان في الطعام إذا لم يسمِّ، قال أبو جعفر عليه السلام: إذا أكلت الطعام فقل بسم الله في أوله وآخره، فإنّ العبد إذا سمّى في طعامه قبل أن يأكل، لم يأكل معه الشيطان، وإذا سمّى بعدما يأكل وأكل الشيطان منه، تقيّأ ما كان أكل.

ورُوي: لا يمشي أحدكم في نعل واحد فإنّ الشيطان يمشي في نعل واحد.

ورُوي أيضاً: التثاؤب والعطاس في الصلاة من الشيطان.

ومن أعمال الشياطين مشاركة الآباء وقت المجامعة إذا لم يسمِّ، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في معنى ولا تجعله شرك الشيطان، قال: قلت وكيف يكون من شرك الشيطان؟ قال: إذا ذكر اسم الله تنحّى الشيطان، وإن فعل ولم يسمِّ أدخل ذكره وكان العمل منهما جميعاً والنطفة واحدة[1].

وعن أبي بصير أيضاً قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمّد أي شيء يقول الرجل منكم إذا دخلت عليه امرأته؟ قلت: جعلت فداك أيستطيع الرجل أن يقول شيئاً؟ فقال: ألا أعلمك ما تقول؟ قلت: بلى قال تقول: بكلمات الله استحللت فرجها وفي أمانة الله أخذتها اللّهمّ إن قضيت لي في رحمها شيئاً فاجعله باراً تقيّاً واجعله مسلماً سوياً ولا تجعل فيه شركاً للشيطان، قلت: فأيّ شيء يعرف ذلك؟ قال: أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ، ثم ابتدأ هو، وشاركهم

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

في الأموال والأولاد، فإن الشيطان يجيء حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها، ويحدث كما يحدث وينكح كما ينكح، قلت: بأي شيء يعرف ذلك قال: بحبّنا وبغضنا من أحبّنا كان من نطفة العبد ومن أبغضنا كان من نطفة الشيطان[1].

وعن النبي ﷺ قال: إذا جامع الرجل امرأته ولم يسمِّ انطوى الشيطان إلى إحليله فجامع معه.

وقال ابن عباس إذا أتى الرجل امرأته وهي حائض سبقه الشيطان إليها، فحملت فجاءت بالمخنث، فالمخنثون أولاد الجان.

تصرف الشياطين في الأعين والأبدان

قال أبو جعفر عليه السلام: كان إبليس يوم بدر يقلل المسلمين في أعين الكفّار، ويكثّر الكفّار في أعين المسلمين.

وعن أبي بصير عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سمعته يقول: وإذا قرأت القرآن فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم أنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون إنّما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، قال فقال: يا أبا محمّد يسلّط من المؤمنين على أبدانهم ولا يسلّط على أديانهم، قد سلّط على أيوب فشوّه خلقه ولم يسلّط على دينه، وقوله إنّما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، الذين هم باللّه مشركون يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم.

وعنه عليه السلام قال: إنّ اللّه عزّ وجلّ يبتلي المؤمن بكلّ بلية ويميته بكلّ ميتة، ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب كيف سلّط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله، وعلى كلّ شيء منه ولم يسلّط على عقله، ترك له يوحّد اللّه به وفي رواية: نفخ في منخريه من نار السموم فصار جسده نقطاً نقطاً.

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

وفيما جاء في قدرة الجن على الخطف، قال تعالى: ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين، قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك، وإني عليه لقويٌّ أمين﴾[1].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل الكوفة، فأقام بها أياماً، فبينا هو يدور في طرقها، فإذا هو بيهودي قد وضع يده على رأسه وهو يقول: معاشر الناس، أفبحكم الجاهلية تحكمون وبه تأخذون، وطريقاً لا تحفظون، فدعا به أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف بين يديه وقال: ما حالك يا أخا اليهود، فقال: يا أمير المؤمنين أني رجل تاجر خرجت من ساباط المداين ومعي ستون حماراً، فلمّا حضرت موضع كذا، أخذ ما كان معي اختطافاً ولا أدري أين ذهب بها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام لن يذهب منك شيء، يا قنبر أسرج لي دابتي فأسرج له فرسه، فلمّا ركبه قال: يا قنبر، ويا أصبغ بن نباتة خذا بيد اليهودي وانطلقا به أمامي، وانطلقا به حتى صارا إلى الموضع الذي ذكره فخط أمير المؤمنين عليه السلام، بسوطه خطة، فقال لهم: قوموا وسط الخطة ولا تجاوزوها فتخطفكم الجن، ثم قنع فرسه واقتحم في الصحراء، وقال معاشر ولد الجن من ولد الحارث بن السيد وهو إبليس، إن لم تردّوا عليه حمره ليخلصٍ ما بيننا وبينكم من العهد والميثاق ولأضربنكم بأسيافنا حتى تنيبوا إلى أمر اللّه، فإذا بقعقعة اللجم وصهيل الخيل الطاعة الطاعة للّه ولرسوله ولوصيّه، ثم تجرّد في الصحراء ستون حماراً بأحمالها لم يذهب منها شيء، فأدّاها إلى اليهودي[2].

وبهذا فقد ثبت أنّ في بعض الموارد الخاصة، يكونٍ للجن التصرف في الأبدان دون العقل، وهذا التصرف لا يكون إلاّ بإذن اللّه، وفق أسباب معينة تتيح للشياطين التصرف في الأبدان والأعين والخطف كما تقدم في الروايات.

---

(١) سورة النمل: الآية ٣٩.

(٢) مدينة المعاجز.

في أحوال إبليس وصفاته

في حديث طويل عن علي بن محمّد الصوفي: أنّه لقي إبليس، وسأله من أنت؟ قال: أنا من ولد آدم، فقال إبليس: لا إله إلاّ أنت من قوم يزعمون أنهم يحبّون اللّه ويعصونه، ويبغضون إبليس ويطيعونه، قال: فمن أنت؟ قال: أنا صاحب الاسم الكبير، والطبل العظيم، أنا قاتل هابيل، أنا الراكب مع نوح في الفلك، أنا عاقر ناقة صالح، أنا صاحب نار إبراهيم، أنا مدبّر قتل يحيىٰ، أنا ممكّن قوم فرعون يوم النيل، أنا مخيل السحر وقائده إلى موسىٰ، أنا صانع العجل لبني إسرائيل، أنا صاحب منشار زكريا، أنا السائر مع أبرهة إلى الكعبة بالفيل، أنا المجمع لقتال محمّد يوم أُحد وحنين، أنا ملقي الحسد يوم السّقيفة في قلوب المنافقين، أنا صاحب الهودج يوم الخريبة والبعير، أنا الشامت يوم كربلاء بالمؤمنين، أنا إمام المنافقين، أنا مهلك الأولين، أنا مضلّ الآخرين، أنا شيخ الناكثين، أنا ركن القاسطين، أنا أمل المارقين، أنا أبو مرّة المخلوق من نار لا من طين، أنا الذي غضب عليه ربّ العالمين.

فقال الصوفي بحقّ اللّه ألا دللتني إلى عمل أتقرّب به إلى اللّه، وأستعين به على نوائب دهري، فقال: إقنع من دنياك بالعفاف والكفاف، واستغن على الآخرة بحبّ علي بن أبي طالب، وبغض أعدائه، فإني عبدت اللّه في سبع سمواته وعصيته في سبع أرضيه، فما وجدت ملكاً مقرّباً ولا نبيّاً مرسلاً إلاّ وهو يتقرّب بحبّه، ثم غاب عن بصري، قال: فأتيت أبا جعفر، وأخبرته بخبره، فقال عليه السلام: آمن الملعون بلسانه وكفر بقلبه(١).

عن النبي صلى الله عليه وآله قال: كان إبليس أوّل من ناح وأوّل من تغنّى، وأوّل من حدى، قال: لما أكل آدم من الشجرة تغنىٰ، فلمّا هبط حدى به، فلمّا استقرّ على الأرض ناح لتذكّره ما في الجنة، فقال آدم: ربّ هذا الذي جعلت بيني وبينه

---

(١) مدينة المعاجز.

العداوة لم أقو عليه، وأنا في الجنة، وإن لم تعنّي عليه لم أقو عليه، فقال اللّه: السيّئة بالسيّئة، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، قال: ربّ زدني، قال: لا يولد لك ولد إلاّ جعلت معه ملكين يحفظانه، قال: ربّ زدني قال: التوبة معروضة في الجسد ما دام فيه الروح، قال: ربّ زدني، قال: أغفر الذنوب ولا أبالي، قال: حسبي.

فقال إبليس: ربّ هذا الذي كرّمته عليَّ وفضّلته، وإن لم تفضل عليَّ لم أقو عليه، قال: لا يولد له ولد إلاّ ولك ولدان، قال: ربّ زدني قال: تجري منه مجرى الدم في العروق، قال: ربّ زدني، قال: تتخذ أنت وذريّتك في صدورهم مساكن، قال: ربّ زدني قال: تعدهم وتمنّيهم، وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً[1].

ورُوي: أنّ إبليس ظهر ليحيىٰ عليه السلام، فرأى عليه معاليق من كلّ شيء، فقال له: ويحك ما هذه المعاليق؟ فقال: الشهوات التي أصيب بها بني آدم، قال: فهل لي فيها من شيء؟ قال: ربّما شبعت فتثقل عن الصلاة وتُغلب على الذكر، فقال يحيىٰ: فللّه عليَّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً، فقال إبليس: وللّه عليَّ أن لا أنصح مسلماً أبداً.

وإنّ إبليس كان يأتي يحيىٰ بن زكريا طمعاً أن يفتنه، وعرف ذلك يحيىٰ منه، وكان يأتيه في صور شتّى، فقال له: أحبّ أن تأتيني في صورتك التي أنت عليها، فأتاه عليها، فإذا هو مشوّه الخلق كريه المنظر، جسده جسد خنزير، ووجهه وجه قرد، وعيناه مشقوقتان طولاً، وأسنانه كلّها عظم واحد، وليس له لحية، ويداه في منكبيه وله يدان أخريان في جانبيه، وأصابعه حلقة واحدة، وعليه لباس المجوس واليهود والنصارى، وفي وسطه مِنطقة من جلود السباع فيها كيزان معلّقة، وعليه جلاجل، وفي وسطه جرسٌ عظيم، وعلى رأسه بيضة من حديد معوجة كالخطاف، فقال يحيى: ويحك ما الذي شوّه خلقتك؟ فقال:

---

(١) تفسير العياشي.

كنت طاووس الملائكة، فعصيت اللّه فمسخني في أخسّ صورة، وهي ما ترى، فقال: ما هذه الكيزان؟ فقال: شهوات بني ادم، قال: فما هذا الجرس؟ قال: صوت المعازف، قال: فما هذه الخطاطيف؟ قال: أخطف بها عقولهم، قال: فأين تسكن؟ قال: في صدورهم وأجري في عقولهم، فما الذي يعصمهم منك؟ قال: بغض الدنيا وحبّ الآخرة.

وأنّ إبليس ينكح كغيره من الجن، وهو يختص دون غيره من الجن والشياطين في أنّه يستطيع أن ينكح نفسه، ففي باطن فخذه الأيمن ذكر وفي باطن فخذه الأيسر فرج، فإذا أراد نكاح نفسه يطبق الفخذ الأيسر على الأيمن أو العكس، فيلد ويبيض كلّ يوم ما أراد. ومن أولاده المذهب وهفّاف ومرَّة والولهان والمتقاضي، وثبر والأعور ومسوط وداسم وزلنبور وخنزب، والشيصبان وساجيا وزُرْبا ومسمار وديهيش وزوبعة وزيغة وصبصار وسمدون وصعصعة وقيراط ورياط وسلاهب وأصعر وسلهاب وعمر ومنسويه والرّها وهطهط وبهرام وطايوس ومهبل وقابوس ودمار وفروة وفرّة وسرياط وقاطرس ودهار وعافر وعسرج وعسطيج ونهوس ونهروس والبطر ومهلب ومهيّل والحارب والحويرب وعيص والهريس والهرسم وبهرز ونعمان ولصيق وعريس وطهار وفرطس والسّامر والهائم والأقبس وبهيم والهام وعليص والأقبض وهامة بن الأقبض وبلدون ودفليس وابنته أم الصبيان ومريون، وغيرهم ممن يعتمد عليهم في أعماله ما لا حصر لهم.

ان إبليس ليس من الملائكة

فيما جاء في أنّ إبليس ليس من الملائكة:

سُئل أبي عبد اللّه عليه السلام عمّا ندب اللّه الخلق إليه أدخل فيه الضلال، قال: نعم والكافرون دخلوا فيه لأنّ اللّه تبارك وتعالى أمر الملائكة بالسجود دخل في أمره الملائكة وإبليس، فإنّ إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد اللّه، وكانت الملائكة تظن أنّه منهم ولم يكن منهم، فلمّا أمر اللّه الملائكة

بالسجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أنّ إبليس لم يكن منهم، فقيل له عليه السلام كيف وقع الأمر على إبليس، وإنّما أمر اللّه الملائكة بالسجود لآدم، فقال: كان إبليس منهم بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة، وذلك أنّ اللّه خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس فيهم حاكماً في الأرض فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث اللّه الملائكة فقتلوهم وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء، وكان مع الملائكة يعبد اللّه إلى أن خلق اللّه تبارك وتعالى آدم[١].

وسُئل عليه السلام: عن إبليس أكان من الملائكة، أو هل كان يلي شيئاً من أمر السماء؟ قال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السماء وكان من الجن وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان اللّه يعلم أنّه ليس منها فلمّا أمر بالسجود كان منه الذي كان[٢].

في أسماء إبليس

فيما جاء في تسمية إبليس لعنه اللّه:

عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم إبليس ما كان في السماء، فقال: كان اسمه الحارث، وسأله عن أول من كفر وأنشأ الكفر، قال: إبليس لعنه اللّه.

وعن الرضا عليه السلام: أنّه ذكر إبليس اسم الحارث، وإنّما قول اللّه عزّ وجلّ يا إبليس يا عاصي، وسمّي إبليس لأنّه أبلس من رحمة اللّه وفي رواية أنه كان اسمه حين كان مع الملائكة عزازيل وفي رواية نائل وفي رواية أبو كدوس.

وعن أبي الحسن علي بن محمّد العسكري عليه السلام قال: معنى الرجيم أنّه مرجوم باللعن مطرود من مواضع الخير لا يذكره مؤمن إلاّ لعنه، وأنّ في علم

---

(١) تفسير القمي.
(٢) تفسير العياشي.

اللَّه السابق أنّه إذا خرج القائم عليه السلام لا يبقىٰ مؤمن في زمانه إلاّ رجمه بالحجارة، كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن.

ومن تفسيره عليه السلام قال: الشيطان هو البعيد من كلّ خير، الرجيم المرجوم باللّعن المطرود من بقاع الخير.

عبادة إبليس

فيما جاء في عبادة إبليس:

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: إنّ إبليس عَبَدَ اللَّه في السماء سبعة آلاف سنة في ركعتين، فأعطاه اللَّه ما أعطاه ثواباً له بعبادته[١].

وفي حديث طويل عنه عليه السلام أنّ إبليس قال: عبدت اللَّه عزّ وجلّ في الجان اثنتي عشرة ألف سنة فلمّا أهلك اللَّه الجان شكوت إلى اللَّه عزّ وجلّ الوحدة فعرج بي إلى السماء الدنيا، فعبدت اللَّه عزّ وجلّ اثنتي عشرة ألف سنة في السماء واثنتى عشرة ألف سنة في جملة الملائكة[٢].

وعنه عليه السلام قال: أمر اللَّه إبليس بالسجود لآدم مشافهة فقال: وعزّتك لئن أعفيتني من السجود لأعبد لك عبادة ما عبدها خلق من خلقك[٣].

موت وهلاك إبليس

فيما جاء في موت وهلاك إبليس:

عن أبي عبد اللَّه عليه السلام قال: إنّ إبليس قال: انظرني إلى يوم يبعثون، فأبى اللَّه ذلك عليه، فقال: إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فإذا كان يوم المعلوم ظهر إبليس في جميع أشياعه منذ خلق اللَّه آدم عليه السلام إلى يوم الوقت

---

(١) علل الشرايع.
(٢) الاختصاص.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.

المعلوم، وهي آخر كرّة يكرّها أمير المؤمنين عليه السلام، فقال الراوي وإنّها لكرّات؟ فقال: نعم إنّها لكرّات وكرّات، ما من إمام في قرن إلاّ ويكرّ في قرنه يكرّ معه البرّ والفاجر في دهره، حتى يديل اللَّه عزّ وجلّ المؤمن من الكافر، فإذا كان اليوم الوقت المعلوم كرّ أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه، وجاء إبليس في أصحابه ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات، يقال لها: الروحا، قريباً من كوفتكم، فيقتتلون قتالاً لم يقتل مثله منذ خلق اللَّه عزّ وجلّ العالمين، فكأني أنظر إلى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا إلى خلفهم القهقرى مائة قدم، فكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات، فعند ذلك يهبط الجبّار عزّ وجلّ في ﴿ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾، ورسول اللَّه أمامه بيده حربة من نور، فإذا نظر إبليس رجع القهقرى ناكصاً على عقبه فيقولون أصحابه أين وقد ظفرت؟ فيقول: ﴿إني أرى ما لا ترون إني أخاف اللَّه ربّ العالمين﴾ فيلحقه النبي فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه، وهلاك جميع أشياعه، فعند ذلك يعبد اللَّه ولا يشرك به شيئاً، ويملك أمير المؤمنين أربعاً وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي ألف ولد من صلبه ذكر، في كلّ سنة ذكراً فعند ذلك تظهر الجنّتان المدهامّتان، عند مسجد الكوفة، وما حوله بما شاء اللَّه[1].

وعنه عليه السلام أنّه قال: يوم الوقت المعلوم يذبحه رسول اللَّه صلى الله عليه وآله على الصخرة التي في بيت المقدس[2].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن.

(٢) تفسير القمي.

عالم الذر

﴿وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلىٰ شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين﴾[١] .

انه ممّا لا شكّ فيه ولا ريب أنّ الموجودات كلّها لم يكونوا مخلوقين، فخلقهم اللّه بإيجاده، وهذا الإيجاد ليس جبراً على الطاعة ولا جبراً على المعصية، وإنّما خلقهم بمقتضىٰ قبولهم بطور رضاهم وطلب صلاح أنفسهم واختيارهم حتى لا يكون لأحد على اللّه حجّة، ولا يقول لم خلقتني كذا وكذا، فإذا عرفت ما ذكرناه نقول: إنّ اللّه سبحانه خلق جميع المخلوقات أولاً في عالم الذرّ بكمال الشعور والاختيار، فعن أبي بصير قال قلت لأبي عبد اللّه عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذرّ؟ قال: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه[٢]، أي ركّب فيهم العقل والنفس، فبالعقل يختار الخير وبالنفس يختار الشرّ، وعندها حصل الاختيار وأخذ الميثاق، فمنهم من أطاع واستجاب ومنهم من رفض وأنكر، فلمّا أراد اللّه أن يخلقهم في عالم الدنيا جعل طينة أوّل من أجاب واستجاب من أعلىٰ عليين وأصل الجنّة وطينة الذين تبعوهم من فاضل طينتهم، وخلق طينة المنكرين من سجين ومن حمأ مسنون، إلى أن أنزلهم اللّه في عالم الشهادة وجدّد تكليفهم حتى يظهر إيمان الذين آمنوا في عالم الذرّ وكفر

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٢) تفسير القمي.

من كفر فيه، وهذا التجديد يكون بكامل الاختيار والتّصرف لكي يشهدوا على إقرارهم في عالم الذر، بمعنى أنّ الذين قبلوا العهد وأطاعوا اللّه في عالم الذرّ، يجب أن يقيّدوا ذلك بالطاعة للّه في الدنيا لأنّ هذه شوارد، فيجب الثبات على الإجابة التي عاهدوا اللّه عليها حين قال لهم ألست بربكم ومحمّد نبيّكم وعلي وليّكم وإمامكم والأئمة من ولده أئمتكم، فقالوا: بلى، فإذا ثبتوا عليها بالطاعة للّه والابتعاد عن معصيته في الدنيا أدخلهم الجنّة، وأيضاً العاصين الذين لم يجيبوا دعوة اللّه بالقبول، فيقول اللّه لا تقنطوا من رحمتي مادام التكليف باقياً، فإن أجابوا في دار الدنيا أقلتكم وقبلت منكم وأدخلتكم جنتي برحمتي، وكتب الأخبار مشحونة بذلك مفصّلاً ونحن نختصر بذكر جلّها خوفاً من التطويل واللّه الموفّق.

سمعَ أبو جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام يقول: إنّ اللّه عزّ وجلّ لما أخرج ذريّة آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له وبالنبوة لكلّ نبي، فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوّته محمّد بن عبد اللّه صلى الله عليه وآله، ثم قال: إنّ اللّه عزّ وجلّ قال لآدم أنظر ماذا ترى، فنظر آدم عليه السلام إلى ذريّته وهم ذرّ قد ملأوا السماء، قال آدم: يا ربّ ما أكثر ذريّتي، ولأمر ما خلقتهم فما تريد منهم بأخذ الميثاق عليهم، قال اللّه عزّ وجلّ: يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتبعونهم، قال آدم: يا ربّ فما لي أرىٰ بعض الذرّ أعظم من بعض، وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل، وبعضهم ليس له نور، فقال اللّه عزّ وجلّ: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كلّ حالاتهم، قال آدم: يا ربّ أتأذن لي في الكلام، قال اللّه عزّ وجلّ: تكلّم فإنّ روحك من روحي وطبيعتك خلاف كينونتي، فقال آدم عليه السلام يا ربّ فلو كنت خلقتهم على مثال واحد، وقدر واحد، وطبيعة واحدة، وجبلّة واحدة، وأرزاق واحدة، وأعمار سواء، لم يبغ بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تباغض ولا تحاسد ولا اختلاف في شيء من الأشياء، قال اللّه عزّ وجلّ: يا آدم بروحي نطقت وبضعف طبيعتك تكلّفت ما لا علم لك به، وأنا اللّه الخلاّق العليم، بعلمي خالفت بين خلقي، وبمشيتي يمضي فيهم أمري وبتدبيري وتقديري صايرون، لا تبديل لخلقي إنّما خلقت

الجن والإنس ليعبدوني، وخلقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم واتّبع رسلي ولا أبالي، وخلقت النّار لمن كفر وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي، وخلقتك وخلقت ذريّتك من غير فاقة بي إليك وإليهم وإنما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيّكم أحسن عملاً في دار الدنيا في حياتكم وقبل مماتكم، ولذلك خلقت الدنيا والآخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنّة والنار، وكذلك أردت في تدبيري وتقديري وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم وأجسامهم وألوانهم وأعمارهم وأرزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والأعمىٰ والقصير والطويل، والجميل والذميم، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والمطيع والعاصي، والصحيح والسقيم، ومن به الزمانة ومن لا عاهة به فينظر الصحيح إلى من به العاهة فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به عاهة إلى الصحيح فيدعوني ويسألني أن أعافيه ويصبر على بلائي، فأثيبه جزيل عطائي، وينظر الغني إلى الفقير فيحمدني ويشكرني، وينظر الفقير إلى الغني فيدعوني ويسألني، وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته، فلذلك خلقتهم لأبلوهم في الضرّاء والسرّاء، وفيما أعافيهم وفيما أبتليهم وفيما أعطيهم وفيما أمنعهم، وأنا اللّه الملك القادر ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبّرت، ولي أن أغير من ذلك ما شئت إلى ما شئت، وأقدّم من ذلك ما أخّرت، وأؤخّر ما قدّمت من ذلك، وأنا اللّه الفعّال لما أريد لا أسأل عمّا أفعل وأنا أسأل خلقي عمّا هما فاعلون(١).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ اللّه قال للماء كُن عذباً فراتاً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي، وقال للماء كُن ملحاً أُجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي، فأجرى الماءين على الطين ثم قبض قبضة بيده وهي يمين فخلقهم خلقاً كالذرّ، ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم وعليكم طاعتي؟ قالوا: بلى، فقال للنار: كوني ناراً فإذا نار تأجج وقال لهم: قعوا فيها فمنهم من أسرع ومنهم من أبطأ في السعي ومنهم من لم يبرح مجلسه فلمّا وجدوا حرّها رجعوا

---

(١) الجواهر السّنية.

فلم يدخلها منهم أحد، ثم قبض قبضة بيده فخلقهم خلقاً مثل الذرّ مثل أولئك، ثم أشهدهم على أنفسهم مثل ما أشهد الآخرين، ثمّ قال لهم: قعوا في هذه النّار فمنهم من أبطأ ومنهم من أسرع ومنهم من مرّ بطرف العين، فوقعوا فيها كلّها، فقال: اخرجوا منها سالمين فخرجوا لم يصبهم شيء وقال الآخرون: يا ربّنا أقلنا نفعل كما فعلوا، قال: قد أقلتكم فمنهم من أسرع في السّعي ومنهم من لم يبرح مجلسه مثل ما صنعوا في المرّة الأولى فذلك قوله: ﴿ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وأنّهم لكاذبون﴾[(١)] [(٢)].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام، أنّه قال: إنّ بعض قريش قال لرسول اللّه صلى الله عليه وآله: بأيّ شيء سبقت الأنبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: إني كنت أوّل من آمن بربّي، وأول من أجاب حين أخذ اللّه ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى، فكنت أنا أوّل نبي قال بلى، فسبقتهم بالإقرار باللّه[(٣)].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٨.
(٢) تفسير العياشي.
(٣) البرهان في تفسير القرآن.

صفة خلق أبي البشر آدم

ذكر بعض المفسّرين بحذف الاسناد، عن أبي بصير عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: أخبرني عن خلق آدم، كيف خلقه الله تعالى؟ قال: إنّ اللّه تعالى لمّا خلق نار السّموم، وهي نار لا حرّ لها ولا دخان، فخلق منها الجان، فذلك معنى قوله: ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السّموم﴾ وسمّاه مارجاً، وخلق منه زوجة وسمّاها مارجة، فواقعها فولدت الجان، ثمّ ولد الجان ولداً سمّاه الجن ومنه تفرّعت قبائل الجن ومنهم إبليس اللّعين، وكان يولد الجان الذكر والأنثى، ويولد الجن كذلك توأمين، فصاروا تسعين ألفاً ذكراً وأنثى، وازدادوا حتى بلغوا عدّة الرمال، وتزوّج إبليس بامرأة من الجان يقال لها: لهبأ بنت روحا ابن سلساسل، فولدت منه بيلقيس وطونة في بطن واحد، ثم شعلة وشعيلة في بطن واحد ثمّ دوهر ودوهرة ثم شوظا وشيظة في بطن واحد، ثم فقطس وفقطسة في بطن واحد، فكثر أولاد إبليس، حتى صاروا لا يحصون، وكانوا يهيمون على وجوههم كالذر والنمل والبعوض والجراد والطير والذباب، وكانوا يسكنون المفاوز والقفار والحياض والآجام والطرق والمزابل والكنف والأنهار والنواويس وكلّ موضع وحش، حتى امتلأت الأرض منهم، وهم على صورة الخيل والحمير والبغال والإبل والمعز والبقر والغنم والكلاب والسباع والسلاحف، فلمّا امتلأت الأرض من ذريّة إبليس، أسكن اللّه الجان الهواء دون السماء وأسكن ولد الجن في السماء الدنيا وأمرهم بالعبادة والطاعة، وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون.

وكانت السماء تفتخر على الأرض وتقول: إنّ ربي رفعني فوقك، وأنا مسكن الملائكة، وفيَّ العرش والكرسي والنجوم وخزائن الرحمة ومنّي ينزل الوحي، فقالت الأرض: إنّ ربّي بسطني واستودعني عروق الأشجار والنبات والعيون وخلق الثمرات والأنهار والأشجار، فقالت لها السماء ليس عليك أحد يذكر اللَّه، فقالت الأرض: يا ربّ ان السماء تفتخر عليَّ إذ ليس عليَّ أحد يذكرك، فنوديت الأرض أن اسكني، فإني أخلق من أديمك صورة لا مثل لها من الجن وارزقه العقل والعلم والكتاب واللّسان، وأنزل عليه من كلامي، ثمّ املأ بطنك وظهرك وشرقك وغربك على مزاج تربك في اللّون والحرية والسرية، وافتخري يا أرض على السماء بذلك، ثمّ استقرّت الأرض وسألت ربّها أن يهبط إليها خلقاً، فأذن لها بذلك على أن يعبدوه ولا يعصوه، ثم نزلوا الجن الأرض وهم سبعون ألف قبيلة يعبدون اللَّه حقّ عبادته دهراً طويلاً، ثمّ رفع اللَّه إبليس إلى سماء الدنيا لكثرة عبادته، فعبد اللَّه فيها ألف سنة، ثمّ رفع إلى السماء الثانية فعبد اللَّه فيها ألف سنة، فلم يزل يعبد اللَّه في كلّ سماء ألف سنة حتى رفعه اللَّه إلى السماء السابعة، وكان أوّل يوم في السماء الأولى السبت والأحد في الثانية، حتى كان يوم الجمعة صير في السماء السابعة(١)، وكان يعبد اللَّه حقّ عبادته ويوحّده، وكان بمنزلة عظيمة حتى إذا مرّ به جبرئيل وميكائيل يقول بعضهم لبعض: لقد أعطي هذا العبد من القوّة على طاعة اللَّه وعبادته ما لم يعط أحد من الملائكة، فلمّا كان بعد ذلك بدهر طويل أمر اللَّه تعالى جبرئيل أن يهبط إلى الأرض ويقبض من شرقها وغربها وقعرها وبسطها قبضة ليخلق منها خلقاً جديداً ليجعله أفضل الخلائق.

فنزل إبليس لعنه اللَّه فوقف وسط الأرض قال: يا أيتها الأرض إني جئتك ناصحاً لك، إنّ اللَّه تعالى يريد أن يخلق منك خلقاً يفضله على جميع الخلق، وأخاف أن يعصيه، وقد أرسل إليك جبرئيل فإذا جاءك فاقسمي عليه أن لا يقبض

(١) لأنّ اليوم يعدّ في السماء بألف سنة.

منك شيئاً فلمّا هبط جبرئيل بإذن ربّه نادته الأرض وقالت: يا جبرئيل بحقّ من أرسلك إليَّ أن لا تقبض منّي شيئاً فإني أخاف أن يعصيه ذلك الخلق فيعذّبه في النار، قال: فارتعد جبرئيل من هذا القسم ورجع إلى السماء ولم يقبض منها شيئاً فأخبر اللَّه تعالى، فبعث اللَّه تعالى ميكائيل ثانية فجرى له مثل ما قالته لجبرئيل، فبعث اللَّه عزرائيل ملك الموت، فلمّا همّ بها أن يقبض منها، قالت له مثل ما قالت لهما، فقال: وعزّة ربّي لا أعصي له أمراً ثم قبض منها قبضة من شرقها وغربها وحلوها ومرّها وطيبها ومالحها وخسيسها وقعرها وبسطها، فقدم ملك الموت بالقبضة، قال اللَّه تعالى وعزّتي وجلالي لأسلطنّك على قبض أرواح هذا الخلق الذي أخلقه لقلّة رحمتك، فجعل اللَّه نصف تلك القبضة في الجنة والنصف الآخر في النار.

وخلق اللَّه آدم من سبع أرضين فرأسه من الأرض الأولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويداه من الرابعة وبطنه وظهره من الخامسة وفخذاه وعجزه وأكواشه وأكرامه من السادسة وساقاه وقدماه من السابعة.

ثمّ أمر اللَّه الملائكة فحملوه ووضعوه على باب الجنة وكان جسد لا روح فيه، وكانت الملائكة تتعجّب منه ومن صفته وصورته لأنّهم لم يكونوا رأوا مثله، فذلك قوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ يعني لم يكن إنساناً موصوفاً، وكان إبليس ممن يطيل النظر إليه ويقول ما خلق اللَّه تعالى هذا إلاّ لأمر، فربّما يدخل في منخر آدم ثم يخرج من دبره ثمّ يضرب بيده على بطنه.

وانه قال يوماً للملائكة أما تعلمون أنتم لِمَ فضّل هذا الخلق عليكم؟ قالوا: نطيع ربّنا ولا نعصيه، أما هو فيقول في ذلك لإن فضّل هذا الخلق عليّ لأعصينّه، وان فُضّلت عليه لأهلكنّه، فمكث في الجنة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح. فلمّا أراد اللَّه أن ينفخ فيه الروح خلق اللَّه تعالى روح آدم ليست كالأرواح وهي روح فضّلها اللَّه على جميع أرواح الخلق من الملائكة وغيرها فذلك قوله تعالى: ﴿فإذا سويّته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

ساجدين﴾ وقال اللّه تعالى: ﴿ويسألونك عن الرّوح قل الرّوح من أمر ربي﴾.
فلمّا خلق اللّه تعالى روح آدم أمر بغمسها في جميع الأنوار، ثمّ أمرها أن تدخل في جسد آدم بالتّأني دون الاستعجال، فرأت الروح مدخلاً ضيّقاً، فقالت يا ربّ كيف أدخل من فضاء إلى الضيق، فنوديت ادخلي كرهاً فدخلت الرّوح من يافوخه إلى عينيه، ففتحها آدم، فجعل ينظر إلى بدنه ولا يقدر على الكلام ونظر إلى سرادق العرش مكتوباً عليه لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه ﷺ، فصارت الرّوح إلى أذنيه فجعل يسمع تسبيح الملائكة وجعل تدور في رأسه والملائكة ينظرون إليه ويتوقعون متى يؤمرون بالسجود، وإبليس اللّعين يضمر خلاف ذلك، وقد أخبر اللّه تعالى الملائكة قبل خلقه بذلك قوله تعالى: ﴿وإذ قال ربّك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾، ثمّ صارت الروح إلى الخياشيم فعطس ففتحت العطسة المجاري المسدودة وسارت إلى اللّسان فقال آدم الحمد للّه الذي لم يزل، فهي أول كلمة قالها فناداه الربّ يرحمك ربّك يا آدم لهذا خلقتك، وهذا لك ولذريّتك ولمن قال مثل مقالتك، قال النبي ﷺ ليس على إبليس أشدّ من تسميت العاطس، فصارت الروح في جسد آدم حتى بلغت الساقين والقدمين فاستوى آدم قائماً على قدميه في يوم الجمعة عند زوال الشمس، قال جعفر بن محمّد عليه السلام كانت الروح في رأس آدم مائة عام وفي صدره مائة عام وفي ظهره مائة عام وفي بطنه مائة عام وفي عجزه وفي ركبتيه مائة عام وفي ساقيه وقدميه مائة عام، فلمّا استوى آدم قائماً نظرت إليه الملائكة كأنه الفضة البيضاء فأمرهم بالسجود له، فأوّل من بادر بالسجود جبرئيل وميكائيل ثم عزرائيل ثم إسرافيل ثم الملائكة المقرّبون، وكان السجود لآدم يوم الجمعة عند الزوال فبقيت الملائكة في سجودها إلى العصر، فجعل اللّه هذا اليوم عيداً لآدم وأولاده، وأعطاه اللّه فيه الإجابة في الدعاء، وفي يوم الجمعة وليلته أربع وعشرون ساعة في كلّ ساعة يعتق سبعين ألف عتيق من النار.

قال: وأبى إبليس لعنه اللّه من أن يسجد لآدم استكباراً وحسداً، فقال اللّه تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال

أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾، والنّار تأكل الطين، وأنا الذي عبدتك دهراً طويلاً قبل أن تخلقه، وأنا الذي كسوتني الريش والنور وأنا الذي عبدتك في أكناف السموات مع الكروبيين والصافين والمسبّحين والروحانيين والمقرّبين، قال اللّه تعالى: لقد علمت في سابق علمي من ملائكتي الطاعة ومنك المعصية فلم ينفعك طول العبادة لسابق العلم فيك ولقد أبلستك من الخير كلّه إلى آخر الأبد وجعلتك مذموماً مدحوراً شيطاناً لعيناً، فعند ذلك تغيّرت خلقته الحسنى إلى خلقة كريهة مشوّهة ـ مشومة ـ فوثبت عليه الملائكة بحرابها وهم يلعنونه ويقولون له: رجيم ملعون فأوّل من لعنه جبرئيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم جميع الملائكة من كلّ ناحية وهو هارب من بين أيديهم حتى ألقوه في البحر المسجور فلم يزالوا يطعنونه حتى بلغوا القرار وغاب عن عيون الملائكة في اضطراب السموات من رجفانِ جرأة إبليس اللّعين وعصيانه أمر اللّه تعالى.

قال تعالى: وعلّم آدم الأسماء كلّها حتى لغات الحيّات والضفادع وجميع ما في البرّ والبحر، ولقد تكلّم بسبعمائة ألف ألف لغة أفضلها العرب، ثمّ أمر اللّه تعالى الملائكة أن يحملوا آدم على أكتافهم ليكون عالياً عليهم، وهم يقولون سبّوح قدّوس لا خروج عن طاعتك وسارت به في طرق السموات، وقد اصطفّت حوله الملائكة فلا يمرّ آدم على صفّ إلاّ ويقول السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته يا ملائكة اللّه فيجيبونه وعليك السلام ورحمة اللّه وبركاته يا صفوة اللّه وروحه وفطرته، وضرب له في الصفيح الأعلى قباباً من الياقوت الأحمر ومن الزبرجد الأخضر، فما مرّ آدم بموقف من الملائكة ومقام النبيين إلاّ وسمّاه باسمه، وعلى آدم يومئذٍ السندس الأخضر في رقّة الهواء وله ضفيرتان مرصّعتان بالدرّ والجواهر محشوّتان بالمسك الأذفر والعنبر على قامة آدم من رأسه إلى قدميه وعلى رأسه تاج من ذهب مرصّع بالجوهر والعنبر والفيروزج الأخضر، له أربعة أركان وفي كلّ ركن منه درّة عظيمة أعلى ضوء من الشمس والقمر، وفي أنامله خواتيم الكرامة وفي وسطه منطقة الرضوان وله نور يسطع في كلّ غرفة، فوقف آدم على المنبر وقد علّمه الأسماء كلّها وأعطاه قضيباً من النور فتحيّر

الملائكة فيه، فقالوا إلٰهَنا خلقت خلقاً أكرم من هذا؟ فقال اللّٰه تعالى: ليس من خلقته بيدي كمن قلت له كن فيكون، فانتصب آدم على منبره قائماً وسلَّم على الملائكة وقال: السلام عليكم يا ملائكة ربّي ورحمة اللّٰه وبركاته فأجابته الملائكة وعليك السلام يا صفوة اللّٰه وبديع فطرته، فإذا النداء يا آدم لهذا خلقتك وهذا السلام تحية لك ولذريّتك إلى يوم القيامة، قال النبي ﷺ: ما فشا السلام في قوم إلاّ أمنوا من العذاب فإن فعلتموه دخلتم الجنّة وقال: إذا سلَّم المؤمن على أخيه المؤمن يبكي إبليس لعنه اللّٰه ويقول إبليس يا ويلتاه لم يفترقا حتى غفر اللّٰه لهما.

قال: فأخذ آدم في خطبته فبدأ بحمد اللّٰه فصار ذلك سنّة لأولاده، وأثنىٰ على اللّٰه بما هو أهله ثم ذكر علم السموات والأرضين وما فيهما عن خلق ربّ العالمين فعند ذلك قال اللّٰه للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، فشهدت الملائكة على أنفسها وأقرّت وقالت: سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم، قال اللّٰه تعالى: يا آدم أنبئهم بأسمائهم فجعل آدم يخبرهم بأسماء كلّ شيء خفيّها وظاهرها برّها وبحرها حتى الذرّة والبعوضة فتعجّبت الملائكة من ذلك، فقال اللّٰه تعالى: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ يعني ما كتم إبليس من إضمار المعصية.

ونزل آدم من منبره وزاد اللّٰه في حسنه أضعافاً زيادة على ما كان عليه من الحسن والجمال، فلمّا نزل قطف من عنب أبيض فأكله وهو أوّل شيء أكله من طعام الجنة، فلمّا استوفاه قال: الحمد للّٰه ربّ العالمين قال اللّٰه تعالى: يا آدم لهذا خلقتك وهو سنّتك وسنّة ذريّتك إلى آخر الدهر، ثم أخذته السِّنة أي النعاس لأنّه مبادىء النوم، لأنّه لإراحة البدن يأكل إلاّ النوم، ففزعت الملائكة وقالت النوم هو الموت، فلمّا سمع إبليس يأكل آدم فرح وتسلّى ببعض ما فيه، وقال سوف أغويه.

قال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام فلمّا نام آدم خلق اللّٰه من ضلع جنبه

الأيسر ما يلي الشراسيف وهو ضلع أعوج، فخلق منه حوّاء، إنّما سمّيت بذلك لأنّها خلقت من حيّ، وذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتّقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها﴾ فكانت حوّاء على خلق آدم وعلى حسنه وجماله، ولها سبعمائة ضفيرة مرصّعات بالياقوت واللؤلؤ والجواهر والدر محشوّة بالمسك، شكلاء وعجّاء، غنجاء، غضة، بيضاء، مخصوبة الكفين، تسمع لذوائبها خشخشة وهي نفيسة متوّجة، وهي على صورة آدم غير أنّها أرقّ منه جلداً وأصفىٰ منه لوناً، وأحسن منه صوتاً، وأدعج منه عيناً، وأقنىٰ منه أنفاً وأصفىٰ منه سناً وأصغر منه سناً، وألطف منه نباتاً، وألين منه كفّاً، فلمّا خلقها اللّٰه تعالى أجبلها عند رأس آدم وقد رآها في نومه، وقد تمكّن حبّها في قلبه.

قال: فانتبه آدم من نومته فقال: يا ربّ من هذه؟ فقال اللّٰه تعالى: هذه أمتي حوّاء، قال: يا ربّ لمن خلقتها، قال: لمن أخذ بها الأمانة وأصدقها الشكر، قال: يا ربّ أقبلها على هذا، فتزوّجها، قال: فزوّجه إيّاها قبل دخول الجنّة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام رأىٰ هذه في المنام وهي تكلّمه، تقول له: أنا أمَة اللّٰه وأنت عبد اللّٰه فاخطبني من ربّك، وقال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّ آدم رأىٰ حوّاء في المنام، فلمّا انتبه قال: يا ربّ من هذه التي آنست بقربها؟ قال اللّٰه تعالىٰ: هذه أمتي وأنت عبدي يا آدم ما خلقت خلقاً أكرم منكما، إذا أنتما عبدتماني وأطعتماني، ولقد خلقت لكما داراً وسمّيتها جنّتي، ومن دخلها كان وليّي حقّاً ومن لم يدخلها كان عدوّي حقّاً، فقال آدم: ولك يا ربّ عدوّ وأنت ربّ السموات؟ قال اللّٰه تعالى: يا آدم لو شئت أجعل الخلق كلّهم أوليائي لفعلت ولكنّي أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد، قال آدم: هذه أمتك حوّاء قد رقّ لها قلبي فلمن خلقتها؟ قال اللّٰه تعالى : خلقتها لك لتسكن الدنيا فلا تك وحيداً، قال: فأنكحنيها يا ربّ، قال: أنكحتها بشرط أن تعلّمها مصالح ديني وتشكرني عليها، فرضي آدم بذلك فاجتمعت الملائكة، فأوحىٰ اللّٰه تعالى إلى جبرئيل أن اخطب، فكان الوليّ ربّ العالمين والخطيب جبرئيل

الأمين، والشهود الملائكة المقرّبين والزوج آدم أب النبيين، فتزوّج آدم بحواء على الطاعة والتقىٰ والعمل الصالح، فنثرت الملائكة عليها من نثار الجنّة.

قال أبي بصير أخبرني كيف كان خروج آدم من الجنّة؟ فقال الصادق عليه السلام: لمّا تزوّج آدم بحواء أوحىٰ اللّه تعالى إليه يا آدم اذكر نعمتي عليك فإنّي جعلتك بديع فطرتي وسوّيتك بشراً على مشيئتي ونفخت فيك من روحي، وأسجدت لك ملائكتي، وحملتك على أكتافهم، وجعلتك خطيبهم، وأطلقت لسانك بجميع اللغات، وجعلت ذلك كلّه شرفاً لك وفخراً، وهذا إبليس اللّعين قد أبلسته ولعنته حين أبىٰ أن يسجد لك، وقد خلقتك كرامة لأمتي، وخلقت أمتي نعمة لك، وما نعمة أكرم من زوجة فاخرة صالحة تسرّك إذا نظرت إليها، وقد بنيت لكما دار الحيوان من قبل أن أخلقكما بألف عام على أن تدخلاها بعهدي وأمانتي، وكان اللّه تعالى عرض هذه الأمانة على السموات والأرضين وعلى الملائكة جميعاً، وهو أن تكافئوا على الإحسان وتعدلوا عن الإساءة، فأبوا عن قبولها فعرضها على آدم، فتعجّب الملائكة من جرأة آدم وفي قبول الأمانة، يقول اللّه تعالى: ﴿إنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوماً جهولاً﴾.

ثمّ مثّل اللّه لآدم ولحوّاء، اللّعين إبليس حتى نظر إلى سماحته فقيل له هذا عدوّ لك ولزوجك، فلا يخرجنّكما من الجنّة فتشقىٰ، ثمّ ناداه الربّ أن من عهدي إليكما أن تدخلا الجنّة وتأكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فقبلا هذا العهد كلّه، فقال: يا آدم أنت عندي أكرم من ملائكتي إذا أطعتني ورعيت عهدي ولم تكن جبّاراً كفوراً، وفي كلّ ذلك آدم يقبل الأمانة والعهد ولا يسأل ربّه التوفيق والعصمة، وشهد الملائكة عليه.

ثم مكث آدم وحوّاء مكلّلين متوّجين مكرّمين لما دخلا الجنّة كانا في وسط جنّات عدن، نظر آدم وإذا هو بسرير من جوهر وله سبعمائة قائمة من أنواع

الجواهر وله سرادقات كثيرة، وعلى ذلك السرير فرش من السندس والإستبرق، وبين الفراشين كثبان من المسك والكافور والعنبر، وعلى السرير أربع قباب فيه الرضوان والغفران والخلد والكرم، فناداه السرير إليَّ يا آدم فلك خلقت ولك زيّنت، فنزل آدم عن فرسه وحوّاء عن ناقتها وجلسا على السرير بعد أن طافا على جميع نواحي الجنّة، ثمّ قُدِّم لهما من عنب الجنة وفواكهها فأكلا منها، فتحوّلا إلى قبّة الكرمِ وهي أزين القباب، وعن يمين السرير يومئذٍ جبل من عنبر وشجرة طوبىٰ قد أظلت على السرير، فأحب آدم أن يدنو من حواء، فأسبلت القباب ستورها وانضمت الأبواب، وتغشّاها، وكان معها خمسمائة عام من أعوام الدنيا، في أتمّ السرور وأنعم الأحوال، وكان آدم ينزل على السرير وينزل في منازل الجنّة ويمشي في منابر الجنّة وحوّاء خلفه تسحب سندسها، وكلّما تقدّما من قصر نثرت عليهما من ثمار الجنّة حتى يرجعا إلى السرير، وإبليس لعنه اللّٰه خائف ممّا جرى عليه من طعنهم له بالحراب ورجمهم له وصار متخفياً عن آدم وحواء، فبينما هو كذلك وإذا هو بصوت، يا أهل السموات قد سكن آدم وحوّاء الجنّة بالعهد والميثاق وأبحت لهما جميع ما في الجنّة، إلاّ جنّة الخلد فإن قرباها وأكلا منها كانا من الظالمين.

قال: فلمّا سمع إبليس اللَّعين ذلك فرح فرحاً شديداً قال لأخرجنّكما من الجنّة، ثم أتى مستخفياً في طرق السموات حتى وقع على بابِ الجنّة وإذا بالطاووس وقد خرج من الجنّة وله جناحان إذا نشر أحدهما غطى به سدرة المنتهىٰ، وله ذنب من زمردة صفراء، وهو من الجواهر، وعلى كلّ جوهرة منه ريشة بيضاء، وهو أطيب طيور الجنة، ومن أحسنها ألحاناً والثّناء للّٰه ربّ العالمين، وكان يخرج في وقت ويمرّ صفح السموات السبع، يخطر في مشيه ويرجع في تسبيحه، فيعجب جميع الملائكة من حسن صورته وتسبيحه فيرجع إلى الجنّة، فلمّا رآه إبليس دعى به بكلام ليّن وقال: أيّها الطائر العجيب الخلقة حسن الألوان، طيّب الصوت، أي طائر أنت من طيور الجنّة، قال أنا طاووس الجنّة، ولكن مالك أيها الشخص مذعوراً أفأنت تخاف طالباً يطلبك؟ فقال إبليس: أنا ملك من ملائكة الصفيح الأعلىٰ من الملائكة الكروبيين الّذين لا

يفترون عن التسبيح ساعة ولا طرفة عين، جئت أنظر إلى الجنّة، وإلى ما أعدّ لأهلها فيها، وهل لك أن تدخلني الجنّة وأعلمك ثلاث كلمات من قالهن لا يهرم ولا يموت، فقال الطاووس ويحك أيها الشخص أهل الجنّة يموتون؟ قال: نعم يموتون ويهرمون ويسقمون إلاّ من كان عنده هذه الكلمات، وحلف على ذلك، فوثق به الطاووس، ولم يظن بأنّ أحداً يحلف باللّه كاذباً، فقال: أيّها الشخص ما أحوجني إلى هذه الكلمات غير أنّي أخاف أنّ رضوان خازن الجنة يستخبرني عنك، لكن أبعث إليك بالحيّة فإنّها سيّدة دواب الجنّة وأنّها تدخل الجنّة، قال: ودخل الطاووس الجنّة وذكر للحيّة جميع ذلك، وقال: ما أحوجني وإيّاك إلى هذه الكلمات، قال الطاووس: قد ضمنت له أن أبعث بك إليه، فانطلقي إليه سريعاً قبل أن يسبق سواك، فكانت الحيّة يومئذٍ على صورة الجمل ولها قوائم ولها زغب مثل العبقرى ما بين أسود وأبيض وأحمر وأخضر وأصفر، ولها رائحة كرائحة المسك المشاب بالعبر، وكان مسكنها في جنّة المأوى، ومبركها على ساحل نهر الكوثر، وكلامها التسبيح والثناء للّه ربّ العالمين، قد خلقها اللّه قبل أن يخلق آدم بمائة عام، وكانت تأنس بحوّاء وآدم، وتخبرهما بكلّ شجرة في الجنّة.

فخرجت الحيّة مسرعة من باب الجنّة فرآها إبليس لعنه اللّه، على ما وصفه الطاووس فتقدّم إبليس بالكلام الطيّب، وقال لها مثل ما قال للطاووس، فقالت الحيّة: وكيف أدخلك ولا يحلّ لك ركوبي، فقال لها إبليس: إني أرى ما بين نابيك فرجة واسعة واعلمي أنّها تسعني واجعليني فيها، وأدخليني حتى أعلّمك الكلمات الثلاث، فقالت الحيّة: إذا حملتك في فمي فكيف أتكلّم، إذا كلّمني رضوان؟ فقال اللّعين: لا عليك فإنّ معي أسماء ربّي إذا قلتها لا ينطق بي ولا بك أحد من الملائكة، غير أنّ حوّاء كانت قد افتقدت الحيّة فلم تجدها وكانت مؤتلفة بها لحسن حديثها، والحيّة مع إبليس يحلف لها ويخادعها، قال ولم يزل إبليس يحلف لها ويخدعها حتى وثقت به وفتحت فاها ووثب إبليس وقعد بين أنيابها، وخرج منه ريح فصار نابها سمّاً إلى آخر الأبد، قال فضمته الحيّة ودخلت الجنّة ولم يكلّمها رضوان للقدر والقضاء السابق بعلم الرحمن

حتى إذا توسّطت الحيّة الجنّة قالت له اخرج من فمي وعجّل قبل أن يفطن بك رضوان، قال إبليس: لا تعجلي فإنما حاجتي في الجنّة آدم وحوّاء فإنّي أريد أن أكلّمهما من فيك، فإن فعلت ذلك علّمتك الكلمات الثلاث، فقالت الحيّة سآتيك إلى حوّاء فاخرج إليها وكلّمها، قال: لم أكلمها إلاّ من فيك فحملته الحيّة إلى قبة حوّاء، فقال إبليس من فم الحيّة: يا حوّاء يا زينة الجنّة ألست تعلمين أني معك في الجنة وأني أحدثك وأخبرك بكلّ ما في الجنّة وأنّي صادق في كلّ ما أحدّثك به، فقالت حوّاء نعم وما عرفتك إلاّ بصدق الحديث، قال إبليس: يا حوّاء أخبريني ما الذي أحلّ لكما في الجنّة وحرّم عليكما؟ فأخبرته بما نهاهما عنه، فقال إبليس: ولماذا نهاكما عن شجرة الخلد؟ قالت: لا علم لي بذلك، قال إبليس: أنا أعلم، ما أنهاكما إلاّ أنّه أراد أن يفعل بكما مثل ما فعل بذلك العبد الذي مأواه تحت شجرة الخلد، الذي أدخله قبل دخولكما بألف عام، قال: فوثبت حوّاء من سريرها لتنظر ذلك، فخرج إبليس من فم الحية كالبرق الخاطف حتى قعد تحت الشجرة فأقبلت حوّاء فرأته، فلمّا قربت منه نادته أيها الشخص من أنت؟ قال: أنا خلق من خلق اللّه وأنا في هذه الجنة من ألف عام، خلقني كما خلقكما بيده ونفخ فيَّ روحه وأسجد لي ملائكته وأسكنني جنته ونهاني عن أكل هذه الشجرة، فكنت لا آكل منها، حتى نصحني بعض الملائكة وقال لي: كُل منها فمن أكل منها كان مخلّداً في الجنّة أبداً، وحلف لي أنّه من الناصحين، فوثقت بيمينه وأكلت منها فإني في الجنّة إلى يومي هذا كما ترين، وقد أمنت من الهرم والسقم والموت والخروج من الجنة، فقال لها إبليس: بعدما حكى لها واللّه ما نهاكما ربّكما عن تلكما الشجرة إلاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، فناداها يا حوّاء كلي منها فإنّها أطيب ما أكلت من ثمار الجنّة، فأسرعي إليها واسبقي زوجك فإنّ من سبق كان له الفضل على صاحبه، أما تنظرين كيف أكل منها.

هذا والحيّة واقفة تسمع ما يقول إبليس لحوّاء، فالتفتت حوّاء إلى الحيّة وقالت أنت معي منذ دخلني اللّه الجنّة ولم تخبريني بهذا الكلام؟ وسكتت الحيّة ولم تدر ماذا يقول إبليس اللّعين في جواب حوّاء عليها السلام ورغبت عن الكلام،

وكان ما كان من أمرها الذي ضمن لها إبليس أن يعلّمها الثلاث كلمات، فأقبلت حوّاء إلى آدم وكانت مسرورة بقول الحيّة لها، ومقالة إبليس تحت الشجرة وأخبرته بخبر الحيّة والشخص الذي لهما نصحا وذلك قوله تعالى: ﴿وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين﴾ وقرب القدر المقدور والقضاء المبرم وخروجهم من الجنّة وهو الأمر المحتوم فركنا جميعاً إلى قول إبليس اللّعين، فتقدّمت حوّاء إلى تلك الشجرة ولها أغصان لا تحصىٰ، وعلى الأغصان سنابل وكلّ حبّة منها مثل القلّة ولها رائحة كالمسك الأذفر أشدّ بياضاً من اللّبن وأحلى من العسل، فأخذت سبع سنابل من سبعة أغصان، فقال اللّعين كلي منها يا حوّاء يا زينة الجنّة فأكلت واحدة وادّخرت لها واحدة، وجاءت بخمس منها إلى آدم ولم يكن لآدم في ذلك أمر ولا نهي بل كان ذلك في سابق علم اللّه، حتى افتخرت السماء على الأرض، وشكت الأرض إلى اللّه ربّها، وقال: يا أرض اسكني، وقال: ﴿للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾، فتناول آدم من السنابل سنبلة واحدة من يدها وقد نسي العهد المأخوذ عليه، فذلك قوله: ﴿فنسي ولم نجد له عزماً﴾ أي جزماً.

قال فذاق آدم من الشجرة كما ذاقت حوّاء فذلك قوله تعالى: ﴿فلمّا ذاقا الشجرة بدت لهما سوءآتهما﴾ قال رسول اللّه ﷺ: والذي نفسي بيده ما ساغ آدم من تلك السنابل إلاّ سنبلة واحدة حتى طار التاج عن رأسه، وتعارىٰ من لباسه، وانتزعت خواتيمه، وسقط كلّما كان على حوّاء من لباسها وحليّها وزينتها، وكلّ شيء طار عنهما، وناداه لباسه وتاجه يا آدم طال حزنك وكثرت حسرتك وعظمت مصيبتك فعليك السلام، وهذه ساعة الفراق إلى يوم التلاق، فإنّ ربّ العزّة عهد إلينا أن لا نكون إلاّ على عبد مطيع خاشع، وانتفض السرير من فراشه وطار في الهواء، وهو ينادي يا آدم المصطفىٰ قد عصي الرحمن وأطاع الشيطان، وحوّاء قد انتفضت ذوائبها عنها، وما كان فيها من الدرّ والجواهر واللؤلؤ، وانحلت المنطقة من وسطها، وتقول: لقد عظمت مصيبتكما وطال حزنكما، ولم يبق عليهما من لباسهما شيء وطفقا أي أقبلا يخصفان عليهما أي يرقعان عليهما من ورق الجنّة أي ورق التين، وناداهما ربّهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة، وأقل لكما إنّ الشيطان لكما عدوّ مبين.

قال: وجعل كلّ واحد منهما ينظر إلى عورة صاحبه، وهرب إبليس مبادراً وصادراً مختفياً في بعض طرق السموات، ولم يبق شيء إلاّ نادى آدم يا عاصي، وغضّ أهل الجنّة أبصارهم عنهما، وقالوا أخرجتما من جنتكما، وناداه فرسه الميمون وقد خلقه اللّه من الكافور والزعفران والعنبر وغير ذلك ومن مسك الجنّة، وجميع طيبها، وعجن بماء الحيوان، وعرفه من المرجان وناصيته من الياقوت، وحافره من الزبرجد الأخضر، وسرجه من الزمرد ولجامه من الياقوت وله أجنحة من جميع أنواع الجواهر، وليس في الجنّة دابة أحسن من فرس آدم إلاّ البراق، فناداه فرسه الميمون يا آدم هكذا العهد بينك وبين اللّه تعالى.

وانقبضت أشجار الجنّة حتى لم يتمكنا أن يتسترا بشيء منها، فكلّما قرب من شجرة نادته إليك عنّي يا عاصي، فلمّا أكثر عليه الملامة والتوبيخ، مرّ هارباً وإذا هو بشجرة الطلح قد التفت على ساقيه فمسكته بأغصانها ونادته إلى أين تهرب يا عاصي؟ فوقف آدم فزعاً مرعوباً مبهوتاً، وظنّ أنّ العذاب قد أتاه، وجعل ينادي الأمان الأمان. وحوّاء مجتهدة أن تستر نفسها بشعرها وهو ينكشف عنها، فلمّا أكثرت عليه ناداها شعرها يا بادية السوء هل تقدرين على أن تستتري بي وقد عصيت ربّك، فقعدت حوّاء عند ذلك ووضعت ذقنها على ركبتها كيلا يراها أحد، وهي تحت الشجرة، وآدم واقف قد قبضت عليه شجرة الطلح.

فنودي جبرئيل ألا ترى إلى بديع فطرتي آدم كيف عصاني؟ يا جبرئيل ألا ترى إلى حوّاء أمتي كيف عصتني وطاوعت عدوّي إبليس، فاضطرب جبرئيل لمّا سمع نداء ربّ العالمين، فأدخله الخوف وخرس جداً، وحملة العرش قد سكنت حركاتهم وهم يقولون سبحانك قدّوس قدّوس سبّوح سبّوح الأمان الأمان، فأخذ جبرئيل بعداً على آدم لما أنعم اللّه به عليه، ويعاتبه على المعصية، فاضطرب آدم فزعاً وارتعد خوفاً، حتى ذهب كلامه وجعل يشير إلى جبرئيل دعني أهرب من الجنّة خوفاً من ربّي وحياءً منه، قال جبرئيل: إلى أين تهرب يا آدم وربّك أقرب الأقربين ومدرك الهاربين، فقال آدم: يا جبرئيل ردّني أنظر إلى الجنّة نظرة الوداع، فجعل آدم ينظر عن يمينه وشماله وجبرئيل لا يفارقه حتى

صار قريباً من باب الجنة، وقد أخرج رجله اليمنى وبقيت رجله اليسرىٰ، فنودي يا جبرئيل قف به على باب الجنّة حتى يخرج معه أعداؤه الذين حملوه على أكل الشجرة، تريهم وترىٰ ما يفعل بهم، فأوقفه جبرئيل وناداه الربّ يا آدم خلقتك لتكون عبداً شكوراً، لا تكون عبداً كفوراً، فقال آدم: يا ربّ أسألك أن تعيدني إلى تربتي التي خلقت منها تراباً كما كنت أولاً، فأجابه الربّ يا آدم قد سبق في علمي وكتبت في اللّوح أن أملأ من ظهرك الجنّة والنّار، فسكت آدم.

ولمّا أُمرت حوّاء بالخروج، وثبت إلى ورقة من ورق تين الجنّة، طولها وعرضها لا يعلمه إلاّ اللّه لتستتر بها، فلمّا أخذتها أسقطت من يدها ونطقت يا حوّاء إنّك لفي غرور أنه لا يسترك شيء في الجنّة بعد أن عصيت اللّه تعالى، فعندها بكت حوّاء بكاءً شديداً، وأمر اللّه الورقة أن تجيبها، فاستترت بها، فقبض جبرئيل بناصيتها حتى أتىٰ بها إلى آدم وهو على باب الجنّة، فلمّا رأت آدم صاحت صيحة عظيمة وقالت يا لها من حسرة يا جبرئيل، ردّني أنظر إلى الجنّة نظر الوداع، فجعلت تومي بنظرها إلى الجنّة يميناً وشمالاً، تنظر إليها بحسرة.

فأُخرجا من الجنة والملائكة صفوف لا يعلم عددهم إلاّ اللّه، ينظرون إليهما، ثمّ أوتي بالطاووس وقد طعنته الملائكة حتى سقطت أرياشه، وجبرئيل يجرّه ويقول له: أخرج من الجنّة خروج آيس، فإنّك مشؤوم أبداً ما بقيت، واسلبه تاجه وأجتثّ أجنحته.

ثمّ أتىٰ بالحيّة وقد جذبتها الملائكة جذبةً هائلة وقد قطعوا أيديها ورجليها، وهي مسحوبة على وجهها مبطوحة على بطنها لا قوام لها وصارت ممدودة شرحة، ومنعت النطق فصارت خرساء مشقوقة اللّسان، فقالت لها الملائكة: لا رحمك اللّه تعالى، ولا رحم اللّه من يرحمك، ونظر إليها آدم وحوّاء، والملائكة يرجمونها من كلّ ناحية.

قال: ثم خرج آدم من الجنّة، وجيئت إليه حوّاء، ونظر الملائكة إلى آدم وهو عريان ففزعت حوّاء وجعلت تقول إلٰهنا وهذا آدم بديع فطرتك أقله ولا تخذله، وآدم قد وضع يده اليمنى على باب الجنّة واليسرىٰ على سوأته ودموعه

تجري على خديه، فوقف آدم وناداه الربّ جلّ وعلا يا آدم، قال: لبيك يا ربّي وسيدي ومولاي وخالقي، تراني ولا أراك وأنت علاّم الغيوب، قال اللَّه تعالى: يا آدم قد سبق في علمي إذا تاب العاصي تبت عليه، وأتفضل إليه برحمتي، ما أهون الخلق عليَّ إذا عصوني، وما أكرمهم عليَّ إذا أطاعوني، فقال آدم بحق من هو الشرف الأكبر إلاّ ما أقلتني عثرتي وعفوتني، فأتاه النداء يا آدم من الذي سألتني بحقّه؟ فقال آدم إلٰهي وسيدي ومولاي وربّي هذا صفيّك وحبيبك وخاصّتك وخالصتك ورسولك محمّد بن عبد اللَّه ﷺ، فلقد رأيت اسمه على العرش وفي اللّوح المحفوظ وعلى صفح السموات وعلى أبواب الجنان، ولقد علمت يا ربّ انّك لا تفعل به ذلك إلاّ هو أكرم الخليقة عندك.

فنوديت حوّاء يا حوّاء، قالت: لبّيك يا سيدي ومولاي وربّي، لا إله إلاّ أنت، قد ذهب زينتي، وعظمت مصيبتي، وحلّت شقوتي وبقيت عريانة لا يسترني شيء من جنّتك يا ربّ، فنوديت يا حوّاء ومن الذي صرف عنك هذه الخيرات التي كنت فيها والزينة التي كنت عليها؟ قالت: إلٰهي وسيدي ذلك خطيئتي وقد خدعني إبليس بغروره وأغواني، وأقسم لي بحقّك وعزّتك أنّه لمن الناصحين لي، وما ظننت أنّ عبداً يحلف بك كاذباً، قال الآن اخرجي أبداً فقد جعلتك ناقصة العقل والدين والميراث والشهادة والذكر، معوجة الخلقة شاخصة البصر، وجعلتك أسيرة أيام حياتك، وأحرمتك أفضل الأشياء الجمعة والجماعة والسلام والتحية، وقضيت لك بالطمث وهو الدم وجهد الحبل والطلق والولادة، فلا تلدين حتى تذوقي طعم الموت، وكنت أكثر حزناً وأكسر قلباً وأكثر دمعةً، وجعلتك دائمة الأحزان، ولم أجعل منك حاكماً ولا أبعث منكن نبيّاً.

فقال آدم عليه السلام: يا ربّ إنك أخرجتني من الجنّة وتريد أن تجمع بيني وبين عدوّي إبليس، فقوّني عليه، فقال له: يا آدم تقوّى عليه بتوحيدي وذِكري وهو أن تقول: لا إله إلاّ اللَّه محمّد رسول اللَّه، وأكثر من ذلك فإنّها لعدوّي وعدوّك مثل الشهاب القاتل، يا آدم قد جعلت مسكنك المساجد، وطعامك الحلال الذي ذكر عليه اسمي، وشرابك ما أجريته من ماء معين، وليكن شعارك

ذكري، ودثارك ما أنسجته بيدك، فقال آدم: زدني يا ربّ، قال: أحفظك بملائكتي، فقال: يا ربّ زدني، قال: لا يولد لك ولد إلاّ وكّلت به ملائكة يحرسونه، قال: يا ربّ زدني قال: لا أنزع الثواب منك ومن ذريّتك ما تاب إليّ، قال: زدني يا ربّ قال: أغفر لك ولولدك ولا أبالي وأنا الربّ العلي المتعال، قال: فعندها تكلّمت حوّاء قالت: إلٰهي خلقتني من ضلع أعوج وجعلتني ناقصة العقل والدين والشهادة والميراث وحرمتني أفضل الأشياء، وألزمتني الحبل والطلق، وضربتني بالنجاسة، وكيف أخرج من الجنة وقد حرمتني جميع الخيرات، فنوديت أن اخرجي فإني أرفق قلوب عبادي عليكن، وأني مخرج منكما ما يملأ الجنّة والنّار، فأما الذين يملأون الجنّة فمن نبي وصديق وشهيد ومن يصلّي عليكما ويستغفر لكما، وقال عليه السلام ما من مؤمن ولا مؤمنة يستغفر لآدم وحوّاء إلاّ عرض الاستغفار عليهما فيفرحان، ويقولان: يا ربّ هذا ولدنا فلان قد إستغفر وصلّى علينا، فتفضّل عليه وزد من كرمك وإحسانك إليه، ورُوي أن من لم يصلِّ عليهما عند ذكرهما فقد عقّهما.

فقالت حوّاء أسألك يا ربّ أن تعطيني كما أعطيت آدم، فقال الربّ عزّ وجلّ: إنّي وهبتك الحياء والرحمة والراحة والأنس، وكتبت لك من ثواب الاغتسال والولادة ما لو رأيته من الثواب الدائم والنعيم المقيم والملك الكبير لقرّ به عينك، أيّما امرأة ماتت في ولادتها حشرتها مع الشهداء، يا حوّاء أيّما امرأة أخذها الطلق إلاّ كتبت لها أجر شهيد، فإن تحمّلت وولدت غفرت لها ذنوبها ولو كانت مثل زبد البحر ورمل البرّ وورق الشجر، وإن ماتت فهي شهيدة وحضرتها الملائكة عند قبض روحها وبشّروها بالجنة وتزف إلى بعلها في الآخرة، وتفضّل على الحور العين بسبعين فضيلة، فقالت حوّاء: حسبي ما أعطيت.

قال: وتكلّم إبليس اللّعين، وقال: يا ربّ إنّك أغويتني وأبلستني وكان ذلك في سابق علمك، فانظرني إلى يوم يبعثون، قال: إنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم

من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين، قال: أخرج منها مذؤوماً مدحوراً لمن اتّبعك منهم لأملأنّ جهنّم منكم أجمعين، قال: إنّك أنظرتني فأين مسكني إذا هبطت إلى الأرض؟ قال: المزابل، قال: فما قراءتي؟ قال: الشعر، قال: فما مؤذني؟ قال: المزمار، قال: فما طعامي؟ قال: ما لم يذكر عليه اسمي، قال: فما شرابي؟ قال: الخمور جميعها، قال: فما بيتي؟ قال: الحمّام، قال: فما مجلسي؟ قال: الأسواق ومحافل النساء، قال: فما شعاري؟ قال: الغناء، قال: فما دثاري؟ قال: سخطي، قال: فما مصائدي؟ قال: النساء، قال: لا خرجت محبة النساء من قلبي ولا من قلوب بني آدم، فنودي يا ملعون أني لا أنزع التوبة من بني آدم حتى ينزعوا بالموت، قال: فاخرج منها فإنّك رجيم وأنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين، فقال آدم: هذا عدوّي وعدوّك أعطيته النظرة وقد أقسم عليك بعزّتك أنه يغوي أولادي، فيما احترز عن مصائده ومكائده؟ فنودي يا آدم قد مننت عليك بثلاث خصال، واحدة لك، وواحدة لي، وواحدة بيني وبينك، أما التي لي فهي أن تعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأمّا التي لك فهو ما عملت من صغيرة وكبيرة من الحسنات فلك الحسنة بعشر أمثالها والعشر بمائة والمائة بألف وأضعافها، أي أقلّها كالجبال الرواسي، وإن عملت سيئة فواحدة بواحدة، وإن أنت استغفرتني غفرتها لك، وأنا الغفور الرحيم، وأمّا التي بيني وبينك فلك الدعاء والمسألة ومني الإجابة، فابسط يديك فادعني فإنّي قريب مجيب دعوتك، فلمّا سمع بذلك اللّعين صاح بأعلىٰ صوته حسداً لآدم قال: كيف أكيد بولد آدم الآن، فنودي يا ملعون أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً، قال إبليس يا ربّ زدني قال: لا يولد لآدم ولد إلاّ ويولد لك ولدان ـ سبعة ـ قال: يا ربّ زدني قال: زدتك أن تجري بهم مجرىٰ الدم في عروقهم وتسكن في صدورهم، وتجلس في قلوبهم، قال إبليس: يا ربّ فبما أهبط إلى الأرض؟ قال: على اليأس من رحمتي، قال: النبي ﷺ أخلفوا ظنّ إبليس اللّعين فيما سأل ربّه، فإنّ شركه في الأموال المكتسبة من غير حلّها، وشركه في الأولاد الحرام فطيبوا النكاح وازدجروا عن

الزنا، وقال: إذا سمع إبليس ذكر اللّه أو تسبيحه ذاب كما يذوب الملح في الماء.

قال عليه السلام: فلمّا أُعطي كلّ واحد منهم ما سأل نظر آدم إلى الحيّة فقال: يا ربّ إنّ هذه اللّعينة التي أعانت عدوّي فبماذا أتقوّى عليها إذا أهبطتها إلى الأرض؟ فنودي يا آدم أني جعلت مسكنها الظلمات وطعامها التراب فلا أمانة لها فإذا رأيتها فاشدخ رأسها، وقيل للطاووس: مسكنك أطراف الدنيا ورزقك ما أنبتت الأرض فألقي عليك المحبة في قلوب بني آدم حتى لا تقتل.

قال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: أعطوا هؤلاء ما أعطوا وأمروا أن يهبطوا إلى الأرض، فقال تعالى: ﴿اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع إلى حين﴾ فالمستقرّ القبر والحين القيامة، فهبط آدم عليه السلام من الجنّة من باب التوبة، وحوّاء من باب الرحمة، وإبليس من باب اللّعن، والطاووس من باب الغضب، والحيّة من باب السخط، وكان نزولهم وقت العصر من هذه الأبواب، تنزل التوبة والرحمة واللّعنة والغضب والسخط.

فهبط آدم إلى بلاد الهند على جبل من جبالها يقال له بود، وهو جبل معلوم محيط بأرض الهند، وهبطت حوّاء بجدّة، والحيّة بأصفهان، والطاووس بأطراف البحر، فلم يروا بعضهم بعضاً حين أهبطوا، ولم يكن على آدم حين أهبط إلاّ ورقة من أوراق الجنّة ملتصقة إلى جلده فرمتها الريح إلى بلاد الهند، فصارت معدن الطيب جميعه، وأخذ آدم في البكاء مائة عام شوقاً إلى الجنّة وهو واقف منكس رأسه خوفاً من اللّه تعالى، ويخرج من عينه اليمنى ماء على الدجلة، ومن عينه اليسرى ماء على الفرات وصار دموع له مجار في الأرض، ورسخت عروق رجليه في الأرض، وعاش تسعمائة سنة وثلاثين سنة، وما فرغ حزنه من الجنّة ومات حزناً عليها، وقد أنبت من دموعه العود الرطب والصندل والكافور وجميع أنواع الطيب، وامتلأت الأودية بالأشجار الطيبة.

وحوّاء بكت لذلك حتى أنبت من دموعها الزنجبيل والقرنفل والهيل وجميع أنواع ذلك، وكانت الريح تحمل كلام آدم إلى حواء، وحوّاء إلى آدم

ويصير كلّ واحد منهما قريباً من صاحبه وبينهما البلاد البعيدة، وكانا يبكيان، حتى رحمتهما الملائكة، وبقيت حوّاء شاخصة بصرها إلى اللَّه تعالى أعواماً، وقد وضعت يدها على رأسها فأورثت ذلك بناتها.

ورُوي أنّ آدم لما هبط من الجنّة، نادى ملك أيتها الأرض ومن عليها وفيها من الخلق، قد هبط إليكم إنسان نسي عهد ربّه فسمّاه إنساناً، فأوّل ما سمع النسر بذلك، فانفض إلى حوت البحر وأخبره بذلك ففزع وقال: فإن كنت صادقاً فإنه سيجرني من بحري ويأخذك من برّك، فويل لأهل البحر والبرّ من هذا الإنسان.

قال: وبقي آدم باكياً ساجداً للَّه تعالى، حتى شرب الطيور من دموعه ونبتت الأشجار ورسخت عروق رجليه في الأرض، كما ترسخ الأشجار، وبكت معه السباع، فلمّا لقيته ولّت عنه هاربة، وقالت: نحن سكّان الأرض قبلك يا آدم، وقد أفزعتنا وأبكيتنا لبكائك وأورثتنا حزناً طويلاً، فمن ذلك صارت لا تأنس إلاّ ببني آدم، ويقال تفرّقت عنه جميع الطيور أيضاً إلاّ النسر فإنّه كان يساعده.

ثمّ أنبت اللَّه له الشعر واللِّحية، فكان آدم عليه السلام قبل ذلك اليوم أمرد كأنه الفضة البيضاء، فلمّا نظر آدم إلى اللِّحية قال: يا ربّ ما هذا الذي لم أعهده منك في الجنّة؟ قال: هذه لحيتك غير أنّها زينتك ليعرف الذكر من الأنثى.

ورُوي أنّه أقام على البكاء ثلاثمائة عام لا يرفع رأسه نحو السماء، وهو يقول: بأيّ وجه أنظر إلى السماء؟ هبطت عرياناً عاصياً، فبكت لبكائه الأنعام والطيور والسباع ولقد أبكى الكروبيين والروحانيين، وقالوا: إلهنا أقل عثرته فإنّه في حرقة من الذنب، وقال عليه السلام لو وضع بكاء يعقوب على يوسف وبكاء جميع الخلق إلى آخر الأبد لرجح بكاء آدم على بكائهم، وذلك لأنّه بقي من دموعه في الأرض بعد أن كفّ عن البكاء، مائة عام تشرب منه الوحوش والسباع والطيور، ولدموعه رائحة كرائحة المسك الأذفر، ولذلك كثر الطيب في بلاد الهند.

فعند ذلك أمر اللَّه تعالىٰ جبرئيل، أن آدم بديع فطرتي، قد أبكىٰ السموات السبع والأرضين السبع ولم يذكر أحد غيري ولا يخاف سواي ولقد غفرت عليه خطيئته، وهو أوّل من عبدني وأوّل من دعاني بأسمائي الحسنىٰ وأنا الرحمن الذي سبقت رحمتي غضبي، ولقد قضيت في سابق علمي أن من دعاني نادماً على ذنبه متضرّعاً أن تدركه رحمتي، وها أنا قد خصصته بكلمات تكون له توبة تخرجه من الظلمات إلى النور، فنزل بها جبرئيل وله نور وهو ضاحك مستبشر على آدم عليه السلام، فقال: السلام عليك يا طويل الحزن والبكاء، فلم يسمع آدم ذلك لغليان صدره، حتى ناداه بصوت رفيع السلام عليك يا آدم، قد قبل اللَّه توبتك وغفر لك خطيئتك، ثمّ أمرَّ بجناحه على صدره ووجهه حتى هدأ من بكائه، وسكن غليان صدره وسمع الصوت، فقال آدم وعليك السلام يا خليلي، ابتداء سخط، أو ابتداء إحسان وغفران؟ فقال جبرئيل بل ابتداء رحمة وغفران، يا آدم لقد أبكيت أهل السموات والأرضين، فدونك هذه الكلمات، فإنّها كلمات التوبة والرحمة والغفران، وهي لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، وفي رواية، اللّهمَّ أسألك بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أن تغفر لي، قال: فهذه الكلمات التي قال اللَّه تعالى: ﴿فتلقىٰ آدم من ربّه كلمات فتاب عليه﴾.

قال: فلمّا قال آدم في سجوده، نشر دعوته في الآفاق فجعلت الأرض والجبال والبحار والأشجار والأطيار يقولون: يا آدم قرّت عيناك وهنّاك توبتك، ثمّ أمر اللَّه تعالى أن يبعث هذه الكلمات إلى حوّاء، فذكرها آدم فحملها الريح إلى حوّاء، فلمّا سمعتها استبشرت، وقالت: هذه كلمات ولغات لم أسمعهن قط، وقد جعلهن توبة ورحمة وهو أرحم الراحمين، قال: فتكلّمت بها وسجدت وكانت توبتها، فلمّا فرغت من الكلمات، قال لها جبرئيل: إرفعي رأسك، فرفعته فإذا حجاب من نور، وفتحت لها أبواب السموات ونودي لها بالتوبة والغفران. وقيل له: يا آدم إنّ اللَّه قبل توبتك، ثم ذهب ليقوم يمشي فلم يقدر لأنّ رجليه رسخت في الأرض كعروق الشجر، حتى إقتلعه جبرئيل كإقتلاع

العرق، فصاح آدم من الألم الذي داخله، وقال هذا ما تفعل الخطيئة.

فنظرت إليه الملائكة وقد تغيّر لونه ونحل جسمه وذهب نوره وبهاؤه، وقد حفرت الدموع في وجنتيه نهرين، فقالت الملائكة: يا آدم ما الذي نزل بك من تغيير الحال بعد الزينة والحسن والجمال، أين نور الجنان؟ أين لباس الرضوان؟ قال آدم: هذا الذي وعدني فيه ربّي حين قال: ﴿إن لك ألاَّ تجوع فيها ولا تعرى، وأنّك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾، فقال جبرئيل للملائكة كفوا عن آدم ولا تعيّروه بخطيئته ولا توبّخوه بذنبه، فقد محىٰ خطيئته وغفر له ذنبه، وعند ذلك استغفرت له الملائكة، فضرب جبرئيل بجناح الرحمة فانفجرت عين ماء أشدّ رائحة من المسك، فاغتسل آدم بذلك الماء وهو يقول: اللّهمَّ طهّرتني من خطيئتي، وأخرجتني من كربي، فكساه حلتين من سندس الجنّة، وبعث اللّٰه ميكائيل إلى حوّاء فبشّرها وكساها، فلمّا عرفت قبول توبتها انطلقت إلى الساحل واغتسلت وهي تبكي شوقاً إلى آدم، فكلّ قطرة سقطت من دموعها في البحر انقلبت لؤلؤاً ومرجاناً ودرراً ويواقيت، فانصرفت إلى موضعها تنتظر قدوم آدم، فجعل آدم يسأل جبرئيل عن حوّاء، فأخبره أنّ اللّٰه تعالى قد قبل توبتها وبشّره بأنّ اللّٰه يجمع بينكما في أشرف البقاع وأكرم الأعياد، وأعلمه أنّ اللّٰه أمره أن يبني له بيتاً يطوف به ويسعىٰ ويؤدّي صلاته فيه كما رأىٰ الملائكة يفعلون حول البيت المعمور، وأنّه سيعرض عليه إبليس هناك فيرجمه كما رجمته الملائكة حين امتنع من السجود، فعند ذلك ضحك آدم، ووثب قائماً، فأمر اللّٰه تعالى الملائكة والحيوانات حتى النمل والجراد والبعوض أن يهنوه بالتوبة، ففعلوا ذلك.

ثمّ أمره جبرئيل ببناء بيت يشبه البيت المعمور بحذائه ليطوف به هو وأولاده كما تطوف الملائكة حول البيت المعمور، وهو في السماء الرابعة بحذاء الكعبة وبقدرها، ثم سار جبرئيل مع آدم إلى موضع البيت، وكان كلّما وضع قدمه في موضع صار ذلك الموضع عمارة وبين الخطوتين مفازة، إلى أن وصل مكة فبناها وهي أوّل قرية بنيت وأول بيت بني، فأوحىٰ اللّٰه إليه يا آدم ابن لي الآن بيتاً الذي وضعته في الأرض قبل أن تخلق بألف عام، وقد أمرت الملائكة

أن تعينك على بنائه، فإذا بنيته فطف حوله وسبحني واذكرني وقدّسني، ولا تجزع على زوجتك حوّاء، فإني سأجمع بينكما في مشارع بيتي، واجعل هذا البيت القبلة الكبرىٰ، قبلةً لنبيي محمّد ﷺ، فحسبك يا آدم بمحمّد شرفاً، وقد علمت يا آدم ما بقلبك من حوّاء وما بقلبها منك من المحبة والوداد، فإذا رأيتها فكن بها لطيفاً فإنّي جعلتها أمّ النبيين، قال: فخرّ آدم ساجداً لربّه، وهو يقول: حسبي ربّي وما أوحيت إليّ من فضائل هذا البيت ومناسكه، فبناه آدم وساعدته الملائكة، فلمّا تمّ بنيته علّمه جبرئيل جميع المناسك، وجمع اللّه بين آدم وحوّاء على جبل عرفات، فتعارفا فيه، وذلك يوم الجمعة، والحمد للّه ربّ العالمين[1].

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، تحفة الاخوان، قصص الأنبياء.

الروح الإنسانية

﴿ويسألونك عن الرّوح قل الروح من أمر ربّي وما أُوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾[١].

لقد عرف أنّ الروح من الأمور الغيبية، وهو من عالم الملكوت إن كانت الروح إنسانية، ومن عالم الأفلاك إن كانت حيوانية، والروح ليس من الأمور الحسيّة التي يشار إليها بالحواس الظاهرة، بل هو أمر غيبي، ومن شأن الأمور الغيبية أنّها لا تدرك بالعيان ولا تشاهده العينان، وإنّما يدرك بالآثار، كما أنّ اللّه خالق الأرواح وصانعها، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللّطيف الخبير، فلا تعرف اللّه تعالى في أي حال من الأحوال أو جهة من الجهات، الطريق إليه مسدود والطلب مردود، وإنما يعرف من آثاره التي هي خلقه، كما في الحديث القدسي: خلقت الخلق لكي أعرف، وليس هناك مقارنة أو وجه مشابهة بين اللّه تعالى والروح، لأنّ الخالق غير المخلوق، والروح أثر من آثار اللّه، صادرة ﴿من أمر ربّي﴾ كما قال تعالى، وليس من ذات اللّه، وإنّما من تقريب المثال أنّ الروح ليس الأمور الحسيّة كي تدرك بالحواس، بل هو من الأشياء الغيبية التي آثارها تدل عليها، وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿قل الروح من أمر ربّي﴾ تلميحاً إلى أنّه لا يوصف بشيء من الأمور الحسيّة ويعرف إلاّ أنّه من أمر اللّه، فكما أنّ أمر اللّه لا يشاهد بالعيان فكذلك ما منه صدر أو منه ظهر.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

وان للروح تعاريفاً ورسوماً عند الحكماء والفلاسفة، والتعرّض لكلماتهم وما ذكروه في تعاريفها ومعانيها وحقيقتها يستدعي تسويد أوراق كثيرة وسعة من الوقت، ولكنا نختصر على أثبتها وأصحّها وأعمدها وهي المروية عن أخبار المعصومين عليهم السلام.

فنبين على نحو الاختصار، أنّ الأرواح ثلاثة:

الأولى: الروح النباتية المعبّر عنها بالروح الطبيعية، والثانية: الروح الحيوانية المعبّر عنها بالروح الفلكية، والثالثة: الروح الإنسانية المعبّر عنها بالروح الملكوتية.

ومثال الروح الأولى النباتية، أننا نرى حسّاً ووجداناً إذا ألقي البذر الجماد في الأرض الصالحة للنبات وسقي بالماء النافع، تحرّك البذر فنما طولاً وعرضاً، فصار إمّا شجراً أو زرعاً، وإن انقطع عنه الماء ذبل ويبس، ونظيره في الإنسان النطفة حين تلقى في الرحم فتنمو في الإنسان نموّ النبات إلى أربعة أشهر نموّاً بلا حركة، بهذا الأثر الواضح الشهودي نستدلّ على حدوث روح فيه غيبية مؤثّرة لذلك، تسمّى روحاً نباتية ولا نشاهد عين الروح، بل نرى أثرها وهو النموّ.

ونرى في الروح الحيوانية، في الحيوان مضافاً إلى ما فيه من النموّ والذبول أنّه يتحرّك بإرادته إلى ما يشاء، وله حواس ظاهرة من البصر والسمع والشمّ والذوق واللّمس، ونظيره في الإنسان وهو جنين قد تجاوز الشهر الرابع من حمله، يحصل له تقلّب وحركة مع النموّ، فهذه الآثار تدلّنا على أنّ في الحيوان روحان تؤثّر هذا الأثر وهو النموّ والحركة.

ونرى في الإنسان مضافاً إلى ما فيه من الأثر النباتي والأثر الحيواني أنّ له قوّة فكرية قويّة تدرك الكلّيات وتدرك الأشياء الغائبة عن الحواس وتستدلّ من الآثار على المؤثرات، ومن الشهادة على الغيب ومن العبودية على الربوبية، وله ذهن دراك وقّاد تنقش فيه صور الأشياء، كما تنقش في المرآة صور المحسوسات، فنستدلّ على أنّ للإنسان روحاً ثالثة غير الروح النباتية والحيوانية. وبعبارة أخرى نرى في الإنسان أموراً ثلاثة:

النموّ والذبول موجود في بدنه وأعضائه وشعره وأظفاره وغير ذلك كما في النبات.

وفيه أيضاً التقلّب والحركة بالإرادة والحواس الظاهرة والرضا والغضب كما في الحيوان.

وفيه أيضاً درك الكليّات والأمور الغائبة عن الحواس فيحصل عنده العلم، فجسم الإنسان مركّب الروح النباتية، ودخولها عند تعلّق النطفة في رحم الأم، والروح النباتية مركب الروح الحيوانية التي دخولها يكون بعد الشهر الرابع حينما يبدأ الجنين بالتقلّب والحركة، والروح الحيوانية مركب الروح الإنسانية، والتي يكون دخولها عند الوضع، ولهذا لا يسمّى الإنسان إنساناً إلاّ عند الولادة، وخروجه من بطن أمّه حيّاً وقد عبّر عنها مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالقوة اللاهوتية حينما قال في الروح الإنسانية **قوة لاهوتية بدأ إيجادها عند الولادة الدنيوية**.

وهذه الروح الإنسانية متعلّقة بالبدن تعلّق تدبير وإشراق لا تعلّق امتزاج كامتزاج الروح الحيوانية والروح النباتية، ولهذا نراها تخرج عن البدن بالجسم المثالي في المنام، سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام **عن الرجل النائم هنا والمرأة النائمة يريان الرؤيا أنّهما بمكة أو مصر من الأمصار، وروحهما خارج من أبدانهما، قال: لا يا أبا بصير، فإنّ الروح إذا فارقت البدن لم تعد إليه، غير أنّها بمنزلة عين الشمس مركوزة في السماء في كبدها وشعاعها في الدنيا**، وقال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: **إنّ المرء إذا خرج روحه، فإنّ روح الحيوانية باقية في البدن، فالذي يخرج منه روح العقل وكذلك هو في المنام أيضاً**.

وقال عبد الغفار الأسلمي، يقول الله عزّ وجلّ: **﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ إلى قوله ﴿أجل مسمى﴾ ترى الأرواح كلها تصير إليه عند منامها، فيمسك ما يشاء، ويرسل ما يشاء فقال له أبو الحسن** عليه السلام: **إنّما تصير إليه أرواح العقول، فأمّا أرواح الحياة فإنّها في الأبدان لا تخرج إلاّ بالموت، ولو**

كانت روح الحياة خارجة لكان بدننا ملقى لا يتحرّك، ولقد ضرب الله مثلاً لهذا في كتابه في أصحاب الكهف حيث قال: ﴿ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾، أفلا ترى أنّ أرواحهم فيهم بالحركات[١].

فإذا نام الإنسان تخرج روحه الإنسانية أو العقلية بجسم مثالي، أي الروح تنتزع من البدن جسماً شفّافاً لطيفاً مثالياً لبدنه، فتطير إلى ما تريد، لأنّ الروح لا تستقرّ بلا مركب فمركبه هو هذا الجسم المنتزع من هذا البدن، فتمضي إلى أي مكان تشاء أو أي بلد تريد، فتكشف عن الأمور المستقبلية والأمور الماضية، وإذا استيقظ يرى في اليقظة عين ما يرى في الحلم أو تأويل ما رأى فيه بشرط أن لا تكون الرؤيا متولدة من أبخرة المعدة، بل كانت من الرؤيا الصادقة، ولدى الاستيقاظ تأتي الروح الإنسانية مع الجسم المثالي بواسطة الريح المتصل إليه فتنطبق على بدنه فيستيقظ.

وأمّا الموت فتقطع الروح علاقتها كليّاً من الجسد، فتخرج وتخرج الحيوانية والنباتية، فلا نموّ ولا حركة، بخلاف النوم فالروح الحيوانية على حالها والبدن في النموّ والذبول، والله أعلم.

أصل نطفة الإنسان

﴿وهو الذي يصوّركم في الأرحام كيف يشاء﴾[٢]، ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾[٣]، ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[٤].

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله إذا أراد أن يخلق المؤمن من

---

(١) جامع الأخبار.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٦.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٢.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ١٢.

المؤمن، والمؤمن من الكافر بعث ملكاً فأخذ قطرة من ماء المزن فألقاها على ورقة فأكل منها أحد الأبوين فذلك المؤمن منه.

وعنه عليه السلام قال: إنّ في الجنّة لشجرة تسمّى المزن فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة فلا تصيب بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلاّ أخرج الله عزّ وجلّ من صلبه مؤمناً[1].

وعنه عليه السلام قال: إنّ النطفة تقع من السماء إلى الأرض على النبات والثمر والشجر فتأكل الناس منه والبهائم فيجري فيهم.

فقد تبيّن أنّ نطفة المؤمن تنزل من الشجرة المسمّاة بالمزن، فتقع على البقول والثمر والحبوب فما أكلها مؤمن أو كافر إلاّ وخرج من صلبه مؤمن، وأنّ نطفة الكافر تصعد من شجرة الزقوم فتقع على البقول والثمر والحبوب، فما أكلها مؤمن أو كافر إلاّ أخرج من صلبه كافر، وأنّ النطفة إذا وقعت في رحم المرأة وكانت نطفة الرجل حارّة يابسة كطبيعة النّار، ونطفة المرأة باردة رطبة كطبيعة الماء، لا يمكن الاجتماع بينهما، أمر الله سبحانه ملكاً فقبض من الأرض قبضة من البقعة التي يدفن فيها ذلك المولود فماثلها في النطفتين، فيبوستها توافق نطفة الرجل، وبرودتها توافق نطفة المرأة فيحصل العقد، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلاقين، فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾، فعجن النطفة بتلك التربة التي يخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة، فإذا تمّت له أربعة أشهر قالوا يا ربّ نخلق ماذا، فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى، أبيض أو أسود، فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه، كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى، فلذلك يغسل الميّت غسل الجنابة.

وعنه عليه السلام قال: إنّ النطفة إذا وقعت في الرحم بعث الله عزّ وجلّ ملكاً

---

(١) عوالم العلوم.

فأخذ من التربة التي يدفن فيها فماثلها في النطفة، فلايزال يحنّ إليها حتى يدفن فيها.

وقال رسول اللّه ﷺ: لمّا خلق اللّه آدم اشتكت الأرض إلى ربّها لمّا أُخذ منها، فوعد أن يردّ فيها ما أُخذ منها، فما من أحد إلاّ ويدفن في التربة التي خلق منها[١].

تأثير الصور الخيالية في النطفة

عن الرّضا عليه السلام قال: إنّ الملك قال لدانيال، اشتهي أن يكون لي ابن مثلك، فقال: ما محلّي من قلبك، قال: أجلّ محلّ وأعظمه، قال دانيال: إذا جامعت فاجعل همّتك فيّ، قال: ففعل الملك ذلك، فولد له ابن أشبه خلق اللّه بدانيال[٢].

وعن أبي عبد اللّه عليه السلام في حديث، فلمّا قضى موسى الأجل، قال لشعيب: لا بدّ لي أن أرجع إلى وطني وأمّي وأهل بيتي، فما لي عندك، فقال شعيب: ما وضعت أغنامي هذه السنة من غنم بلق[٣] فهو لك، فعمد موسى عندما أراد أن يرسل الفحل على الغنم إلى عصاه، فقشر منه بعضه وترك بعضه، وغرزه في وسط مربض الغنم، وألقى عليه كساءً أبلق، ثم أرسل الفحل على الغنم، فلم تضع الغنم في تلك السنة إلاّ بلقاً[٤].

علّة شباهة الإنسان أقرباءه

قال الحسن بن علي عليه السلام في حديث: وأمّا ما ذكرت من أمر الرجل يشبه أعمامه وأخواله، فإنّ الرجل إذا أتىٰ أهله بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن

---

(١) روضة الواعظين.

(٢) بحار الأنوار.

(٣) بلق: أي فيه سواد وبياض.

(٤) عوالم العلوم.

غير مضطرب استكنت تلك النطفة في تلك الرحم، فخرج الرجل يشبه أباه وأمّه، وإن أتاها بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب، اضطربت تلك النطفة في جوف تلك الرحم فوقعت على عرق من العروق، فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشبه الولد أعمامه وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه أخواله.

وفي رواية: أيّهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشّبه له.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ اللّه تبارك وتعالى إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كلّ صورة بينه وبين أبيه إلى آدم، ثم خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولنّ أحد هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي.

قيل: إنّ يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا محمّد أسألك عن شيء لا يعلمه إلاّ نبي قال: وما هو؟ قال: عن شبه الولد أباه وأمّه قال: ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكراً بإذن اللّه عزّ وجلّ، ومن قبل ذلك يكون الشبه، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل خرج الولد أنثى بإذن اللّه تعالى ومن قبل ذلك يكون الشبه[١].

أعاجيب خلق صنعة الإنسان

عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال في حديث المفضل:

نبدأ يا مفضل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرحم، وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء، ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة، ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه، الماء والنبات فلا يزال ذلك غذاؤه.

حتى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه[٢] على مباشرة الهواء

(١) بحار الأنوار.
(٢) الأديم: الجلد المدبوغ.

وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بأمه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثديها وانقلب الطعم واللون إلى ضرب آخر من الغذاء وهو أشدّ موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه، فحين يولد قد تلمظ[1] وحرّك شفتيه طلباً للرضاع، فهو يجد ثدي أمه كالأداوتين[2] المعلقتين لحاجته فلايزال يتغذّى باللّبن، مادام رطب البدن رقيق الأمعاء ليّن الأعضاء، حتى إذا تحرّك، واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويقوى بدنه، طلعت له الطواحن من الأسنان والأضراس ليمضغ بها الطعام، فيلين عليه، ويسهل له إساغته، فلايزال كذلك حتى يدرك، فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشعر في وجهه، فكان ذلك علامة الذكر، وعزّ الرجل الذي يخرج به من جدة الصبا وشبه النساء، وإن كانت أنثى يبقى وجهها نقياً من الشعر، لتبقى لها البهجة، والنضارة التي تحرّك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه.

اعتبر يا مفضل فيما يدبّر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة، هل ترى مثله يمكن أن يكون بالإهمال؟ أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم وهو في الرحم ألم يكن سيذوي ويجفّ كما يجف النبات إذا فقد الماء، ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموؤد في الأرض؟ ولو لم يوافقه اللّبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا يلائمه، ولا يصلح عليه بدنه، ولو لم تطلع له الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام وإساغته، أو يقيمه على الرضاع فلا يشتدّ بدنه ولا يصلح لعمل؟ ثم كان يشغل أمّه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد.

ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء، فلا ترى له جلالة ولا وقاراً؟

---

(١) تلمظ: أخرج لسانه فمسح به شفتيه.
(٢) الأداوة: إناء صغير من جلد يتخذ للماء.

قال المفضل فقلت له: يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حالته ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ الكبر، فقال عليه السلام: ﴿ذلك بما قدّمت أيديكم وان اللّه ليس بظلام للعبيد﴾ فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلاّ الذي أنشأه خلقاً، بعد أن لم يكن، ثم توكّل له بمصلحته بعد أن كان، فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير، فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالخطأ والمحال، لأنهما ضد الإهمال وهذا فظيع من القول وجهل من قائله، لأنّ الإهمال لا يأتي بالصواب والتضادّ لا يأتي بالنظام تعالى اللّه عمّا يقول الملحدون علوّاً كبيراً.

ولو كان المولود يولد فهماً عاقلاً، لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيراناً تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف، وورد عليه ما لم يرَ مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير، إلى غير ذلك ممّا يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم.

واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد وهو عاقل، يكون كالواله الحيران فلا يسرع إلى تعلّم الكلام، وقبول الأدب، كما يسرع الذي سبي صغيراً غير عاقل، ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً مرضعاً معصباً بالخرق مسجّى في المهد لأنّه لا يستغني عن هذا كلّه، لرقّة بدنه ورطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غبياً غافلاً عمّا فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة، ثم لايزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً، وشيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، حتى يألف الأشياء، ويتمرّن ويستمرّ عليها، فيخرج من حدّ التأمّل لها والحيرة فيها إلى التصرّف، والاضطرار إلى المعاش بعقله وحيلته، وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية، وفي هذا أيضاً وجوه أخر، فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد، وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب التربية للآباء على الأبناء من المكافأة بالبرّ، والعطف عليهم، عند حاجتهم إلى ذلك منهم ثم كان الأولاد

لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبناءهم، لأنّ الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم، فيتفرّقون عنهم حين يولدون، فلا يعرف الرجل أباه وأمّه، ولا يمتنع عن نكاح أمّه وأخته، وذوات المحارم منه، إذا كان لا يعرفهن، وأقلّ ما في ذلك من القباحة، بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع، لو خرج المولود من بطن أمّه وهو يعقل، أن يرى منها ما لا يحلّ له، ولا يحسن به أن يراه، أفلا ترى كيف أقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب؟ وخلا من الخطأ دقيقه وجليله.

إعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة. واعلم أنّ في أدمغة الأطفال رطوبة، إن بقيت فيها أحدثت عليهم أحداثاً جليلة وعللاً عظيمة، من ذهاب البصر وغيره، والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم، أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه ويتوخّيان في الأمور مرضاته لئلاً يبكي، وهما لا يعلمان أنّ البكاء أصلح له وأجمل عاقبة، فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه، من أجل أنّهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه، فإنّ كلّ ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثيراً ما يقصر عنه على المخلوقين محيط به علم الخالق جلّ قدسه وعلت كلمته.

فأمّا ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق، ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة، كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة، فأخرجته إلى حدّ البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المتلفة كالفالج واللّقوة وما أشبههما، فجعل اللّه تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم، لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم، فتفضّل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه، ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك من التمادي في معصيته، فسبحانه ما أجلّ نعمته وأسبغها على المستحقّين وغيرهم من خلقه، تعالى عمّا يقول المبطلون علوّاً كبيراً.

أنظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعاً على ما يشاكل ذلك عليه، فجعل للذكر آلة ناشرة تمتد حتّى تصل النطفة إلى الرحم، إذ كان محتاجاً إلى أن يقذف ماءه في غيره، وخلق للأنثى وعاءً قعراً ليشتمل على الماءين جميعاً، ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم، أليس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عمّا يشركون!؟

فكّر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع، وتدبير كلّ منها للأرب فاليدان للعلاج، والرجلان للسعي، والعينان للاهتداء، والفم للاغتذاء والمعدة للهضم، والكبد للتخليص، والمنافذ لتنفيذ الفضول، والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل، وكذلك جميع الأعضاء، إذا ما تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك، وجدت كلّ شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة.

قال المفضل فقلت: يا مولاي إنّ قوماً يزعمون أنّ هذا من فعل الطبيعة، فقال عليه السلام: سلهم عن هذه الطبيعة أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال، أم ليست كذلك؟؟ فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من إثبات الخالق، فإنّ هذه صنعته!!، وإن زعموا أنّها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد، وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة، علم أنّ هذا الفعل للخالق الحكيم، فإنّ الذي سمّوه طبيعة هو سنته في خلقه، الجارية على ما أجراها عليه.

فكّر يا مفضل في وصول الغذاء إلى البدن، وما فيه من التدبير، فإنّ الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه، وتبعث بصفوه إلى الكبد، في عروق دقاق واشجة[1] بينهما، وقد جعلت كالمصفّى للغذاء، لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكأها وذلك أنّ الكبد رقيقة لا تحتمل العنف، ثمّ إنّ الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً، وينفذه إلى البدن كلّه في مجاري مهيئة لذلك، بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء ليطرد في الأرض كلّها وينفذ ما يخرج منه من الخبث والفضول إلى

(١) الواشجة: الموصلة أو الواصلة.

مفائض[1] قد أعدّت لذلك، فما كان من جنس المرّة الصفراء جرىٰ إلى المرارة، وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال، وما كان من البلّة والرطوبة جرى إلى المثانة.

فتأمّل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه موضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلاً تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه، فتبارك من أحسن التقدير، وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله ومستحقه.

قال المفضل فقلت: صف نشوء الأبدان ونموّها حالاً بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال، قال عليه السلام: أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد، ويدبره حتى يخرج سويّاً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل، إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللّحم والشحم والعصب إلى آخره، والعروق والغضاريف، فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تزداد ولا تنقص، إلى أن يبلغ أشدّه ان مدّ في عمره أو يستوفي مدّته قبل ذلك، هل هذا إلاّ من لطيف التدبير والحكمة.

أنظر يا مفضل ما خصّ به الإنسان في خلقه تشرّفاً وتفضّلاً على البهائم، فإنّه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه، ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبوباً على وجهه كذوات الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

أنظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خصّ بها الإنسان في خلقه، وشُرف بها على غيره، كيف جعلت العينان في الرأس، كالمصابيح فوق المنارة، ليتمكّن من مطالعة الأشياء، ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهنّ كاليدين والرجلين فتعترضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما

---

(١) المفائض: المجاري.

يعللها ويؤثّر فيها وينقص منها، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلّبها واطّلاعها نحو الأشياء.

فلمّا لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع، كان الرأس أسنى المواضع للحواس، وهو بمنزلة الصومعة لها، فجعل الحواس خمساً تلقي خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات، فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها، لم تكن فيها منفعة، وخلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها، لم يكن فيها ارب، وكذلك سائر الحواس، ثم هذا يرجع متكافياً، فلو كان بصر ولم تكن الألوان، لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم تكن أصوات، لم يكن للسمع موضع.

فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضاً، فجعل لكلّ حاسة محسوساً يعمل فيه، ولكلّ محسوس حاسة تدركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات، لا تتمّ الحواس إلاّ بها، كمثل الضياء والهواء، فإنّه لو لم يكن ضياء يظهر اللّون للبصر، لم يكن البصر يدرك اللّون، ولو لم يكن هواء يؤدّي الصوت إلى السمع، لم يكن السمع يدرك الصوت، فهل يخفى عليه من صحّ نظره وأعمل فكره، ان مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً، وتهيئة أشياء أخر بها تتم الحواس، لا يكون إلاّ بعمل وتقدير من لطيف خبير.

فكّر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس، وما يناله من الخلل في أموره، فإنّه لا يعرف موضع قدميه، ولا يبصر ما بين يديه، فلا يفرق بين الألوان، وبين المنظر الحسن والقبيح، ولا يرى حفرة ان هجم عليها ولا عدوّاً إن أهوي إليه بسيف، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة والتجارة والصياغة، حتى أنّه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى.

وكذلك من عدم السمع، يختلّ في أمور كثيرة، فإنّه يفقد روح المخاطبة والمحاورة، ويعدم لذة الأصوات واللحون المشجية والمطربة، وتعظم المؤنة

على الناس في محاورته، حتى يتبرموا به، ولا يسمع شيئاً من أخبار الناس وأحاديثهم، حتى يكون كالغائب وهو شاهد، أو كالميت وهو حيّ.

فأمّا من عدم العقل، فإنّه يلحق بمنزلة البهائم، بل يجهل كثيراً ممّا تهتدي إليه البهائم، أفلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل، وسائر الخلال التي بها صلاح الإنسان، والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل، يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها، فلمَ كان كذلك؟ إلاّ أنه خلق بعلم وتقدير.

قال المفضل: فقلت فلِمَ صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يا مولاي؟ قال عليه السلام: ذلك للتأديب والموعظة لمن يحلّ ذلك به ولغيره كما يؤدّب الملوك الناس للتنكيل والموعظة، فلا ينكر ذلك عليهم، بل يحمد من رأيهم، ويتصوّب من تدبيرهم، ثمّ إنّ للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت، إن شكروا وأنابوا، ما يستصغرون معه ما ينالهم منها، حتى أنّهم لو خيّروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب.

فكّر يا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً، وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير، فالرأس ممّا خلق فرداً، ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون له أكثر من واحد، ألا ترى أنّه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه، من غير حاجة إليه، لأنّ الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد، ثم كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فإن تكلّم من أحدهما كان الآخر معطّلاً لا أرب فيه ولا حاجة إليه، وإن تكلّم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه، وإن تكلّم بأحدهما بغير الذي تكلّم به من الآخر، ولم يدر السامع بأي ذلك يأخذ وأشباه هذا من الأخلاط.

واليدان ممّا خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان خير في أن يكون له يد واحدة، لأنّ ذلك كان يخلّ به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء، ألا ترى أن النجّار

والبنّاء لو شلّت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته، وان تكلّف ذلك لم يحكمه، ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت يداه تتعاونان على العمل.

أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الإنسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت، واللّسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم، ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يقم السين، ومن سقطت شفته لم يصحح الفاء، ومن ثقل لسانه لم يفصح الرّاء وأشبه شيء بذلك المزمار الأعظم، فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح، والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزامير والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً غير أنّه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإنّ المزمار في الحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت.

قد أنبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام وإقامة الحروف، وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى، فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرئة، فتروح على الفؤاد بالنَّفَس الدائم المتتابع الذي لو حبس شيئاً يسيراً لهلك الإنسان، وباللّسان تذاق الطعوم، فيميز بينها، ويعرف كلّ واحد منها حلوها من مرّها وحامضها من مرّها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها، وفيه مع ذلك معونة على إساغة الطعام والشراب والأسنان لمضغ الطعام حتى يلين وتسهل إساغته، وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكهما وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك فإنّك ترى من سقطت أسانه مسترخي الشفة ومضطربها، وبالشفتين يترشف الشراب، حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه بقصد وقدر، لا يثج ثجاً، فيغصّ به الشارب، أو ينكأ في الجوف، ثمّ هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الإنسان إذا شاء ويطبقها إذا شاء. وفيما وصفنا من هذا بيان.

إن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرّف، وينقسم إلى وجوه من المنافع

كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتّى، وذلك كالفأس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الأعمال.

ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيته قد لُفّ بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض، وتمسكه فلا يضطرب. ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة، كيما تقيه هدّ الصدمة، والصكة التي ربما وقعت في الرأس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر، حتى صارت بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدّة الحرّ والبرد، فمن حصن الدماغ هذا التحصين، إلاّ الذي خلقه وجعله ينبوع الحسّ، والمستحق للحيطة والصيانة، بعلوّ منزلته من البدن، وارتفاع درجته، وخطير مرتبته.

تأمّل يا مفضل: الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والأشفار كالأشراح وأولجها في هذا الغار، وأظلّها بالحجاب، وما عليه من الشعر.

يا مفضل من غيّب الفؤاد في جوف الصدر، وكساه المدرعة التي هي غشاؤه، وحصّنه بالجوانح وما عليها من اللّحم والعصب، لئلاّ يصل إليه ما ينكأه[1].

من جعل في الحلق منفذين أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتّصل بالرئة، والآخر منفذاً للغذاء وهو المريء المتّصل بالمعدة الموصل الغذاء إليها، وجعل على الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل إلى الرئة فيقتل.

من جعل الرئة مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تختل لكيلا تتحيّر الحرارة في الفؤاد، فتؤدي إلى التلف، من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجاً تضبطها لئلا يجريا جرياناً دائماً، فيفسد على الإنسان عيشه، فكم عسى أن يحصي المحصي من هذا، بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس أكثر.

من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدرها لهضم الطعام الغليظ؟ ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللّطيف من الغذاء، ولتهضم وتعمل ما هو ألطف من عمل المعدة إلاّ اللّه القادر، أترى الإهمال يأتي بشيء من ذلك كلا، بل هو

---

(١) نكأه: جرحه وآذاه.

تدبير مدبّر حكيم قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إياها، لا يعجزه شيء وهو اللّطيف الخبير.

فكّر يا مفضل لم صار المخ الرقيق محصّناً في أنابيب العظام، وهل ذلك إلاّ ليحفظه ويصونه، لم صار الدم السائل محصوراً في العروق بمنزلة الماء في الظروف، إلاّ لتضبطه فلا يفيض، لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلاّ وقاية لها ومعونة على العمل، لم صار داخل الأذن ملتوياً كهيأة اللولب، إلاّ ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع، وليكسر حمة الريح فلا ينكأ في السمع، لم حمل الإنسان على فخذيه وإليتيه هذا اللّحم إلاّ ليقيه من الأرض فلا يتألّم من الجلوس عليها كما يتألم من نحل جسمه وقلّ لحمه، إذا لم يكن بينه وبين الأرض حائل يقيه صلابتها.

من جعل الإنسان ذكراً وأنثى إلاّ من خلقه متناسلاً، ومن خلقه متناسلاً إلاّ من خلقه مؤملاً، ومن أعطاه آلات العمل إلاّ من خلقه عاملاً، ومن خلقه عاملاً إلاّ من جعله محتاجاً، ومن جعله محتاجاً إلاّ من ضربه بالحاجة، ومن ضربه بالحاجة إلاّ من توكل بتقويمه، ومن خصّه بالفهم إلاّ من أوجب الجزاء ومن وهب له الحيلة إلاّ من ملكه الحول، ومن ملكه الحول إلاّ من ألزمه الحجة ومن يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلاّ من لم يبلغ مدى شكره.

فكّر وتدبّر ما وصفته، هل تجد الإهمال يأتي على مثل هذا النظام والترتيب تبارك اللّه تعالى عمّا يصفون.

أصف لك الآن يا مفضل الفؤاد، إعلم أنّ فيه ثُقباً موجهة نحو الثقب التي في الرئة تروح عن الفؤاد، حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض، لما وصل الروح إلى الفؤاد، ولهلك الإنسان أفيستجيز ذو فكرة وروية أن يزعم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال، ولا يجد شاهداً من نفسه يزعه عن هذا القول، لو رأيت فرداً من مصراعين فيه كلوب[1] أكنت تتوهم أنّه جعل كذلك

(١) الكلوب: المهماز أو حديدة معطوفة الرأس يجرّ بها الجمر أو الخشب، والجمع كلاليب.

بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة أنّه مصنوع يلقى فرداً آخر، فيبرزه ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة، وهكذا تجد الذكر من الحيوان، كأنّه فرد من زوج مهيأ من فرد أنثى، فيلتقيان لما فيه من دوام النسل وبقائه، فتباً وخيبة وتعساً لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى أنكروا التدبير والعمد فيها.

لو كان فرج الرجل مسترخياً، كيف كان يصل إلى قعر الرحم، حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعضاً[١] أبداً كيف كان الرجل يتقلّب في الفراش، أو يمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه، ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر، تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعاً، فقدر اللّه جلّ اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت، ولا يكون على الرجال منه مؤنة، بل جعل فيه قوة الانتصاب وقت الحاجة إلى ذلك، لما قدر أن يكون فيه من دوام النسل وبقائه.

اعتبر الآن يا مفضل بعظم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى، أليس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع منها، فكذا جعل اللّه سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه، فلم يجعله بارزاً من خلفه، ولا ناشزاً من بين يديه، بل هو منيب في موضع غامض من البدن، مستور محجوب، يلتقي عليه الفخذان، وتحجبه الاليتان بما عليهما من اللّحم فتواريانه، فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء، وجلس تلك الجلسة ألفى ذلك المنفذ منه منصباً مهيأ لانحدار الثقل، فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه.

فكّر يا مفضل في هذه الطوحن[٢]، التي جُعلت للإنسان، فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه، وبعضها عراض لمضغه ورضّه فلم ينقص واحد من الصفتين، إذا كان محتاجاً إليهما جميعاً.

---

(١) المنعض: الصلب الشديد.
(٢) الطوحن: الأضراس.

تأمّل واعتبر بحسن التدبير في حلق الشعر والأظفار، فإنّهما لما كانا ممّا يطول ويكثر، حتى يحتاج إلى تخفيفه أولاً فأولاً، جُعلا عديما الحسّ، لئلاً يؤلم الإنسان الأخذ منهما، ولو كان قصّ الشعر وتقليم الأظفار ممّا يوجد له ألم، وقع من ذلك بين مكروهين امّا أن يدع كلّ واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه وامّا أن يخففه بوجع وألم يتألم منه.

قال المفضل فقلت: فلم لم يجعل ذلك خِلقةً لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى النقصان منه؟ فقال عليه السلام: إنّ للّه تبارك اسمه في ذلك على العبد نعماً لا يعرفها فيحمد عليها، إعلم أنّ آلام البدن وأدواءه[1] تخرج بخروج الشعر في مسامّه وبخروج الأظفار من أناملها، ولذلك أمر الإنسان بالنورة.

وحلق الرأس، وقصّ الأظفار، في كلّ أسبوع ليسرع الشعر والأظفار في النبات، فتخرج الآلام والأدواء بخروجهما، وإذا طالا تحيرا، وقلّ خروجهما، فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللاً وأوجاعاً، ومنع ـ مع ذلك ـ الشعر من المواضع التي تضرّ بالإنسان، وتحدث عليه الفساد والضرّ لو نبت الشعر في العين، ألم يكن سيعمي البصر؟ ولو نبت في الفم، ألم يكن سينغص على الإنسان طعامه وشرابه؟ ولو نبت في باطن الكف، ألم يكن سيعوقه عن صحة اللّمس وبعض الأعمال؟ ولو نبت في فرج المرأة وعلى ذكر الرجل، ألم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع؟ فانظر كيف تنكب[2] الشعر عن هذه المواضع، لما في ذلك من المصلحة، ثم ليس هذا في الإنسان فقط، بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات، فإنّك ترى أجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه، فتأمّل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطأ والمضرّة، وتأتي بالصواب والمنفعة.

إنّ المنانية وأشباههم، حين أجهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر

---

(١) الأدواء: جمع داء وهو المرض.
(٢) تنكب عليه: عدل عنه وتجنبه.

النابت على الركب والإبطين، ولم يعلموا أنّ ذلك من رطوبة تنصب إلى هذه المواضع، فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه أفلا ترى إلى هذه المواضع أستر وأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها؟ ثمّ إنّ هذه تعدّ مما يحمل الإنسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه، لما له في ذلك من المصلحة، فإنّ اهتمامه بتنظيف بدنه، وأخذ ما يعلوه من الشعر، مما يكسر به شرّته ويكفّ عاديته ويشغله عن بعض ما يخرجه إليه الفراغ من الأشر والبطالة.

تأمّل الريق وما فيه من المنفعة، فإنّه جعل يجري جرياناً دائماً إلى الفم، ليبل الحلق واللّهوات[1] فلا يجف، فإنّ هذه المواضيع لو جعلت كذلك، كان فيه هلاك الأسنان ثم كان لا يستطيع أن يسيغ طعاماً، إذا لم يكن في الفم بلّة تنفذه، تشهد بذلك المشاهدة، واعلم أنّ الرطوبة مطيّة الغذاء وقد تجري من هذه البلّة إلى مواضع أُخر من المرّة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان، ولو يبست المرّة لهلك الإنسان.

ولقد قال قوم من جهلة المتكلّمين وضعفة المتفلسفين بقلّة التمييز وقصور العلم لو كان بطن الإنسان كهيئة القباء يفتحه الطبيب إذا شاء فيعاين ما فيه، ويدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مُصمتاً محجوباً عن البصر واليد، لا يعرف ما فيه إلاّ بدلالات غامضة، كمطل النظر إلى البول، وجسّ العرق، وما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة، حتى ربما كان ذلك سبباً للموت، فلو علم هؤلاء الجهلة أنّ هذا لو كان هكذا، كان أوّل ما فيه ان كان يسقط عن الإنسان الوجل من الأمراض والموت وكان يستشعر البقاء ويغترّ بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتوّ والأشر، ثم كانت الرطوبات التي في البطن ترشح وتتحلب فيفسد على الإنسان مقعده ومرقده وثياب بدلته وزينته، بل كان يفسد عليه عيشه، ثم إنّ المعدة والكبد والفؤاد إنّما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف، فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى

---

(١) اللّهوات: جمع لهاة وهي اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم.

يصل البصر إلى رؤيته، واليد إلى علاجه، لوصل برد الهواء إلى الجوف، فمازج الحرارة الغريزية، وبطل عمل الأحشاء، فكان في ذلك هلاك الإنسان، أفلا ترى أنّ كل ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جاءت به الخلقة خطأ وخطل.

فكّر يا مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعم والنوم والجماع وما دبّر فيها، فإنّه جعل لكلّ واحد منها في الطباع نفسه محرّك يقتضيه ويستحث به، فالجوع يقتضي الطعم الذي فيه راحة البدن وقوامه والكرى(١) يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه، والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه، ولو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام، لمعرفته بحاجة بدنه إليه، ولم يجد من طباعه شيئاً يضطره إلى ذلك، كان خليقاً أن يتوانى عنه أحياناً بالثقل والكسل، حتى ينحل بدنه فيهلك، كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء ممّا يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت، وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالفكر في حاجته إلى راحة البدن وإجمام قواه كان عسى أن يتثاقل عن ذلك، فيدفعه حتى ينهك بدنه، ولو كان إنّما يتحرّك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه، حتى يقلّ النسل أو ينقطع فإنّ من الناس من لا يرغب في الولد، ولا يحفل به.

فانظر كيف جعل لكلّ واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه، محرّكاً من نفس الطبع يحرّكه لذلك، ويحدوه عليه.

واعلم أنّ في الإنسان قوى أربعاً قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة، وقوّة ماسكة تحبس الطعام، حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها، وقوّة هاضمة، وهي التي تطبخه، وتستخرج صفوه، وتبثه في البدن، وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثقل الفاضل، بعد أخذ الهاضمة حاجتها، ففكر في تقدير هذه القوى الأربع التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والأرب فيها، وما في ذلك من التدبير والحكمة، فلولا الجاذبة كيف كان يتحرّك الإنسان لطلب الغذاء الذي

---

(١) الكرى: النعاس.

به قوام البدن؟ ولولا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة؟ ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسدّ خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أولاً فأولاً؟ أفلا ترى كيف وَكّل اللّه سبحانه بلطف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن، والقيام بما فيه صلاحه، وسأمثل لك في ذلك مثالاً: إنّ البدن بمنزلة دار الملك، له فيها حشم وصبية وقوام موكّلون بالدار، فواحد لقضاء حوائج الحشم وإيرادها عليهم، وآخر لقبض ما يرد وخزنه، إلى أن يعالج ويهيأ، وآخر لعلاج ذلك وتهيئته وتفريقه، وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها، فالملك في هذا هو الخلاّق الحكيم ملك العالمين، والدار هي البدن، والحشم هم الأعضاء، والقوم هم هذه القوى الأربع، ولعلّك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الذي وصفت فضلاً وتزداداً وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء ولا قولنا فيه كقولهم، لأنّهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب وتصحيح الأبدان، وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

تأمّل يا مفضل هذه القوى التي في النفس، وموقعها من الإنسان، أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك، أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظ وحده، كيف كانت تكون حاله، وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاربه، إذا لم يحفظ ما له وما عليه وما أخذه وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به، وما نفعه مما ضرّه ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى، ولا يحفظ علماً ولو درسه عمره ولا يعتقد ديناً، ولا ينتفع بتجربة، ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية.

فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال، وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع، وأعظم من النعمة على الإنسان، في الحفظ النعمة في النسيان،

فإنّه لولا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة، ولا انقضت له حسرة، ولا مات له حقد، ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكّر الآفات، ولا رجاء غفلة من سلطان، ولا فترة من حاسد، أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان، وجعل له في كلّ منهما ضرباً من المصلحة، وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة، وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة.

أنظر يا مفضل إلى ما خصّ به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق، الجليل قدره العظيم غناؤه، أعني: الحياء، فلولاه لم يُقرّ ضيف ولم يوف بالعداة، ولم تقض الحوائج، ولم يتحر الجميل، ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء، حتى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنما يفعل للحياء فإنّ من الناس من لولا الحياء لم يرع حقّ والديه ولم يصل ذا رحم، ولم يؤدّ أمانة، ولم يعف عن فاحشة، أفلا ترى كيف وفّى الإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام أمره.

تأمّل يا مفضل ما أنعم اللّه تقدّست أسماؤه به على الإنسان، من هذا المنطق الذي يعبّر به عمّا في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتجه فكره وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة، التي لا تخبر عن نفسها بشيء، ولا تفهم عن مخبرٍ شيئاً، وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم، وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم، مما لا يسعهم جهله، ولعلّك تظن أنّها مما يخلص إليه بالحيلة والفطنة، وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه.

وكذلك الكلام، إنّما هو شيء يصطلح عليه الناس، فيجري بينهم ولهذا

صار يختلف في الأمم المختلفة، وكذلك لكتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي، وغيرها من سائر الكتابة، التي هي متفرقة في الأمم إنما اصطلحوا عليها، كما اصطلحوا على الكلام، فيقال لمن ادّعى ذلك: إنّ الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعاً فعلٍ أو حيلة، فإنّ الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة، عطية وهبة من اللّه عزّ وجلّ له في خلقه، فإنّه لو لم يكن له لسان مهيأ للكلام، وذهن يهتدي به للأمور، لم يكن ليتكلّم أبداً ولو لم تكن له كفّ مهيأة وأصابع للكتابة، لم يكن ليكتب أبداً.

واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة، فأصل ذلك فطرة الباري جلّ وعزّ، وما تفضّل به على خلقه، فمن شكر أُثيب،ومن كفر فإنّ اللّه غني عن العالمين.

فكّر يا مفضل فيما أعطى الإنسان علمه وما منع، فإنّه أُعطي جميع علم ما فيه صلاح دينه ودنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق، ومعرفة الواجب عليه، من العدل على الناس كافة، وبرّ الوالدين، وأداء الأمانة، ومواساة أهل الخلة، وأشباه ذلك، ممّا قد توجد معرفته، والإقرار، والاعتراف به في الطبع والفطرة، من كلّ أمة موافقة أو مخالفة، وكذلك أُعطي علم ما فيه صلاح دنياه، كالزراعة والغراس، واستخراج الأرضين، واقتناء الأغنام والأنعام، واستنباط المياه، ومعرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الأسقام، والمعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر، وركوب السفن، والغوص في البحر، وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان، والتصرّف في الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب، وغير ذلك مما يطول شرحه ويكثر تعداده، ممّا فيه صلاح أمره في هذه الدار، فأعطي علم ما يصلح به دينه ودنياه، ومنع ما سوى ذلك، مما ليس في شأنه ولا طاقته أن يعلم، كعلم الغيب وما هو كائن، وبعض ما قد كان أيضاً، كعلم ما فوق السماء وما تحت الأرض، وما في لجج البحار وأقطار العالم، وما في قلوب الناس وما في الأرحام وأشباه هذا مما حجب عن الناس علمه.

وقد ادّعت طائفة من الناس هذه الأمور، فأبطل دعواهم ما يبين من خطئهم، فيما يقصّون عليه ويحكمون به فيما ادّعوا عليه.

فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه ودنياه، وحجب عنه ما سوى ذلك، ليعرف قدره ونقصه وكلا الأمرين فيهما صلاحه.

تأمّل الآن يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدّة حياته، فإنه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش، مع ترقب الموت وتوقعه، لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله، أو قارب الفناء، فقد استشعر الفقر، والوجل من فناء ماله وخوف الفقر على أنّ الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال، لأنّ من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه، فيسكن إلى ذلك، ومن أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس وإن كان طويل العمر، ثم عرف ذلك، وثق بالبقاء، وانهمك في اللّذات والمعاصي، وعمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته، ثم يتوب في آخر عمره، وهذا مذهب لا يرضاه اللّه من عباده ولا يقبله، ألا ترى لو أنّ عبداً لك عمل على أنه يسخطك سنة ويرضيك يوماً أو شهراً، لم تقبل ذلك منه، ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضمر طاعتك ونصحك في كل الأمور، وفي كل الأوقات، على تصرّف الحالات فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته قلنا: إنّ ذلك شيء يكون من الإنسان لغلبة الشهوات له وتركه مخالفتها، من غير أن يقدّرها في نفسه، ويبني عليه أمره، فيصفح اللّه عنه، ويتفضّل عليه بالمغفرة، فإمّا من قدر أمره على أن يعصي ما بدا له، ثمّ يتوب آخر ذلك، فإنّما يحاول خديعة من لا يخادع، بأن يتسلف التلذذ في العاجل، ويعد ويمنّي نفسه التوبة في الآجل، ولأنه لا يفي بما يعد من ذلك، فإنّ النزوع من الترفه والتلذّذ ومعاناة التوبة، ولاسيما عند الكبر وضعف البدن، أمر صعب، ولا يؤمن على الإنسان، مع مدافعته بالتوبة أن يرهقه الموت، فيخرج من الدنيا غير تائب، كما قد يكون على الواحد دَيْن إلى أجل، وقد يقدر على قضائه، فلا يزال يدافع بذلك حتى يحلّ الأجل، وقد نفذ المال، فيبقى الدَّيْن قائماً عليه،

فكان خير الأشياء للإنسان أن يستر عنه مبلغ عمره، فيكون طول عمره يترقّب الموت، فيترك المعاصي، ويؤثر العمل الصالح فإن قلت: وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته، وصار يترقّب الموت في كلّ ساعة يقارف الفواحش وينتهك المحارم، قلنا: إنّ وجه التدبير في هذا الباب، هو الذي جرى عليه الأمر فيه فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي، فإنّما ذلك من مرحه ومن قساوة قلبه، لا من خطأ في التدبير، كما أنّ الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به، فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب، لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عما ينهاه عنه، لم ينتفع بصفته، ولم تكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض، حيث لم يقبل منه، ولئن كان الإنسان مع ترقّبه للموت كلّ ساعة لا يمتنع عن المعاصي، فإنّه لو وثق بطول البقاء كان أحرى بأن يخرج إلى الكبائر الفظيعة، فترقّب الموت على كلّ حال خير له من الثقة بالبقاء، ثم إنّ ترقّب وإن كان صنف من الناس يلهون عنه، ولا يتّعظون به فقد يتّعظ به صنف آخر منهم، وينزعون عن المعاصي، ويؤثرون العمل الصالح، ويجودون بالأموال والعقائل[1] النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين، فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أولئك حظهم منها.

فكّر يا مفضل في الأحلام كيف دبّر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها، فإنّها لو كانت كلّها تصدق لكان الناس كلّهم أنبياء، ولو كانت كلّها تكذب، لم يكن فيها منفعة، بل كانت فضلاً لا معنى له، فصارت تصدق أحياناً، فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها، أو مضرّه يتحذر منها، وتكذب كثيراً لئلاً يعتمد عليها كل الاعتماد.

فكّر يا مفضل في هذه الأشياء التي تراها موجودة معدّة في العالم من مآربهم، فالتراب للبناء، والحديد للصناعات، والخشب للسفن وغيرها والحجارة للأرحاء[2] وغيرها، والنحاس للأواني، والذهب والفضة للمعاملة

---

(١) العقائل: جمع عقيلة وهي من كل شيء هي أكرمه.
(٢) الأرحاء: جمع رحى وهي الطاحونة.

والذخيرة، والحبوب للغذاء، والثمار للتفكّه، واللّحم للمآكل، والطيب للتلذّذ، والأدوية للتصحح، والدواب للحمولة، والحطب للتوقّد، والرماد للكلس، والرمل للأرض، وكم عسى أن يحصي المحصي من هذا وشبهه، أرأيت لو أنّ داخلاً دخل داراً، فنظر إلى خزائن مملوءة من كلّ ما يحتاج إليه الناس، ورأى كلّ ما فيها مجموعاً معدّاً لأسباب معروفة أكان يتوهّم أنّ مثل هذا يكون بالإهمال، ومن غير عمد فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا من صنع الطبيعة في العالم، وما أعدّ فيه من هذه الأشياء.

اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان، وما فيها من التدبير فإنّه خلق له الحب لطعامه، وكلف طحنه وعجنه وخبزه، وخلق له الوبر لكسوته، فكلّف ندفه وغزله ونسجه، وخلق له الشجر، فكلّف غرسها وسقيها والقيام عليها، وخلقت له العقاقير لأدويته، فكلّف لقطها وخلطها وصنعها، وكذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال.

فانظر كيف كفى الخلقة التي لم يكن عنده فيها حيلة، وترك عليه في كلّ شيء من الأشياء موضع عمل وحركة، لما له في ذلك من الصلاح، لأنّه لو كفى هذا كلّه، حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل وعمل، لما حملته الأرض أشراً وبطراً ولبلغ به ذلك إلى أن يتعاطى أموراً فيها تلف نفسه، ولو كفى الناس كل ما يحتاجون إليه لما تهنأوا بالعيش ولا وجدوا له لذّة، ألا ترى لو أنّ امرءاً نزل بقوم، فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم ومشرب وخدمة، لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه إلى التشاغل بشيء، فكيف لو كان طول عمره مكفياً لا يحتاج إلى شيء فكان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان، إن جعل له فيها موضع شغل، لكيلا تبرمه البطالة، ولتكفه عن تعاطي ما لا يناله، ولا خير فيه إن ناله.

واعلم يا مفضل أنّ رأس معاش الإنسان وحياته، الخبز والماء، فانظر كيف دبّر الأمر فيهما، فإنّ حاجة الإنسان إلى الماء أشدّ من حاجته إلى الخبز، وذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش، والذي يحتاج إليه من الماء أكثر مما يحتاج إليه من الخبز، لأنّه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله

وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه فجعل الماء مبذولاً لا يشترى لتسقط عن الإنسان المؤنة في طلبه وتكلّفه، وجعل الخبز متعذّراً لا ينال إلاّ بالحيلة والحركة، ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفّه عمّا يخرجه إليه الفراغ من الأشر والعبث، ألا ترى أنّ الصبي يُدفع إلى المؤدّب، وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم، كل ذلك ليشتغل عن اللّعب والعبث الذين ربما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم، وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل، لخرج من الأشر والعبث والبطر، إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه، واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة[1] ورفاهية العيش والترفّه والكفاية، وما يخرجه ذلك إليه.

اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بالآخر، كما تتشابه الوحوش والطير وغير ذلك، فإنّك ترى السرب من الظباء والقطا تتشابه حتى لا يفرّق بين واحد منها وبين الأخرى، وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم، حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة، والعلّة في ذلك أنّ الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم، لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك، فيحتاج إلى معرفة كلّ واحد منها بعينه وحليته، ألا ترى أنّ التشابه في الطير والوحش لا يضرّها شيئاً، وليس كذلك الإنسان، فإنّه ربما تشابه التوأم تشابهاً شديداً فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما، حتى يعطي أحدهما بالآخر، ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر، وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء، فضلاً عن تشابه الصور، فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال، حتى وقف بها على الصواب، إلاّ من وسعت رحمته كلّ شيء.

لو رأيت تمثال الإنسان مصوراً على حائط، وقال لك قائل: إنّ هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع! . . . . أكنت تقبل ذلك، بل كنت تستهزىء به، فكيف تنكر هذا في تمثال مصوّر جماد، ولا تنكر في الإنسان الحيّ الناطق[2].

---

(١) الجدة: بالتخفيف أي الغنى.
(٢) بحار الأنوار.

وعن الربيع صاحب المنصور قال: حضر أبو عبد الله عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطب، فجعل أبو عبد الله عليه السلام ينصت لقراءته فلمّا فرغ الهندي، قال له يا أبا عبد الله أتريد ممّا معي شيئاً قال: لا فإنّ معي ما هو خير ممّا معك، قال: وما هو؟ قال: أداوي الحارّ بالبارد، والبارد بالحارّ، والرطب باليابس، واليابس بالرطب وأردّ الأمر كلّه إلى الله عزّ وجلّ، واستعمل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، واعلم أنّ المعدة بيت الداء وأنّ الحمية هي الدواء، وأعوّد البدن ما اعتاد، فقال الهندي وهل الطبّ إلاّ هذا، فقال الصادق عليه السلام: أفتراني من كتب الطب أخذت، قال: نعم، قال: لا والله ما أخذت إلاّ عن الله سبحانه، فأخبرني أنا أعلم بالطب أم أنت؟ قال الهندي: لا بل أنا، قال الصادق عليه السلام: فأسألك شيئاً؟ قال: سل، قال: أخبرني يا هندي لم كان في الرأس شؤون؟ قال: لا أعلم قال: فلم جعل الشعر عليه من فوق؟ قال: لا أعلم، قال: فلم خلت الجبهة من الشعر؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كان لها تخطيط وأسارير؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كان الحاجبان من فوق العينين؟ قال: لا أعلم، قال: فلم جعل العينان كاللوزتين؟ فقال: لا أعلم، قال: فلم جعل الأنف بينهما؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كان ثقب الأنف في أسفله؟ قال: لا أعلم، قال: فلم جعلت الشفة والشارب من فوق الفم؟ قال: لا أعلم، قال: فلم أحدّ السن وعرّض الضرس والناب؟ قال: لا أعلم، قال: فلم جعل اللّحية للرجال؟ قال: لا أعلم، قال: فلم خلت الكفّان من الشعر؟ قال: لا أعلم، قال: فلم خلا الظفر والشعر من الحياة؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كان القلب كحب الصنوبر؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كانت الرية قطعتين وجعل حركتها في موضعها؟ قال: لا أعلم، قال: فلم كانت الكبد حدباء؟ قال: لا أعلم، قال: فلمَ كانت الكلية كحبّ اللوبياء؟ قال: لا أعلم، قال: فلم جعل طي الركبة إلى خلف؟ قال: لا أعلم، قال: فلم انحصرت القدم؟ قال: لا أعلم.

فقال الصادق عليه السلام: لكنّي أعلم، قال: فأجب، فقال الصادق عليه السلام: كان في الرأس شؤون لأنّ المجوف إذا كان بلا فصل أسرع إليه الصداع، فإذا

جعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد، وجعل الشعر من فوقه ليوصل بوصوله الأدهان إلى الدماغ ويخرج بأطرافه البخار منه ويرد الحرّ والبرد الواردين عليه، وخلت الجبهة من الشعر لأنّها مصبّ النور إلى العينين، وجعل فيها التخطيط والأسارير ليحبس العرق الوارد من الرأس عن العين قدر ما يميطه الإنسان من نفسه كالأنهار في الأرض التي تحبس المياه، وجعل الحاجبان من فوق العينين ليوردا من النور عليهما قدر الكفاية، ألا ترىٰ يا هندي أنّ من غلبه النور جعل يده بين عينيه ليردّ عليهما قدر كفايتها منه، وجعل الأنف فيما بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواءً، وكانت العين كاللوزة ليجري فيها الميل بالدواء ويخرج منها الداء، ولو كانت مربعة أو مدورة ما جرى فيها الميل وما وصل إليها دواء، ولا خرج منها داء، وجعل ثقب الأنف في أسفله لينزل منه الأدواء المنحدرة من الدماغ ويصعد فيها الأراييح إلى المشام، ولو كان في أعلاه لما نزل داء، ولا وجد رائحة، وجعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ما ينزل من الدماغ عن الفم لئلاً يتنغص على الإنسان طعامه وشرابه فيميطه عن نفسه، وجعل اللِّحية للرجال ليستغنى بها عن الكشف في المنظر ويعلم بها الذكر والأنثى، وجعل السن حاداً لأنّ به يقع العضّ، وجعل الضرس عريضاً لأنّ به يقع الطحن والمضغ، وكان الناب طويلاً ليشدّ الأضراس والأسنان كالاسطوانة في البناء، وخلا الكفّان من الشعر لأنّ بهما يقع اللّمس فلو كان بهما شعر ما دريٰ الإنسان ما يقابله ويلمسه، وخلا الشعر والظفر من الحياة لأنّ طولهما سمج يقبح وقصّهما حسن، فلو كان فيهما حياة لألم الإنسان لقصّهما، وكان القلب كحب الصنوبر لأنّه منكس فجعل رأسه دقيقاً ليدخل في الرية فيتروح عنه ببردها لئلا يشيط الدماغ بحرّه، وجعلت الرية قطعتين بين مضاغطها فتروح عنه بحركتها، وكانت الكبد حدباء لتثقل المعدة وتقع جميعها عليها، فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار، وجعلت الكلية كحب اللوبيا لأنّ عليها مصبّ المني نقطة بعد نقطة فلو كانت مربعة أو مدورة لاحتبست النقطة الأولى الثانية فلا يلتذّ بخروجها الحيّ، إذا المني ينزل من فقار الظهر إلى الكلية فهي كالدودة تنقبض وتنبسط ترميه أولاً فأولاً إلى المثانة كالبندق من القوس، وجعل طي الركبة إلى خلف

لأنّ الإنسان يمشي إلى ما بين يديه فتعتدل الحركات، ولولا ذلك لسقط في المشي، منحصرة لأنّ الشيء إذا وقع على الأرض جميعه ثقل ثقل حجر الرحا، وإذا كان على حرفه دفعه الصبي، وإذا وقع على وجهه صعب ثقله على الرجل.

فقال الهندي: من أين لك هذا العلم، فقال عليه السلام: أخذته عن آبائي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن ربّ العالمين جلّ جلاله، الذي خلق الأجساد والأرواح، فقال الهندي: صدقت، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله وعبده، وأنّك أعلم أهل زمانك.

اختلاج أعضاء الإنسان

الاختلاج هو حركة العضو أو البدن غير إرادية، وحال البدن معه كحال الأرض مع الزلزلة عموماً وخصوصاً، وهو مقدمة لما سيقع للعضو المختلج من مرض يكون عن خلط يشابه البخار المحرّك للعضو أو البدن، وهو إمّا حار يعرف بسرعة الحركة وقصر الزمن، أو يابس ويعرف بتكرّج العضو أي فساده، وهو نادر جدّاً للطف مادته، أو رطب يليه وقوعاً في المرض، أو بارد ويعالج بالحرارة الدافئة، وما ذكرناه يعدّ من علوم الطب في معالجة الأمراض، وقد عدّ أكثر المتأخرين له علماً وأناطو به أحكاماً وبعضهم قد نسبه إلى الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، وإلى الإسكندر، وقد ذكروا أنّ حصول أحكامه ممكنة لأنّ العضو المختلج يجوز إسناد حركته إلى حركة الكوكب المناسب له لما عرف من تطابق العلوي بالسفلي في الأحكام، فنذكر ما جاء من عجائب أحكام هذا العلم والله الموفّق للصواب.

اختلاج الرأس بجملته علامة لحدوث أمر عظيم يصيب فيه رتبة ووجاهة، والجبهة عزّ وسلطان والحاجب الأيمن زيادة في الرّزق وعلوّ مرتبة، والأيسر مشقة، والجفن الأعلى في الأيمن عزّ ومال، والأسفل تعب ونكد، والأعلى من الجفن الأيسر قدوم غائب والأسفل سفر بعيد، والعين اليمنى غمّ وحزن واليسرى سرور، ومحجرها كلام باطل، وجملة الأنف غنى ورفعة والجانب الأيمن نجاة من المرض أو الخصومة، والأيسر ظفر بمطلوب، والصدغ الأيمن

موت له أو لمن يعينه، والأيسر بشارة أو مال، والأذن اليمنى سماع ما يسرّ، وشحمتها نصرة من خصومة، واليسرى رزق، وشحمتها قدوم غائب، والوجنة اليمنى غمّ ونكبة عكس اليسرى، والخدّ الأيمن صحة ونصرة والأيسر مرض يعقبه الشفاء، والشفة العليا خصومة جيدة العاقبة، والسفلى رزق قريب، وكلاهما اجتماع بمن يحب، واللِّسان خصومة، والذقن بركة ورزق، والعنف شرّ، والمنكب الأيمن رزق عظيم، والأيسر نوم في موضع غريب، والعاتقان خير وبركة، والمرفق الأيمن رزق وسرور، والذراع الأيمن اجتماع مع من يحب، والراحة اليمنى رزق قريب، والمرفق الأيسر تعب والذراع الأيسر رزق بعسر وقيل: خصومة سريعة الانقضاء، والراحة اليسرى رزق، وإبهام اليد اليمنى قرب من السلطان، والسبابة من اليمنى يحدث عنه بالفحش والوسطىٰ من اليمنى خصومة ونصرة، والبنصر من اليمنىٰ رزق، والخنصر من اليمنى حظ بعد كلام سوء، وإبهام اليد اليسرى غنى، والسبابة من اليسرى هم، والوسطىٰ والبنصر من اليسرى كما في اليمنى، والخنصر كسبابة اليمنى، وجملة اليد اليمنى مال عظيم واليسرى عزّ، والصدر اجتماع مع من يحبّ وسرور، والجانب الأيسر من الصدر كما في الصدر والجانب الأيمن مرض يشفىٰ منه، واختلاج الخاصرتين والمتنين سرور بالأولاد، والسرّة والعانة والفرج والأليتين كلّ ذلك دليل خير وبركة وعزّ من الناس، والفخذ الأيمن كالركبة اليسرى مرض يليه شفاء قريب، والفخذ الأيسر هم يزول، والساق الأيسر رزق جزيل والأيمن خصومة، وعقب الرِّجل اليمنى سفر، وإبهام الرِّجل اليمنى رزق أو قدوم غائب وسبابتها مرض شديد، والوسطى خصومة، والبنصر سعي في الخير، والخنصر جراحة، وعقب الرِّجل اليسرى والكعب سفر وإبهامها سعي في الخير وقيل: في جنازة، وسبابتها حزن، والوسطى يدوس مكاناً غريباً، والبنصر سعي إلى معصية، والخنصر يصيب آفة، والله أعلم.

عمر الإنسان

ينقسم عمر الإنسان إلى أربعة مراحل، سنّ النموّ ويسمى سن الحداثة،

وهو يبدأ من الولادة إلى قريب الثلاثين سنة، ثم سن الوقوف وهو سنّ الشباب وينتهي إلى الأربعين سنة، ثم سنّ الانحطاط مع بقاء القوة، وهو سن المتكهلين وينتهي إلى نحو ستين سنة، ثم سنّ الانحطاط مع ظهور الضعف في القوة وهو سنّ الشيوخ إلى آخر العمر فعن أبي عبد اللّه عليه السلام: **إذا بلغت ستين سنة فاحسب نفسك في الموتى**[١].

وسن الحداثة ينقسم إلى سنّ الطفولة وهو أن تكون الأعضاء غير قادرة على الحركة والنهوض، ثم سن الصبا وهو بعد النهوض وقبل الشدّة، ثم سن الترعرع وهو بعد الشدّة وقبل المراهقة ويكون فيه نبات الأسنان، ثم سن الغلامية والمراهقة ويكون فيه نبات شعر اللّحية والعانة، ثم سن الفتى إلى أن يقف النموّ.

وإنّ أبدان الصبيان والشبّان حارّة باعتدال، وأبدان الكهول والمشايخ باردة، ولكن أبدان الصبيان أرطب من المعتدل لأجل النموّ ويدلّ عليه لين عظامهم وأعصابهم، وأمّا الكهول والمشايخ خصوصاً فهم مع أنهم أبرد فهم أيبس ويعلم ذلك من صلابة عظامهم ونشف جلودهم، ثم النارية متساوية في الصبيان والشبّان، والهوائية والمائية في الصبيان أكثر، والأرضية في الكهول والمشايخ أكثر منهما، والشاب معتدل المزاج فوق اعتدال الصبي، لكنه بالقياس إلى الصبي يابس المزاج، وبالقياس إلى الشيخ والكهل حارّ المزاج، والشيخ أيبس من الشباب.

والإنسان يتخطّى هذه المراحل إلى أن يصل أرذل العمر وهو الضعف الذي منه بدأ الحياة لكنه في هبوط قال تعالى: **﴿اللَّه الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوّة ضعفاً وشيبةً﴾**[٢]، **﴿ومن نعمّرهُ ننكسه في الخلق أفلا يعقلون﴾**[٣].

---

(١) جامع الأخبار.
(٢) سورة الروم: الآية ٥٤.
(٣) سورة يس: الآية ٦٨.

قال رسول اللّه ﷺ: ما من معمّر يعمّر في الإسلام أربعين سنة إلاّ عوفي من أنواع البلاء، فإن عمّر خمسين سنة ليّن عليه الحساب، فإن عمّر ستين سنة رزقه الإنابة إلى ما يحب ويرضى، وإن عمّر سبعين أحبّه اللّه وأحبّه أهل السماء، فإن عمّر ثمانين سنة يقبل اللّه حسناته ومحى عنه سيّئاته، فإن عمّر تسعين سنة غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وسمّي أسير اللّه في الأرض وشفّع لأهل بيته(١).

وعنه ﷺ قال: أبناء الأربعين زرع قد دنا حصاده، أبناء الخمسين ماذا قدّمتم وماذا أخّرتم، أبناء الستين هلموا إلى الحساب لا عذر لكم، أبناء السبعين عدّوا أنفسكم من الموتى(٢).

قد تمّ كتاب عجائب الملكوت بما جرى به القلم مما سنح به الفكر الفاتر والنظر القاصر حامداً مصلّياً مستغفراً.

---

(١) روضة الواعظين.
(٢) جامع الأخبار.

المصادر

- القرآن الكريم.

- الاختصاص: لأبي عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان المفيد - المتوفى ٤١٣هـ -.

- الأنوار النعمانية: السيد نعمة اللّه الجزائري - المتوفى ١١١٢هـ -.

- الإحتجاج: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي - المتوفى ٥٨٨ هـ -.

- البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم بن سليمان الحسيني البحراني - المتوفى ١١٠٧هـ -.

- بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسي - المتوفى ١١١٠هـ -.

- بصائر الدرجات: أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار - المتوفى ٢٩٠ هـ -.

- تفسير العياشي: أبو نصر محمّد بن مسعود العياشي - المتوفى ٥٤٨هـ -.

- تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن: لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي - المتوفى ٥٤٨هـ -.

ـ تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي ـ معاصر للكليني ـ.

ـ تفسير القمي: علي بن إبراهيم القمي ـ المتوفى ٣٠٧ هـ ـ.

ـ التوحيد: أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ـ المتوفى ٣٨١هـ ـ.

ـ جامع الأخبار: محمد بن محمد الشعيْرى ـ من أعلام القرن السادس الهجري ـ.

ـ الجواهر السَّنية في الأحاديث القدسية: محمد بن الحسن الحرّ العاملي ـ المتوفى ١١٠٤هـ ـ.

ـ حياة الحيوان الكبرى: كمال الدين الدميري ـ المتوفى ٨٠٨ هـ ـ.

ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب: سراج الدين أبي حفص بن الوردي ـ المتوفى ٨٦١ هـ ـ

ـ الخصال: أبي جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ـ المتوفى ٣٨١هـ ـ.

ـ دار السلام: ميرزا حسين النوري الطبرسي ـ المتوفى ١٣٢٠هـ ـ.

ـ روضة الواعظين: محمد بن الفتال النيسابوري ـ المتوفى ٥٠٨هـ ـ.

ـ الطرائف: علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن طاووس ـ المتوفى ٦٦٤هـ ـ.

ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: زكريا بن محمّد بن محمود القزويني ـ المتوفى ٦٨٢ هـ ـ.

ـ علل الشرايع: محمد بن علي بن الحسين القمّي الصدوق ـ المتوفى ٣٨١ هـ ـ.

ـ عوالم العلوم: عبد الله البحراني الأصفهاني ـ من أفاضل أعلام تلامذة الشيخ المجلسي ـ.

ـ عيون أخبار الرّضا: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي الصدوق ـ المتوفى ٣٨١هـ ـ.

ـ فرج المهموم في علم النجوم: علي بن موسى بن طاووس ـ المتوفى ٦٦٤ هـ ـ.

ـ القانون في الطب: الحسين بن علي بن سينا ـ المتوفى ٤٢٨هـ ـ.

ـ كامل الزيارات: أبو القاسم جعفر بن قولويه ـ المتوفى ٣٦٧ هـ ـ.

ـ الكشكول للبحراني: يوسف بن أحمد البحراني ـ المتوفى ١١٨٦هـ ـ.

ـ الكافي: محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني ـ المتوفى ٣٢٩هـ ـ.

ـ معالم الزلفى في معارف النشأة الأولى والأخرى: السيد هاشم بن سليمان الكتكاني البحراني ـ المتوفى ١٠٠٧ هـ ـ.

ـ مرآة الأنوار: لأبي الحسن محمّد طاهر بن الفتوني النباطي العاملي الاصبهاني الغروي ـ المتوفى أواخر عشر الأربعين بعد المائة والألف ـ.

ـ من لا يحضره الفقيه: محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق ـ المتوفى ٣٨١ هـ ـ.

ـ مكارم الأخلاق: رضي الدين الحسن بن الفضل الطبرسي ـ المتوفى ٥٤٨هـ ـ.

ـ مناقب آل أبي طالب: محمّد بن علي بن شهر آشوب المازندراني ـ المتوفى ٥٨٨ هـ ـ.

ـ مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي ـ المتوفى ١٠٨٥هـ ـ.

ـ مشكاة الأنوار في غرر الأخبار: أبو الفضل علي الطبرسي ـ المتوفى أوائل القرن السابع الهجري ـ.

ـ مدينة المعاجز: السيد هاشم الحسيني البحراني ـ المتوفى ١١٠٧هـ ـ.

ـ المحاسن: أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي ـ المتوفى ٢٧٤ هـ أو ٢٨٠ هـ ـ.

ـ النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: السيد نعمة اللّه الجزائري ـ المتوفى ١١١٢هـ ـ.

ـ الوافي: محمّد محسن بن الشاه مرتضى، الفيض الكاشاني ـ المتوفى ١٠٩١ هـ ـ.

ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمّد بن الحسن الحرّ العاملي ـ المتوفى ١١٠٤هـ ـ.

الفهرس

المقدمة ٧
الماء الأول الذي منه كل شيء ١١
فيما جاء في أصل الماء ومادته ١١
العرش والكرسي ١٧
الآيات ١٧
أنوار العرش وقوائمه وأركانه ١٧
سعة العرش والكرسي ١٨
إن في العرش تمثال كل شيء ٢٠
معاني العرش والكرسي ٢٠
العقل الكلي ٢٣
اللوح والقلم ٢٧
صفة القلم واللوح وأنه جرى بالقلم ٢٧
ان الله يثبت ويمحو ما يشاء في اللوح ٢٩
الحجب والسرادقات ٣١
سدرة المنتهى ٣٣
البيت المعمور ٣٤
الأيام التي خلق الله عز وجل بها الخلق ٣٦
عجائب السموات ٣٩
خلق السموات ٣٩
رتق السماء والأرض وفتقها ٤١
حبك السماء ٤٢
أسماء السموات وألوانها ٤٣
مقدار الفصل بين كل سماء ٤٣
إن في السموات خلائق وبحار ٤٣
إن السموات لها أبواب وأقفال ومفاتيح ٤٤
بكاء السماء والأرض ٤٥
الأرض ٤٧
سبق خلق الأرض على السماء ٤٧
خلق الأرض ٤٨
دحو الأرض ٤٨
عدد الأراضي وأسمائها وما فيها من الخلق ٤٩
عمران الأرض وخرابها ٥١
بعض عجائب الأرض ٥١
في سعة الأرض وامتدادها ٥١
في ركون الأرض وأنها غير رجراجة ٥٢
ان في كل بقعة من الأرض أهل من الملائكة ٥٢
تعدد العوالم ٥٣

عمر الدنيا وأنواع المخلوقات فيها ٥٨
ما كان قبل آدم في الأرض ٦٠
يأجوج ومأجوج ٦٤
منافع الماء ٦٧
طعم الماء ٦٩
شرب الماء ٧٠
المطر ٧٣
قوس الله ٧٦
علامات ظهور قوس الله ٧٦
الرعد والبرق ٧٨
علامات الرعد في مبيت القمر ٧٨
الصواعق ٨١
فوائد الرياح ٨٢
أنواع الرياح، وما يتعلّق بها ٨٤
ريح الشمال ٨٥
ريح الجنوب ٨٦
ريح الصبا ٨٦
ريح الدبور ٨٧
ريح العقيم ٨٧
ما في الهواء من عجائب المخلوقات ... ٨٧
الزلازل وما يتعلّق بها ٨٩
علامات الزلازل ٩٠
منافع النار وما يتعلق بها ٩٢
أقاليم الأرض ٩٤
الإقليم الأول ٩٤
الإقليم الثاني ٩٥
الإقليم الثالث ٩٥
الإقليم الرابع ٩٥
الإقليم الخامس ٩٦
الإقليم السادس ٩٦
الإقليم السابع ٩٦
في أحوال مساكن البلدان ٩٩
المساكن الحارة ٩٩
المساكن الباردة ٩٩
المساكن الرطبة ٩٩
المساكن اليابسة ١٠٠
المساكن العالية ١٠٠
المساكن الغائرة ١٠٠
المساكن الحجرية المكشوفة ١٠٠
المساكن الجبلية الثلجية ١٠٠
المساكن البحرية ١٠٠
المساكن الشمالية ١٠١
المساكن الجنوبية ١٠١
المساكن المشرقية ١٠١
المساكن الغربية ١٠١
طبائع البلدان ١٠٢
البلدان الممدوحة ١٠٢
مكة المكرمة ١٠٣
المدينة الطيبة ١٠٥
بيت المقدس ١٠٥
الكوفة ١٠٦
ما جاء في مسجد الكوفة وفضله ١٠٧
البقع التي خصّها الله بالفضل في الكوفة مسجد سهيل المعروف بالسهلة ١٠٨

كربلاء ١٠٩
قم ١١١
بعض عجائب البلدان ١١٣
طليطلة ١١٣
صحراء الغرب شنترية ١١٤
الأحقاف ١١٥
بعض المدن المحجوبة عن الأنظار ١١٨
وادي برهوت ١٢٠
فوائد الجبال ١٢١
بعض الجبال المشهورة والعجيبة ١٢٣
جبل ق ١٢٣
جبل الكمد ١٢٤
جبل سيلان ١٢٥
جبل سرنديب ١٢٦
جبل جوشن ١٢٦
عين الحياة ١٢٧
عين ص ١٣١
عين زمزم ١٣١
الأنهار ١٣٣
نهر الفرات ١٣٤
نهر النيل ١٣٥
الجزيرة الخضراء ١٣٨
جزيرة الواق واق ١٥٧
جزيرة المستشكين ١٥٩
جزيرة العبّاد والحكماء ١٦٠
علم التنجيم ١٦٣
النجوم ١٧١
الشهب والنيازك ١٧٦
البروج الشمسية ١٧٧
تنبيه ١٧٩
الكواكب ١٨٠
عجائب الشمس ١٨٤
كسوف الشمس ١٨٧
علامات الكسوف ١٨٨
عجائب القمر ١٩٣
منازل القمر ١٩٨
الشرطين ١٩٨
البطين ١٩٩
الثريا ١٩٩
الدبران ١٩٩
الهقعة ١٩٩
الهنعة ٢٠٠
الذراع ٢٠٠
النثرة ٢٠٠
الطرفة ٢٠٠
الجبهة ٢٠١
الزبرة ٢٠١
الصرفة ٢٠١
العواء ٢٠١
السماك ٢٠٢
الغفر ٢٠٢
الزبانا ٢٠٢
الإكليل ٢٠٢
القلب ٢٠٣

الشولة ٢٠٣
النعايم ٢٠٣
البلدة ٢٠٣
سعد الذابح ٢٠٤
سعد بلع ٢٠٤
سعد السعود ٢٠٤
سعد الأخبية ٢٠٤
الفرع المقدم ٢٠٤
الفرع المؤخر ٢٠٥
الرشا ٢٠٥
خسوف القمر ٢٠٥
علامات خسوف القمر ٢٠٦
تقديم ٢١٠
الأعمال التي تدفع النحس ومحذور الأيام ٢١١
الصدقة ٢١١
الدعاء وقراءة القرآن ٢١٢
عدم التطيّر ٢١٣
الأيام ٢١٥
يوم الجمعة ٢١٧
يوم السبت ٢٢٠
يوم الأحد ٢٢٠
يوم الاثنين ٢٢١
يوم الثلاثاء ٢٢١
يوم الأربعاء ٢٢٢
يوم الخميس ٢٢٣
أحكام دخول السنة القمرية في الأيام ٢٢٥
أحكام دخول السنة الشمسية في الأيام ٢٢٦
أحكام أيام الأشهر القمرية ٢٢٩
الأيام المحذورة في السنة القمرية ٢٣٩
عجائب الساعات ٢٤١
في أسماء ساعات النهار وما يتعلّق بها من أحكام وخواص ٢٤١
في أسماء ساعات الليل وما يتعلق بها من أحكام وخواص ٢٤٢
نحوسات الساعات وجيدها للاستخارة ٢٤٤
تسبيح المخلوقات ٢٤٥
ما يقول الحيوان في كلامه ٢٥٠
عجائب خلق الحيوان ٢٥٤
عجائب خواص الحيوان ٢٧٢
الإبل ٢٧٢
ابن آوى ٢٧٣
ابن عرس ٢٧٣
الأرنب ٢٧٣
الأسد ٢٧٤
الأفعى ٢٧٥
الإيل ٢٧٥
الببر ٢٧٦
البغل ٢٧٧
البقر ٢٧٧
البوم والبومة ٢٧٨
التمساح ٢٧٩

الثعلب ٢٧٩
الحرباء ٢٨٠
الحمار ٢٨٠
الحمار الوحشي ٢٨١
الحمام ٢٨١
الخطاف ٢٨١
الخفاش ٢٨٢
الخنزير ٢٨٢
الدب ٢٨٣
الدرّاج ٢٨٣
الديك ٢٨٤
الدجاجة ٢٨٥
الذئب ٢٨٥
الذباب ٢٨٦
الذراح ٢٨٧
السلحفاة ٢٨٧
السرطان ٢٨٨
السنّور ٢٨٨
الضأن ٢٨٩
الضب ٢٨٩
الضبع ٢٩٠
الضفدع ٢٩٠
الطاووس ٢٩١
الظبي ٢٩١
العظاءة ٢٩٢
العقاب ٢٩٢
العقرب ٢٩٣
العنز ٢٩٣
العنكبوت ٢٩٤
الفرس ٢٩٤
الفيل ٢٩٥
القرد ٢٩٦
القطا ٢٩٦
القمرى ٢٩٦
القنفذ ٢٩٦
الكركند ٢٩٧
الكلب ٢٩٨
اللقلق ٢٩٩
النسر ٢٩٩
النمر ٢٩٩
النمل ٣٠٠
الهدهد ٣٠٠
عجائب خلق النبات ٣٠٢
عجائب خواص النبات ٣١٠
الأترج ٣١٠
الأراك ٣١١
الأنيسون ٣١١
الباذنجان ٣١١
الباقلا ٣١٢
البصل ٣١٢
البطيخ ٣١٣
البندق ٣١٣
التفاح ٣١٤
التوت ٣١٤
التين ٣١٤

الثوم ٣١٥
الجزر ٣١٥
الجوز ٣١٥
الحرمل ٣١٦
الحلبة ٣١٦
الحناء ٣١٧
الحمص ٣١٧
الخس ٣١٧
الخيار ٣١٧
الرمان ٣١٨
الزبيب ٣١٩
الزعفران ٣١٩
الزيتون ٣٢٠
السفرجل ٣٢٠
السلق ٣٢١
السمسم ٣٢١
شجرة مريم ٣٢٢
الشلجم ٣٢٢
الشيح ٣٢٢
العنب ٣٢٢
الفجل ٣٢٣
الفستق ٣٢٣
الفلفل ٣٢٣
الكرفس ٣٢٣
الكمأة ٣٢٤
الكمون ٣٢٤
اللوز ٣٢٤
النخل ٣٢٤
النرجس ٣٢٦
عجائب خواص المعادن والأحجار ٣٢٧
حجر إثمد ٣٢٨
الحجر الأسود ٣٢٨
حجر الباكزهر ٣٣١
حجر باهت ٣٣١
حجر البحر ٣٣١
حجر البرادى ٣٣٢
حجر البلور ٣٣٢
حجر جالب النوم ٣٣٢
حجر الجزع ٣٣٢
حجر الجمشت ٣٣٣
الحديد ٣٣٣
حجر الخطاطيف ٣٣٤
حجر الدرّ ٣٣٤
حجر الديك ٣٣٤
الذهب ٣٣٤
حجر الرخام ٣٣٥
الرصاص ٣٣٥
حجر الزبرجد ٣٣٥
حجر الزمرد ٣٣٦
حجر السبج ٣٣٦
حجر السلوان ٣٣٦
حجر السندروس ٣٣٧
حجر الشب ٣٣٧
حجر العقيق ٣٣٧

الفضة ٣٣٨
حجر الفيروزج ٣٣٨
حجر الكهربا ٣٣٨
حجر اللازورد ٣٣٩
حجر اللؤلؤ ٣٣٩
حجر الماس ٣٣٩
حجر المرجان ٣٤٠
حجر المغناطيس ٣٤٠
حجر المها ٣٤٠
النحاس ٣٤٠
حجر النورة ٣٤١
حجر الياقوت ٣٤١
حجر اليشم ٣٤١
خواص الأحجار ذات المحك ٣٤١
الحجر الأبيض ٣٤٢
الحجر الأحمر ٣٤٢
الحجر الأخضر ٣٤٣
الحجر الأسود ٣٤٣
الحجر الأصفر ٣٤٣
الحجر البنفسجي ٣٤٤
الحجر الرمادي ٣٤٤
خلق الملائكة ٣٤٥
كثرة الملائكة ٣٤٦
أكل وشرب ونوم الملائكة ٣٤٧
جبرئيل (ع) ٣٤٨
في عدد أجنحته وصفاتها وخواصها ٣٥٠
إسرافيل (ع) ٣٥٣
ميكائيل (ع) ٣٥٦
ملك الموت عزرائيل (ع) ٣٥٧
روح القدس ٣٦٣
الكرام الكاتبين ٣٦٤
مقعد الملكين ومدادهما وقلمهما ٣٦٥
بعض صفات عمل الكرام الكاتبين ٣٦٦
حملة العرش ٣٦٧
هاروت وماروت ٣٦٨
الكروبيين ٣٧٠
ملك السّجل ٣٧٠
الملك فطرس ٣٧١
بعض أصناف الملائكة ٣٧٢
بعض أعمال الملائكة ٣٧٦
الملائكة الموكلون بالإنسان ٣٨٠
الملائكة الموكلون بالأعمال ٣٨٣
خلق الجن ٣٨٧
أصناف الجن ٣٨٨
الغول ٣٩٢
السعلاة ٣٩٢
الدلهاب ٣٩٢
أم الصبيان ٣٩٣
الشق ٣٩٣
العفريت ٣٩٣
القرين ٣٩٤
الوسواس الخنّاس ٣٩٥
عمّار المكان ٣٩٥
طعام الجن ٣٩٩

الجن يسترقون السمع ويجلبون الأخبار ٤٠٠
مؤمنو الجن ٤٠١
نوح الجن على الحسين بن علي (ع). ٤١٠
تسخير الجن ٤١١
العزيمة البرهتية ٤٢١
العزيمة الثانية ٤٢٤
العزيمة الثالثة ٤٢٥
العزيمة الرابعة ٤٢٧
العزيمة الخامسة ٤٢٨
العزيمة السادسة ٤٢٩
العزيمة السابعة ٤٣٠
العزيمة الثامنة ٤٣٢
العزيمة التاسعة ٤٣٣
أعمال الشياطين وما يتعلّق بها ٤٣٥
تصرف الشياطين في الأعين والأبدان ٤٤٠
في أحوال إبليس وصفاته ٤٤٢
إنّ إبليس ليس من الملائكة ٤٤٤
في أسماء إبليس ٤٤٥
في عبادة إبليس ٤٤٦
موت وهلاك إبليس ٤٤٦
عالم الذر ٤٤٨
صفة خلق أب البشر آدم ٤٥٢
الروح الإنسانية ٤٧٤
أصل نطفة الإنسان ٤٧٧
تأثير الصور الخيالية في النطفة ٤٧٩
علّة شباهة الإنسان أقربائه ٤٧٩
أعاجيب خلق صنعة الإنسان ٤٨٠
اختلاج أعضاء الإنسان ٥٠٤
عمر الإنسان ٥٠٥
المصادر ٥٠٩
الفهرس ٥١٣

المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
رقم ....

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب: ١٤/٥٤٧٩
ت: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧